الوصايا المنهجية

لمتبعي السنة النبوية

للعلامة

أ. د. ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقاً

دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

1436هـ - 2015م

الطبعة الأولى لدار الميراث النبوي

طبع بإذن المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتى في النص والعلماء هم وراثه
ما خلّف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2014-4294
ردمك: 978-9947-48-092-2

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع
الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة
الجوال: 554250098(00213) تلفاكس: 26936739(00213)
البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

الوصايا المنهجية
لمتبعي السنة النبوية

للعلامة

أ. د. ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقًا

دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الثبات على السنة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، منْ يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

إنَّ الثبات علىٰ السنَّة معناه الثباتُ علىٰ الإسلام بكلّيّته: أصولِه وفروعِه عقائدِه ومناهجِه؛ نثبت عليه ونتمسَّك به حتىٰ نلقىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والآيات الحاثَّة علىٰ الاتباع والالتزام والاعتصام والاستقامة كثيرة. والأحاديث كذلك ترمي كلُّها إلىٰ غايةٍ واحدةٍ وهي ثبات المسلمين علىٰ الإسلام.

وإذا قلنا الثبات علىٰ السنَّة ليس المراد فقط ما يفهمه كثير من الناس من لفظ

السنَّة؛ فإنَّ السنَّة هنا تعني العقيدة والمنهج، تعني الإسلام، تعني الثبات علىٰ الإسلام.

هذا الثبات بتوفيقٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

التوفيق بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والهداية بيده والإضلال بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ يهدي من يشاء، ويضلّ من يشاء، ويُثبِّت من يشاء، ويُزيغ قلب من يشاء. ولهذا علَّمنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن ندعوَهُ بأن لا يُزيغ قلوبنا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

«واللهِ لــــولا اللهُ مــــا اهتــــدينا ولا تــــصدّقنا ولا صــــلَّينا»[١]

يعني أنَّهم معترفون بأنَّ الهداية من الله تعالىٰ منٌّ وفضلٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورحمةٌ منه لمن شاء من عباده ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٤].

يمتنّ علىٰ من يشاء ويتفضّل علىٰ من يشاء بالهداية، ويُسدِّدهم ويُوفِّقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتحفُّهم عنايته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الزيغ والضلال والانحراف.

ويُضِلُّ من يشاء: إمَّا بالضلال الكامل كالكفر والخروج من الإسلام – عياذًا

---

(١) كما رویٰ ذلك أحمد (٤/٤٦ و٤٧ و٥٠) والبخاري؛ برقم (٤١٦٩) و(٤١٩٦) ومسلم؛ برقم (١٨٠٢). من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالله تعالىٰ -.

وإمَّا **الضلال الجزئي**: ضلال من يدخل في الإسلام فيضِلُّ في عقيدته وفي منهجه - عياذًا بالله تعالىٰ -.

فهذا الضلال حصل بمشيئة الله تعالىٰ. والهداية التي نالها وإن كانت ضئيلةً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالأمر كلُّه له، والحكم له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونواصي العباد بيده، وقلوب الناس بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا علَّمنا رسول الله ﷺ أن ندعُوَ: «يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا علىٰ دينك»[(١)].

الإنسان لا يُوكل إلىٰ نفسه، كان من دعائه ﷺ **«فلا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين»**[(٢)] لو وُكِل الناس إلىٰ أنفسهم لهلكوا في دينهم ودنياهم، ولكنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي بيده كلُّ شيءٍ، والأمور كلُّها بيده، ونواصي العباد بيده،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١١٢ (١٢١٣١) و٣/ ٢٥٧ (١٣٧٣١) والترمذي؛ برقم (٢١٤٠) وقال: «وهذا حديثٌ حَسَنٌ»، وابن ماجه؛ برقم (٣٨٣٤)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد؛ برقم (٦٨٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث صححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٨٤) برقم (٢٢٥).

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٤٢ (٢٠٧٠١ و٢٠٧٠٢) والبخاري في الأدب المفرد (٧٠١) وأبو داود (٥٠٩٠) والنَّسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢٢) و(٥٧٢) و(٦٥١) وابن حبان (١/ ٥٨٨ - الموارد) برقم (٢٣٧٠) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقلوب الناس جميعًا بين إصبعين من أصابعه؛ تعالىٰ وتقدَّس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإذا ثبَّت الله الإنسان علىٰ دينه الحقِّ وعلىٰ منهج الله الحقِّ وعلىٰ العقائد الصحيحة فهذه نعمةٌ من الله فلا يغترَّ بنفسه، ويتباهىٰ ويتطاول، وإنَّما يتواضع لله ربِّ العالمين ويشكره علىٰ ذلك ويضرع إليه أن يحفظ له دينه، وأن يُجنِّبه المزالق والزيغ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ولا يغتر ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، فنسأله سبحانه في كلِّ لحظةٍ من لحظاتنا أن يُثبِّت قلوبنا.

هذا رسول الله ﷺ وكان يُكثر من قوله: «يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك» فقالت عائشة: «فقلت يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء فقال: إنَّ قلب الآدمي بين إصبعين من أصابع الله عَزَّوَجَلَّ فإذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه»(١).

والثبات مطلوبٌ من المؤمن، ويجب أن يسأل ربَّه أن يُثبِّته في كلِّ موقف: في الجهاد، عند الموت يدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويضرع إليه أن يُثبِّته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

إذا لم يُوجد ثباتٌ ما وُجد جهادٌ، ولا قيمة للجهاد إلَّا بالثبات حتىٰ ينزل النَّصر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإذا ثبت المؤمنون علىٰ العقائد الصحيحة والمناهج الصحيحة وثبتوا في

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٩١، ٢٥٠) وابن أبي شيبة في الإيمان برقم (٥٧) وابن أبي عاصم في [السنة - ظلال الجنة (١/ ٨٤) برقم (٢٢٤)] وقال الألباني في تخريجه: صحيح لغيره.

القتال أمام أعداء الله عَزَّوَجَلَّ وقاتلوا لإعلاء كلمة الله لا بُدَّ أن ينصرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهذا الثبات على الدِّين، وبهذا الجهاد لإعلائه «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١).

والمطلوب منه إذا كان في ساحة الجهاد أن يثبُت، ولا يفِرَّ؛ والفرار من الزَّحف إحدىٰ الكبائر المُهلكة - والعياذ بالله - كما سنذكر ذلك في حديث الكبائر إذا اتَّسع له الوقت.

فنسأل الله أن يُثبِّتنا وإيَّاكم علىٰ دينه.

وكما قلنا: إنَّ الله يأمر بالاعتصام بحبله بعد هذه الآية التي تلوناها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣].

الاعتصام معناه الثبات، اثبُتوا واستمسكوا يُساعدكم علىٰ هذا الثبات علىٰ الإسلام الذي أوصانا الله أن نحتفظ به ونُحافظ عليه إلىٰ الممات.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٣٩٢ و٤٠١ و٤٠٥ و٤١٧ والبخاري؛ رقم (١٢٣) و(٢٨١٠) ومسلم؛ رقم (١٤٩)؛ من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. [الأعراف: ٣]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

هذا ثناء من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ الذين استقاموا علىٰ دينه. والاستقامة هي الثبات علىٰ ما جاء به محمد، بل علىٰ ما جاء جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - من عقيدة ومنهج، فلهم منزلة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بثباتهم علىٰ هذا الدِّين الحقِّ.

قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: آمنوا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقَّ الإيمان بأسمائه وصفاته وربوبيته، وأنَّه هو المعبود الحقُّ فلا يعبدون سواه.

- يُثبتون لله **الربوبية**: وأنَّه هو خالق هذا الكون ومدبِّره ومنظِّمه، وهو الخالق الرَّازق المُحيِي المميت إلىٰ آخر صفات الربوبية.

- وأسماءَه الحسنىٰ: اللائقة بجلاله وعظمته وربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي وردت في القرآن وفي السنَّة، نُؤمن بها كما جاءت، وهي داخلة في هذه الاستقامة.

- والإيمان بأنَّه لا إله إلا هو: لا معبود بحقٍّ إلَّا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا نعبد إلَّا إيَّاه نُخلص له الدِّين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نحبُّه غاية الحبِّ، ونخافه ونخشاه غاية الخوف والخشية، ونرجوه ونطمع فيما عنده في الدنيا والآخرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونصلي له ونسجد ونَحْفِد[1] ونزكي ونصوم ونذكر ونقرأُ القرآن... كلُّ ذلك تقرُّبًا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذه كلُّها من أسباب الاستقامة. ومن دلائل الاستقامة إذا نحن حافظنا علىٰ هذه الشعائر وهذه الشرائع. وهذه من الدلائل أنَّ الله قد وفّقك - إن شاء الله -، وأنَّك من المستقيمين الذين يستحقُّون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الثناء، ويستحقّون من الله هذا الوعد وهذه العناية الربَّانية: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ متىٰ يكون هذا التنـزُّل؟ عندما يحتضر العبد، عندما يُوشِك علىٰ مفارقة هذه الدنيا وتوديعها، والرحلة إلىٰ الدار الآخرة يُنزِّلُ الله الملائكة يُبشِّرونهم ويُثبِّتونهم ويُسدِّدونهم، ويُذهبون عنهم المخاوف ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾:

- لا تخافوا من المستقبل: مما أمامكم؛ فما أمامكم إلَّا الجنَّة ورضوان الله عَزَّوَجَلَّ.

- ولا تحزنوا علىٰ ما خلَّفتم من المال والولد وغير ذلك.

هذه بشائر تأتي الثابتين علىٰ دين الله الحقِّ في هذا الظرف العصيب، فهذه مرحلة خطيرة جدًّا، فبعضهم قد تسوء خاتمته - والعياذ بالله - نسأل الله أن يُثبِّتنا وإيَّاكم.

---

(١) قال أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غريب الحديث (٣/ ٣٧٥): «الحفد هو الخدمة، فقوله ﷺ: «نسعىٰ ونحفد» هو من ذاك، يقول: إنا نعبدك ونسعىٰ في طلب رضاك».

كما جاء في الحديث «**إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة. وإنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار**». [متفق عليه][(١)].

هذا الحديث الذي نخاف منه الخوف الشديد من نهاية المطاف وخاتمة الحياة.

فلابُدَّ للعبد أن يضرع إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دائمًا أن يُثبِّته علىٰ دينه، وأن يتوفَّانا وهو راضٍ عنَّا.

وفي الحديث الآخر: «**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءَه، ومن كَرِه لقاء الله كَرِه الله لقاءه**».

حدَّث بهذا الحديث أبو هريرة[(٢)]، وحدَّثت به عائشة[(٣)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ». فقال رسول الله ﷺ: «**ليس ذاك** - أي ليس ذلك الذي فهمتيه - **، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه؛ فأحبَّ لقاء الله وأحبَّ اللهُ لقاءه. وإن الكافر إذا حُضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكرهَ إليه مما أمامه؛ فكره لقاء الله وكره اللهُ**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٢ و٤١٤ و٤٣٠) والبخاري برقم: (٦٥٩٤)، ومسلم برقم: (٢٦٤٣) واللفظ له؛ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٤٦ (٨٥٣٧) ومسلم برقم: (٢٦٨٥).

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٤٤ و٥٥ و٢٠٧ و٢٣٦ والبخاري برقم: (٦٥٠٧) ومسلم برقم: (٢٦٨٤).

لقاءه» [متفق عليه](١).

فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا ممن يشتاق إلىٰ لقائه ويُحبُّ لقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يُكرمنا في هذه الظروف العصيبة بحسن الخاتمة، وأن يُتحفنا بالبشائر الطيِّبة، وهذا ثمرةٌ للثبات علىٰ دين الله والاستقامة التي يرجع الفضل فيها إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا إلىٰ قلبك ولا عضلاتك ولا إلىٰ شيء من هذا. وإنَّما يرجع إلىٰ رحمة الله وفضله ولطفه.

فنسأله أن يلطُف بنا وأن يُثبِّت قلوبنا علىٰ الحقِّ.

﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

الجنَّة وعدها الله الذين آمنوا واستقاموا في آيات كثيرة في السور المكية والمدنية:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالوعد بالجنَّة مذكور في كثير وكثير من السور والآيات.

الجنَّة التي كنتَ تُوعد بها في القرآن وعلىٰ لسان محمد ﷺ بسبب الثبات علىٰ

---

(١) هذا سياق البخاري (ح٦٥٠٧).

الإسلام بسبب الاستقامة عليه أبشر بها.

فنسأل الله أن يُثبِّتنا وإيَّاكم علىٰ الهدىٰ، وأن يرزقنا وإيَّاكم الاستقامة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢] أمرٌ بالاستقامة.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

هذا أمرٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لرسوله ﷺ وأتباعه المؤمنين الذين تابوا إلىٰ الله وأنابوا إليه والتزموا صراطه المستقيم وثبتوا علىٰ دينه، أمرهم بالاستقامة عليه. والاستقامة هي الثبات كما أمركَ الله: تلتزم بالعقيدة التي أمركَ الله بالتزامها، تلتزم بالأوامر كلِّها التي أمركَ الله بها، وتجتنب النَّواهي ألتي نهاكَ الله عنها وحرَّمها عليك.

فالقرآن فيه جوامع: الكلمة الواحدة تحتها معانٍ، وهذه الآية منها، وتلك الآيات منها.

فهذا توجيه لرسول الله ﷺ وللمؤمنين إلىٰ يوم القيامة أن يستقيموا علىٰ دين الله الذي أمرهم به؛ فلا يحيدون عنه يمنة ولا يسرة، ولا يزيغون عن هذا الأمر الشامل لكل التشريعات والعقائد والأحكام.

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ۚ﴾: الطغيان هو مجاوزة الحدِّ.

ولا تطغَوْا: لا بغلوٍّ في الدِّين ولا في غيره، ولا بظلمٍ؛ ففيه محاربة كلِّ صنوف

الطغيان من الظلم والتَّعدِّي.

والتَّعدِّي لحدود الله من أفظع أنواع الظلم؛ فشرائع الله محدَّدة، والعقائد محدَّدة، والأوامر محدَّدة مضبوطة، وكلُّ شيءٍ مضبوطٌ، ويأتي أحدهم يزيد من عنده؟!! فهذا طغيان.

لا تزد إلَّا في حدود ما شرع الله لك من النوافل، وحتىٰ النوافل نفسها لا تزيد فيها - كيفياتها وصفاتها -.

الصلاة خمس صلوات لا تزد سادسة.

الظهر أربعًا لا تزد خامسة، ولا تزد سادسة، ولا تزد سجدة ولا أي شيء.

لا تزد في العبادات؛ فقد حدَّدها الرسول ﷺ.

كان النبيّ ﷺ يقوم وينام، ويصوم ويُفطر، فلمَّا اشتدَّت رغبة بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الزيادة في العبادة سألوا أزواج النبيِّ ﷺ عن عمله، فقالوا: «إنَّه يقوم وينام، ويصوم ويفطر، ويتزوج النساء» فقال أحدهم: (أما أنا فأقوم ولا أنام)، وقال الثاني: (وأنا أصوم ولا أفطر)، وقال الآخر: (وأنا لا أتزوج النساء) فأغضب ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس منِّي**». [متفق عليه][1].

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٤١ (١٣٥٦٨) و٣/ ٢٥٩ (١٣٧٦٣) والبخاري برقم: (٥٠٦٣) ومسلم برقم: (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالذي يقوم الليل ويصوم النهار يضيع حقوقًا كثيرة، ثمَّ في النهار يفشل ويستحسر ويضعف، وقد ينتكس نتيجةً لغلوِّه، الصحابة الذين كانت لديهم هذه الرغبة تراجعوا.

ما أسرعهم للاستجابة!

ولكن كثيرًا من الناس إذا وقع في خطأ، وقع في غلوٍّ، وقع في شيء فلا يرجع - عياذًا بالله - وهذا بلاءٌ مهلكٌ، نسأل الله العافية.

﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ لا تطغَ علىٰ الناس؛ لا تعتدِ عليهم في أعراضهم ولا في أموالهم ولا في أرواحهم ولا في شيء ممَّا حرم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا تُخِلَّ بحقوق الأقربين ولا الأبعدين؛ هذا تحذير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ رقابةٌ دقيقةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يحصي مثاقيل الذرّ من الأعمال الصالحة والطالحة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] فالمؤمن يكون دائمًا حذرًا مراقبًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يؤدّي الأعمال الصالحة وهو مراقب لله، يخاف أن يكون فيها رياءٌ، فيها حب السمعة، فيها أشياء؛ فيهلكُ - والعياذ بالله - ويخاف من المعاصي، ويخاف من البدع؛ لأنَّ الله يراقبه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ كلِّ شيء شهيد، علىٰ كلِّ شيء رقيب، بما نعملُ بصيرٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمؤمن يجب أن يستحضر هذا الأمر مراقبة الله، وأنَّ الله بكلِّ شيء بصير وسميع، وأنَّ الله محيط بكلِّ شيء، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصُّدور، فلا تخفىٰ عليه خافية، ومن وفّقه الله ورزقه مثل هذه الحال الطيّبة فإنَّ هذا من علامات ثباته - إن شاء الله - وعلامة استقامته، هذا من العلامات والبشائر أنَّ المؤمن علىٰ ثبات واستقامةٍ - إن شاء الله -، ولكن لا يكلُّ ولا يملُّ من اللُّجوء والضراعة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كيف ورسول الله ﷺ يسأل هذا السؤال ويكثر منه «**يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا علىٰ دينك**»[1] كيف نأمن أن ينحرف الإنسان ويزيغ قلبه؟!

واللهِ ما يأمنه إلَّا منافق ولا يخافه إلَّا مؤمن[2]، فينبغي أن نخاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولكن لا يطغىٰ هذا الخوف فيكون خوف ورجاء متوازيان متوازنان حتىٰ يحضر الموت فحينئذٍ يُغَلِّب المؤمن الرجاء وحسن الظنِّ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٩).

(٢) ثبت من قول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ عزاه ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١/ ١٩٥ - ١٩٦) إلىٰ الإمام أحمد في كتاب الإيمان له - وهو في السنة للخلال برقم (١٦٥٢، ١٦٥٥) - وصححه، ونحوه عند الفريابي في صفة النفاق برقم (٨١، ٨٢)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (ص: ٤١٤/ رقم: ٦٨٧) وعلّقه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لا يَشْعُرُ، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٨٥٩).

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

الميل إلىٰ أهل الظلم الذين يظلمون النَّاس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. أو يظلمونهم في دينهم بالبدع والضلالات وبثِّ الدعايات الخطيرة ضد الإسلام وما شاكل ذلك.

لا تركن إلىٰ أحدٍ من هؤلاء، لا تنصره لا تساعده علىٰ باطله. الآية تشمل كل هذه الأنواع، كلُّ مبطل ظالم، كل مبتدع ظالم، كلُّ منتهك لحرمات المسلمين ظالم، فلا تركن إلىٰ أحدٍ من هؤلاء فتمسَّك النَّار؛ لأنَّك لمَّا تركن إلىٰ الفاسق، إلىٰ المبتدع الضال إلىٰ الظالم المجرم المنتهك لحرمات النَّاس وحرمات الشريعة تكون كأنَّك راضٍ كأنَّك مساعدٌ ومُؤيِّد فليحذر المؤمن من الوقوع في هذا الركون المُهلك.

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾.
[الإسراء: ٧٤ – ٧٥]

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لرسوله ﷺ: ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾!

فليحذر المؤمن من هذا الركون، وقد يكون من أسباب الزيغ والضلال – عياذًا بالله تعالىٰ –: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنا عند عمر فقال: أيّكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن فقال قوم: نحن سمعناه. فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله

وجاره. قالوا: أجل. قال: تلك تكفّرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيّكم سمع النبيّ ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسْكَتَ القومُ. فقلت: أنا. قال: أنت لله أبوك. قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تُعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأيُّ قلب أُشربها نُكت فيه نكتةٌ سوداء وأيُّ قلب أنكرها نُكت فيه نكتةٌ بيضاء حتىٰ تصير علىٰ قلبين علىٰ أبيضَ مثلِ الصفا؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًّا كالكوز مجخيًّا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه»**. [رواه مسلم في صحيحه وغيره][(١)].

«علىٰ أبيضَ مثلِ الصفا فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض»: بتثبيت من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُثبِّته الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بسبب رفضه للباطل، رفضه للشهوات، رفضه للشبهات.

فإنَّ الفتنة قد تكون دنيويةً: فتنة الشهوات فتُهلك.

وقد تكون فتنة شبهات وبدع وضلالات وما شاكل ذلك؛ فتُؤدِّي بصاحبها إلىٰ ما ذُكر في الحديث **«والآخرُ أسودُ مربادًّا كالكوز مُجَخِيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا»**: هذا بدايته الركون إلىٰ أهل الباطل ومساعدتهم: تبدأ نكتة سوداء

---

(١) عند مسلم برقم (١٤٤) وأخرجه أحمد في ٥/ ٣٨٦ (٢٣٦٦٩) و٥/ ٤٠٥ (٢٣٨٣٣) بهذا اللفظ، ورواه أحمد ٥/ ٤٠١ (٢٣٨٠٤) و(٢٣٨٠٥) والبخاري: برقم (٥٢٥) و(٧٠٩٦) وفي مواضع أخر، ومسلم: برقم (١٤٤/ ٧١٩٧)، وليس فيه ذكر عرض الفتن علىٰ القلوب.

وتَّسع، كلّما مال إلىٰ الباطل وكلَّما جارىٰ المبطلين والمضلِّين إلىٰ أن ينتكس قلبُه - عياذًا بالله تعالىٰ - فيصير كالكوز مجخِّيًا: إذا قُلبَ علىٰ رأسه؛ تُفرغ عليه مياه الدنيا كلِّها فلا تدخل فيه قطرة!!

يصير قلبه هكذا... تقرأُ عليه القرآن والحديث والمواعظ فلا يقبل شيئًا، تتلو الآيات والأدلَّة والبراهين فلا يستجيب!! لماذا؟ لأنَّ قلبه انتكس ثمرةً لانتكاسه الأساسي إلىٰ أن وصل به إلىٰ هذه المرحلة السوداء المظلمة والمهلكة - والعياذ بالله تعالىٰ -.

فيُصبح: «**لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرا إلا ما أُشرب من هواه**»: هذا ثمرة للزيغ والانتكاس الذي يجب أن يحذر منه المسلم، وأن يسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كلِّ لحظة من لحظاته أن يُثبِّت قلبه علىٰ دينه الحقِّ.

وهناك أمثلة للثبات علىٰ الحقِّ؛ وأروع الأمثلة: ثبات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وأصحابهم الذين اهتدَوْا بهداهم، وخيرهم أصحاب محمد ﷺ؛ فكل من صحب الأنبياء فله فضلٌ علىٰ من بعدهم من أُمَّة ذلك النبي ﷺ، وأصحاب محمد ﷺ أفضل هذه الأمَّة؛ أفضل من كلِّ من جاء بعدهم؛ فلو أنفق أحدنا مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه، وفاقوا في الفضل من سبقهم. قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فهم أفضل النَّاس بعد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، ولاسيما

السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهؤلاء ضربوا أروع الأمثلة للثبات؛ في مكة كانوا يُعذَّبون ويُشرَّدون ويُؤذَوْن ويُقتل بعضهم كما حصل لأبي عمَّار (ياسر) وأمِّه سُمَيّة قُتلَا صبرًا علىٰ التعذيب، وثبتًا وثبتًا.. حتىٰ قُتِلَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1].

وثبت بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كان يُذهب به إلىٰ بطحاء مكة في شدَّة الحرِّ وتُلقىٰ الصخرات الملتهبة علىٰ صدره وهم يضربونه ويُؤذونه ويُسلِّطون عليه الصبيان يسخرون به وهو ثابت يقول: أحدٌ أحدٌ[2]؛ الله وحده لا شريك له، لا اللَّات

---

(١) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ مرّ بعمار وأهله وهم يعَذّبون فقال: «**أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة**». أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٨٨ وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٣) عن عثمان وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وهو في صحيح السيرة للألباني (ص١٥٤). وعن مجاهد قال: «جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث ثم طعنها فقتلها فهي أول شهيد استشهد في الإسلام» أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٤٢، ٤٤٨) وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٣/ ٢٣٣) وابن عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٤٨)، وصححه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٣٣٥).

(٢) **عن عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فألبسهم المشركون أدراع الحديد، وصفدوهم في الشمس، وما فيهم أحد إلا وقد واتاهم علىٰ ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان علىٰ قومه، فأعطوه الولدان يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد». رواه أحمد =

ولا العُزَّىٰ.

وكم لاقَوْا من الأذىٰ؛ فرسول الله ﷺ لاقَىٰ من الأذىٰ الشديد في مكة؛ آذته قريش حتَّىٰ أمر طُغاتُهم بإلقاء سَلَا الجزور علىٰ رقبته وهو ساجد[1] ﷺ.

وأبو بكر الصِّديق آذَوْه حتىٰ خرج مُهاجرًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فرجع في ذِمَّة ابن الدغنَّة، وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقرأُ القرآن فيتقصَّف عليه النِّساء والصبيان، فخافت قريش علىٰ نسائهم وأبنائهم أن يدخُلوا في دين الله الحقِّ!! فيمنعونه من الصلاة ويطلبون من هذا الرَّجل الذي أدخله في ذمَّته أن يُسكته أو يُخرجه من ذمَّته!!

فيقول لأبي بكر: إمَّا أن تُرجع إليَّ ذمَّتي وعهدي وشأنُك وإمَّا أن تقف وتترك هذا الذي أنت عليه. فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنا أردُّ ذمَّتك وأبقىٰ في ذمَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[2].

=

في المسند (١/ ٤٠٤) وفي فضائل الصحابة (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤) برقم (١٩١) وابن ماجه في المقدمة برقم (١٥٠) وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٣٧) و(٨/ ٤٤٩) ومن طريقه ابن حبان في صحيحه - الموارد (٧٠٤١) والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٨٤ وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١٤١) والسير للذهبي (١/ ٣٤٨).

(١) أخرج القصة أحمد (١/ ٣٩٣، ٣٩٧، ٤١٧) والبخاري برقم (٣٨٥٤) ومسلم (٣٠٢٣)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) روىٰ القصة أحمد (٦/ ١٩٨، ٢١٢) والبخاري برقم (٣٩٠٥)؛ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وصبروا دهرًا علىٰ الأذىٰ الشديد فما غيَّروا ولا بدَّلوا، وما كان أحدٌ منهم يرتدّ سُخطةً لدينه؛ كما ذكر ذلك أبو سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في حديثه المعروف مع هرقل، لمَّا سأله: من هم أتباع محمد؛ هل هم ضعفاء الناس أم أشرافهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم. فقال هرقل: هم أتباع الأنبياء!

وهل يرتدّ أحدٌ منهم سُخطةً لدينه؟ قال: لا) الحديث[(١)].

فالصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ رضُوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا.

فهاجروا إلىٰ الحبشة وهاجروا إلىٰ المدينة صابرين محتسبين؛ فصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا إلىٰ أن مات رسول الله ﷺ فارتدَّ أكثر العرب فثبتوا وصبروا وواجهوا الردَّة حتىٰ قَضَوْا عليها. وكان علىٰ رأس الثابتين أبو بكر الصِّديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: «واللهِ لو منعوني عناقًا - أو عقالًا - كانوا يُؤدُّونه إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»[(٢)].

وقد كان عارضه بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - في قتال المرتدين، فقال أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: واللهِ لو منعوني عناقًا - أو عقالًا - كانوا يؤدُّونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه. واقتنع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ برأيه السديد فقاتلوا

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٢، ٢٦٣) والبخاري برقم (٧) ومسلم برقم (١٧٧٣)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ١٩ (١١٧) و١/ ٤٧ (٣٣٥) والبخاري؛ رقم (٧٢٨٤ و٧٢٨٥) ومسلم؛ رقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وثبتوا وقاتلوا وقاتلوا حتىٰ أعاد الله هؤلاء الذين ارتدوا إلىٰ حظيرة الإسلام، ثمَّ اندفعوا جميعا إلىٰ الفتوحات وهم ثابتون يتسابقون إلىٰ مرضاة الله والشهادة في سبيل الله، يـبذلون مُهَجهم وأموالهم لنصرة دين الله وإعلاء كلمة الله؛ فهم أمثلة رائعة للثبات علىٰ الإسلام إلىٰ الممات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصبر غيرهم من الأئمة الذين واجهوا شيئًا من الأذىٰ؛ فهذا أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ واجه صنوف الأذىٰ في دولة المأمون والمعتصم والواثق؛ إذ تغلَّب الجهمية والمعتزلة علىٰ الدولة، وأمسكوا بزمام الأمور، وقادوا الخلفاء إلىٰ أهوائهم وضلالاتهم وكفرياتهم؛ فإنَّ القول بأنَّ القرآن مخلوق كفرٌ بالله؛ لأنَّه طعنٌ في الله وفي كتابه وفي رسوله ﷺ، فكفَّرهم السلف، أرادوا أهل السنة علىٰ أن يقولوا بأنَّ القرآن مخلوق فأبَوْا، فعذَّبوهم وشرّدوهم وقتلوا منهم ما قتلوا، وضعف القليلُ منهم، والبقيّةُ صمدوا وعلىٰ رأسهم الإمامُ أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ضُرب ضربًا يهدُّ الجبال، ولكنه ما تزعزع ولا انتكس ولا تأثّر، بل ظلَّ صامدًا كالجبل الأشمّ؛ تداوله ثلاثةُ خلفاء حتىٰ أتىٰ الله بالفرج وأعلىٰ كلمة الحقِّ ونكَّس أعلام أهل الباطل فذهبوا هباءً منثورًا، وأعلىٰ الله السنة وأعزَّ أهلها وأكرمهم في زمن الخليفة المتوكّل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجزاه الله عن الإسلام ونصرة السنة خير الجزاء -.

وابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كذلك واجه صنوفًا من الأذىٰ وسُجن مرات ومات في السجن، وكان يجاهد لإعلاء كلمة الله؛ واجه الفِرَق كلها: فرق الفتن والضلال من اليهود والنصارىٰ والملاحدة والزنادقة والصوفية الخرافيين والروافض،

وخاض كل ميدان لإعلاء كلمة الله ونصرة سنة رسول الله ﷺ، فنصره الله علىٰ ضلالاتهم وأصولهم الباطلة كما قال تعالىٰ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقد آذوه رغم جهاده العلمي وجهاده بالسيف؛ يكيدون له شتّىٰ المكائد، فإذا قابلوه خضعوا وذلّوا - الحكامَ والمحكومين - وإذا خرج تآمروا عليه، وسُجن سنين فصبر وثبت حتىٰ لقي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو في السِّجن.

والأمثلة كثيرة في الإسلام للثابتين الصادقين، حتىٰ قبْلَنا - قبل هذه الأمة - كان هناك من تُحفر له الأرض ويشقُّ نصفين لا يصدُّه ذلك عن دينه.

هذه الأمور أمثلة للمؤمنين الصادقين تحفزهم علىٰ الاستقامة والثبات؛ فلا تضرُّهم كثرة الهالكين ولا قلّة المستقيمين الثابتين علىٰ الحق والجماعة مع من كان علىٰ الحق كائنًا من كان ولو كان وحده؛ لو أنَّ الناس كلهم اجتمعوا علىٰ الباطل وأنت علىٰ الحق فأنت علىٰ الحق وأنت الجماعة، فلا يغرنَّكم كثرة الزبد؛ فإنَّما هم غثاءٌ كغثاء السيل كما قال رسول الله ﷺ، أهل البدع واللهِ غثاءٌ، أهل الباطل واللهِ غثاءٌ، والناس - علىٰ الحقيقة - هم أهل الحقّ ولو كانوا قلّة ولو كانوا في غاية الغربة.

اثبتوا يا عباد الله! وقد يأتي الدجال بفتنته: عنده فتن وشبه، عنده أشياء تخلب الألباب - والعياذ بالله -؛ يأمُرُ السماء فتمطِرُ، والأرضَ فتنبتُ(١)؛ يفعل الأفاعيل. وإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ: ك ف ر، أَيْ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهَا الْمُؤْمِنُ؛ أُمِّيٌّ وَكَاتِبٌ(٢)؛ فمن

(١) قطعة من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أحمد ٤/ ١٨١ (١٧٧٧٩) ومسلم برقم (٢١٣٧).

(٢) كما ثبت عند أحمد (٣/ ١٧٣ و٢٧٦ و٢٩٠)، والبخاري برقم (٧٤٠٨)، ومسلم برقم (٢٩٣٣)؛ =

أراد الله له الضلال يتبعه من الغثاء، ومن أراد الله له الثبات يثبت... ويكون أشدَّ الناس عليه كما قال رسول الله ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَلَىٰ الدَّجَالِ بَنُو تَمِيمٍ**»[(١)]... الدجال ولعلَّ هذا - إن شاء الله - من آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وما حصل للشباب من الشبهات في هذا الوقت نسأل الله أن يبدّدها، الشبهات الكثيرة والكثيرة التي قذفها أهل الأهواء والبدع في أبناء هذه البلاد؛ فكم قذفوا من الشبهات والشهوات والفتن، وخدعوا كثيرًا من الشباب وخدعوهم، وأخذوهم من صغرهم:

عرفت هواها قبل أن أعـرف الهـوىٰ ... فـصادف قلبًـا خاليًـا فتمكنـا

نسأل الله أن يطهّر قلوبهم من هذه الشبهات ومن هذه الفتن والشهوات، وأن يعيدهم إلىٰ حظيرة السنة ليكونوا جيشًا إسلاميًّا محاربًا للدجاجلة وعلىٰ رأسهم الدجال الأكبر؛ فإنَّ هناك دجالين غير الدجال يقول رسول الله ﷺ: «**غير الدَّجال أخوفُني عليكم...**» الحديث[(٢)].

=

من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٢/ ٣٩٠ (٩٠٥٦)، وأخرجه البخاري برقم (٢٥٤٣) ومسلم برقم (٢٥٢٥)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حديث النواس بن سمعان في ذكر الدجال وقد سبق تخريجه (ص٢٧)، وجاء تفسيره في حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٥/ ١٤٥) ولفظه: «كنت مُخاصر النبي ﷺ يومًا إلىٰ منزله

=

فتن في هذا الوقت تكالبت علىٰ كثير من الشباب علىٰ أيدي أناس قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، هذا نوع من الدجاجلة الذين خافهم رسول الله ﷺ أكثر من خوفه من الدجال الأكبر؛ فقد خاف ﷺ علىٰ أمته من هؤلاء أكثر من خوفه عليهم الدجال يَضِلُّون ويُضِلُّون، لكن نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يَمُنَّ علىٰ الشباب بالهداية، وأن يرزقهم البصيرة في دينهم، وأن يرزقهم العقول الواعية والقلوب الناضجة - بارك الله فيكم -.

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩ - ٢١٠].

هذا أمر بالثبات علىٰ الإسلام كلِّه جميعًا عقائدِه وعباداتِه وحلالِه وحرامِه وسائرِ شُعبه لا تترك شيئًا، شعب الإسلام والإيمان كثيرة جدًّا حاول قدر ما تستطيع أن لا تترك منها شيئًا إلَّا وقمت به وعملته؛ العقائد تستوفيها، والعبادات تحاول أن تعمل منها ما استطعت؛ وقد نعجز ويعذرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن أنت عزمك علىٰ أن لا تترك منها شيئا، لا تترك شيئًا جاء به محمد ﷺ إلَّا وتعضَّ عليه بالنواجذ؛ تؤمن به وتُحبّه وتثبت عليه، الواجبات والمستحبات والعقائد حاول

=

فسمعته يقول: «غير الدجال أخوف علىٰ أمتي من الدجال». فلما خشيت أن يدخل قلت: يا رسول الله، أي شيء أخوف علىٰ أمتك من الدجال؟ قال: «الأئمة المضلين». انظر الصحيحة للألباني: (٦٤٢ - ٦٤٣) الحديث برقم (١٩٨٩).

قدر الإمكان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ..﴾ [البقرة: ٢٠٨].

أي لا تتركوا منه شيئًا، الإسلام كلُّه لا تترك منه شيئًا كما جاء في التفسير: أنَّ علىٰ الناس جميعا أن يكونوا علىٰ الإسلام كلِّه؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ..﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: مسالكه وطرقه الفاجرة ومكائده لا تتبعها، وكن منها علىٰ حذر؛ فإنَّه لكم عدوٌّ: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: ما يريد إلَّا إهلاك بني آدم، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿.. أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٠].

إنسانٌ يخلقه الله ويرزقه، وسخّر له ما في السموات وما في الأرض، وسهّل له كلَّ أمور حياته؛ كيف يترك دينه ويتبع الشيطان؟! أو يترك بعض دينه؟! لأنه أُمر باتباع كلِّ ما جاء به رسول الله ﷺ، هذا الانحراف من آلاف البشر الكفارِ والزنادقة واليهود والنصارىٰ وأهل البدع والضلال؛ كل هؤلاء كاد لهم هذا الشيطان الخبيث فاتَّبعُوه، وصدق عليهم إبليس ظنَّه - والعياذ بالله -، فلا نتَّبع خطوات الشيطان، ولنحذر من متابعته في أيِّ شيء؛ فإنَّه يجرُّنا إلىٰ الهلاك، يجرُّ إلىٰ البدع والضلال؛ إما أن يجرَّ إلىٰ الشبهات والشهوات، أو إلىٰ ارتكاب الكبائر والمهالك، وقد حذَّرنا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ورسوله ﷺ من اتباع الشيطان في أيِّ أمر من الأمور أبدًا؛ لا في أبواب العقائد، ولا في أبواب العبادات والمعاملات، وما شاكل ذلك؛ حرّم الله علينا البدع أشدَّ التحذير، وحرّم علينا الكبائر، وتوعّد

عليها بأشدِّ صنوف الوعيد، كلها مسالك شيطانية تتبع فيها عدوَّ الله وعدوَّك وهو الشيطان، اتّخذِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وليًّا واتّخذْه ناصرًا وهاديًا، واتّخذ الشيطان عدوًّا.

ومن علامة أنك عدوٌّ صادقٌ للشيطان أنَّك ثابتٌ علىٰ الحق، وأنك دخلت في السلم كافّة، فإذا أخللت بهذا باتباع شيء من الشهوات أو باتباع شيء من الشبهات الكفرية أو البدعية فقد اصطادك الشيطان وأصبحت لعبةً في يده، كيف تنسىٰ الله وتنسىٰ نعمه التي أسبغها عليك ظاهرًا وباطنًا وسخّر لك ما في السموات والأرض، ثمَّ ترمي بنفسك في أحضان هذا العدوّ يفعل بك ويقودك إلىٰ المهالك - والعياذ بالله -؟! الله أعطاك السمع والبصر والعقل لماذا؟ لتعرفَ حقَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحقوق العباد وتقوم بها؛ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

هذه نعمٌ عظيمة أنعمها الله عليك لتستعين بها علىٰ طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لتستقيم في هذه الحياة؛ لتثبت علىٰ شرع الله، لتدخل في دين الله كافة ما تترك منه شيئًا، ولكن حذّرك الشيطان وبيّن أنَّه عدو لك في غير ما آية؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

أخذ عليهم كلَّ المواثيق أن لا يعبدوا الشيطان، وعبادته قد تكون طاعته في الشرك، وقد تكون طاعته في المعاصي؛ فقد تكون من أهل الشهوات - والعياذ بالله - المُعرَّضين للجحيم أو من أهل الشبهات من أهل البدع والضلالات.

نمتثل أمر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في هذه الآيات فهو يأمرنا بالثبات، بالاستقامة، بالاتباع، بالاعتصام،، بالدخول في السلم كافة، يحذّرنا من الشيطان، يحذّرنا من التفرق، يحذّرنا من البدع؛ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورى: ٢١].

كلام خطير إن اتبعت أصحاب البدع والضلالات واتخذت بعضهم مشرِّعين ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾، بعض الناس يفسرها تفسيرًا سياسيًّا فقط، وهي تشمل النواحي السياسية والعقائدية وغيرها، وشياطينُ الإنس والجن يشرعون لك. وقد يشرعون لك شيئًا يُخرِجُك من الإسلام بالكلية، وشيئًا لا يخرج من الإسلام إلَّا إذا استحللته مثلا. نسأل الله العافية، الحكم بغير ما أنزل الله إذا استحلَّه كفر؛ لأنَّه اتّخذ مع الله شركاء ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

الشاهد أنَّ هذه الآية تشمل كل جوانب الدين.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾: يدخل فيها أهل البدع ورؤساء الضلال فهم كذلك مشرِّعون، لا نأخذ عنهم، لا نعاملهم، نُحذِّرُ الناس منهم نصيحةً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم.

هناك دعوات سياسية لا همَّ لها إلَّا الصراع السياسي، لا هدي الأنبياء وإصلاحهم العقدي والمنهجي؛ فهذا شيء معروف وملموس وواقع، هذا دليل

علىٰ عدم الصدق في الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الصادق في دعوته إلىٰ الله يتَّبع طريق الأنبياء بماذا يبدأ وبماذا ينتهي؛ الدعوة لها بدايات، لها منطلقات، ليس كل واحد علىٰ طريقته؛ فهذا شيء رسمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لجميع الأنبياء؛ قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦]؛ كلُّ رسول هذه دعوته محاربةُ الشرك ووسائله ومظاهره، هذه دعوة الرسول ﷺ كيف تتركها؟!!

عبادة القبور، تعطيل الصفات، الحلول، وحدة الوجود، ضلالات كلها من اتباع خطوات الشيطان، كيف تترك الناس يتّبعون خطوات الشيطان؟ يتّبعون هذا العدوَّ ولا تبيّنُ لهم! كيف تنصب نفسك داعية إلىٰ الإسلام وهذا حالك؟! أين الأمانة؟! أين النصح؟! لابدَّ أيها الإخوة من النصيحة للمسلمين وتمييز الحقِّ من الباطل والهدىٰ من الضلال، لا تأخذك في الله لومةُ لائم، لو كان من أقرب الأقربين ومن أحب الأحبّاء إليك وقع في خطأ أو وقع في ضلال تُبيِّن له، فتنصحه بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأنَّ سكوتك علىٰ الباطل يؤدّي بالمساكين إلىٰ الوقوع في حبائل أهل الباطل، وفي اتباع خطوات الشيطان؛ فيخرجون عن الالتزام الحق وعن الثبات علىٰ الإسلام والسنة، كيف يثبت علىٰ الإسلام والسنة والشُّبَهُ تكتنفه من كل أرجاء الدنيا ومن حواليه، وأنت لا تبدّد

هذه الشبهات ولا تبيّن أنها من خطوات الشيطان؟ كل هذه من خطوات الشيطان، هذه الشبهات البدعية والكفرية والشهوانية كلها من خطوات إبليس اللعين، فعلينا أن نحذرها، ونحذّر الناس منها، ونحارب هذا العدو وجيوشه وجنوده من أهل الباطل والضلال؛ فإنَّ للشيطان جنودًا من الإنس والجن قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ هؤلاء شياطين، وهذه الوساوس والشبهات يقذفها جنود إبليس علىٰ المسلمين والمساكين والضعفاء؛ ضعفاء العقول وضعفاء النفوس فيتخطّفونهم بهذه الشبهات الشيطانية، فلابدَّ من بيان الإسلام كافة ما نترك شيئًا قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

والعلماء ورثة الأنبياء عليهم أن يقوموا بتبليغ كل ما جاء به النبي ﷺ، والتحذير من كل ما حذر منه محمد ﷺ.

ولا ندخل في السلم كافة ولا نخالف خطوات الشيطان إلَّا بهذا.

علىٰ هذا ثبت أئمة الإسلام الناصحون يبيعون أنفسهم لله ولا يخشون في الله لومة لائم، يبينون للناس الحق في صغيره وكبيره وجليله ودقيقه؛ لأنَّ الله

أخذ عليهم الميثاق أن يقوموا بالبيان، وأُخذَت عليهم العهود والمواثيق أن يُبيِّنُوه للناس ولا يكتموا منه شيئًا؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وأخطر أهل الأهواء - يا إخوتاه - الذين يلبسون لباس السنة والسلفية وهم ينطوُون علىٰ أشياء غيرها، فهؤلاء أخطرُ الناس علىٰ دين الله، وأكثرُهم تلبيسًا وتشبيهًا علىٰ الناس، فيجب الحذر والتحذير منهم، وواللهِ ما اجتاحوا شبابنا في هذه البلاد إلَّا بهذا اللباس المزيَّف؛ لأنَّ أهل الباطل جرّبوا وناطحوا صخرة السلفية فتكسرت قرونهم، فلجأوا إلىٰ هذا الأسلوب الماكر وهو التزيي بزيِّ السلفية وادعاء السلفية، والفطناءُ يدركون أنَّ هذا لباس مزيف ليس لباسًا صحيحًا أبدًا، والدليل الواضح أنَّ هذا لباس مزيفٌ لاصطياد البلهاء؛ فالذي عنده فطنة ويعرف المنهج السلفي يدرك حقيقة أمر هؤلاء، وأنَّ لباسهم هذا كاذب مزيّف للتضليل، واجتاحوا شبابًا كثيرًا بهذا المكر والدهاء، فنسأل اللهَ أن يبصِّر شبابنا فيدرك الناصحين الصادقين الذين يريدون لهم الخير في الدنيا والآخرة، ومن لا يبالي بهلاكه يكسبه إلىٰ صَفِّه ويسخره لأغراضه و... وشهواته ولا يبالي به في أيِّ واد هلك، بينما هذا الناصح المسكين تُقذَف إليه الشبه ويرمىٰ بالمهلكات من أولئك الماكرين فتنطلي هذه الأمور علىٰ المساكين المخدوعين.

يا إخوتاه: كتاب الله تعالىٰ بين أيدينا وسنة رسول الله ﷺ بين أيدينا وبيان

الصحابة وعملهم وواقعهم وتأريخهم وعقائدهم كلها تشهد لهذا المنهج السلفي بأنَّه دين الله الحق، وأفضل ميزان للثبات علىٰ الحق والالتزام بالحق أن تكون علىٰ ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

لما تحدّث رسول الله ﷺ عن الفرق: **«افترقت اليهود إلىٰ واحد وسبعين فرقة وافترقت النصارىٰ إلىٰ اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلَّا واحدة قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»**(١) هذا ميزانٌ لكلِّ إنسان هل هو علىٰ الحقِّ أو الباطل؟

لذا يجب أن يعرف الإنسان الحقَّ، وأن يكون من أهل الحق، أن يكون معتصمًا بحبل الله، أن يكون مُتَّبِعًا لرسول الله ﷺ، متّبعًا لكتاب الله، مهتديًا بهديه، هذا الميزان: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، الرسول ﷺ وأصحابه لم يكونوا إلَّا علىٰ القرآن والسنة ما عندهم شيء آخر غير هذا، خذ هذا الميزان وزِنْ به نفسك، وزِنْ به الطوائف والأشخاص تدرك الحق - إن شاء الله - إن أخلصت لله عَزَّوَجَلَّ أمَا وأنت تفقد هذا الميزان فستظَلُّ ملعبةً لأهل الأهواء (أهل الشبهات وأهل الشهوات)، إذا ضيَّعت هذا الميزان ضعت وصرت لعبة بأيدي العابثين.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٣٢) و(٣/ ١٤٥)، والدارمي في السنن (٢/ ٢٤١) برقم (٢٥٥٢)، وأبو داود برقم (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي برقم (٢٦٤٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٤٠٢٩، ٤٠٤٠، ٤٠٤١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨).

الأسئلة والأجوبة

السؤال (١): ما حكم القراءة والدراسة في علم المنطق غير المخلوط بالعقائد الفاسدة ككتاب (سلم الأخضري) وكتاب (آداب البحث والمناظرة) وغيرها لطالب علم مُبتدئ؟

❁ **الجواب:** علم المنطق لا يحتاج إليه الذكيّ ولا يستفيد الغبيّ!!

- وهل للمبتدئ دخلٌ في المنطق؟!

ابنُ الصلاح[1] والنووي حرَّما وقال قومٌ: ينبغي أن يُعلما

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة أبي عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٢٣/ ١٤٣): «ومن فتاويه - أي ابن الصلاح - أنه سُئل عمن يشتغل بالمنطق والفلسفة فأجاب: «الفلسفة أُسُّ السفه والانحلال، ومادّةُ الحيرة والضلال، ومثارُ الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرتُه عن محاسن الشريعة المؤيّدة بالبراهين، ومن تلبّس بها قارنه الخذلانُ والحرمانُ، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبُه عن نبوّة محمّدٍ ﷺ» إلىٰ أن قال: «واستعمالُ الاصطلاحات المنطقيّة في مباحث الأحكام الشرعية من المُنكرات المستبشعة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية - ولله الحمد - افتقارٌ إلىٰ المنطق أصلًا؛ هو قعاقعُ قد أغنىٰ الله عنها كلَّ صحيح الذهن، فالواجب علىٰ السلطان أعزّه الله أن يدفع عن المسلمين شرّ هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبعدهم».

=

السلف حرّموا علم الكلام، وعلمُ المنطق أسوأ منه لماذا تتعلمه؟ ليكون ميزانًا تميز به بين الحق والباطل؟!

سبحان الله! القرآنُ ليس ميزانًا بين الحق والباطل؟!

لهذا حذَّر السلف من علم الكلام والفلسفة، والمنطقُ منها - بارك الله فيكم - والله المستعان.

قال الإمام الشافعي: (حكمي علىٰ أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ويُطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من أعرض عن كتاب الله وأقبل علىٰ الكلام[1]).

=

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في مجموع الفتاوىٰ:** (٩/ ٧): «وَلِهَذَا مَا زَالَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَأَئِمَّةُ الدِّينِ يَذُمُّونَهُ وَيَذُمُّونَ أَهْلَهُ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِهِ؛ حَتَّىٰ رَأَيت لِلْمُتَأَخِّرِينَ فُتْيَا فِيهَا خُطُوطُ جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ زَمَانِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فِيهَا كَلَامٌ عَظِيمٌ فِي تَحْرِيمِهِ وَعُقُوبَةِ أَهْلِهِ، حَتَّىٰ إنَّ مِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي بَلَغَتْنَا: أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا عَمْرِو بْنَ الصَّلَاحِ أَمَرَ بِانْتِزَاعِ مَدْرَسَةٍ مَعْرُوفَةٍ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ الآمدي وَقَالَ: أَخْذُهَا مِنْهُ أَفْضَلُ مِنْ أَخْذِ عَكَّا. مَعَ أَنَّ الآمِدِيَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي وَقْتِهِ أَكْثَرَ تَبَحُّرًا فِي الْعُلُومِ الْكَلَامِيَّةِ وَالْفَلْسَفِيَّةِ مِنْهُ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِهِمْ إسْلَامًا، وَأَمْثَلِهِمْ اعْتِقَادًا».

(١) **رواه أبو نعيم في الحلية:** (٩/ ١١٦) والبيهقي في «مناقب الشافعي»: (١/ ٤٦٢) والبغوي في شرح السنة: (١/ ٢١٨) ونصر المقدسي في مختصر الحجة علىٰ تارك المحجة: (ص٤٧٥) وذكره الذهبي في السير: (١٠/ ٢٩) وابن حجر في «توالي التأسيس في مناقب محمد بن إدريس»: (ص٦٤) والسيوطي في الأمر بالاتباع: (ص٨٣). قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلّقًا: «قلت: لعل هذا متواتر عن الإمام».

وقالوا: من تعلَّم الكلام تزندق.

والمنطق أسوأ من الكلام ولهذا يُقال - والله أعلم -: إنَّ المعتزلة أهل الكلام كانوا يُحرِّمون المنطق!! وإنَّ الأصوليين المتأخرين أدخلوا المنطق في العلوم الإسلامية، وأدخلوا بعض الأشياء في الأصول وهي ليست منه للأسف الشديد!!

فنحن في غُنية عن الكلام والمنطق والفلسفة. وكما قلنا: هذا علم سيئٌ فلا يحتاج إليه الذكيّ ولا يستفيد منه الغبيّ!!

والأصول والقواعد التي تضمَّنها القرآن وكذلك السنّة النبوية أفضل بآلاف المرَّات منها.

هذه الأمور التي يتبجَّحون بها موجودٌ في القرآن والسنَّة ما هو أفضل منها. نعم.

۞ ۞ ۞

السؤال (٢): أحسن الله إليكم، سائلٌ يقول: أحد طلبة العلم في الحديث يقول: «الحديث الصحيح يكفي عن الحديث الحسن والضَّعيف، ولا يجوز للمرء أن يستدلّ بالأحاديث التي دون الصحيح» فما رأيُكم في هذا الكلام؟

۞ **الجواب:** أقول: إنَّ هذا الكلام غير صحيح.

- فالحديث إن كان صحيحًا لذاته فهو حجَّة.

- وإن كان حسنًا لذاته فهو حجّة؛ وهو صِنْوُ الصحيح في الاحتجاج ووجوب العمل به.

- وإن كان من شديد الضَّعف فلا حاجة لنا فيه.

وإن كان من الضعيف الذي يقبل التقوية فهذا ممَّا يعتضد إمَّا بشاهد أو متابع وإمَّا بشواهد أو متابعات، لأنَّ الكلام إما أن يكون صِدقًا فيُقبل. وإمَّا أن يكون كذبًا فيُردّ. وإن وُجدت قرينة تُلحقه بأحد القسمين أُلحِق به وإلَّا نتوقَّف فيه.

فإذا كان الراوي من أهل الصِّدق لكنَّه ضعيف الحفظ وعنده رواية هل نردُّها أو نقبلها؟

الجواب: نتوقَّف فيها حتىٰ نجد ما يشدُّها ويعضدها، فإن جاء من طريق أُخرىٰ ولو صاحبها سيِّئ الحفظ أو من طريق مرسل... دلَّ علىٰ أنَّ هذا الإنسان الصَّادق - وإن كان ضعيف الحفظ - قد ضبط هذا الحديث؛ فقد جاء دليل من هنا ودليل من هنا علىٰ إثبات حكم. فابتداءً هو ضعيف فتوقَّفنا في روايته ثمَّ وجدنا ما يعضده، فكان هذا العاضد دليلًا علىٰ أنَّ هذا الراوي الصَّادق - الذي في حفظه شيء - قد ضبط هذا الحديث، فهذا يكون حجَّة وينتقل من الضعف إلىٰ القوَّة؛ من حيِّز الضعيف إلىٰ حيِّز الحسن لغيره.

وإذا كان حديث ما حسنٌ لذاته فهو مقبول، ونبحث عمَّا يُقَوِّيه؛ فإذا وجدنا حديثًا آخر صحيحًا أو حسنًا في مستواه زاده تقويةً له ونعدُّه في سنَّة رسول الله ﷺ. وهذا عليه السَّلف: عليه أحمد وغيره من الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. ألَا تعلم أنَّ مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحتجُّ بالمراسيل؟! وكثير من العلماء يحتجُّون بالمراسيل. فهذا الذي عندنا أقوىٰ من المراسيل.

ثَمَّ جاء أحمد والشافعي وغيرهم من أئمة الإسلام فيحتجُّون بالمرسل - وهو من قسم الضعيف - إذا جاء ما يعضده. ويحتجُّون بسيِّئ الحفظ إذا جاء ما يسنده، ويحتجُّون برواية المدلِّس - التي فيها ريبة لأنَّه يُدلِّس - إذا جاء ما يُسنده من رفع احتمال التدليس من طريق أُخرىٰ إمَّا عنه وإمَّا عن غيره فانتفت بذلك الشبهة والريبة.

فرواية المدلس إذا جاءت بالعنعنة خارج الصحيحين فإننا نتوقَّف في قبوله، فإذا جاءت من طريق أُخرىٰ صرَّح فيها بالتحديث أو السَّماع انتفت الشبهة تمامًا، ووجب علينا قبول خبره.

وكذلك إذا جاء غيره ووجدنا له متابعًا أو شاهدًا انتفت هذه الشبهة، وقبِلنا روايته.

ومعنىٰ كلام هذا الطالب - هداه الله - أنَّنا نردُّ كثيرًا من السنَّة النبوية!!!

فأحمد والترمذي والبخاري والشافعي وأئمة الإسلام الكبار يحتجُّون بالشواهد والمتابعات والعواضد في الأحاديث التي فيها شيءٌ من الضَّعف. فشبهة الضَّعف تنتفي بمجيء الحديث من طريق أُو طرق أُخرىٰ، فلا يحقُّ لنا أبدًا أن نتوقَّف والحالة هذه.

فهذا الكلام الذي سمعناه في السؤال غير صحيح - بارك الله فيكم - ومُخالف لمنهج السَّلف أئمة الحديث مهما توسَّعوا في الدَّعاوىٰ فلستم واللهِ أنصح لدين الله من أئمة الإسلام.

يا إخوة هؤلاء كثيرٌ منهم يُشوِّشون علىٰ القرآن ويُشوِّشون علىٰ السنَّة!!

فيقولون: السنة أخبار آحاد، والأحاديث الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول أخبار آحاد ما نحتج بها في العقائد، إذا جاءت أحاديث باطلة تثبت خرافاتهم احتجُّوا بها، أحاديث باطلة، أحاديث ضعيفة مهلهلة لا يحتج بها أهل السنة يحتجون بها في العقائد، إذا جئت إلىٰ باب العقائد وناقشتهم في عقائدهم الفاسدة في تعطيل صفات الله وغيرها قالوا: لا هذا أخبار آحاد! وهم من جهة أخرىٰ يحتجون بالأباطيل علىٰ ضلالاتهم وخُرافاتهم. وهذه شبهة جديدة نجمت الآن في هذا العصر، وما أكثر الشبهات في هذا العصر.

وكلُّ خير في اتباع من سلف   وكلُّ شرٍّ في ابتداع من خلف

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وإذا جاء أحمد وأبو حاتم وأبو زرعة والجوزجاني والشافعي والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني وغيرهم من أئمة الإسلام ويحتجون بهذه الأحاديث التي يردها هؤلاء أنتبع الأئمة أم نتبع هؤلاء؟!

كونوا يا إخوة علىٰ بصيرة، اثبتوا يا عباد الله! اثبتوا؛ فإن الشبهات كثيرة تأتي من هنا ومن هنا ومن هنا، وعلىٰ مرِّ الأيام وعلىٰ مرِّ السنين تتكاثف الشبهات، فاثبتوا علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ وعلىٰ ما كان عليه سلفنا الصالح - بارك الله فيكم -.

❁ ❁ ❁

السؤال (٣): ما الفرق بين العقيدة والمنهج؟

۞ **الجواب:** قضية التفريق بين العقيدة والمنهج جاءت في هذا العصر، الناس لم يكونوا يفرّقون بين العقيدة والمنهج، ولكن جاءت الفتن فاضطرّ بعض أهل السنة إلىٰ التفريق بين العقيدة والمنهج. لكن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يفرّق بين العقيدة والمنهج؛ فيقول: كلها واحد.

وأنا اضطررت إلىٰ أن أقول: المنهج أوسع من العقيدة؛ لأن العقيدة تدخل في المنهج منهج أهل السنة في الاعتقاد في الأسماء والصفات كما جاء في الكتاب والسنة، منهج أهل السنة كذا، ومنهج أهل السنة في الاستدلال كذا، منهج أهل السنة في الأخبار كذا، هذا هو منهجهم كيف يستدلون هذا من المنهج، كيف يتلقون الأخبار هذا من المنهج.

۞ ۞ ۞

السؤال (٤): ما هو تعريف أهل السنة والجماعة للإيمان، وهل العمل داخل في الإيمان؟

۞ **الجواب:** أستغرب - والله - من هذا السؤال!!

والله أستغربه جدًّا!! هل تظنُّونَ أنَّنا نعتقد أنَّ العمل ليس من الإيمان؟!!

قبّح الله الكذَّابين الأفَّاكين. واللهِ يكذبون علينا ويفترون والله ما هم من السنة في شيء، يكذبون علينا وإنَّهم من أهل الضلال والأهواء، واللهِ إنَّهم يحاربون منهج السلف.

نحن ندين الله بأنَّ الإيمان: (قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) دلَّ علىٰ ذلك كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وهذا الضابط وهذا التعريف لأهل السنة شوكةٌ في نحور المرجئة والخوارج والمعتزلة، قوامُه نصوص لا تحصىٰ من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، وهذا ما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومضىٰ عليه الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام إلىٰ يومنا هذا، ونحن نشأنا عليه وندعو إليه ونذبُّ عنه ونحارب من خالفه ولو ادَّعىٰ ما ادَّعىٰ.

الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويكفيكم المؤلفات الكثيرة التي أُلِّفَتْ للردِّ علىٰ الخوارج والمعتزلة والمرجئة بأصنافها.

ومن تلكم الكتابات ما دوَّنه الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوَّل كتابه الصحيح (كتاب الإيمان)، وجاء بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة علىٰ أنَّ العمل من الإيمان، وكله ردٌّ علىٰ المرجئة، ونحن تربّينا علىٰ هذا، ونحارب الإرجاء كما نحارب سائر الضلالات، ويأتي قوم جهلاء ضلال أعداء للسنة يقولون: إنَّا مرجئة!!! - قاتلهم الله - هم عندي في باب الكذب أخسُّ من الخوارج والروافض شاؤوا أم أبَوْا؛ لأنَّهم أكذب من الروافض علىٰ أهل السنة، وأكثر حقدًا علىٰ أهل السنة وأكثر افتراءً وكذبًا علىٰ أهل السنة، ومع ذلك هم يلبسون لباس السنة كذبًا وزُورًا، وليسوا من أهل السنة. ولو كان عندهم من السنة شيء ما حاربوا أهل السنة بالبواقع والكذب والافتراءات، وقد بيّنّا - والله - أكاذيبهم؛ فهم ينطلقون من الكذب ويدورون في دوّامة الكذب ولا يخرجون منها - والله -

وقد حصدناهم حصدًا بالأدلة والبراهين، وبيّنّا أكاذيبهم، ورأسُهم الحدّاد الكذّاب، وبينتُ أنه كَذَب في جزء من كتاب له مائةً وعشرين كذبة، وتشبّث الحدّادية الضالة به، وجاء باشميل الكذّاب الأفاك وبَيَّنْتُ كذبه وضلاله في «إزهاق أباطيل باشميل» فعليكم بهذا الكتاب فإنَّ هذا الأفَّاك عدوّ لدود للسنة، وجاء فالح الحربي فاحتضنوه واحتضنهم، وكال لأهل السنَّة الأكاذيب والافتراءات يقول: إنَّنا مرجئة.. المرجئة.... هم أخسُّ من المرجئة - واللهِ - المرجئة أحسن وأنبل منهم - علىٰ ضلالهم - أحسن من هؤلاء الكذَّابين.

الكذب أخبث من البدع يا إخوان، والكذَّاب أخبث عند أهل السنة من المبتدع، المبتدع يروىٰ عنه؛ رَوَوْا عن القدرية، رَوَوْا عن المرجئة، ورَوَوْا عن غيرهم من أصناف أهل البدع ما لم تكن بدعة كفرية، ما لم يكن كذّابًا.

لو كان ينتمي إلىٰ أهل السنة كذَّاب فهو عندهم أحقر من أهل البدع.

ومن هنا عقد ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الكامل» حوالي تسعة وعشرين بابًا للكذَّابين(١) وبابًا واحدًا لأهل البدع.

وقَبِل أهل السنة رواية أهل البدع الصادقين غير الدعاة.

وهؤلاء الحدادية يُعتبرون من الدعاة إلىٰ البدع، جاؤوا بأصول يرفضها

---

(١) قال ابن عدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب الثالث والعشرين: (الكاذب يكذب من مهانة نفسه عليه. والظريف لا يكذب) انظر مقدمة الكامل ص٣٥.

الإسلام، وتحارب السنة، وتحارب منهج السلف، وطعنوا في أئمة الإسلام، الحداد بدأ بابن تيمية وثنَّىٰ بابن أبي العزّ وبابن القيم، واستمرَّ هكذا لا يتولّىٰ أحدٌ من أهل السنة أحدًا إلّا وطعنوا فيه، وطعنوا في علماء السنة المعاصرين فطعنوا في الشيخ أحمد النجمي والشيخ زيد في الجنوب فمن يقوم بالسنة؟!!

وطعنوا في علماء أهل مكة والمدينة فمن يقوم بالسنة؟!!!!

حربٌ علىٰ السنة؛ طعنوا في كلِّ سلفي لا يوافق الحدادية كلهم طعنوا فيهم، وشوهوهم وشوَّهوا أصولهم، وجاؤوا بأصولٍ فاسدة مناهضةٍ لمنهج السلف؛ فهم امتداد للإخوان المسلمين، بل هم أسوأُ من الإخوان المسلمين، ويخدمون أهل البدع جميعًا، وحربُ أهل السنة هدف لهم، كيف - يا أخي - ما تترك سلفيًّا؟!!!! خمسة ستة في مكة وعشرة في المدينة في الدنيا كلها ما تركوا السلفيين لا في مكة ولا في المدينة ولا في الطائف وفي جدَّة كلُّ واحد يقدم خيرًا ويذبُّ عن السنة طعنوا فيه، هل هؤلاء أهل سنة؟!!!!

يقولون: (كَذَب، كَذَب..) يحكمون عليهم بالكذب يفترون عليهم ومنه رُمينا نحن بأننا مرجئة عند هؤلاء الأفَّاكين.

وواللهِ لا يحاربون الإرجاء، ولا يصدقون في شيء أبدا؛ إنَّما استلّوا الإرجاء سلاحًا علىٰ أهل السنة؛ لأنَّهم بينوا ضلالهم وضلال ساداتهم وأسلافهم، وسلوا سيف الإرجاء وسيف الكذب وسيف الفجور علىٰ أهل السنة!!!

فاحذروهم ومن انخدع بهم فليتق الله في نفسه، فواللهِ لقد وضح أمرهم فلا

عذر لكم ولا شبهة لكم.

إنَّهم كذابون كذابون، وكل يوم يفضحهم الله بالكذب، - والله - بعض الكفار يخجلون من الكذب وهم لا يخجلون!! وكلما بيَّنتَ كذب زعمائهم وخياناتهم ازدادوا تشبثا به وبأصولهم وبأباطيلهم.

أين العقول؟!! أين الدِّين؟!! أين الخُلُق؟!!

فافهموا هؤلاء واحذروهم وحَذِّرُوا الناس من ضلالهم وشرِّهم - وفّقكم الله -.

فنحن ندين الله بما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في كلِّ العقائد والأحكام والحلال والحرام والصغيرة والكبيرة وشعب الإسلام والإيمان: كل ذلك ندعو إليه ونموت دونه.

كيف نحن مرجئة؟! ونحن نحارب الإرجاء ونحارب غيره، والذي يُقَصِّرُ في العمل نبيِّن له وندعوه إلىٰ الحقِّ فكيف نكون مرجئة؟! - قاتلهم الله -.

۞ ۞ ۞

السؤال (٤): هل البدع الإضافية والبدع الأصلية من البدع المكفّرة؟

۞ **الجواب:** من البدع الأصلية ما يكون كفرًا فتعطيل صفة من صفات الله كفر.

وبعض غلاة المرجئة قد يدخلون في الكفر لأنَّهم يحصرون الإيمان في المعرفة فقط، ولأنهم لا يحترمون نصوص الوعيد ويهدرونها، ويجرّؤون العصاة علىٰ الاستهانة بدين الله الحق، ومن بدع الخوارج والمعتزلة ما يُكَفِّرُ كقولهم بخلق القرآن.

السلف كفرُّوهم وبعضهم ما كفَّرهم.

أما المتأخرون من عهد ابن تيمية ومن بعده فيقولون: إنَّ الشُّبَه قد تكاثرت ونور الإسلام ما بقي كما كان في عهد الصحابة والسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مضيئًا للناس فيقولون: هذا كفر ولا يكفر إلَّا بعد إقامة الحجة (لا نكفِّرهم إلا بعد إقامة الحجة)؛ إنسان يقول: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ويصلي ويصوم ويحج ويزكي ويؤمن بالجنة وبالنار وو... وعنده ضلالات كفرية لكن يرىٰ نفسه أنَّه مؤمن وعنده شبهات ضلَّ بسببها؛ فمثل هذا أنت لا تحكم عليه بالكفر - بارك الله فيكم - أقم عليه الحجة، إن أقمتَ عليه الحجة وعاند وأصرَّ علىٰ ضلالته الكفرية حينئذ يكفر ويحكم بكفره ورِدَّته.

❁ ❁ ❁

السؤال (٥): هل هناك أفضل من الصحابة يأتي من بعدهم؟

❁ **الجواب**: لا، لا يأتي من بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل منهم أبدًا ولو أنفق مثل أُحدٍ من الذهب[1]؛ لأنَّ فضيلة الصحبة ميزة لا يلحقهم فيها أحد، لكن قد يفضل في بعض الأحيان في بعض الجوانب، ولا يلزم من الحديث: «**يأتي علىٰ**

---

(١) روىٰ ابن ماجه في سننه برقم (١٦٢) وأحمد في [فضائل الصحابة (١/ ٦٧) برقم (١٥) - وصي الله عباس] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لا تسبّوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عُمُره». قال المحقق علىٰ فضائل الصحابة: إسناده صحيح، وحسنه الألباني في تعليقه علىٰ سنن ابن ماجه.

الناس زمان العاضُّ فيه علىٰ دينه كالقابض علىٰ الجمر أجر الواحد منهم كأجر الخمسين» قالوا: منا أو منهم؟ قال رسول الله ﷺ: «منكم»[1] هذا الحديث منهم من يصححه ومنهم من يضعفه، وأنا في إحدىٰ دراساتي تبيّن لي ضعفه، وسأعيد دراسته، لكن لو قلنا بهذا وثبت فلا يلزم من كونه يعدل أجر خمسين أن يكون أفضل من الصحابة؛ لأنَّ هذه الميزة التي امتاز بها الصحابة علىٰ غيرهم لا يلحقهم فيها أحد؛ ميزة الصُّحبة - بارك الله فيكم -.

والله أعلم وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك) اهـ.

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٣٤١) والترمذي برقم (٣٠٥٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه برقم (٤٠١٤)، وابن حبان (ص٤٥٧ - الموارد) برقم (١٨٥٠) والحاكم في المستدرك: ٤/ ٣٢٢ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وهو في الضعيفة (٣/ ٩٤ - ٩٥) برقم (١٠٢٥) وضعيف موارد الظمآن (ص١٣٥/ برقم٢٢٣) للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الاعتصام بالكتاب والسنة
أمر ضروري لهذه الأمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المحاضرة الأولى

الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيئاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعدُ:

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، وبعد؛ أيُّها الإخوة، وأيُّها الأبناء والأحباب! فإنّ عنوان المحاضرة - كما سمعتموه

وقرأتموه -: «الاعتصام بالكتاب والسنة أمر ضروري لهذه الأمة».

وأنه - واللهِ - لأمر عظيم، وحُلم كبير يحلم به كل من يَنشد الخير والسّعادة لهذه الأمّة، ويجب أن يُشمّر كل من يحبّ هذا الدين ويحبّ الإسلام، يحب ما جاء به محمد ﷺ، يريد لهذه الأمّة الخير والسعادة والعزة والكرامة والسيادة، والنجاة من النار ومن غضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا والآخرة؛ يجب أن يُشمِّر عن ساعد الجدِّ لدعوة الأمّة إلىٰ أن تتوحد صفوفُها، إلىٰ أن تكون أمّة واحدة، إلىٰ أن تكون حقًّا خير أمّة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهىٰ عن المنكر، وتؤمن بالله.

إنّه لأمر عظيم! يجب أن يقضّ مضجع كل مسلم، أن يقضّ مضاجع كل من ينشد الخير لهذه الأمة؛ ما هي فيه من تفرّق وتمزّق وشتات وضياع وذل وهوان في هذه الحياة.

لا يمكن أن يستريح مسلم يعرف ما ضمَّن الله في هذا الكتاب من الخير ومن الأسباب العظيمة التي توصلهم إلىٰ العزة والسعادة والسيادة في الدنيا، وإلىٰ العزة والمنازل العليا في الآخرة، لقد ضمّن الله كل الأسباب وكل العوامل التي توصل الأمة إلىٰ هذه الغايات النبيلة، ولكن كما يقال في هذه الأمّة:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

إن في هذا القرآن شفاءً لأمراض الإنسانية كلِّها، فيه الشفاء الناجع لأمراض الناس العقائدية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية، وإنه - واللهِ - ليجب علىٰ هذه الأمّة المسلمة أن تنعم بما في هذا القرآن من أسباب السعادة قبل غيرها، وأن

تدعو أمم الدنيا إلىٰ هذا الخير العظيم، ولكن مع الأسف الشديد لقد فرّطت في كل أسباب العزة التي يمكن أن تتحقّق عن طريق الاعتصام بالكتاب والسنة، والأخذ بالأسباب التي أرشدنا إليها القرآن والسنة؛ لنسود ونعز ونسعد في هذه الحياة الدنيا!

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥].

هذا توجيه لكل المسلمين عن بكرة أبيهم أن يعتصموا بحبل الله جميعًا، لا يتخلّف منهم أحد عن القيام بهذا الأمر العظيم، ليس لنا هناك خيارات أبدًا، ليس لنا أي اختيار في أن نأخذ أو ندع، هذا أمر واجب علىٰ كلِّ من ينتمي إلىٰ هذا الدين، إلىٰ هذا الإسلام العظيم الذي جاء به محمد ﷺ، إلىٰ كل من يحترم هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أن يعتصموا كلهم لا يتخلف أحد منهم، أن يحققوا هذا الأمر، ويحققوا هذه الغاية، وبذلك يكونون كما شبههم رسول الله: «كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[1]، بذلك يحصل التلاحم

(١) البخاري: كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد، حديث رقم (٤٨١). مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (٢٥٨٥)، كلاهما من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والتآخي والترابط والتوادُّ والمحبة، وتزول كلُّ أسباب الفرقة؛ من البغضاء والحسد، وكل أسباب الفرقة والكراهية والبغضاء، إلىٰ آخر الأسباب السيئة والأسباب البغيضة، الأعمال الكريهة التي يبغضها الإسلام ويُنفِّر منها. وتتوفر كل أسباب الألفة والمحبة، وأسباب الخير، وأسباب القوة، وأسباب العزة؛ إذا نحن اعتصمنا بحبل الله.

انظروا في هذه الآيات، جمع الله فيها ما يسعدنا في الدّنيا والآخرة! واللهِ لو نتدبر هذه الآيات التي تلوناها، ونصمّم علىٰ تنفيذ ما تضمّنته من الأوامر، وما دلّت عليه من الخير، وما أرشدت إليه من أسباب العزة، وما أشارت إليه من أسباب بغض الله ولعناته وغضبه، لو فقهنا ذلك، وأتينا هذا الخير الذي يدفعنا إليه، وابتعدنا عن هذا الشر؛ لحصل لنا ما حصل للقرون المفضّلة الذين سادوا بهذا الكتاب، وعزّوا بهذا القرآن، وكانوا أساتذة الدّنيا وقادتها وسادتها بهذا القرآن العظيم.

وتحقَّق أعظم هدف، وهو الربط بين القلوب، والأخوة بين المؤمنين، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

لقد ألّف الله بين هذه القلوب بهذا القرآن العظيم حينما فقهوا وتمسكوا بمبادئه وأصوله وقواعده وإشاراته وتوضيحاته، فهموه وقدَروه حق قدره؛ فاعتصموا به، وعضُّوا عليه بالنواجذ، وعلموا ما في الفُرقة من الشرور، فقضَوْا علىٰ أسبابها تمامًا، وأصبحوا إخوة، كما قال: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

كنت مرَّة في درس في المسجد النبوي، وكان أمامي أناس من الروافض، فألقىٰ الله في ذهني شيئًا - يعني لما رأيتهم -، قلت: هذه الآية من الشواهد أن الصحابة كانوا إخوة، وأن الله أنقذهم من النار، وأنهم كانوا علىٰ غاية من المحبة والأخوة، وهذه شهادة من الله أن الله قد أنقذهم من النار؛ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

فالشاهد أنَّ الصحابة فهموا القرآن، فهموا هذا التوجيه، فكانوا - رضوان الله عليهم - علىٰ غاية من السعادة والعزّة؛ فتحوا الدّنيا بهذا القرآن، أطاحوا بقصور الأكاسرة والقياصرة، كانوا قليلي العدد قليلي العدَّة، وأعداؤهم كانوا في غاية القوّة، في غاية من الكثرة في العدد، وفي العدّة، لا نسبة بين ما بأيدي المسلمين وما بأيدي تلك القوىٰ، ومع ذلك في سنين قليلة فتحوا الدنيا، ورفرفت رايات التوحيد والقرآن علىٰ معظم المعمورة في وقت قصير.

كيف هذا؟ كيف تأتّىٰ هذا؟ كيف حصل هذا؟ ما هي الأسباب التي - يعني - أعطت وقدَّمت كلَّ الخير لهذه الأُمّة، وحققت كلَّ ما تصبو إليه من نشر هذا الدين، وفتح القلوب قبل فتح البلدان؟

كل ذلك لفهمهم وشدة اعتصامهم بهذا الكتاب؛ لأنهم يدركون أنهم سيسودون في هذه الدنيا بهذا الكتاب، وسيحكمون الدنيا بهذا الكتاب، كانوا

يؤمنون بوعد الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فكانوا يسعوْن لرحمة العالمين، يجرّون الناس بالسّلاسل إلىٰ الجنة، يجرّون الناس إلىٰ الجنة بالسلاسل - رضوان الله عليهم -؛ فانتشرت رحمة الله، وانتشر الخير، وساد هذا القرآن، وسادت اللغة العربية، من كان يجيد اللغات من الصحابة؟! بصدقهم وإخلاصهم فتحوا الدنيا، وعلَّموا الدنيا اللغة العربية، وعلَّموهم القرآن، ونبغ فقهاء - في وقت قصير - وعلماء ينافسون - بل يفوقون - أكبر فقهاء العرب.

هذا بسبب إخلاصهم وصدقهم في تحمُّل هذا الدين والاعتزاز به والاعتصام به، ثم السعي بكل ما يملكون من قوة في نشره وإيصاله إلىٰ القلوب؛ يفتحون به القلوب قبل البلدان وقبل الأوطان، وحقق الله ذلك.

ونحن الآن أعداء الإسلام يغزوننا بكل ما يستطيعون من قوة في عُقر دارنا، ونحن أصبحنا عبارة عن أجهزة استقبال كل ما يمليه أعداء الإسلام، وما كأن عندنا قرآنًا، ولا كأن محمدًا ﷺ ترك لنا أعظم رسالة، وما كأنّ محمدًا ﷺ تركنا علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، كأننا أمة همجية جاهلة - إلا من سلم الله -، ليس عندها من المبادئ ولا من الأصول ولا من العقائد، كأننا أصفار من كل هذه القيم ومن كل هذه المبادئ مع الأسف الشديد! وتبدّلت الأوضاع وانقلبت الأمور رأسًا علىٰ عقب، وأصبحنا كما أقول، بدل أن نملي

عقيدتنا علىٰ الناس كما فعل أسلافنا، وقد أتيحت كلُّ الوسائل لنا لنشر هذا الدين، الآن العالَم كله أصبح كأنه مدينة واحدة.

إذا عجزنا أن ننشر هذا الدين بالسيف والبرهان كما قدر علىٰ ذلك أسلافنا، إذا عجزنا عن هذا؛ فعلىٰ الأقل بوسائل الإعلام؛ نسخرها ونطوعها لنشر هذا الدين، كل أجهزة الإعلام من الصحافة والإذاعة وغيرها وغيرها وغيرها والتأليف والنشر والخطب... إلىٰ آخره، علىٰ الأقل نستخدمها في تبليغ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وفي جمع كلمة المسلمين علىٰ هذا الحق والخير؛ ولكن مع الأسف! ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]، بسبب التنازع، بسبب الاختلاف، بسبب الفرقة التي حصلت بين المسلمين؛ حصل الفشل الذّريع الذي أخبر الله أنه لا بدّ أن يقع إذا نحن تفرقنا، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾، وذهبت ريحنا - يعني: القوة -، فأصبحنا أضعف الناس، وأصبحنا أذلّ الناس، ونحن نستحق ذلك، كل ما أنزله الله بنا من ذل وهوان وتسليط أذلِّ الأمم علىٰ المسلمين؛ كل ذلك لأننا فرَّطنا في هذا الخير العظيم، الذي كان من واجبنا ومن حقه علينا أن نبذُل كلَّ غالٍ ورخيص في نشره، وأن نستميت في إيصاله إلىٰ الأمم الأخرىٰ، بعد أن تتشبع أرواحنا وعقولنا ويسود هذا الخير في مجتمعاتنا.

ولكن - مع الأسف الشديد! - هذا التفرق أضعف العقائد، أضعف العزائم، مزَّق الروابط التي تربط بين المسلمين وتشكِّل منهم قوة لا تستطيع قوة علىٰ وجه الأرض أن تقف في وجهها إذا هي تماسكت واتحدت علىٰ هذا الكتاب.

لكن الخلافات لا تزيد إلا اتّساعًا، ولا يزيدها كثير من الدعاة إلا توسيعًا لهوّة الخلافات؛ بل تشجيع لتعميق هذه الخلافات، وادعاء أنها لا بدَّ منها وأنها ضرورية، وبدل أن نقول للمسلمين: الضرورة تقتضي جمع كلمة المسلمين، ونبذ كل هذه الخلافات، وكل ذلك يتم إن توفّر الصدق والإخلاص والرغبة في جمع المسلمين علىٰ كلمة الحق، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

بالله كم سمعتم من المحاولات الجادة لتحقيق هذا؛ لتحكيم الله ورسوله فيما اختلفنا فيه؟ هل سمعتم عن محاولات جادّة للقيام بهذا المشروع العظيم؛ وهو أن نُحَكِّم في خلافاتنا كتاب الله وسنة الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لتتحقق للمسلمين الوحدة المنشودة التي لا شك أن هناك مخلصين في هذه الأمة الإسلامية يسعون بجدٍّ لتحقيقها؟

لكن هل سمعتم محاولات صادقة لفضِّ الخلافات لإنهاء الخلافات، مؤتمر (إنهاء الاختلافات بين المسلمين، وتحكيم كتاب الله وسنة الرسول في الخلافات التي مزقت الأمة)؟ هذا لم يحصل! هذا لم يحصل! بل نجد الرغبة في كثير من الدعاة - فضلًا عن غيرهم - في بقاء هذه الاختلافات، في تعميق هذه الاختلافات، في إقناع كلِّ من يتعطّش لجمع كلمة المسلمين، ويشمّر عن ساعد الجد؛ يقال له: الاختلافات هذه ضرورية ولا بد منها!

ونحن ما نجد هذا الأسلوب في كلام الله ولا في كلام الصحابة، كان

الصحابة يحاولون إنهاء أي اختلافٍ بينهم، ما كان عمر يطيق أي خلاف يجري بين المسلمين أبدًا، ويهدِّد بالضَّرب علىٰ من ينزع إلىٰ الخلاف، حتىٰ في الأمور الفرعية، فضلًا عن الأصول، حتىٰ إن الذي يقول: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذاريات: ١]، ما معنىٰ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾؟ يلقي شيئًا من الشبه علىٰ المسلمين؛ يضربه أشد الضرب ويسجنه، ويضربه مرة أخرىٰ ويسجنه، ويضربه مرة ثالثة ويسجنه، وأخيرًا ينفيه، ويأمر المسلمين بهجرانه والابتعاد عنه(١).

ونجد القرآن يحذِّر من الخلاف في هذه الآيات التي تلوناها؛ موقفان من الفُرقة: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ﴾ إلىٰ أن يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥]. تأمل: هذا تحذير أو لا؟ تحذيران في صفحة واحدة، وفي آيات متجاورة بين ثلاث أو أربع آيات، تحذير شديد وبيان لعواقب التفرُّق الوخيمة؛ ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦] في سورة الأنفال، ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الشورىٰ: ١٠] هل هذه في تشجيع الخلاف، كل واحد يعذر أخاه أو الخلاف ضروري أو قال: ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورىٰ: ١٠] ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ [النساء: ٥٩]. ما هو الحل؟ كل واحد يثبت في مكانه، كل واحد يعمق من جهته الخلافات الموجودة بين الأمة؟ وإلَّا لا بدَّ من ردم هذه

(١) انظر تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر (٢٣/ ٤١٠ - ٤١٣).

الهوَّة، ورأب هذا الصدع، وجمع الشمل، بماذا؟ بتحكيم كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بتحكيم كتاب الله وتحكيم سنة رسول الله.

إن هذا أمر عظيم جدًّا يتجاهله كثير من المسلمين، ولا يحسبون لجمع كلمة المسلمين أي حساب، وقد يئسوا، وصُنّفت المصنفات لتوسيع شقة الخلاف بين المسلمين.

ومن ألّف من بين الصحابة كتابًا ليوسع الخلاف بين المسلمين؟!

إن حذيفة لما سمع بعض القرَّاء يختلفون في قراءة القرآن اشتدَّ غضبه، وجاء إلىٰ عثمان؛ سمع بعض القرَّاء يختلفون، كل جماعة يرجحون قراءة بلدهم، كلها حق؛ لأن القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف؛ لكن وُجدت هناك نزعة إلىٰ التفاضل والاعتزاز، كل واحد يعتز بما عنده، وهذا من أسباب الفرقة؛ فهرع إلىٰ عثمان هرع من أقصىٰ حدود العراق إلىٰ المدينة يضرب آباط الإبل إلىٰ الخليفة الراشد عثمان: «أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف كما اختلف أهل الكتاب قبلهم»، فشمَّر عثمان عن ساعد الجد، وجمع القرآن كلَّه علىٰ لغة قريش، حتىٰ ينهي هذه الخلافات.

الذين كلَّفهم لجمع القرآن وكتابته، منهم زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال لهم عثمان: إذا اختلفتم في شيء فرجحوا لغة قريش؛ لأن القرآن نزل بلغتها[1].

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب جَمْعِ الْقُرْآنِ، الحديث رقم (٤٩٨٧)، من رواية أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

والقرآن نزل علىٰ سبعة أحرف(١)؛ لكن لما خشي الخلاف جمعهم علىٰ حرف واحد؛ إنهاءً للخلاف.

رسول الله ﷺ حذّر من الخلاف، وحذَّر وحذَّر، وذمَّ، وتوعّد علىٰ الخلاف وعلىٰ الفرقة، ليس هناك أي تشجيع أبدًا للخلاف، لا من القرآن ولا من السنة ولا من الصحابة - رضوان الله عليهم -، فهذا موقف من مواقف الصحابة رضوان الله عليهم.

وذكرتُ لكم موقف عمر لما أراد هذا أن يبذر بذور الفرقة؛ ضَرب وسَجن، وضَرب وسَجن، ونَفىٰ، وأمر بالهجران، إلىٰ أن تاب هذا وطهر دماغه من تلك الشبه التي يمكن أن تلقي بذورًا سيئة للفرقة بين المسلمين.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تلا رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧]. قال ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(٢). لأن هؤلاء يبتغون الفتنة، يعني: التفريق بين المسلمين، يبغون الفتنة يخبُّون ويضعون في صفوف المسلمين؛

(١) رواه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ، أخرجه البخاري: فضائل القرآن، باب: أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، برقم (٤٩٩٢).

ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ، برقم (٨١٨).

(٢) **البخاري**: كتاب التفسير، باب: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾، حديث رقم (٤٥٤٧). مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير منه، حديث رقم (٢٦٦٥).

ليصدعوا صفوفهم، ليمزِّقوا شملهم، «**فاحذروهم**» يعني: يصبحون مثل المجذومين؛ يحذرهم الناس ويهربون منهم.

كل إنسان يتتبع المتشابهات ويركض في ميدان الفُرقة بين المسلمين؛ يجب أن يحذره المسلمون، كما حذَّرنا رسول الله ﷺ بقوله: «**أولئك الذين سمّىٰ الله فاحذروهم**».

في يوم من الأيام قال عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَجَّرْتُ يومًا إلىٰ رسول الله ﷺ - يعني: راح في وقت مبكر - فسمع رسول الله ﷺ أصوات رجُلين يختلفان في آية، فخرج يُعرف الغضب في وجهه - صلوات الله وسلامه عليه -، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ**»(١). يعني بهذا الاختلاف هلك أهل الكتاب، خرج غضبان لأنهم تجادلوا في معنىٰ آية، وعلت أصواتهم بالجدال؛ فخرج رسول الله يعرف الغضب في وجهه وقال: إنكم أنتم الآن في سبب خطير، وهذا الذي يجرّ إلىٰ الهلاك والدمار، وقد دمّر الأمم قبلنا مثل هذا الخلاف.

أترون أن في هذا تنفيرًا وتحذيرًا وتهديدًا من الاقتراب إلىٰ ساحة الخلاف، أو ترون أن فيه تشجيعًا للخلافات وتعميقها؟!

---

(١) مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، حديث رقم (٢٦٦٦). وأحمد (٢/ ١٩٢، برقم ٦٨٠١)، ورواه أحمد (٢/ ١٨١، برقم ٦٧٠٢) واللفظ له.

فعلىٰ كل من يدعو إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يحاول ردم هذه الحفر الواسعة التي فرّقت بين المسلمين، وجعلت من الخلافات والمشاقَّة والعداوة والبغضاء ما لا يعلم قدره إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ونرىٰ آثاره في تسليط أعداء المسلمين علينا.

فكم يبلغ عدد المسلمين اليوم، الذين ينتمون إلىٰ الإسلام؟ ملايين، مليار ونصف ينتمون إلىٰ الإسلام، هذا العدد لو كان عُشر معشاره معتصمًا بحبل الله، ملتزمًا بمنهج الله؛ والله لفتحوا الدّنيا، ولا تستطيع أمريكا ولا روسيا ولا أي قوة أن تقف في وجوههم؛ ولكنهم غثاء كغثاء السّيل، وهم إن كان هناك أرقام فهم أصفار مع الأسف الشديد!

وقد أخبر رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أن الأمم سوف تتداعىٰ علىٰ هذه الأمة كما تتداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها**». قالوا: أمن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: «**لَا، أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**»[1]. الأوساخ والقاذورات التي يجرفها السيل هل لها قيمة؟ لها وزن؟ هل أحد يستفيد منها؟ هل أحد يعبأ بها؟ كلا، بل الناس يستقذرونها وينفرون منها، هكذا الناس - والله - الآن يستقذرون المسلمين!

وهذه الأحداث التي حدثت الآن علىٰ أيدي البعثيين زادت الأمم نفورًا وزهدًا واحتقارًا للإسلام وللمسلمين؛ ولكن تقع المسؤولية علىٰ كواهل العلماء في

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود: كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم علىٰ الإسلام، برقم (٤٢٩٧)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص ١٣٤، برقم ٢٦٨ و٢٦٩ و٢٧٠)، وابن أبي الدنيا في العقوبات، برقم (٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٢)، وغيرهم.

العالم الإسلامي؛ لأنّ كثيرًا منهم لا يفكِّر في جمع كلمة المسلمين، وأصبحت الدعوة إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة و«قال الله وقال رسول الله»؛ أصبحت وصمةً وعارًا وعلامة ضلال عند كثير من المسلمين، فالذي يحمل هذا الفكر يرىٰ الاستشهاد بنصوص الكتاب والسنة، و«قال الله وقال رسول الله»، من علامات الضلال، هل يرجىٰ في هذه النوعيات من خير لأنفسهم أو لهذه الأمة؟ كلا والله، لا يرجىٰ منهم خير - والعياذ بالله - وهم عبء ثقيل علىٰ المسلمين، ومرض فتَّاك يفتك بهذه الأمة، يجب أن يحذرهم المسلمون، وينظروا إلىٰ هؤلاء بعين الاحتقار والازدراء؛ لأنهم السَّبب في تأخير المسلمين وفي إذلال المسلمين.

لماذا لا يسعون جادِّين في الارتقاء بالمسلمين إلىٰ قمة العزة والسعادة؟ وقمة السعادة والعزة في التمسك بالكتاب والسنة.

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت ترتعد فرائص ملوك العجم والعرب منه، يرتعدون خوفًا من ذكر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ما عنده لا حُجَّاب ولا حرس ولا خدم ولا حشم، ولكن لهيبة الإسلام، الرعب يفتك بقلوب الأعداء؛ لأنه وإخوانه تمسكوا بالإسلام؛ لأن الرسول يقول: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»[1]. خوف يخلع قلوب الأعداء، هذا أكبر سلاح، أكبر من الطائرات

(١) البخاري: كتاب الصلاة، باب قول النبيِّ ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»، حديث رقم (٤٣٨). مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١). كلاهما من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والقاذفات والصواريخ والكيماويات، لما تمتلئ قلوب أعداء الله رعبًا من المسلمين فلا يستطيعون أن يستخدموا هذه الأسلحة أبدًا.

من أين يحصل هذا للمسلمين؟ إذا ما خافوا الله في أنفسهم، ونفّذوا أوامر الله، واحترموا نصوص الكتاب والسنة، وعرفوا ما فيها من عقائد؛ فاعتنقوها، وعرفوا ما فيها من أوامر؛ ففقهوها فطبقوها في حياتهم، وعرفوا ما فيهما من النواهي فاجتنبوها وابتعدوا منها، وحذَّروا المسلمين من الوقوع فيها؛ لأنها تسخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتجلب علينا الشر والذل والهوان، الآن عُدّ ما شئت من البدع، ومن المعاصي، ومن المنكرات في العالم الإسلامي بدْءًا من المنكرات الشركية والبدعية - ونعوذ بالله -، وأنواع وأصناف الشهوات التي تملأ الأسواق وتملأ البيوت، ويصدق عليهم قول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يعدّد أشراط الساعة: «**ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَىٰ بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ**»(١). لا تجد فردًا ولا بيتًا ولا سوقًا ولا مكانًا إلا وفيه الفتن التي أخبرنا بها رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هذه والله أخطر!

نحن الآن نبني مستشفيات وقلاعًا ضد الأمراض الجسدية، والله نحتاج إلىٰ قلاع وحصون عظيمة جدًّا، من أين نبني هذا البنيان؟ من التزامنا بالقرآن والسنة، والتحصين لهذه النفوس لهذه الأرواح ولهذه العقول؛ تحصينها من البدع، ومن

(١) جزء من حديث رواه البخاري: كتاب الجزية والموادعة، باب مَا يُحْذَرُ مِنَ الْغَدْرِ، برقم (٣١٧٦)، من رواية عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الشركيات، ومن الضلالات، ومن الشهوات، ومن الانحرافات الفكرية والعقدية، نحتاج واللهِ إلىٰ قلاع، إلىٰ مدارس؛ يعني: تنتشر علىٰ هذه البسيطة في مشارق الأرض وفي مغاربها، هدفها تربية المسلمين علىٰ احترام القرآن، وعلىٰ حُبِّه، وعلىٰ الاستماتة في الاعتصام به وتطبيقه، هذه الحصون والقلاع لا بدَّ منها، نحتاجها، واللهِ لو لم يقم مستشفًىٰ للأجساد وقامت هذه المستشفيات لكفت، كم أنشأ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من مستشفيات كم أنشأوا؟ والله مستشفياتهم أنقذت المسلمين والأمم كلها - أو معظم الأمم -، أنقذتهم من الأمراض الفتَّاكة التي تعرِّضهم للدمار في الدنيا والهلاك الأبدي في الآخرة؛ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، هل هناك خطر أخطر من النار؟ يعني عاقبة هذه الشهوات وهذه الشبهات وهذه الانحرافات العقدية والفكرية والسياسية؛ عواقبها خطيرة في الدنيا والآخرة.

إذا قستها بعواقب الأمراض الجسدية تتلاشىٰ هذه وتكون لا شيء، حتىٰ لو فكرنا أن نعطيها شيئًا من التفكير القليل؛ لكن يجب أن ينصرف كل تفكيرنا، وأن نسخِّر كل طاقاتنا المادية والمعنوية في تحصين المسلمين مما يدمرهم، ومما يذهب كرامتهم، ومما يفقدهم عزَّتهم، ومما يعرّضهم لسخط الله في هذه الدنيا وإلىٰ عقابه العظيم؛ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ نحن ما جاءتنا بينة؟ هل تقاس البينات التي جاءت بني إسرائيل تقاس ببيّنات القرآن؟

هل تقاس بما جاء به محمد ﷺ؟ هل نُعذر نحن؟ هل نقول: يا رب، ما جاءنا من نذير وما جاءتنا من بينات، ولهذا تفرقنا لأننا ما عندنا بينات، وما عندنا شيء يا رب مما يحسم هذه الخلافات؟ مع الأسف هل تركَنا محمد ﷺ هكذا ضياعًا؟ هل ما ترك لنا شيئًا يجمع كلمتنا ويوحد صفوفنا؟

هل نقول هذا؟ هذا يقبل منا؟ بل يقال: كذبتم والله، وإنكم تستحقون العذاب العظيم أكثر من بني إسرائيل، ولقد آتيتكم من البينات ما لم يؤتَ نبيٌّ، وما لم تؤتَ أمة؛ ولكن تجاهلتموها وأدرتم لها ظهوركم.

الله كم وصف هذا القرآن بأنَّ فيه بينات، وأنه قرآن مبين! وصار واقع كثير من المسلمين ولسان حالهم يقول: إذا كان أعداء الإسلام قالوا هذا فعلًا؛ فإن حال كثير من المسلمين تنادي: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾، هذا لسان حال كثير من المسلمين، يقولون: القرآن لا يُفهم، ما يجوز للمسلمين بدءًا من القرن الرابع أن يفهموا من القرآن ولا من السنة، يجب أن يغلقوا باب الاجتهاد والفهم[1]!

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إعلام الموقعين (٢/ ٢٦٤): «إن الله تعالىٰ أوجب علىٰ العباد أن يتَّقوه بحسب استطاعتهم، وأصل التقوىٰ معرفة ما يتقىٰ، ثم العمل به. فالواجب علىٰ كل عبد أن يبذل جهده في معرفة ما يتقيه مما أمره الله به ونهاه عنه، ثم يلتزم طاعة الله ورسوله، وما خفي عليه فهو فيه أسوة أمثاله ممن عدا الرسول، فكل أحد سواه قد خفي عليه بعض ما جاء به، ولم يخرجه ذلك عن كونه من أهل العلم، ولم يكلفه الله ما لا يطيق من معرفة الحق واتباعه. قال =

قولهم: يعني من القرن الثاني إلىٰ يومك هذا لم يخلق الله أناسًا يفهمون الكتاب والسنة، هذا مؤدىٰ ما يقوله هؤلاء.

إذا كان باب الاجتهاد وباب الفهم قد أُغلق، معناه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما يريد أن يخلق أناسًا يفهمون هذا القرآن - مع الأسف الشديد - تعالىٰ الله وتنزَّه عن ذلك! فهذا تألٍّ علىٰ الله، ورأي فاسد باطل، يكذِّبه واقع المجتهدين والمجدِّدين، وأولو الألباب علىٰ مرِّ القرون.

فيجب أن نفهم كتاب الله وأن نتدبره؛ ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ لماذا؟ ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾، هذا القرآن جاء لفضِّ الخلافات بين بني إسرائيل، فكيف يهمل هذه الأمة؟! ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[النحل: ٦٤]، يعالج خلافات بني إسرائيل ويهمل خلافات هذه الأمة؟!

واللهِ فيه البيان الكافي الشافي للخلافات بين المسلمين، لو توفَّرت الرغبة في

=

أبو عمر: وليس أحد بعد رسول الله ﷺ إلا وقد خفي عليه بعضُ أمره، فإذا أوجب الله سبحانه علىٰ كل أحد ما استطاعه وبلغته قواه من معرفة الحق، وعذره فيما خفي عليه منه فأخطأ أو قلد فيه غيره؛ كان ذلك هو مقتضىٰ حكمته وعدله ورحمته؛ بخلاف ما لو فرض علىٰ العباد تقليد من شاءوا من العلماء، وأن يختار كل منهم رجلًا ينصبه معيارًا علىٰ وحيه، ويعرض عن أخذ الأحكام واقتباسها من مشكاة الوحي؛ فإن هذا ينافي حكمته ورحمته وإحسانه، ويؤدي إلىٰ ضياع دينه، وهجر كتابه وسنة رسوله، كما وقع فيه من وقع. وبالله التوفيق».

إنهائها لانتهت، وفي كتاب الله وفي سنة رسول الله ما يقضي عليها تمامًا، لكن الرغبة ما توفَّرت عند كثير من الناس؛ لأنه مثلًا واحد يريد أتباعًا حوله، وثناءً: هو يقود الناس، فلان يشار إليه بالبنان، قائد عظيم، عالم كبير، كم يتبعه من الناس! كم يتبع فلانًا![1] كثير من الناس يريدون هذا؛ يتستَّرون بأبي حنيفة ومالك والشافعي، ولكن القيادة الحقيقية لهؤلاء! القيادة الحقيقية لهؤلاء الذين يحبون الزعامات ويفرّقون المسلمين، فجمع كلمة المسلمين يحتاج إلىٰ نفوس نزيهة، لا ترغب إلا فيما عند الله، ولا ترجو الثواب إلا من الله، وتراقب الله، تعبد الله كأنها تراه، ويكون من: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[2]؛ يدعو إلىٰ الله، ويجاهد وكذا، ويرىٰ نفسه أنّه مقصِّر وآثم، وما يدري

(١) روىٰ معمر في جامعه (١١/ ٣٦٣ - مصنف عبد الرزاق)، وأبو داود في سننه: كتاب السنة، باب لزوم السنة، برقم (٤٦١١)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٦٠ و٦٢)، والفريابي في صفة المنافق (٤١ و٤٢)، والآجري في الشريعة برقم (٩١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٦) وصححه، وغيرهم، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّىٰ يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّىٰ أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ. فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ؛ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَىٰ لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ» صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في التعليق علىٰ سنن أبي داود.

(٢) قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الآية: «كانوا يعملون ما عملوا من أنواع البر، وهم مشفقون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله». رواه ابن المبارك في الزهد (ص ٦، برقم ١٥)، =

هل يَسْلَمُ أو لا يَسْلَمُ!

عمر - يا إخوتاه - فتح الدنيا؛ يعني فتح بقية فارس، فتح بقية الشام، فتح المغرب، توغَّل في خراسان، فتح فتوحات عظيمة جدًّا، كيف كانت نظرته إلىٰ هذه الأعمال؟ ملأ هذه البلدان عدلًا ونورًا وخيرًا بعد فتحها، وما كان يُظلَم أحد، الأميرَ إذا ظلم نصرانيًّا يضربه، ويقول: اقتصَّ من هذا الأمير[(١)]. ابن أمير يضرب نصرانيًّا يقول: خذها وأنا ابن الأكرمين. وجاء هذا النصراني يشتكي من ابن عمرو بن العاص؛ فاستدعىٰ ابن الأمير، وقال للنصراني: خذ العصا واضربه كما ضربك[(٢)]. رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هذه الفتوحات، هذا الجهاد العظيم، هذا الخير العميم الذي عمَّ الدنيا، كان عمر يريد السلامة، واللهِ كان عمر يريد السلامة منه، يقول لأبي موسىٰ - كما روىٰ البخاري -: «يَا أَبَا مُوسَىٰ، هَلْ يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهِجْرَتُنَا مَعَهُ وَجِهَادُنَا مَعَهُ بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ: لَا وَاللهِ؛ قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَصَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَعَمِلْنَا

=

ووكيع في الزهد (١٨٤)، وأحمد في الزهد (ص ٢٨٤ و٢٨٦)، وابن جرير في التفسير (١٩/ ٤٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٦٣ و٧٦٤).

(١) انظر: الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٩٣، ٢٩٤)، وتاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ١٥، ١٦) الكتب العلمية.

(٢) انظر: فتوح مصر، لابن عبد الحكم (ص١٨٣).

خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَىٰ أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَكِنِّي أَنَا - وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ - لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ»(١). كل هذا الجهاد، وهذه الفتوحات، وهذا الخير العميم الذي شمل المسلمين وغير المسلمين، يريد السلامة فقط!

فدعوة المسلمين وتربية المسلمين وجمع كلمة المسلمين تريد أناسًا يزهدون في كل شيء في هذه الحياة الدنيا.

قيادات، زعامات... لا يريدها، هدفه الأوحد أن تجتمع هذه الأمة ولو علىٰ عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، لا يهمُّه، إن كان في الطليعة في الطليعة، وإن كان في الساقة في الساقة، لا يبالي أين وقع.

نريد رجالًا من هذه النوعيات، من نوع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي لا يعتبر أعماله وجهاده وفتوحاته، يريد السلامة منها، نريد هذه النوعيات، أما إنسان يحب الزعامة! - يا جماعة - قتلتنا هذه ومزَّقت الأمة، الأمة كانت أربعة مذاهب متفرقين بها، ثم هناك مذاهب عقائدية: خوارج روافض مرجئة معتزلة صوفية... إلىٰ آخره، كل هذا ما سببه؟ كل هؤلاء باللهِ ينشدون الهدىٰ؟!

الذين فتحوا كل هذه الطرق؛ الأئمة الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ برآء - واللهِ - من أعمالهم وعصبياتهم، ما دعوا إلىٰ التقليد والتعصب، كانوا يحاربون التقليد

(١) البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلىٰ المدينة، حديث رقم (٣٩١٥)، قال المحشي علىٰ فتح الباري: لم نقف عليه عند غيره.

والتعصب؛ لأنهم يعرفون أنَّ التقليد سيفرِّق هذه الأمة، والله لو ترجع إلىٰ كلامهم فإذا بهم من أشد الناس حربًا لهذا التقليد الأعمىٰ الذي فرَّق هذه الأمة، هم من أشد الناس حربًا[1]؛ كما سبقهم إلىٰ ذلك رسول الله والكتاب والسنة والصحابة والتابعون، كلهم يدعون إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله؛ لأنه لا يمكن أن تتوحَّد صفوف هذه الأمة علىٰ شيء أبدًا، إلا علىٰ كتاب الله وسنة رسوله، لو جئنا بمذاهب الدنيا ومؤلفاتها وكتبها ومصلحيها وأفكارها وسياساتهم؛ ما يمكن أن تجمع بين المسلمين؛ لأن جمع الإسلام الذي ينشده أولًا أن تجتمع هذه القلوب علىٰ عقيدة واحدة، وعلىٰ منهج واحد، وعلىٰ مشرب واحد، أن تجتمع القلوب قبل الأجساد، هذا ما يحقق شيئًا يا أمة الإسلام، إلا أن نجتمع علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله، ومنها تأتي الأوامر بالاعتصام بكتاب الله، بالدخول في السلم كافة، لا أحد يتأخر في اتباع الصراط المستقيم؛ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الآن نحن في كل ركعة من الركعات المكتوبة والنافلة وغيرها نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. ونقول: آمين. لكن باللهِ من يفكِّر في الصراط المستقيم الذي ندعو به؟ كثيرٌ من الناس لا يفكِّر في هذا الصراط المستقيم الذي ندعو به في كل صلاة، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ما هو هذا الصراط المستقيم؟

---

(١) انظر أقوالهم في المؤمل للرد إلىٰ الأمر الأول، لأبي شامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٧ - ٦٦/ اختصار صلاح مقبول)، وصفة صلاة النبيِّ ﷺ للشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٤٦ - ٥٦).

كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة الرسول ﷺ[(١)]، نفهمه ونعمل بما فيه؛ هذا هو الصراط المستقيم، إذا كان هذا الذي أنشده، لماذا لا أسعىٰ في تحقيقه؟!

لو كان كل واحد يقول: والله يمكن أكذب. أقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. لكني لست صادقًا، وليس عندي جدٌّ، كيف أطلب كل يوم من ربي أن يهديني الصراط المستقيم، يعني وأنا علىٰ عقيدة صوفية، عقيدة أشعرية، عقيدة خارجية، عقيدة رافضية، ومُصر عليها!

لا يقول: واللهِ ممكن أنا علىٰ خطأ، أنا علىٰ ضلال، أحاكم هذا الذي عندي، هذا الذي عندي أريد أقيسه وأزنه بهذا الميزان. يعني: هذه العملة التي عندي مزيَّفة أو صحيحة؟ القرآن هو الصيرفيُّ الذي يميِّز لك بين الزيف وبين الذهب الخالص، والمعدن الخالص والمعدن المزيَّف، وكذا السنة؛ هل عندي زيوف أو عملة صحيحة؛ عملة خالصة من الذهب من الفضة الصادقة؟ ما أحد يفكر في هذا.

---

(١) عن عاصم الأحول قال: قال لنا أبو العالية: تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الصراط يمينًا وشمالًا، وعليكم بسنة نبيِّكم ﷺ، والذي كانوا عليه من قبل أن يقتلوا صاحبهم ويفعلوا الذي فعلوا؛ فإنا قد قرأنا القرآن من قبل أن يقتلوا صاحبهم ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا بخمس عشرة سنة، وإيَّاكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء. فأخبرت به الحسن؛ فقال: صدق ونصح. وحدثت به حفصة بنت سيرين؛ فقالت لي: بأهلي أنت هل حدَّثت بهذا محمدًا؟ قلت: لا. قالت: فحدثه إياه. رواه معمر في جامعه (١١/ ٣٦٧ - مصنف عبد الرزاق)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٧٦)، والمروزي في السنة (٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٨).

كيف نقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وفي المسجد قد يقول مائة ألف: (آمين)، ولا يدرون علىٰ إيش أمّنوا، يجب أن نفهمهم يا جماعة، أنَّ الصِّراط المستقيم هو هذا الكتاب، قبل أن تؤمِّنوا علىٰ هذا الدعاء، وتدوِّي المساجد كلها بهذا التأمين؛ يجب أن تفهموا ما هو الصراط المستقيم الذي تطلبونه من الله في كل صلاة ما هو، افهموه!

وهذه الآيات نجعلها دستورًا لكل الناس، وشعارًا يلهج به المسلمون في البيوت وفي المساجد: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

يجب ثم يجب علىٰ الناس أن يعتصموا بالكتاب والسنة، لكن - مع الأسف! - كم إنسان يشمئزُّ من هذا الشرح وهذا البيان؟! واللهِ نفوسٌ كثيرة تشمئز من هذا البيان، لماذا؟ لأنه يحسُّ أنك تضرب علىٰ ما عنده من باطل، يحسُّ أنك تهاجمه؛ لأنك تقول الحق وهو عنده شيء ثانٍ غير ما تدعو إليه، وغير ما تبينه وغير ما تشرحه، وهذا من علامة الضلال، ومن ثم يحاربك: هذا وهابي! الذي يقول: قال الله والرسول. وهابيٌّ احذروه! لأنه يدعو إلىٰ كتاب الله وسنة الرسول. أنا سمعت رجلًا مبتدعًا يقول: هؤلاء الوهابية عندهم أدلة مثل الشمس! - يعني: يعيبهم - لا تقربوهم، عندهم واللهِ أدلَّةٌ مثل الشمس. هذه من العيوب! انظروا الجنون يا إخوتاه!

فأنا أناشد طلَّاب العلم أن يحمل كل واحد هذه الفكرة، يتبنّىٰ هذه الفكرة،

فكرة الاعتصام بكتاب الله، وينادي كل المسلمين إلىٰ الرجوع عما عندهم من الأخطاء؛ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، ليس من المعقول أن نقول: إن كل الأمة سالمة من الأخطاء، وهم في عافية. وهذه الأخطاء ما تضر، هذه الأخطاء مأجورون فيها أيضًا، الشافعي ومالك وأحمد وأئمة الاجتهاد؛ مأجورون في كل ما أصابوا فيه، وفي كل ما أخطأوا فيه إن شاء الله؛ لكنهم يعترفون علىٰ أنفسهم أن لهم أخطاءً.

الشافعي ارجعوا إلىٰ تصريحاته؛ يقول: لنا أخطاء[١]، وسبب الأخطاء أننا ما نقدر نحيط بالسنة، يقول: ما يحيط بالسنة واللغة إلا نبي. وأما غير الأنبياء ما يستطيع أن يحيط بالسنة. هذا اعترافه: ما منَّا من أحد وإلا وتفوته سنة[٢]. ولكن أن يتعمد أحد من أئمة الإسلام مخالفة الكتاب والسنة؛ فلا، هذا كلام الشافعي أو معناه[٣].

ونحن نعتقد أنه ليس هناك إمام يتعمد مخالفة الكتاب والسنة[٤]، ولكن من

---

(١) انظر: تاريخ دمشق (٥١/ ٣٦٥)، والمؤمل في الرد إلىٰ الأمر الأول (ص ٦٠ - المختصر)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر: الرسالة له ص (٤٢، ٤٣) الكتب العلمية، بتحقيق: أحمد شاكر.

(٣) انظر: الرسالة له ص (٤٥٨ - ٤٦٠)، وجماع العلم (ص٧ - ٩)، وهو في الأم (٧/ ٢٧٢، ٢٧٣).

(٤) قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع بيان العلم (٢/ ٢٨٩ - ابن حزم): «ليس لأحد من علماء الأمة يثبت حديثًا عن النبيِّ ﷺ ثم يرده دون ادعاء نسخ عليه؛ بأثر مثله، أو بإجماع، أو
=

جاء بعدهم من المتعصبين الدعاة إلىٰ التعصب؛ هم الذين - واللهِ - يسمعون النصوص الصريحة الصارخة من كتاب الله وسنة الرسول، ويتعمد كثير منهم مخالفتها، ويُصرُّ علىٰ هذا العناد، ويمعن في هذا الخلاف.

فهؤلاء يجب أن يتقوا الله، يجب أن يتقوا الله في أنفسهم، وفي هذه الأمة؛ **«فَإِنَّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ تَبِعَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»**(١). هؤلاء الذين يُصِرُّون علىٰ الخلاف، وكل واحد يثبت في مكانه؛ لا يتحرك إلىٰ نصوص الكتاب والسنة وإلىٰ إخوانه المسلمين، ولْيردموا هذه الخلافات، ويسدُّوا هذه الهوات التي مزقت المسلمين، وأنزلت بهم ما أنزلت من ذل وهوان.

يجب أن نسعىٰ كلنا هذا السعي، وما منَّا إلا ويخطئ ويصيب، وقال الإمام مالك: ما منا إلا راد ومردود عليه(٢). ما منا من أحد إلا ويخطئ.

=

بعمل يجب علىٰ أصله الانقياد إليه، أو طعن في سنده، ولو فعل ذلك أحد؛ سقطت عدالته، فضلًا عن أن يتخذ إمامًا، ولزمه إثم الفسق».

(١) مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلىٰ هدًىٰ أو ضلالة، حديث رقم (٢٦٧٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: المؤمل في الرد إلىٰ الأمر الأول لأبي شامة (ص٦٠ - المختصر)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ١٩٠)، وابن عبد الهادي في إرشاد السالك (١ / ٢٧٧)، وصفة صلاة النبيّ ﷺ (١/ ٢٧ - الأصل) للألباني.

ولهذا الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أفنىٰ حياته في هذا «الموطأ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يهذّب ويشطب وينقّي ويحذف، أربعين سنة[1] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ودخل عليه أحد تلاميذه وهو يبكي بكاءً مرًّا، قال: لماذا تبكي؟ قال: هذه الفتاوىٰ التي أفتي بها، واللهِ وددت أني أضرب بكل فتوىٰ أفتيتها سوطًا من السياط[2].

يبكي لأنه يعرف نفسه أنه ليس معصومًا، وأنه معرَّض للخطأ، وأنه فعلًا يقع في الخطأ مع ورعه، تأتيه عشرات المسائل فيجيب في القليل منها، والباقي يقول: ما أعرف[3]. لا يجيب علىٰ كل سؤال، يأتيه رجل من المغرب يضرب آباط الإبل سنة من الأندلس إلىٰ المدينة يأتي يسأله سؤالًا؛ قال: والله ما أعرف ما عندي إجابة. قال: وأنت مالك وأنا آتيك من المغرب الأقصىٰ، وتجيبني مثل هذا الجواب؟! قال: اذهب إلىٰ أهل المغرب وقل لهم: مالك ما يعرف. اذهب قل لأهل المغرب الأقصىٰ: إن مالكًا لا يعرف، ليس عارفًا[4].

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١/ ٧٧، ٧٨).

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٢٨٤، برقم ١٠٨٦)، وابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٢٢٤)، وعنه الحميدي في «جذوة المقتبس» (٢/ ٥٥٢، ٥٥٣).

(٣) انظر: حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣، ٣٢٤)، وجامع بيان العلم (٢/ ١١٧)، والانتقاء (ص ٣٨) لابن عبد البر، وترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ١٤٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٧٧)، والموافقات للشاطبي (٥/ ٣٢٥، ٣٢٦).

(٤) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٥٨، برقم ١١١٧)، ونحوه عند ابن أبي حاتم في «مقدمة الجرح والتعديل» (ص ١٨)، والآجري في «أخلاق العلماء» (ص ١٣٤)، وابن عبد البر =

هكذا كان عندهم، يعرفون أنهم يخطئون، لهذا ترىٰ الشافعي تلميذه البار الذي يقول: إذا ذكر العلماء؛ فمالك هو النجم الساطع[1]. يقول هذا في مالك، ومع هذا لما رأىٰ الغلوَّ في أتباعه وميولهم إلىٰ التقليد الأعمىٰ وتنكُّرَهم لشيء من السنن؛ أخذًا برأي مالك وتقديمه علىٰ السنن؛ شرع يؤلف في الرد علىٰ شيخه؛ ليقي الناس من الوقوع في الشر. ثم كرّ علىٰ نفسه وراح ينقض مذهبه الأول بمذهب جديد.

هكذا يرد علىٰ نفسه وعلىٰ شيخه؛ إنصافًا للحق، وتقديمًا للنصح لهذه الأمة، ومراقبةً لله في حق هذه الأمة، وإحساسًا بالمسؤولية أمام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هكذا يناقش شيخه.

ويأتي أحمد تلميذ الشافعي ويردُّ علىٰ شيخه الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لماذا؟ لأنهم كانوا ينشدون الحق ويعرفون أن كلمة المسلمين لا تجتمع إلا علىٰ هذا الحق، وأن الخير كل الخير أن تعرف الأمة هذا الحق، فتستعصم به وتستمسك به؛ كما أمرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

=

في «جامع بيان العلم» (٢/ ١١٧، رقم ٨٣٣)، والبيهقي في «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» (رقم ٨١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٣)، وذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (١/ ١٤٥، ١٤٦).

(١) رواه ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل (ص ١٤)، وابن عبد البر في الانتقاء (ص ٢٣)، وابن حبان في المجروحين (١/ ٤١)، وابن عدي في الكامل (١/ ٩٢ - الفكر)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٨)، وابن عساكر في كشف المغطىٰ في فضل الموطا (ص ٣٦).

يا إخوتاه! نحن نريد الجِدَّ، الكلام كثير في هذا، لكن نريد جدًّا من طلاب العلم، ومن شباب الإسلام أن يدركوا مشاكل المسلمين، وأن الحلول من الشرق أو من الغرب من أمريكا أو من روسيا؛ والله ما تحلُّ مشاكلنا، ما تحلُّ، انظر الآن اجتمعت الدول كلها لتحلَّ مشاكل (صَدَّام) عجزت؛ لكن الذي يحلُّ مشاكلنا - الصحيح - هو أن تتوحَّد هذه الأمة بصدق وإخلاص علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والله لا نجد مشاكل ولا نحتاج إلىٰ من يعالج مشاكلنا إذا اهتدينا بهدىٰ هذا القرآن بهدىٰ هذا القرآن في كل شئوننا، وكذا إذا اهتدينا بهدىٰ السنة؛ السنة تقضي عليها قضاءً مبرمًا، بل نحلُّ مشاكل غير المسلمين، ونخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، وننقذهم من المشاكل الاجتماعية والسياسية والعقائدية وغيرها؛ لأنهم في حيرة لا يعلم مداها إلا الله، ومتعطِّشون كل التعطُّش إلىٰ شيء ينقذهم، وما يعلمون، وما استطعنا أن نبرهن لهم أن الشفاء الكامل عندنا.

لكن إذا كان مثل صدام وأمثاله يقدِّمون لنا هذه الصور المظلمة؛ من سيرغب في الإسلام، ومن سيتصور أن لهؤلاء المسلمين حلًّا لهذه المشاكل، وكثير وكثير من الأفراد والجماعات والشعوب يقدِّمون؛ يعني أشياء تقشعر منها أجساد غير المسلمين وتستقذر نفوسهم ما تراه من أفعال المسلمين، بكل صراحة! إن جئت إلىٰ مجال المعاملة تجد الخيانات والغش و...و... إلىٰ آخره بين المسلمين.

إن جئت إلىٰ العقيدة؛ ترىٰ المقابر أكثر من أوثان الوثنيين في الدنيا كلها،

المقابر هذه التي تعبد من دون الله، ويطاف بها، ويستغاث بها، وينذر لها، وتشد إليها الرحال، و...و... إلىٰ آخره، والنصوص كثيرة وصحيحة وصريحة في تحريم هذه الأشياء، وفي أنها من موجبات لعنة الله[1]، وأن من يتعاطون هذه الأشياء من شرار خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[2]، نصوص كثيرة صريحة واضحة في هذا الأمر، ولا كأنها طرقت مسامع المسلمين، بل كأنها ما طرقت مسامع كثير من أدعياء العلم، بل والله لقد أُلِّف كتاب في هذا العصر يجيز البناء علىٰ القبور! مع أن الأمة أجمعت علىٰ أن هذا شر وباطل وضلال وهلاك، وتجد في هذا العصر الذي يجب أن يكون هناك عمليات إنقاذ هائلة لا حد لها للمسلمين؛ لما وقعوا فيه، يأتي هذا ليعمق تلك الهوَّة التي تردت فيها كثير من الأمة، يأتي ويزيد الطين بلة - كما يقال -.

أنا والله عندي شهود عيان: جئنا بعض مساجد المسلمين وجدنا فيه خمس قباب في هذا المسجد، مقدَّسة مزخرفة، الطواف حولها، والركوع والسجود لها، والبكاء والخشوع والذل والخضوع لها، والله رأينا هذا بأعيننا في مسجد نظام الدين في دهلي، قريب من مركز جماعة من الجماعات التي تقول أنها إسلامية، ما بينه وبينها إلا أمتار، والله رأينا الركوع، ورأينا السجود، ورأينا البكاء والهلع

---

(١) كما ثبت في قوله ﷺ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». رواه أبو هريرة وعائشة وابن عباس وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر: صحيح البخاري برقم (٤٣٥ و٤٣٦)، و(٤٣٧)، و(١٣٣٠)، وصحيح مسلم برقم (٥٢٩)، و(٥٣٠)، و(٥٣١).

(٢) كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صحيح البخاري برقم (٤٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٥٢٨).

والخشوع والذل والتضرع، كل أصناف العبادة، مع الأسف الشديد!

ونظرنا في معابد الهنادك ما رأينا مثل هذا المنظر.

والله جاء شخص مُحْرِم في إزار ورداء، وجاء لقبر نظام الدين، وخرَّ له ساجدًا، وسجد طويلًا، وقام يمشي القهقرىٰ - إلىٰ الوراء - تعظيمًا له، ولما وصل إلىٰ عتبة القبة خرّ ساجدًا للقبر مرة أخرىٰ بكل وقاحة! والآخرون ما بين الراكع، والساجد والباكي! لا ترىٰ مثل هذا المنظر عند الكعبة، ماذا يحصل للمسلم الموحِّد حينما يرىٰ هذه الأشياء، لو مات واللهِ من الجزع والهلع مما تردىٰ إليه هؤلاء وأمثالهم لحق له أن يموت كمدًا.

وجاءنا واحد مثل الجمل يقول: الناس في عبادة وشغل شاغل وأنتم تتفرجون! هذا المكان مكان فرجة! تتفرجون؟! الناس مشتغلون بالعبادة وأنتم تتفرجون! اعبدوا! يطالبنا بصريح العبادة، يريد أن نركع نبكي نسجد للقبور، فانسحبنا وخرجنا ليس بأيدينا شيء، علَّق علينا: كيف تتركون الوهابية يدخلون هذا المكان؟

عرفتم؟! ورأيت في مكان آخر في شارع، هذا الشارع يتجه إلىٰ الشمال، وهذا صنم هناك، وهذا قبر يقابله علىٰ الضفة الثانية في الشارع، والذي لا إله إلا هو وهناك سوق؛ يعني: مخصوص لبيع الزهور لهذا القبر ولهذا الصنم، تنظم فيه الزهور، ثم يشتري المسلمون ويشتري الهنادك هؤلاء يعطون لمعبدهم، وهؤلاء يعطون لمعبدهم المقابل لمعبد الهنادك.

لكن واللهِ العناية بالقبر أكثر من العناية بالوثن، رأينا زهورًا قليلة علىٰ الوثن،

والزهور التي علىٰ القبر كثيرة جدًّا، القبر مرتفع وعليه قبة، ومجلَّل بالحرير، والبخور يتصاعد والناس عاكفون حوله!

ورأينا مثل هذا في مكان آخر؛ بنغلاديش، رأينا الشيء الذي يفظع، وفي غيرها ألوف المقابر، مدن من المقابر تعبد من دون الله، تعبد من دون الله، وهم يغلون فيها أكثر من غلوِّ الوثنيين في أوثانهم، الوثنيين قبل البعثة والوثنيين الموجودين الآن في الهند.

والله المسلمون أكثر غلوًّا في هذه القبور، وتجد الوثني يعبد البقرة، وإذا غضب يضربها، ويعبد شجرة وإذا احتاج يقطعها ويبيعها حطبًا في السوق وتحرق.

أما المسلم ما يستطيع أن يأخذ تربة من هذا القبر إلا للتقديس والبركة، أما الصورة التي رسمها لهذا الولي فشيء لا يتصوره الخيال: إنه يعلم الغيب، إنه يتصرف في الكون، إنه... إنه... إنه...!

أمامي واحد من السودان لعله يصدقني إذا قلت: إنَّ شخصًا يمدح نفسه في قصيدة طويلة، يقول:

وكنت عين وجود القدس في أزل — يسبح الكون تسبيحًا لإجلالي

يمدح نفسه يقول هذا: كنت أنا الله في الأزل، كنت ذات الله في الأزل، يسبح الكون كله تقديسًا لإجلالي.

فالعرش والفرش والأكوان أجمعُها — الكل في سعتي مستهلَكٌ بالي

يعني الكون كله كالرملة في يده، يرىٰ نفسه رب هذا الكون، وسيد هذا الكون.

وكـل فـضل سـما للكـون مرتفعًـا ... فـإنّما هـو مـن منّـي وإفـضالي

وهذه القصائد تحفظ وتردد، ويؤمن بها كثير من الناس، وكم لها من أمثال! وكم لها من نظائر!

كنت والله في الهند وجاءني شاب بكتاب قديم فيه كرامات عبد القادر، عبد القادر عنده تصوُّف لكن لا يرضىٰ هذا الغلوَّ الذي وقع فيه هؤلاء الدجالون، لقد كذبوا وكذبوا عليه كثيرًا.

رجل أفاك ألَّف مجلدين ملأهما بالأكاذيب، ذكر ذلك ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ذيل طبقات الحنابلة»[1]، جاءني يريد يدعوني إلىٰ طريقته، يرىٰ أنه يهديني؛ يهديني من الضلال الذي أنا فيه! فشرع يقرأ في كرامات عبد القادر، فأذكر منها: من الكرامات أن الله وعبد القادر خرجا يومًا علىٰ شاطئ نهر يتماشيان متماسكان، فانزلقت رجل الله - كاد أن يسقط - فانتشله عبد القادر.

فشرحت له وبيَّنت له، فقلت: هذا هو الكفر الذي ما فكَّر فيه أبو جهل، ولو سمع أبو جهل هذا لانفطر قلبه؛ يعني: خوفًا من حكاية مثل هذا الكلام، هذا كفر ما له نظير. وأعطيته درسًا في التوحيد استفاد منه، واللهِ أخذ الكتاب وقطعه فورًا - وجزاه الله خيرًا - وهداه الله، وبعدها جاء يدرس في الجامعة الإسلامية سنة أو سنتين، ثمَّ مات.

وهكذا تقرأ في كرامات النبهاني والشعراني أشياء لا يجوز أن تُدَّعىٰ للأنبياء،

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة.

يحكون لأولياء كرامات تفوق أساطير اليونان والهندوك في آلهتهم، أساطير اليونان التي يقولونها عن آلهتهم، وهؤلاء جاءوا بأكثر وأدهىٰ.

ومن المؤسف أن مجلدين أُلِّفا في هذا العصر بعد أن جثم الاستعمار بكلكله علىٰ العالم الإسلامي يسحقه سحقًا، وينهب ثرواته نهبًا، ويدوس كراماته دوسًا، يؤلَّف هذا الكتاب ليزيد المسلمين إيغالًا في الضلال والهلاك، النبهاني الذي ألف كتابًا سماه «شواهد الحق في جواز الاستغاثة بسيد الخلق» ملأه بالكفر والضلال مما لو رآه أبو جهل؛ لقال: هذا كفر.

ومع الأسف نجد علماء يقرِّظون ويؤيدون هذا الكتاب، علماء كبارًا مع الأسف الشديد! ثم ما اكتفىٰ بهذا، فألَّف منها «جامع كرامات الأولياء» في مجلدين، واللهِ بعضُها لو تقول للشيوعي: احكِ هذا الكلام. يخجل، شيوعي وسخ قذر لا يحترم الأخلاق، يمكن يخجل من حكايات بعض الكرامات التي ينسبها إلىٰ بعض الأولياء، ما أدري أحكي لكم شيئًا من هذا.

دعاةُ الخلاف والفُرقة وأعداء الدعوة السلفية لا يستنكرون هذه الشركيات والفظائع مع الأسف الشديد!

أولًا أنا كنت في الهند في حيدر آباد في مكتبة من المكتبات، ومعي رفيق يرافقني أخذ هذا الكتاب، أنا أسمع بهذا الكتاب ما رأيته؛ لأن هذه الكتب ممنوعة عندنا ما تباع – ولله الحمد –، وعوفي كثير من المسلمين بسبب هذا المنع، ولله الحمد.

لكن أسمع عنه، وأنه فيه خرافات وترهات وضلالات، قلت: ما هذا الكتاب؟ قال: «جامع كرامات الأولياء». قلت: لمن؟ قال: للنبهاني. قلت: ماذا تريد منه؟ خجل وقال: أبغي أصور عليه، أحط عليه مخطوطات متهرية أحطُّها عليه. عذره بارد! هو يريد أن يقرأ فيه، سكتُّ عنه، وجئنا الفندق الذي نزلنا فيه، وأفتح علىٰ مكامن هذا الكتاب وإذا به يفاجئنا نسيت اسم الولي هذا، قال: من كرامته رضي الله عنه أنه مرَّ بسفينة قد رسبت في الوحل، سفينة علىٰ شاطئ البحر، وغاصت في الوحل؛ أي الطين، يعني: هذه لو يأتي عشرون رجلًا لا يمكن أن يخرجوها، سفينة وراسبة في الوحل صعبة جدًّا، قال: هذا الوليُّ فكر في وسيلة كيف يخرج هذه السفينة؟ قال: ائتوني بخيط دقيق. يريد أن يخرج به السفينة! لكن هو يقدر أن يخرجها بخيط دقيق، أين يربطوه؟ في مكان اربطوا في كذا، ما أقدر أحكيه - قلت لكم -، ثم ربطوه في هذا المكان، وجرَّ السفينة وأخرجها بهذا الخيط الدقيق المربوط في المكان الرقيق!

هذه كرامة! الذي لا يؤمن بها يكفر، كافر عدوٌّ لله ولأولياء الله! الوهابيُّ يكره الأولياء؛ لماذا؟ لأنهم لا يؤمنون بمثل هذه الكرامات.

والله نحن نؤمن بالكرامات، وهي ثابتة بالكتاب والسنة، ونحن الذين نؤمن بكرامات الأولياء فعلًا؛ لأنها جاءت في كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ؛ لكن الكذب والإفك والترهات والأساطير والخرافات نحن نرفضها، ويرفضها الإسلام، ويرفضها كل مسلم يحترم نفسه، ويحترم دينه وعقيدته.

حكاية ثانية لهذا الوليِّ؛ قال: مرَّ يومًا بزقاق صغير، فالتفَّ عليه خمسون صبيًّا، وشرعوا يرمونه بالحجارة، ماذا قال؟ كان يصبر ويقول: أطفال. ويمشي؟! لكنه ما صبر، وقال: يا ملك الموت، لئن لم تقبض أرواح هؤلاء الصبية الآن وإلا لسوف أفصلنك من ديوان الملائكة! ما وسع ملك الموت إلا أن يمتثل ويحصد هؤلاء في لحظة واحدة علىٰ حد قول هذا الأفاك، حصدهم خمسين صبيًّا في لحظة واحدة.

أنا قلت لصاحبي: إيش رأيك في الكرامات هذه؟ أنا علَّقت له علىٰ الكرامة هذه، قلت له: تعرف محمد بن عبد الله رسولَ الله ﷺ، هل تعرف أفضل منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ قال: لا. هل هناك أحد ترجىٰ إجابته، وتستجاب دعوته؛ أفضل من محمد؟ قال: لا. قلت: رسول الله يوم أحد يقود المعركة ضد المشركين، فيُقتل من أصحابه سبعون[(١)]، ويجرح وتكسر ثناياه، وتغوص حلق المغفر في رأسه[(٢)]، ثم يقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟!». فينزل الله عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨][(٣)].

---

(١) كما في حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٣٩) في كتاب الجهاد، وعقد له بابًا بعنوان: مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ فِي الْحَرْبِ، وَعُقُوبَةُ مَنْ عَصَىٰ إِمَامَهُ، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب لُبْسِ الْبَيْضَةِ، برقم (٢٩١١)، وصحيح مسلم: في كتاب الجهاد والسير، باب غَزْوَةِ أُحُدٍ، برقم (١٧٩٠)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري: كتاب المغازي، باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، معلقًا. مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، حديث رقم (١٧٩١). كلاهما من رواية أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقنت شهرًا هو وأصحابه يدعو علىٰ صفوان بن أمية والحارث بن هشام وفلان[١] وفلان مدة شهر يدعو عليهم والصحابة يؤمِّنون، وينزل الله الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٢]. انظر؛ رسول الله ﷺ يقاتل، ويُحصد أصحابه ويقتل سبعون من أصحابه، ويقول مثل هذا الكلام، ويقول الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. له أصحاب مستضعفون ويعزلون في مكة، وبعضهم يقتل، ويدعو ويقنت فينزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. هذا رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ كيف هذا يصدر أمرًا لملك الموت؟! كيف يجوز لملك الموت أن يطيع أمره؟! هل يجوز لملك الموت أن يطيع أمر هذا الولي، ويحصد خمسين نفسًا بدون ذنب؟! وجزاء سيئة بسيئة مثلها؛ إذا رجمك ارجمه، لو رجمك وطعنته تكون ظالمًا، كيف تقتله؟! يرميك بحصًىٰ يصيب أو يخطئ تقتله؟! وهل ملك الموت عنده هذه الجرأة ينفذ هذا الأمر الهمجي الفوضوي؟!

---

(١) سهيل بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، برقم (٤٠٧٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤/ ١١٠)، عن سالم بن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مرسلًا. انظر: تغليق التعليق لابن حجر (٤/ ١٠٩، ١١٠).

ووصله أحمد (٢/ ٩٣، برقم ٥٦٧٤)، والترمذي برقم (٣٠٠٤). قال الحافظ ابن حجر: «إسناده حسن». تغليق التعليق (٤/ ١١٠).

وأصله في البخاري برقم (٤٠٦٩) موصولًا، من رواية سالم عن أبيه، بلفظ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا».

فهذه هي الكرامات يا إخوتاه! وهذه تنتشر وتطبع وتنتشر، ويؤمن بها كثير من الناس، ويرونها يمكن مثل القرآن، يمكن يقدسها كثير من الناس أكثر من القرآن، ولا يفكر في مناقشتها، ويرىٰ نفسه لو فكر في مناقشتها وكذبها؛ لهلك، يمكن أن يكذب بعض الأحاديث النبوية، لكن هذه لا يجرؤ علىٰ تكذيبها مع الأسف الشديد!

يا إخوتاه! المسلمون يستحقون كل ما ينزل بهم إذا كانت هذه العقائد وهذه الأفكار تسود وتنتشر في بلدانهم، وهناك من يقرُّهم ويشجعهم علىٰ الإيمان بما فيها والاعتزاز بها، أليس الواجب أن نقلب الأمر رأسًا علىٰ عقب، ونهيب بالمسلمين أن يحترموا أنفسهم، وأن يحترموا هذا القرآن، وأن يتجهوا إليه جميعًا عن بكرة أبيهم ليعتصموا بحبل الله، ويحققوا هذا المطلب العظيم، الذي أمر الله به، ولا شيء يرضيه مثل هذا أبدًا، ولا يرضىٰ لها أن تتفرق وتسود فيها مثل هذه الخرافات والأساطير؟!

والله، لا يبالي الله في أي وادٍ هلكنا إذا نحن استمررنا علىٰ مثل هذه الحال، فالبدار البدار إلىٰ إنقاذ الأمة الإسلامية! علىٰ علماء الإسلام أن يرفعوا راية الكتاب والسنة، وأن يقولوا للمسلمين جميعًا: هلمُّوا إلىٰ منبع سعادتكم وعزَّتكم، إلىٰ المصدر الصحيح للعزة والكرامة، الذي عزّ به الصحابة، وعزَّت به القرون المفضلة، وفتحوا به الدنيا، ودانت لهم الرقاب بهذا القرآن واللهِ.

أذكر لكم قصة أخيرة – ونقف عند هذا الحدّ – في قصة: إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما فتحت القدس، حاصر القدس، قال القُسُس والرهبان والبطارقة والمسئولون عن

بيت المقدس، قالوا: هذه مفاتح بيت المقدس، لكن واللهِ لا نسلمها إلا للخليفة عمر. أبو عبيدة موجود، والقيادة موجودة، والجيش موجود، قالوا: هذه المفاتيح لا نسلمها إلا لخليفة المسلمين. عمر لما بلغه الأمر وجاءه كتاب من أبي عبيدة توجه إلىٰ الشام، لما قارب الشام استقبله أبو عبيدة فوجد معه غلامًا وبعيرًا وملابس رثَّة عادية، ما يتكلف عمر في اللباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولما وصل إلىٰ مخاضة نزل ووضع زمام البعير علىٰ عاتقه، وكذلك نعليه علىٰ عاتقه، وخاض المخاضة هذه، رآه أبو عبيدة بهذا المنظر، قال: والله ما أحبُّ أن يراك الأعداء علىٰ هذه الصورة. غضب عمر، قال: كيف تقول هذا يا أبا عبيدة؟! واللهِ لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، إن الله أعزَّنا بالإسلام، فإذا نحن طلبنا العزة من غيره؛ أذلنا الله، إذا نحن طلبنا العزة من غيره؛ أذلنا الله[1].

انظر، عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقرر أنه لما ينشد المسلمون العزة في غير الإسلام، في غير القرآن؛ تكون النتيجة - كما قال - أذلهم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فوالله عزَّتُنا ليست في كل ما نتصور من مبادئ ومن الطاقات ومن الأسلحة، المسلمون خاصة لا عزة لهم إلا أن يعتزوا بما أوحاه الله إلىٰ محمد عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فيعضوا عليه بالنواجذ؛ كما أوصاهم رسول الله، وكما أوصاهم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وأخيرًا أقف عند هذا الحد، وأسأل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يهيئ للمسلمين دعاة

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٥٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠ برقم ٢٠٧ و٢٠٨)، وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

مخلصين، وقادة مخلصين، يقودونهم إلىٰ الخير، وإلىٰ ما يسعدهم ويعزهم ويعلي شأنهم في الدنيا والآخرة.

نسأل الله أن يحقق ذلك، وأنصح كل من يحمل شيئًا من فهم الإسلام أن يسعىٰ ويتعاون مع إخوانه في الجد؛ لتحقيق هذا الأمر الكبير والعظيم الذي يجب أن يتحقق، والله سميع الدعاء، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المحاضرة الثانية(١)

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعدُ:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور

(١) هذه المحاضرة أُلقيت إبان أزمة الخليج على يدي صدام وحزب البعث العراقي.

محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة.

وأما بعد: أيُّها الإخوة! فإنها لفرصة طيِّبة مباركة أن نلتقي بأبنائنا وإخواننا في بيت من بيوت الله نتذكَّر الأشياء التي تهمُّنا في ديننا، وعلىٰ رأسها الاعتصام بكتاب الله وبسنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وأنا شخصيًّا عندي قناعة أكيدة أنه لا بدّ للدعاة أن يركِّزوا علىٰ هذا الموضوع الأساسي الخطير، وهو دعوة الناس ودعوة كثير من الدّعاة إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة.

ولعلنا نأخذ درسًا من هذه الأحداث التي تكشّفت لنا عن تفريط الأمّة في هذا الأصل العظيم - تصحيح العقائد، وتصحيح المنهج، المتمثلان في الاعتصام بالكتاب والسنة -، مهما بذل الدعاة من جهود، ومهما كدّوا أنفسهم في توجيه الناس علىٰ غير هذا الأساس، وفي تربية المجتمعات الإسلامية علىٰ غير هذا الأصل الأصيل؛ فإنّ كلَّ ما يقولونه وما يقدمونه للأمة يتبخّر ويذهب هباءً في مثل هذه الأحداث، هذه الأحداث كشفت لنا عن خطورة الانحراف عن العقيدة الصحيحة - عقيدة التوحيد -، وخطورة التّهاون في البدع والتفريط في تربية الناس علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

لعلكم تسمعون أصواتًا في مشارق الأرض ومغاربها تؤيد الباطل، وتنصر الكفر، وتسمي الكفر إسلامًا، وتسمي الطغاة مصلحين ومجاهدين، عن ماذا هذا نشأ؟ ما سرُّ هذا العماء والبلاء؟ أعداء الإسلام من عبَّاد البقر والخنازير

ومن النصارىٰ واليهود والشيوعيين يدركون أن ما جرىٰ في الكويت ظلم وعدوان، وأدانوا هذا الظلم والعدوان، وكثير من المتسمّين بالإسلام ومن الدعاة الذين يسمُّون أنفسهم دعاةً إسلاميين؛ يؤيدون هذا الباطل، ويسمُّون جهاد الكفر والطغيان جهادًا إسلاميًّا، ويسمون الجهاد الإسلامي المنتصر بما أباح الإسلام له؛ يسمونه كفرًا، ما سرّ هذا؟

سرُّه - والله - الفساد العقائدي الذي نشأ عن إهمال الدّعاة لتصحيح عقائد المسلمين، استهانوا بهذا الفساد العقائدي، فوصلوا بالأمة الإسلامية وبشَعب الإسلام إلىٰ هذا المنحدر الخطير المُسِف المغرق في الضلال، يهتفون لصدام البعثي الكافر الطاغية، يهتفون له ويؤيدونه، وألبسوه ثوب الإسلام.

والله ما أضرَّ بالإسلام أكثر من حزب البعث، واللهِ لا اليهود ولا النصارىٰ ولا الشيوعيون ولا الهندوك، ما أثخنوا في الإسلام مثل ما أثخن حزب البعث، ومع هذا يؤيدونه ويتباكون عليه، ويتناسون ظلمه وعدوانه وتشريده لشعب الكويت ومئات الآلاف من الشعوب الإسلامية وغيرها، ينسون كلَّ هذا، ما الذي أرداهم في هذه الهاوية الخطيرة إلا - واللهِ - الفساد العقائدي.

لو كانت عقائدهم صحيحة، لو كانت مناهجهم صحيحة؛ ما تولّوا أعداء الله، ولكن هذا هو البلاء، هذا لعله يدفع شبابنا في هذا البلد الطيب المبارك؛ الذي قامت فيه دعوة أعادت الناس إلىٰ حظيرة الإسلام، إلىٰ حظيرة التوحيد، إلىٰ حظيرة الحق، إلىٰ التمسك بالكتاب والسنة، إلىٰ الهتاف بالكتاب

والسنة، والاعتصام بالكتاب والسنة.

لعل شبابنا يدرك أهمية هذا الأمر؛ صحة العقيدة، والولاء والبراء عليها، صحة المنهج والولاء والبراء عليه، لا بدَّ من هذا، وإلا - والعياذ بالله - سنقود الأمة من منحدر إلىٰ منحدر، ومن هاوية إلىٰ هاوية، ومن كارثة إلىٰ كارثة.

يا إخوان! الآن ندرك أن علىٰ علماء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها أن يلتفُّوا حول كتاب الله وسنة رسول الله، وأن يعيدوا النظر في المناهج الفاسدة التي يربُّون عليها الأمة الإسلامية، فتُخرج هذا الغثاء، - هؤلاء واللهِ غثاء -؛ الذين يتصايحون لأحزاب البعث ولصدام.

أين هم حين سحق صدام شعب العراق ودمَّرهم وشرَّدهم؟ ثلاثة ملايين مسلم يشرَّدون من العراق من جحيم صدام، سحق الشعب الكردي وضربه بالكيماويات والغازات السامة، فما ارتفع صوت ولا قامت مظاهرات.

والآن أتظنون أن هذه المظاهرات وهذا الصياح من أجل شعب العراق؟! واللهِ من أجل حزب البعث ومن أجل صدام، لا من أجل الشعب العراقي، يكذبون ويغالطون ويربُّون الناس وشباب الأمة علىٰ المغالطات؛ دغدغة عواطف وكلام فارغ، ولكن لعل من عنده مقدار ذرة من العقل يدرك خطورة مناهج هؤلاء، وخطورة المناهج التي يربون عليها شباب الأمة.

الشباب النصراني واليهودي والشيوعي؛ يدرك أن شعب الكويت شعب مظلوم يجب نصره، وهؤلاء ما يدركون، ولا يفرِّقون بين الحق والباطل،

وأعطوا للإسلام صورة مشوَّهة قبيحة؛ لأنَّ هؤلاء يهتفون باسم الإسلام، يعني: الإسلام علىٰ منهجهم يؤيد نقض العهود، ويؤيد الغدر، ويؤيد انتهاك الأعراض وسفك الدماء وتشريد الشعوب، أيَّدوا كل هذا الباطل؛ معنىٰ تأييدهم لصدام والثبات عليه؛ معناه أنهم يؤيدون الظالم المعتدي السفَّاك النكَّاث للعهود، مع الأسف الشديد!

يجب أن يستيقظ الشباب المسلم في كل مكان إلىٰ أين يقاد، إلىٰ أيِّ هاوية ينحدر به هؤلاء؛ فيا شباب الإسلام! علينا أن نعود إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونحاكم كل قضايانا العقائدية والأصولية وفي الفروع وفي السياسة، وفي كل مجالٍ من المجالات؛ إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

علىٰ علماء الإسلام أن يعيدوا النظر في هذه المناهج، علىٰ الدعاة الغوغائيين أن يتوبوا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من هذه الطرق الملتوية التي يسيرون فيها بشباب الأمة الإسلامية، ويجعلون منهم ضحكة لأعداء الإسلام.

أهذا هو الإسلام؟! أهؤلاء هم المسلمون الذين يؤيدون الظلم علىٰ المظلومين؟ ويتباكون علىٰ الظالمين الملاحدة الزنادقة، ما هذا الإسلام، هذا دين لا نريده؟

المستشرقون كانوا يكذبون ويفترون علىٰ الإسلام، الآن يقولون لأتباعهم: أنتم كنتم لا تصدقوننا فيما نقول في الإسلام والمسلمين، انظروا أمامكم، ليس صدامًا وحده، بل دعاة ومنظمات إسلامية تعتبر جهاد صدام جهادًا إسلاميًّا لإعلاء كلمة الله! عرفتم؟ الأمر كذلك يا أخوتاه؟ أجهاد صدام جهاد إسلامي

لإعلاء كلمة الله؟

نحن نتفاعل مع الأحداث - بارك الله فيكم - ولا بدَّ أن نقول كلمة الإسلام في هذا؛ لأن الإسلام دين ودولة فعلًا، الناس يقولونه كلامًا، ونحن نقوله عملًا، نقول قولًا ونعمل، أهذا الذي عليه صدام أفاعيله وإجرامه الخبيث يعتبر جهادًا إسلاميًّا؟! ومن يقول هذا؟! والله، قادة ودعاة كبار ولهم - ما شاء الله - سمعة هائلة علىٰ مستوىٰ العالم؛ يقولون هذا الكلام، هذا الزور، وهذا البهتان، وهذا الإفك الذي يعتبر إساءة لا تغتفر بحق الإسلام، ذنب وإجرام في حق الإسلام لا يغتفر، من الذين يقفون هذه المواقف، لو كان عندهم غيرة علىٰ الإسلام لتباكوا علىٰ شعب الأكراد الذي لم يجد له نصيرًا، لماذا؟ شعب أعزل مسكين لا حول له ولا طول، قامت الطائرات والدبابات والغازات والكيماويات سحقت هذا الشعب، ما سمعتَ صوتًا إسلاميًّا يرتفع تباكيًا علىٰ هؤلاء المظلومين المنكوبين.

وأبناء الكويت ذبحوا وشرِّدوا وسجنوا وأبيدوا، وانتهكت أعراضهم؛ ما وجدنا مظاهرات من أجل شعب الكويت.

الآن يتظاهرون باسم شعب العراق، شعب العراق من هم؟ المسلمون خرجوا منه، بقي الروافض فيه، ستُّون في المائة روافض، والله أعلم كم عدد الشيوعيين والبعثيين، لقد صار أهل السنة حقًّا في غاية القلة والله.

العراق ماذا فعل؟ ماذا قدّموا للإسلام؟ ما قدم إلا الغازات السامة والكيماويات والمؤامرات والاغتيالات والسلب والنهب، والآن يتباكون علىٰ الشعب العراقي،

هذا كذب، هذه مغالطة من مئات المغالطات التي يغالطون بها شباب هذه الأمة الساذج فينقاد لهم، وقلَّ من ينبهه ومن يوجِّهه إلىٰ مكايد هؤلاء، وإلىٰ تغريرهم بالشباب، شباب هذا البلد قام علىٰ المنهج الصحيح يأتون إليه ليفسدوا عقائده، قام علىٰ العقيدة الصحيحة، علىٰ منهج سليم يأتون يخرِّبون عقله، أول ما يغتالون عقله، يتركونه ما عنده عقل؛ إمَّعة.

هنا يقولون مثلًا عند العوام يقول: الذئب حينما يريد أن يصطاد الشاة يبول في أذنها فتركض وراءه. هؤلاء هكذا يتركون الشباب ما عندهم عقول أبدًا، ولا يميزون بين الحق والباطل، ولا بين السنة والبدعة، العقيدة الصحيحة خرَّبوها، دمَّروها، دمَّروا عقله، أصبح يفضل البدع علىٰ السنن، الشرك علىٰ التوحيد، المشركين علىٰ الموحدين؛ وهكذا يكون ولاؤه وبراؤه لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولاؤه لأهل الباطل ولأهل البدع، بدلًا أن تكون غيرته علىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وبغضه وعداؤه للباطل وللشرك والكفر؛ يكون ولاؤه - بارك الله فيك - لهذا الباطل.

هذه مقدِّمة دخلنا فيها من حيث لا ندري؛ لأن الأحداث دفعتنا إلىٰ مثل هذا الكلام مع الأسف الشديد!

ولا ينبغي لعاقل ناصح يتتبع هذه الأحداث ويعرف سيرها ثم يسكت، ويلملم الأمور، لا بد من كشف الحقائق.

لعلكم سمعتم في الإذاعات، سمعتم مؤتمرًا إسلاميًّا لعشرين جمعية إسلامية في إسلام آباد، تقول: إن جهاد صدام جهاد بين الإسلام والكفر، وإن القوات

هذه تجمعت للقضاء علىٰ الصحوة الإسلامية.

يا للكذب! ويا للإفك! ويا للزور! يكذبون علىٰ العالم كله بشيء يعرف الناس حقيقته أنَّه كذب في كذب، الصحوة الإسلامية في الكويت، والله سخَّر المسلمين والكافرين لإعادة الصحوة الإسلامية إلىٰ الكويت، يضربون الآن الحرس الجمهوري البعثي الكافر، ما يضربون الصحوة الإسلامية، القول بأنهم يستهدفون الصحوة الإسلامية أكذب الكذب وأفرىٰ الفرىٰ، ولا يصدِّق هذا الكلام إلا إنسان لا خير فيه ولا أمل فيه، لا يصدِّق هذا الكلام إلا الغثاء، الآن باللهِ وأنتم تُتابعون الأحداث سمعتم أنهم تعمدوا قتل مسلم، يلاحقون الصحوة الإسلامية، الآن هم؟! هذا هو الكذب واللهِ، هذا الكذب الذي يجب أن يستحي منه هؤلاء؛ جاءوا لنصرة شعب مظلوم، الله سخَّرهم.

الله أباح للمسلمين أن يستعينوا بالمشركين، والقرآن والسنة وأقوال الفقهاء كلها تؤيد ما قاله علماء هذا البلد، الله سخَّر الكفار المشركين لنصرة هؤلاء المساكين؛ «إِنَّ اللهَ لَيَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[(١)]، الشعب الكويتي فيه فسق؛ وعندهم فجور، وعندهم أشياء كثيرة، ولكن فيهم عناصر خيِّرة كثيرة.

فلعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جلب هذه القوىٰ رحمةً لهؤلاء وإكرامًا لهم، وجاءوا

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، حديث رقم (٣٠٦٢).

مسلم: كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه... حديث رقم (١١١). كلاهما من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ليزيحوا هذا الكابوس الخبيث الذي عجزت الأمة الإسلامية عن إزاحته، كابوس حزب البعث الذي حارب الإسلام حربًا لا هوادة فيها، عجز المسلمون - ما يستطيعون -؛ فهيَّأ الله الكفار لإبعاد هذا الكابوس.

ونسأل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن لا يبقي منهم أحدًا، اللَّهمَّ اقتلهم بددًا، ولا تبقِ منهم أحدًا. إذا ذهب الحزب الخبيث نرجو الله أن يعود للإسلام هيبته ومكانته، ويعيد إلىٰ المسلمين أمنهم واطمئنانهم وراحتهم حتىٰ يتنفسوا الصعداء، ويعبدوا الله في حرية كاملة، نسأل الله أن يرينا ذلك.

ندعو الله - ما نطلب من أحد -، نطلب من الله ونسعىٰ جادِّين لتحقيق هذا الخير، والإسلام سينتصر في المستقبل علىٰ الأديان كلها، وسيظهره الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ كل هذه الأديان، ولعل هذا من هذه البوادر إن شاء الله، ويأتي الله بالخير من حيث لا ندري، وكان ينصر الإسلام كفارٌ يهيئهم الله لحمايته ونصرته حتىٰ أظهر الله الدين في السابق[1].

ونسأل الله أن يكون هيَّأ للإسلام من يزيح هذه الكوابيس عن نحور وصدور المسلمين؛ فيعود للإسلام قوته ومجده إن شاء الله.

---

(١) كما في نصرة أبي طالب للنبيِّ ﷺ وحمايته من أذىٰ قريش، فقد روىٰ مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبيِّ ﷺ لأبي طالب، برقم (٢٠٩)، من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ، فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَىٰ ضَحْضَاحٍ».

نحن لا نقول: الدولة الفلانية والأمة الفلانية جاءت بهذا الخير. نحن نعتقد الخير من الله، والله أخذ بنواصي هؤلاء المرغوم منهم والراغب لنصرة المظلومين، وإعادة الحق إلىٰ نصابه، ونأسف أشد الأسف علىٰ تلك المواقف المخزية التي يقفها هذا الغثاء في مشارق الأرض ومغاربها، ولو كان باسم أحزاب، ولو كان باسم مبادئ، ولو كان باسم مذاهب لا تمت للإسلام بصلة، ما ضرَّنا ذلك.

ولكن مع الأسف هذا القول الزور، وهذا البهتان كله؛ يرتكب باسم الإسلام، مع الأسف الشديد، أمس يأتون باشتراكية ماركس ولينين ويقولون: اشتراكية إسلامية! يأتي بكافر حزبي ملحد مجرم ويضفي عليه ثوب الإسلام، يأتي بأي باطل من الأباطيل ويحط عليه اسم الإسلام!

خُدع وحيل وضحك علىٰ الناس، ومع الأسف المسلمون - حتىٰ من أهل الحق - يسكتون عن هذا الزور، وعن هذا العدوان علىٰ الإسلام، وعن هذا التحريش، وعن هذا التزييف، الذي - والله - يعتبر أخطر علىٰ الإسلام من أعمال اليهود والنصارىٰ؛ لأن النصراني نصراني واضح، اليهودي يهودي واضح، الشيوعي شيوعي واضح.

لكن هذا الذي يقول: أنا مسلم، أنا في قمة الإسلام. ويزيِّف حقائق الإسلام هذا التزييف، وإذا تكلمت - مع الأسف الشديد - بكلمة الحق تحذيرًا ونصحًا؛ تجد من يغضب لهذا الباطل، لهذا الباطل يغضب ويثور، واللهِ ما يهمهم الإسلام، هؤلاء لا يغارون علىٰ الإسلام، لو غاروا علىٰ الإسلام لغيّروا مواقفهم.

يا شباب الإسلام! الاعتصام بكتاب الله، ووالله الواجب الأول علىٰ شعب هذا البلد؛ لماذا؟ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فتح بصيرتهم، مدارس أمامه تقرأ فيها نصوص الكتاب والسنة وتفسّر تفسيرًا سلفيًّا علىٰ غرار منهج السلف الصالح، تطرح العقائد أمامه غضة طرية كأنما تتلقىٰ من في الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، تطرح في هذا البلد حقائق الإسلام دون لبس لا غبار عليها، حقائق ناصعة غضة طرية كأنما نتلقاها من في الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فلا عذر لشاب مسلم يعيش في مثل هذه البيئة، ويعيش في مثل هذا الجوِّ، ثم يركض وراء المغالطين ووراء المغالطات، لا عذر لهؤلاء أبدًا، عليهم أن يثوبوا إلىٰ رشدهم، ويعودوا إلىٰ هذا المنهج الصالح الطيب المبارك الذي هو الاعتصام بالكتاب والسنة، يعودوا إليه ويتشبعوا به، ويحملوا راية الإسلام الحق، ودعوة الإسلام الحق من كتاب الله ومن سنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ اللذَيْن منَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهما عليهم بدون عناء، بدون عناء تقدم لك الكتب مجانًا، فتقرأ منها الحق وتعرف منها الحق، فما عذرك يا أخي، إذا صرت نصيرًا للباطل، نصيرًا للبدع ومدافعًا عن المبتدعين ومدافعًا عن أهل الباطل؟

ما عذرك يا أخي؟! كتاب الله واضح لا غبار عليه في مثل هذه البيئة، سنة رسول الله تدرّس في مختلف المراحل، وفي متناول كل يد - ولله الحمد -، لعلك تذهب إلىٰ بلدان أخرىٰ ما تجد كتابًا من هذه الكتب يقدم لك الإسلام علىٰ حقيقته البيضاء الناصعة، لا تجد مدرسة تتعلم منها الإسلام الكامل، ولكن

- الحمد لله - خذ هذا الحق في الشارع، في المسجد، في المدرسة، في كل مكان، علىٰ الثمام كما يقال، هذه الحقائق علىٰ رؤوس الثمام[١] في هذا البلد، فهذه نعمة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الذي يأتي إلىٰ شباب هذا البلد إلىٰ هذا البلد ليغيِّر عقائده ومناهجه؛ والله بدَّل نعمة الله كفرًا، وأحلَّها دار البوار.

فاعرفوا هذه النعمة العظيمة، واقدروا لها قدرها، واشكروا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ هذه النعمة.

الدنيا يا إخوتاه، بترولها وذهبها؛ لا قيمة لها عند الله إذا لم يكن عندنا عقيدة صحيحة، ومنهج صحيح، لا قيمة لها أبدًا، القيمة الحقيقية هي - والله - لهذا المنهج، لهذه النعمة التي يتغافل عنها كثير من الناس، والتي يجهلها كثير من الناس، إنّها لمن أكبر النعم.

هذه أمريكا التي عندها الأساطيل الجوية والبحرية والقوات - والله - لا قيمة لها عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ووالله النعمة العظمىٰ عندنا نحن؛ نعمة الإيمان، نعمة التوحيد، نعمة المنهج الصحيح الواضح القائم علىٰ كتاب الله وعلىٰ منهج السلف الصالح.

---

(١) الثُّمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخُوص، وربما حُشِي به وسُدَّ به خَصاص البيوت، والعرب تقول للشيء الذي لا يَعسُر تَناوُله: هو علىٰ طَرَف الثُّمام. وذلك أَن الثُّمامَ لا يَطول فيَشُقّ تناوُله. انظر: لسان العرب (١٢/ ٧٩).

من هنا - يا إخوان - نجد نصوصًا كثيرة تحثنا علىٰ الاعتصام بكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تحثنا علىٰ اتّباع الصراط المستقيم، في كل صلاة نصلِّي نقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. كتاب الله وسنة الرسول اللذان أُمرنا بالاعتصام بهما في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. لا يتخلّف أحد عن هذه الأمة إلا وَيَعضُّ علىٰ هذا الكتاب وهذه السنة بالنواجذ، مكلفون تكليفًا لا مثنوية فيه، لا استثناء لأحد أبدًا، أمر صارم موجَّه إلىٰ الأمة كلِّها أن يعتصموا بحبل الله جميعًا، العقائد أن نأخذها من كتاب الله، العبادات نأخذها من كتاب الله ومن سنة رسول الله، الأخلاق نأخذها من كتاب الله ومن سنة رسول الله، الجهاد من كتاب الله ومن سنة رسول الله، السياسة من كتاب الله ومن سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كل ما نمارسه في هذه الحياة من عقائد وأعمال وعبادات وسياسات وأخلاق؛ يجب أن نستمدّها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن سنة الرسول ﷺ؛ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، دين كامل لا نقص فيه، النقص فينا نحن، والتقصير فينا نحن، الذين يذهبون إلىٰ انتحال واختلاق كثير من البدع ما الدافع إلىٰ هذا؟ الدافع إلىٰ هذا جهلُهم وعدمُ فهمهم لكتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنك إذا شئت أن تعبد؛ واللهِ في العبادات ما يُشبع، إن شئت أن تذكر الله؛ في العبادات وفي الأذكار التي خلَّفها رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما يَشفي وما يُشبع، ونعجز عن حفظه واللهِ ما نستطيع، فلعجزِ

أو نقص أنت تأتي بعبادات أو تأتي بأذكار أو تأتي بسياسات أو تأتي بأخلاق، تأتي بمنهج، أَلِنَقْصٍ في كتاب الله وفي سنة رسول الله، أم أن هذا يرجع إلىٰ جهلنا وتقصيرنا وتفريطنا وإهمالنا[1]؟!

الله فرض علينا أن نعتصم بكتاب الله؛ لأن سعادة الدنيا والآخرة متوقفة علىٰ الأخذ بالكتاب والسنة؛ علىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة، نهانا عن التفرق؛ لأن فيه الدمار وفيه الهلاك وفيه الضياع، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، بالله لو أخذنا بهاتين الجملتين بجدٍّ ألا نسعد في الدنيا؟!

علينا أن نجتنب كل أسباب التفرق، لا مذهبية، ولا حزبية، ولا عقائد نختلف فيها، لا سياسات نختلف فيها، نحاول جهد الإمكان أن نوحّد مشربنا ونوحِّد منهجنا، ونوحِّد المنبع الذي نستقي منه، لو طبَّقنا فقط هاتين الجملتين، الثرثرة والكلام الكثير كثيرة جدًّا، لكن عمليًّا لو هبَّت الأمة الإسلامية عن بكرة أبيها قالوا: لبيك اللَّهم لبيك، سمعنا وأطعنا، اتجهنا إلىٰ كتابك يا رب وإلىٰ سنة نبيك، لنستلهم ما فيهما من مبادئ وأصول وعقائد وعبادات ولا نخرج عنها، ونبحث عن أسباب التفرق فنقضي عليها؛ لأنك نهيتنا عنها؛ يكفينا هذا.

كان الأعرابي يأتي يسأل رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيقول له كلمتين،

---

(١) قال أبو الوفاء ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما صعبت التكاليف علىٰ الجهال والطغام؛ عدلوا عن أوضاع الشرع إلىٰ تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم». إغاثة اللَّهفان لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١٩٥ - الفقي).

فيلوي زمام ناقته ويتجه إلىٰ باديته ويقول: كفاني. يسمع سورة الزلزلة يقول: يكفيني[(١)]. قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللّٰهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[(٢)]. يقول: كفاني. لماذا؟ لأنَّ عنده فقهًا؛ عقيدة صحيحة، فقهًا صحيحًا، كتاب الله بين يديه، لغته تساعده علىٰ فهم كتاب الله وسنة الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لكن هذا الآن لا يوجد عند الكثير عندنا، مدارس كبيرة تأخذ مختلف المراحل من الابتدائي إلىٰ دراسات عليا؛ ما تجد عندها هذه الفوائد والضوابط

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦٩)، وأبو داود في سننه: شهر رمضان، باب تحزيب القرآن، برقم (١٣٩٩)، والنسائي في سننه الكبرىٰ، برقم (٨٠٢٧ و١٠٥٥٢)، من رواية عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وروىٰ ابن المبارك في الزهد (٨٠)، وأحمد في مسنده (٥/ ٥٩ برقم ٢٠٦١٢ و٢٠٦١٣ و٢٠٦١٤)، وابن أبي شيبة (٥٨٩٩ - إتحاف الخيرة المهرة)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٣٧٩، ١١٩٧)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٦٩٤)، والطبراني في الكبير (٨/ ٧٦، برقم ٧٤١١)، والحاكم (٣/ ٧١١، برقم ٦٥٧١)؛ عن صعصعة بن معاوية - عم الفرزدق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه أتىٰ النبيَّ ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. قال: حسبي، لا أبالي ألا أسمع غيرها.

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٩٧): «رواه أحمد والطبراني مرسلًا ومتصلًا، ورجال الجميع رجال الصحيح». وقال البوصيري في إسناد ابن أبي شيبة في «إتحاف الخيرة المهرة» (٥٨٩٩): «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ».

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤١٣، برقم ١٥٤٥٤). ومسلم: كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، حديث رقم (٣٨)، من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السليمة لتلقِّي الحق ولدفع الباطل، دفع الباطل أن نبحث عن أسباب الشر وأسباب الفتن وأسباب الفرقة فنطهّر الساحات الإسلامية وأذهان المسلمين منها، هل هناك نفوس مهيَّأة ومستعدة للاستجابة فقط لمثل هذا النص: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾؟

إذا رجعت إلىٰ القرآن وإلىٰ السنة؛ تجد أن آيات كثيرة تبين لك أن هذا واجبك، وأن سعادتك مرهونة بهذا، وأن شقاءك يكمن في مخالفة كتاب الله، والتفرُّق لا ينشأ إلا عن مخالفة كتاب الله؛ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦] رأيتم هذا؟! يعني: ضمان من الضلال؛ اتباع هدىٰ الله هو الاعتصام بكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ لا يضل في عقيدته، لا يضل في فكره، لا يضل في عبادته، لا يضل في سياسته، لا يضل في شأن من الشئون، ضمان شامل كامل من الوقوع في الضلال، ضمان بالهداية الشاملة، والسعادة الشاملة، ضمان من الوقوع في المشقة، في الهلاك، في الضياع، في الضلال، ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣)﴾، هذا كلام الله يا إخوتاه، يجب أن نقف عند مثل هذه الآيات؛ نتفقه فيها ونتدبرها كما أمرنا الله بتدبر القرآن، ثم يتلو ذلك تطبيق واستفادة؛ تفاعل مع هذه النصوص.

يا إخوتاه الكلام كثير جدًّا؛ لكن المطلوب منّا الآن العمل، كثير من الناس يقول لك: نجمع المسلمين. يقول لك: ندعو إلىٰ الكتاب والسنة. لكن نجمع

المسلمين الآن، وبعد ذلك نجمعهم علىٰ الكتاب والسنَّة.

قامت دولة من الدول - يعني - علىٰ كواهل أو علىٰ هذه القواعد خمسين سنة تدعو إلىٰ الحاكمية، إلىٰ الحكم بالكتاب والسنة، وتعتبر الحكام طواغيت ومجرمين وكفرة وإلىٰ آخره، فلما قامت الدولة أين تطبيق الحاكمية؟ ما فيه، كيف العلاقات؟ يوم مع صدام، يوم مع ذاك، ويوم مع ذاك؛ يعني: أصبحوا عبيدًا وأذنابًا للطواغيت، أصبحوا أنصارًا ومؤيدين للطواغيت، أين حربكم للطواغيت وتربيتكم خمسين سنة لمحاربة الطواغيت، وتكفير الطواغيت، وتخليص الأمم من الطواغيت؟! أين أنتم؟! تركوا العقائد، تركوا المناهج الصحيحة، تركوا الدعوة الإسلامية الصحيحة، كانوا يقولون: إذا قامت الدولة نهدم القبور، وندعو إلىٰ التوحيد، ونطبق شريعة الله.

والله ما هدموا قبورًا، ولا حتىٰ أن يدور بخلدهم، ولا حتىٰ في النوم ما يحلمون بهذا، حتىٰ الأحلام يمكن ما تأتيهم لتهديم القبور، وإقامة دعوة التوحيد، وتخليص الأمة من الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذا كانت الفكرة الأساسية التي ربُّوا عليها، وعاشوا عليها خمسين سنة يطبلون، - يعني - ابتعدوا عنها جدًّا ونسوها، كيف يتذكرون العقيدة التي يحاربونها في أثناء سيرهم، وفي أثناء السلم الذي يصعدونه إلىٰ هذه الدولة؟!

يا إخوتاه، نعود إلىٰ ما بدأناه؛ بأنه لا بدَّ من تصحيح تربية المسلمين، تصحيح العقيدة، الدعوة إلىٰ منهج الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ -، الذي ما أرسل الله

رسولًا إلا وكلَّفه بهذا المنهج؛ ما من رسول يرسله إلا لتصحيح العقيدة، إلا بالدعوة إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومحاربة الطواغيت علىٰ مختلف أشكالها وأصنافها.

الآن الناس يتصوّرون الطواغيت الحكام فقط، والله في الحكام طواغيت موجودون، لكن واللهِ يتسنَّم الدعوات طواغيت، الأحبار والرهبان طواغيت وأرباب، الذي ينقاد إلىٰ أرباب البدع والضلال؛ هذا والله ينبوع الطواغيت، عرفتم؟ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، أحبار مساكين، ما عندهم سلطة، وما يحكمون الناس، قد يكون في صومعة في صحراء من الصحاري، أو في رأس جبل لا علاقة له بالمجتمع، وليس له حكم ولا شيء؛ لكن يأتي الناس فيقول لهم: هذا حلال وهذا حرام. فيكون هذا ربًّا.

الآن جاء شخص يربِّيك علىٰ محاربة المنهج السلفي، علىٰ محاربة العقائد، علىٰ الخرافات والبدع؛ هذا طاغوت، الطاغوت ليس محصورًا في مثل صدام، لا، فيه ناس ممكن أضر علىٰ الإسلام من صدام، هؤلاء الطغاة الذين يؤيدون صدامًا هم طواغيت، يقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ غَيْرُ الدَّجَالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَالِ**»[1]. ويقول في الحديث الآخر: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ**

---

(١) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، وما معه، حديث رقم (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»[١]. وإذا رجعت إلىٰ القرآن تجده يحارب طواغيت هذا الصنف أكثر من طواغيت السياسة؛ الطواغيت الذين يحرّفون الدين، ويفسدون عقائد الناس، حاربهم الإسلام والقرآن بما لا نسبة بينه وبين الطغاة السياسيين.

مرَّة قلت: كم آية نزلت في اليهود؟ كم آية نزلت في النصارىٰ؟ كثيرة جدًّا؛ تطعن وتكفر وتسفه وتفعل و...و... إلىٰ آخره، لماذا؟ لأنهم حرَّفوا دين الله، حرَّفوا التوراة والإنجيل، زيَّفوا دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. كم آية نزلت في كسرىٰ وقيصر والنجاشي والمقوقس وملوك ذلك الوقت؟ ما فيه - هم علىٰ وجه الأرض يحكمون بالكفر - لماذا؟ لأن هؤلاء يعرف الناس أنهم طواغيت، ويعرفون أنَّهم فاسقون ظلمة، لكن هؤلاء يلبسون ثياب الإسلام، ثياب الدين، ويقدمون البدعة علىٰ أنها من التوراة ومن الإنجيل، جاءت من عند الله، يقدِّمون الشرك والكفر علىٰ أنه من عند الله.

هكذا الآن البدع، الضلالات، الشركيات، الأفكار الكافرة، الأفكار الضالة؛ يضعون عليها اسم الإسلام، قدموها باسم الإسلام، هؤلاء أخطر يا إخوتاه علىٰ الإسلام، الآن هؤلاء مقدَّسون عند كثير من الشباب رغم التحريف والتزييف لعقائد الإسلام ولدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، حديث رقم (٤٢٥٢).

سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء عن الأئمة المضلين، حديث رقم (٢٢٢٩). كلاهما من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأنا أدعوكم إلىٰ الاعتصام بكتاب الله، ادرسوا علىٰ علماء السلف، اذهبوا إلىٰ الشيخ ابن باز وتعلموا منه حقائق الإسلام، إلىٰ المشايخ في المدينة، إلىٰ المشايخ في الرياض، إلىٰ المشايخ في هذا البلد الذين يغارون علىٰ المنهج السلفي، ويثبِّتون الناس ويمسِّكون الناس بهذه النعمة العظيمة.

أنا قلت للشباب: يا جماعة! بعض الشباب جاءني من الخَرْج قبل سنتين تقريبًا زعلانين من العلماء. قلت: يا جماعة - بارك الله فيكم - واللهِ صفحة هؤلاء العلماء بيضاء - ولله الحمد -، أنا ما أعرف أنهم حرَّموا حلالًا، ولا أحلوا حرامًا، ولا أحقُّوا باطلًا، ولا أبطلوا حقًّا؛ نعرف دائمًا الحرام حرامًا يقولونه في الإذاعة، تسأل عن الرِّبا يقول لك: حرام. في الإذاعة، عندي وظيفة في البنك يقول: والله حرام. التصوير يقول لك: والله حرام. الدخان يقول لك: والله حرام. المنكرات يقول لك: والله حرام وباطل. ما أحلُّوا لك حرامًا ولا حرَّموا حلالًا، صفحة بيضاء ناصعة، لا يجاملون ولا يداهنون - ولله الحمد -، وعلىٰ رأسهم الشيخ ابن باز - ولله الحمد -، فتاواهم تصدر مدوَّنة ومدلَّلة والأدلة عليها، حتىٰ هذه الفتوىٰ التي استغلها كثير من أهل الأهواء للطعن فيهم؛ كتابُ الله يؤيدها، سنة رسول الله تؤيِّدها، الفقه الإسلامي يؤيدها، العلماء الخرافي والسلفي يؤيِّدهم، ما ذنبهم إذن؟!

لو كانوا خالفوا كتاب الله، أو سنة رسول الله، أو خرجوا علىٰ منهج الإسلام، أو منهج الفقهاء؛ واللهِ كنَّا نتهمهم جميعًا ونَدينهم؛ لكن وجدناهم علىٰ

الحق، وجدنا الكتاب معهم، السنة معهم، القرآن يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وأصول أهل السنة تقول: تكليف ما لا يطاق لا يجوز في الإسلام أبدًا، وأدلته من القرآن والسنة.

فهل كان عليهم أن يقولوا: لا يجوز الاستعانة. حتىٰ يأتي صدام فيبيد الإسلام؛ فيهدم المساجد، ويذبح العلماء، وينتهك الأعراض، وينهب الأموال...؟! هل لهم حق أن يقولوا: حرام. يقولون: ما يجوز الاستعانة بأعداء الإسلام. ووجدوا أن الرسول ﷺ استعان - بارك الله فيكم - وجدوا القرآن يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والله يقول: «فعلت، فعلت، فعلت»(١)؟!

يا شباب! اعرفوا قيمة الاعتصام بالكتاب والسنة، وخذوا علم الكتاب والسنة من أهله الأمناء المخلصين، الذين يقدّمون لك الحقيقة الإسلامية في منتهىٰ الورع، وبغاية الصدق، وبغاية الإخلاص.

هذا الذي عرفناه من هؤلاء العلماء، خذوا العلم منهم، كان سلفنا يشدون الرِّحال من مشارق الأرض إلىٰ مغاربها، ومن شمال الدولة الإسلامية إلىٰ جنوبها، وهي تشمل في ذلك الوقت أكثر المعمورة من الدنيا، يتحرك العالم من الشرق إلىٰ

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يكلف إلا ما يطاق، حديث رقم (١٢٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الغرب، إلىٰ الشمال إلىٰ الجنوب، قد يكون يحرِّكه حديث واحد، وقد يبقىٰ سنة كاملة عند عالم يتعلم منه الأخلاق.

يحيىٰ بن يحيىٰ التميمي شيخ الإمام مسلم الذي روىٰ عنه كثيرًا من الأحاديث من تلاميذ مالك، قرأ عليه «الموطأ»، وقرأ عليه الحديث، وبقي سنة بعدما أخذ منه الأحاديث، كان مالك يقول له: سافر سافر. يقول: والله أريد أن أتعلَّم من أخلاقك(١).

- واللهِ - الشيخ ابن باز مدرسة أخلاقية لا تجد لها نظيرًا، أنا أشهد أن هذا الرجل متعدد الجوانب، قد تجد في السلف من يفوقه في العبادة وفي الزهد، وهو - إن شاء الله - العابد الزاهد، قد تجد كثيرًا يفوقونه، لكنه شخصية متعددة الجوانب، يأتي الضعيف المسكين الحبشي أو من أي بلد يأتي عند الشيخ ابن باز يجالسه، فيقوده كما يريد، يعني يجده دونه، ويأتي الملك فيرىٰ نفسه تلميذًا لهذا الرجل، عظيمٌ هذا الرجل!

مع الأسف الشديد ما استفدنا منه، كثير من شبابنا، وكثير من شيوخنا؛ ما استفادوا من خُلُق هذا الرجل كما ينبغي؛ أنا أقول له هذا بمناسبة أن يحيىٰ بن يحيىٰ التميمي بقي سنة بعد أن أخذ «الموطأ» من مالك، بقي سنة يتعلم من أخلاقه، أنا أرىٰ هذا الرجل في الأخلاق أعجوبة لا نظير له في هذا الزمن، ولا أغلو فيه، وكل الناس يشهدون لهذا الرجل بهذا.

---

(١) انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ١١٦، ١١٧، ١٤٠، ١٤١).

يقول واحد سوداني: الشيخ ابن باز لو تأتيه تقول له: أريد أن أطلع القمر. يقول: إن شاء الله نحاول. ما يردُّ طلبًا، يتعاون مع الفقراء، مع المساكين، مع الحركات، مع الدعوات الحقة والباطلة، يأتونه باسم الإسلام، دعوات واللهِ أهلها كذَّابون يقولون: نحن سلفيون. وباسم السلفية واللهِ يعطي بسخاء، ويؤيد ويساند، ويتابع مشاكل المسلمين في العالم، ما فيه حركة في العالم شرقًا وغربًا إلا وتمتد يد ابن باز إليها بالخير والفضل، ما مجاهد في العالم الإسلامي في شرقه وغربه إلا ويجد دعمًا من هذا الرجل، هذا الرجل ما عرفناه.

مرة من المرَّات شارك في مؤتمر إسلامي - هذا الرجل يغطي علمًا عظيمًا، كنز من الكنوز يغطيه بتواضعه -، مؤتمر اقتصادي إسلامي اجتمع فيه خبراء وكبار الاقتصاديين، ويقدِّمون بحوثهم، والشيخ يعلِّق علىٰ كل بحث وكأنه أستاذ مشرف علىٰ هذا الخبير! واللهِ اندهشت أنا، وعظُم في عيني هذا الرجل، وقلت هذا الكلام عند واحد خرافي؛ فطعن في الشيخ ابن باز، واستاء من هذا الكلام، قلت: الشيخ ابن باز واللهِ كان يدفن هذا العلم، وما كنَّا ندرك بأنه علىٰ هذا المستوىٰ، يعني: متخصص في الحديث وكذا... لكن في الاقتصاد الإسلامي يبرز ويفوق هؤلاء كلهم، هذا واللهِ شيء لا يخطر علىٰ البال، هذا رجل عظيم إذا درس يدرِّس بتواضع ما فيه تكلف؛ ولا يستعرض عضلاته في هذا الدرس، لكن تجد النور يشِع من هذا التدريس، يرافقه الورع والتواضع والأدب، وأحيانًا يقف ويسأل بعض الطلاب يقول: يمكن عندك علم بهذه المسألة؛ قل يا فلان رأيك.

تواضع وتربية في نفس الوقت.

فانتهزوا فرصة وجود هؤلاء المشايخ، ولا تسمعوا لمن ينفِّركم عنهم، واستفيدوا منهم، فهم العلماء والله، هذه البقية الباقية من السلف الصالح، علىٰ منهجهم وعلىٰ طريقتهم في الأدب والتواضع.

طيب الشيخ ابن باز الآن يعتبر من كبار الساسة؛ لكن ما يقول لك: أنا سياسي، وأعرف السياسة. يعني: تحته جوانب عديدة من السياسة، ما يقول لك: والله أنا سياسي أو شخصية سياسية. رجل عادي، طويلب علم يرىٰ نفسه، في غاية التواضع، يمكن بعض المسائل يسأل فيها واحدًا من طلابه وما يعيبه هذا، والله نجلس جلسات تطرح القضية ويقول: ما رأيك يا فلان؟ من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه، من تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجزاه الله خيرًا وحفظه.

أعود فأقول: إن نصوصًا كثيرة تحفِّزنا إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة، والذي يساعدنا علىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة؛ أن نتأدّب بأدب العلم، وأن نطلب العلم من منابعه ومن مصادره، ومن شيوخه؛ لأنّه كما يقال: من كان شيخه كتابه؛ كان خطؤه أكثر من صوابه. كما في المثل العامي، يجب أن نتلقىٰ العلم هذا؛ علم الحديث، علم المصطلح، علم التفسير، علم الفقه، علم الأصول، نتتبع المتخصّصين في هذه النواحي، ونأخذ منهم العلم، نشدّ الرحال، ليس ضروريًا أن نكون كبعض الجماعات، ما يأخذون العلم إلا ممن يأتي إليهم.

مالك طلب منه الرشيد أن يأتيه إلىٰ منزله؛ جاء إلىٰ المدينة قال: تعال علِّم

أولادي. اعتذر مالك وقال: العلم يؤتىٰ إليه ولا يأتي. فاضطر الرّشيد أن يأتي بنفسه وبأولاده ويسمع من مالك.

الإمام البخاري طلب منه أحد أمراء المشرق أن يدرِّسه وأبناءه التأريخ ويدرسه الصحيح، قال: أنا ما أروح بالعلم لبيوت الناس، الذي يريد العلم يأتيني في المسجد؛ الأمير وغير الأمير يأتيني للمسجد، وأنا أقدم له العلم؛ أما أني أروح بالعلم إلىٰ بيوت الأمراء، والله ما عندي استعداد. انظر عزَّة العلم!

أما الرشيد فتواضع وجاء إلىٰ مالك وأولاده وجلسوا يستمعون[1] أما ذلك الأمير الذي تربّىٰ في المشرق - الله أعلم علىٰ أيدي من -؛ فغضب علىٰ البخاري وطرده من بلده، فقال له: أذهب. يعني أحافظ علىٰ كرامة العلم وكرامة الإسلام، ولا أهينها وأمرِّغ كرامتها عند هذا الرجل[2].

فالمهم أنتم في جدَّة، ليس لازمًا أن الناس يجيئونكم، ارحلوا كما كان الناس يرحلون من زمان، ارحلوا لابن عثيمين عنده مكان، تعلَّموا منه، ارحلوا إلىٰ

---

(١) انظر: المجروحين لابن حبان (١/ ٤٥)، وذم الكلام للهروي (٥/ ٨٨، ٨٩ برقم ٨٨٠)، و«طلب العلم والاجتهاد في جمعه» لأبي هلال العسكري (ص ٨٤)، وترتيب المدارك (٢/ ٢٣، ٢٤)، وشرح ابن بطال علىٰ البخاري (١/ ١٤٣، ١٤٤)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٥٦)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٤٦٨، ٤٦٩).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٣٣)، ومعجم ابن الأبار (ص ٧٩)، وتهذيب الكمال للمزي (٢٤/ ٤٦٤)، والسير للذهبي (١٢/ ٤٦٤، ٤٦٥)، ومقدمة فتح الباري (ص ٤٩٤).

الرياض وتعلَّموا من الشيخ ابن باز عنده حلقة مفتوحة، والشيوخ كثير هناك تعلموا منهم، واحد يذهب يومين ثلاثة يرابط لطلب العلم يحصل خيرًا كثيرًا، ليس في إمكان الناس أن يأتوكم بالعلم إلىٰ بيوتكم، كان عادة السلف أنهم يرحلون إلىٰ الآفاق من أجل تحصيل العلم، لماذا؟ لأنهم أدركوا قيمة العلم؛ ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢]، أخذوا من هذا سنَّة، بدأ الصحابة يرحلون، يسمع واحد أن حديثًا في مصر، يشتري ناقة ويسافر إلىٰ مصر، ويأخذ هذا الحديث ويلوي زمام ناقته ويرجع إلىٰ المدينة(١)، والثاني يركب إلىٰ الشام يأخذ هذا الحديث الذي سمع به عند فلان أخذه ورجع، من أجل حديث واحد(٢)،

(١) كما رحل أبو أيوب الأنصاري إلىٰ عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٢٢٨ - حبيب الرحمن)، ورواه أحمد (٤/ ١٥٣)، والحميدي في مسنده برقم (٣٨٤)، ومن طريقه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٤٠)، والخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث (١١٨ / ٣٤)، من طريق ابن جريج، قال: سمعت أبا سعيد الأعمىٰ يحدث عن عطاء ابن أبي رباح قال: خرج أبو أيوب إلىٰ عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ... وذكر القصة. ورواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٩) عن ابن جريج بسند منقطع. وانظر: الرحلة للخطيب (٣٥)، و(٣٦)، و(٣٧)، و(٣٨).

(٢) كما جاء عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا (١/ ١٧٤ - فتح الباري) فقال: باب الخروج في طلب العلم: «ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلىٰ عبد الله بن أنيس في حديث واحد». ووصله في «الأدب المفرد» برقم (٩٧٠)، ورواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة - ظلال الجنة» (١/ ٢٢٦، رقم ٥١٤)، =

وأما من كان بعدهم فإنهم كانوا يرحلون؛ يعني: يعيش الإنسان في البلد يعني سنتين، ثلاثًا، أربعًا، خمسًا، عشرًا، إلىٰ أن يأخذوا من شيوخ ذلك البلد، يأخذ من هذا، ومن هذا، ومن هذا، حتىٰ يظنَّ أنه قد أخذ كفاية وأخذ ما عند هؤلاء، وعاد إلىٰ بلده يبث هذا النور وهذا الخير؛ فهذه طرق تحصيل العلم(١).

الآن عندنا تعنّت؛ صراحة بعض الجماعات يقول لك: لا بد للعالم أن يخرج معنا ويروح المشرق والمغرب، إذا كان يريد يكمل نفسه ويكمل إيمانه يكمل إيمانه عندنا، وبعد ذلك إذا كان عنده علم يعلِّمنا.

وهو في الحقيقة يروح معهم لا يجد مجالًا لهذا العلم ولا نشره، ولا يجد أوعية لاستقبال هذا العلم؛ فنحن نخالف سنن هؤلاء، ونمشي علىٰ سنن سلفنا الصالح في شد الرحال في تحصيل العلم الذي - إن شاء الله - يحقق لنا هذه

=

والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٥، برقم ٣٦٣٨)، و(٤/ ٦١٨، برقم ٨٧١٥)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

ورواه الخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» برقم (٣١).

قال المنذري: «رواه أحمد بإسناد حسن». كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٣٠)، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٥٥١): «رواه أحمد بإسناد حسن»، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٣٧): «وهو عند أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن»، وحسّنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٧٤).

(١) سئل الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ عن كثرة حديثه فقال: كنت أنام علىٰ البواري ثلاثين سنة. تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٨٦).

الغاية وهي الاعتصام بكتاب الله؛ لأننا إذا لم نكن فقهاء، إذا لم نكن فاقهين لكتاب الله، كيف يتأتىٰ لنا الاعتصام به؟! «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١) ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، القرآن موجود في المساجد، وفي كل مكان، والمكتبات مليئة بالكتب، ولكن تحتاج إلىٰ ناس تتفقه عليهم ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ تتفقه علىٰ من؟ علىٰ العلماء، علىٰ أهل الفقه، والله كثير من القضايا في المصطلح، كثير من القضايا في الحديث، كثير من القضايا في الفقه، كثير من نصوص القرآن تحتاج إلىٰ عالم يوجِّهك ويعلِّمك.

وأنتم - يا إخوتاه - لا يشغلكم شاغل عن هذا العلم، «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، هذا هو الفقه الممدوح والعلم الممدوح، وإذا أثنىٰ الله علىٰ العلماء وأخبرنا أنه يرفعهم عنده درجات؛ فإنما المراد به علم الوحي، علم الكتاب والسنة، هو الذي يرتفع أصحابه عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ درجات، الفقه المستمد من الكتاب والسنة، والفقه الذي يمدحه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويمدحه رسول الله، ويقول في شأنه وشأن أهله: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**». فافقهوا دين الله أوَّلًا وقبل كل شيء، وتأتي الأحداث فتطبَّق عليها النصوص، يكون عندك قدرة علىٰ تطبيق النّص علىٰ هذا الحدث، تعطي كل حدث حكمه من كتاب الله ومن سنة الرسول؛ أما لو عرفت أحداث الدنيا كلها وأنت ما

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم الحديث (٧١).
مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث (١٠٣٧). كلاهما من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عندك علم بكتاب الله ولا سنة الرسول؛ فما قيمة هذا العلم؟!

واللهِ اليهود والنصارىٰ يفقهون هذه الأحداث أكثر منا، يعرفونها ويعرفون منابعها، ويعرفون أسرارها، وربما عندهم معرفة بالأشخاص، ولهم ملفات لكثير من الناس؛ فهم أعرف بهذه الأحداث منَّا، ومع هذا ما نقول أنهم أفضل منَّا، بل هم شر الناس.

والله ليسوا علىٰ شيء كما وصفهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(١)، العلم الذي يكسب صاحبه أعلىٰ المنازل عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو علم الكتاب والسنة؛ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، علم الكتاب والسنة؛ يعرف المسلم أسماء الله وصفاته، ويعرف أحكامه وحقوقه والعبادات التي شرعها، وما يتطلبه منه؛ في علاقته بالله، وفي علاقته بالناس، إذا كان ما يعرف هذا؛ كيف يكون فقيهًا في الدين؟! كيف يكون عالمًا؟! كيف يستحق هذا الثناء العاطر من الله ومن رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، إذا أعرض عن كتاب الله وعن سنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذهب يجمّع أحداث الدنيا؟! ما قيمته عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا أدار ظهره لكتاب الله وسنة الرسول، وأقبل علىٰ أخبار الدنيا، ما قيمة هذا العلم؟!

إذن يا إخوتاه نحن نعيش في عصر نعرف الأحداث الأساسية فيه في حدود،

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [المائدة: ٦٨].

لكن لا أضيِّع أوقاتي؛ أسمع نشرة مهمة من النشرات، أقرأ صحيفة من الصحف، أجمع بعض العناوين الرئيسة وبعض الأشياء فيها؛ يكفيني، لا نضيع أوقاتنا في الصحف والأخبار و...و... إلىٰ آخره؛ فإن هذا سيقضي علىٰ العلم، ويقضي علىٰ التقوىٰ، ويقضي علىٰ الأخلاق، وقد جرّبنا هذا وعرفناه، هذا معروف ملموس - بارك الله فيكم -؛ يقضي - والله - علىٰ الصدق وعلىٰ الأخلاق، «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(١). يعني: تسمع وتحدث بكل ما تسمع، وتتابع الأخبار وتشحن دماغك بكلِّ باطل، انظر الحاجات المهمة وخذ فكرة عنها؛ ولكن شغلك الشاغل كتاب الله وسنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا مانع يا أخي أن تحفظ «مسند أحمد» والبخاري ومسلمًا، لكن واللهِ إذا تشاغلت بهذه ما تستطيع أن تحفظ «عمدة الأحكام»، لو تتشاغل بهذه الأشياء لا تستطيع أن تحفظ القرآن، لا تستطيع أن تفهم القرآن، لا تستطيع أن تتفقه في القرآن ولا في سنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذه تحتاج إلىٰ جهد جهيد، ونحن نعرف الآن - يا إخوتاه - الإنسان يتخصص الواحد في مادة واحدة، واللهِ ما يهضمها، نحن نحتاج إلىٰ تخصّصات، ونحتاج إلىٰ تعاون، نحتاج إلىٰ ناس؛ واحد يتابع حدثًا، وواحد يتابع حدثًا، ويقدم خلاصة لإخوانه.

حقيقة أتأكد منها تمامًا يحتاجها المسلمون؛ أعرِّفهم بها، وكل واحد في

---

(١) مسلم: المقدمة، باب تغليظ الكذب علىٰ رسول الله ﷺ، حديث رقم (٥). لكن قال: «كذبًا». بدل: «إثمًا»؛ فإن هذا لفظ أبي داود في سننه برقم (٤٩٩٢).

اختصاصه، أنا أحترم هذا المسلم إذا كان عقيدته صحيحة، وعنده معرفة بأيِّ علم يفيد المسلمين؛ أعتبره لبنة من اللبنات الإسلامية، وأعتبره أخي، وأضمُّ هذه اللبنة إلىٰ اللبنات الأخرىٰ؛ ليقوم صرح إسلامي شاهق، لا يلزم كل إنسان يعرف كل ما يدور في الوجود، ليس لازمًا، بعض الأفراد المتخصّصون يعرف هذه الأشياء، وهذا متخصص في الحديث مع إلمامه الجيِّد في الفقه، في الحديث، في التفسير، في الأصول بالعلوم الإسلامية التي نحتاجها، يعرف اللغة الإنجليزية نشجعه، لِمَ؟ لأننا نحتاجها في كثير من الأشياء في الصناعة وفي غيرها، وأضمُّه وأعتبره أخي، وأقول لأولادي وإخواني: تعلَّموا منه اللغة الإنجليزية، هذا أخونا. إذا تخصص في الفقه أو تخصص في الحديث وانهمك فيه، وما يتشاغل بالأحداث؛ لماذا نطعن فيه؟ لماذا نتكلم فيه؟

هذه خطيرة؛ هذه تمزق الروابط والأواصر، وفيها تعالٍ، فيها اعتزاز، فيها الكبر والغطرسة؛ «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، كبر، غمط، احتقار الناس؛ ما هو؟ الكبر هو احتقار الناس، «**الْكِبْرُ هُوَ غَمْطُ النَّاسِ وَرَدُّ الْحَقِّ**»[1]، والله وجدنا كثيرًا من الشّباب عنده هذه الظاهرة، احتقار الناس؛ بل احتقار العلماء خيرة الأمة، سادة الأمة يحتقرونهم، أليس هذا هو الكبر، رد الحق وغمط الناس؟! هذا هو الكبر يا إخوتاه.

---

(١) هذا الحديث والذي قبله حديث واحد رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم (٩١)، من رواية عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فوقع الكثير من شبابنا في هذا الدّاء، ارتمىٰ في هذه الحمأة؛ حمأة الكبر والغطرسة والتعالي والتطاول علىٰ الشيوخ والعلماء؛ هذا داء فتّاك يمزق الأواصر، ويفرِّق الأمة، ويجعل هؤلاء يدورون في دوامة من الجهل والضلال في الوقت الذي يزعمون فيه أنهم علماء وفقهاء.

فحذار حذار! أولًا: الاعتصام بكتاب الله الذي ننشده يحتاج إلىٰ تواضع، يحتاج إلىٰ أناس يشمِّرون عن ساعد الجد لتحقيق هذه الغاية، يفهمون كتاب الله، ومع هذا الفقه يرافقه الالتزام والتمسك والتطبيق.

أخيرًا: أسأل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يفقِّهنا في الدين، وأن يوفِّقنا للاعتصام بالكتاب والسنة، وأن يوجِّهنا إلىٰ الأسباب، وأن يوفِّر لنا الأسباب الكفيلة لدفعنا إلىٰ هذا المستوىٰ - مستوىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة -، والله لو علمنا علوم الدنيا كلَّها، وعرفنا الثقافات كلها، وعرفنا السياسات كلها، وما عندنا روح التواضع، وما عندنا روح الأدب، وما عندنا روح الاحترام للمسلمين؛ فإن هذا لا يغني عنا شيئًا، هذا يضرنا ولا ينفعنا، هذا العلم الضار، العلم الضار والسُّم الفتَّاك؛ فعلينا بالتواضع، وعلينا بطلب العلم، وأن نأخذه من منابعه، وأن نأخذه من البقية الباقية التي يوشك أن تودِّعنا، «**وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ مِنْ صُدُورِ النَّاس بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوه، وَلَكِنَّهُ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١). فإذا لم

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم؟ حديث رقم (١٠٠).

=

نتدارك ونطلب العلم الآن من الموجودين؛ في يوم من الأيام سيكون هذا حالنا، وهذا واقعنا؛ سيكون لنا رؤساء جهال يفتوننا بغير علم فنضل، فيَضلون ويُضلون.

فإلىٰ العلم - أيها الإخوة -، ومنه الاعتصام بهذا العلم، وهو علم الكتاب والسنة.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يوفِّق المسلمين إلىٰ ما يرضيه، وأن يأخذ بنواصيهم إلىٰ الحق والخير، إنَّ ربنا لسميع الدعاء، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❊ ❊ ❊

=

مسلم: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، حديث رقم (٢٦٧٣). كلاهما عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أسئلة الدرس

الاعتصام بالكتاب والسنة ضروري لهذه الأمة

السؤال الأول: على حسب ما فهمت أن العلماء هم السبب في عدم جمع كلمة المسلمين، وتبصير الناس بالكتاب والسنة؛ فنحن الآن في هذه الأيام في زمن الفتن نجد أن كثيرًا من العلماء في حديثهم عن أحداث الكويت يركّزون على صدام، دون التركيز على المعاصي وأسبابها، فالقرآن يبيِّن أن المصائب من أنفسنا، فما قولك في هذا؟

❁ الجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، أنا ما قلت: إن العلماء أطبقوا علىٰ هذا. أقول: كثير من العلماء. طبعًا الأمة افترقت علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كما أخبر الرسول ﷺ[1]، وهنا علماء ابتعدوا عن منهج الكتاب

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٣٢)، و(٣/ ١٢٠ و١٤٥)، و(٤/ ١٠٢)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٤١، برقم ٢٥٥٢)، وأبو داود برقم (٤٥٩٦ و٤٥٩٧)، والترمذي برقم (٢٦٤٢)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه برقم (٣٩٩١ و٣٩٩٢ و ٣٩٩٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧ و٢١٧، ٢١٨)، والآجري في الشريعة (ص١٨ و٢٥)، وغيرهم، عن عدة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والحديث صححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٨٨٥)، وابن حجر في تخريج الكشاف (ص٦٣).

والسنة، فلهم دور كبير في تأخير المسلمين، وفيما نزل بهم من الجهل والضلال وغيره؛ فعليهم أن يبيِّنوا للناس كتاب الله؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

لا شك أن عند المسلمين ضلالًا عقائديًّا كبيرًا جدًّا في العبادة، وفي معرفة الله، ومعرفة صفاته، ومعرفة حقوقه؛ وهذا يستدعي من المسلمين - علماء الإسلام - أن ينصفوا الإسلام قبل كل شيء؛ فيبينوا للمسلمين حقائق الإسلام كما أُنزلت، ويبينوا هذا البيان والهدىٰ للمسلمين؛ لأن الله كلّفنا أن نبين للناس هذه الآيات والبيّنات وأن نوضحها لهم؛ يعني: ما كلَّفنا بتبليغ كل علم، وبيان كل العلم، هذه البينات آيات القرآن، والسنة الشارحة لهذه الآيات البينة؛ يجب أن نبينها للناس، ونقول: هذا دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. فيجب أن تبيَّن للناس حتىٰ لا يختلفوا علىٰ الأقل في العقائد؛ لكن مع الأسف - كما أشرنا - كثيرٌ من العلماء هذا واقعهم، ولكن هناك - ولله الحمد - من يدعون إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولا أقول: إن المسلمين - السلفيين منهم وغير السلفيين - اقتصروا في الإدانة إدانة صدام فقط، وما نبّهوا المسلمين إلىٰ ذنوبهم.

كلهم يقول حسب تصوره، كل واحد يعرف ويعترف أن المسلمين عندهم ذنوب لا شك؛ ولكن هناك أشياء ذنوب كبيرة جدًّا ما يدرك الناس أنها ذنوب؛ لكن هم في الجملة يقولون: إن عندنا ذنوبًا هي التي سببت لنا سخط الله،

وجلبت علينا مثل هذه النقمة. وما قالوا: صدام فقط.

بارك الله فيكم، فما أعرف هذا، والله أعلم، وأرىٰ أن هذا السؤال يحتاج إلىٰ إعادة نظر وتصحيح.

۞ ۞ ۞

السؤال الثاني: فضيلة الشيخ، الحمد لله أن شباب هذه البلاد قد أنشئوا على التوحيد والعقيدة الصحيحة؛ ولكن بعضهم يتَّبع بعض الجماعات التي يكون منشؤها منشأ صوفيًّا.

فكيف نعامل هؤلاء الشباب مع أنهم إذا كبروا سوف يربُّون على أشياء تخالف ما كانوا عليه من عقيدة صحيحة، مع أنهم يدافعون عن تلك الجماعات سواء كان جهلًا أو عاطفة، فكيف نتعامل مع هؤلاء الشباب؟

۞ الجواب: الحمد لله، التّعامل مع هؤلاء الشباب الذين عرفوا الحق، ثم يتابعون من ذكرت، ممن عندهم تصوف أو عندهم بدع - تصوّف وغيره -؛ فعلينا أن نبيّن لهم أنه يجب عليهم أن يلزموا منهج السلف، وأن يشكروا نعمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليهم؛ لأن هذا أعظم نعمة؛ أن يعرف الإنسان الحق خصوصًا في باب العقيدة، إذا وفقه الله وأنعم عليه بهذه النعمة، وله عقيدة صحيحة؛ يجب أن يكون عنده تصور صحيح.

أنا لا أرىٰ مسوِّغًا لمن يعرف منهج السلف، ثم يعطي زمامه لخرافي صوفي أو غيره، وأرىٰ أن هذا لا يعذر، والمسؤولية عليه أكبر.

إنسان جاهل قد تعذره؛ لأنه ما يفرِّق بين الحق والباطل؛ لكن طالب علم يعطي زمامه لهذه النوعيات؛ أرىٰ أنه يجب أن يتوب إلىٰ الله؛ فإنه قد ارتكب ذنبًا كبيرًا في حق نفسه، وفي حق كثير ممن يغتر به، فيقع في حبائل هؤلاء.

وأنا لا أعتقد أن سلفيًّا يلتصق بهؤلاء فيسلم، بل قد يسري هذا المرض إلىٰ عقيدته، فينحرف مع الأسف، «**الْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»(١).

وبالمناسبة مواقف السّلف من أهل البدع ولو كانت ضئيلة ولو كانت صغيرة؛ فهي مواقف صعبة وحازمة جدًّا.

كان الإمام مالك من أشدّ الناس حربًا علىٰ البدع، وجاء في ترجمته وفي التأريخ أنه إذا كان في مجلسه في حلقة العلم رجل عنده بدعة الإرجاء؛ يطرده من

(١) كما ثبت في الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد في المسند: (٣/ ١١٢ - ١٢١٢٨)، و(٢٥٧ - (١٣١٢٧))، والترمذي في جامعه: كتاب القدر: باب ما جاء أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، برقم (٢١٤٠)، وحسنه، وابن ماجه: الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، برقم (٣٨٣٤)، والحاكم (١/ ٥٢٦)، وصححه، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» برقم (٢٢٢٢)، و(٢٢٢٣)، و(٢٢٢٤)، وصححه.

ورواه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالىٰ القلوب كيف يشاء، حديث رقم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بلفظ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**».

حلقته[١].

أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاءه مبتدع وقال: اسمع يا أيوب مني ولو كلمة. قال له: ولا نصف كلمة أسمعها منك[٢]. قال: كيف تقول هكذا؟! قال: مسكين أنا ضعيف، أخشىٰ أن يلقي في قلبي فتنة وما أقدر أتخلَّص منها، ما أستطيع أن أنتزعها من قلبي، أنا أخاف علىٰ قلبي. خائف علىٰ نفسه من الفتنة، هذا هو الخوف من الله، وهذه شدة الورع.

لكن إنسان عنده مئات البدع والخرافات، ومن دعاة الخرافات والبدع، ويرمي نفسه في أحضانه، ثم يأمن علىٰ نفسه الفتنة؛ هذا والله غامر بأغلىٰ شيء، يعني: هذا الذي عنده مرض، نحتسب فيه وندعوه إلىٰ الله، ونوجِّهه ونلفت نظره إلىٰ الحق وإلىٰ الخير، وإذا كان ينتمي إلىٰ إمام من الأئمة نذكِّره بعقيدة إمامه

(١) قال الحافظ أبو يعلىٰ الخليلي، في الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٢٧٧، ترجمة برقم ١٢٧): إبراهيم بن يوسف البلخي رئيسها وشيخها وقعت له قصة؛ دخل علىٰ مالك بن أنس، فقام قتيبة بن سعيد البلخي فقال: هذا رجل يرىٰ رأي العراقيين في الإرجاء. فأمر مالك أن يخرج ويؤخذ بيده، ويروي عن مالك حديثًا واحدًا؛ قال: سئل مالك عن الطلاء، فقال: حدثنا نافع عن ابن عمر: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام». انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢/ ٢٥٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٦٣).

(٢) رواه الدارمي في السنن برقم (٤١٢)، والفريابي في القدر برقم (٣٧٤)، والآجري في الشريعة برقم (١١٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٢/ ٤٤٧) برقم (٤٠٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٤٣، برقم ٢٩١).

ومنهجه وتمسُّكه بالكتاب والسنة.

إذا كان هناك ناس قادرية في إفريقيا ينتمون إلىٰ الطريقة القادرية؛ أقول لهم: ادعوهم بالحكمة. يعني: خذوا «الغنية» لعبد القادر، واعرضوا عليهم عقيدة عبد القادر فقط، إذا عرفوها و«الغنية» معروفة، وكل الناس ينسبونها إلىٰ عبد القادر ومعروفة عقيدته، اعرضوا عليهم هذا، فنستخدم الأسباب والوسائل التي تعيد هؤلاء إلىٰ حظيرة السنة؛ لأن هؤلاء الصوفية يعني بيننا وبينهم حبال وروابط تقربهم إلىٰ الخير، هم يحسنون الظن بالصحابة ويحبونهم، ويحسنون الظن بأئمة الحديث والفقه وغيرهم.

فإذا قلت له: من إمامك؟ يقول لك: مالك. فقل: هذه عقيدة الإمام مالك؛ ومن إمامك في التصوف؟ يقول: عبد القادر. تقول: هذه عقيدته.

هذا لا تجده إلا عند السلفيين، لا تجد هذا الخير وهذه الحجج وهذه البراهين لا تجدها إلا عند السلفيين، يستطيع أن يخرج لك من الكتاب ومن السنة، من دواوين السنة، من دواوين التأريخ، من كتب العقائد، من الكتب التي ألفت في البدع، يستطيع أن يقيم الحجة علىٰ كل مخالف، ويقيم عليه الحجة من مذهبه، ويقيم عليه الحجة من منهج إمامه، يستطيع أن يقيم الحجة علىٰ أي أشعري أو صوفي؛ هؤلاء الذين ينتمون إلىٰ أهل السنة والجماعة، صوفي ينتمي إلىٰ الشافعي تقول له: ما هي طريقتك؟ يقول لك: قادري.

في علم الكلام له كلام واضح جدًّا في إثبات الصفات[١]، وفي دمغ الكلام وذمه، يقول: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من أعرض عن كتاب الله وسنة رسول الله، وأقبل علىٰ الكلام»[٢].

---

(١) قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي - رحمهما الله -: حدثنا أبو شعيب وأبو ثور، عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله قال: «السنّة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رأيتهم عليها، فأحلف عنهم - مثل سفيان ومالك وغيرهما -: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الله علىٰ عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف يشاء، وأن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا كيف يشاء». رواه الهكاري من طريق ابن أبي حاتم في «عقيدة الشافعي»، ونقله عنه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (١٢٣، ١٢٤)، ونقله عنهما الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص١٦٥)، ونقله ابن القيم من كتاب ابن أبي حاتم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٩٤)، وفي تهذيب سنن أبي داود - العون - (١٣/ ٣٤ - العلمية).
وانظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلىٰ (١/ ٢٨٣، ٢٨٤)، وإثبات صفة العلو لابن قدامة (ص١٢٤)، ومجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ١٨١ - ١٨٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٧٩، ٨٠)، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص٩٤)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٠٧)، ومختصر العلو للألباني (ص١٧٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي (ص١٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٦)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١٩٣/ ٩١٧)، وفي الانتقاء (ص٨٠)، والبيهقي في مناقب الشافعي (٢/ ٤٦٢)، وأبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٢٥)، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص٣٣٥).

موقف السلف - مالك والشافعي والسفيانين والأوزاعي وأحمد وغيرهم من أئمة الإسلام -؛ كلهم أطبقوا علىٰ تحريم علم الكلام، وذمّوه، وذموا أهله ذمًّا شديدًا، علم الكلام ماذا أصبح في نظر كثير من هؤلاء الذين ينتمون إلىٰ مالك والشافعي وأبي حنيفة؟ الكثير منهم أصبح عندهم أصول الدين، التوحيد إذا أطلق يطلق علىٰ علم الكلام وما تفرّع منه.

- واللهِ - أصول الدين عندنا الكتاب والسنة، وما أُخذ منهما من عقائد وقواعد، هذه أصول الدين.

أما علم الكلام - فوالله - عند السلف من أخبث الذنوب وأخبث الأفكار، وذموه ونفَّروا منه أشدَّ التنفير.

هذا يحكيه الغزالي في «الإحياء»[1]، ويحكيه غيره في كتب السنة؛ يحكون

(١) وحكىٰ الكرابيسي أن الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل عن شيء من الكلام؛ فغضب، وقال: سل عن هذا حفصًا الفرد وأصحابه أخزاهم الله! ولما مرض الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل عليه حفص الفرد، فقال له: من أنا؟ فقال: حفص الفرد، لا حفظك الله ولا رعاك حتىٰ تتوب مما أنت فيه.
وقال أيضًا: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفرُّوا منه فرارهم من الأسد.
وقال أيضًا: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمىٰ أو غير المسمىٰ؛ فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له.
قال الزعفراني: قال الشافعي: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام. وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب الكلام أبدًا، ولا تكاد ترىٰ أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل. =

هذا الكلام عن الشافعي.

=

وبالغ في ذمه حتىٰ هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابًا في الرد علىٰ المبتدعة، وقال له: ويحك! ألست تحكي بدعتهم أوَّلًا ثم ترد عليهم؟! ألست تحمل الناس بتصنيفك علىٰ مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات؛ فيدعوهم ذلك إلىٰ الرأي والبحث؟!

وقال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علماء الكلام زنادقة.

وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه، أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟!

يعني: أن أقوال المتجادلين تتفاوت.

وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء. فقال بعض أصحابه في تأويله: أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام علىٰ أي مذهب كانوا.

وقال أبو يوسف: من طلب العلم بالكلام؛ تزندق.

وقال الحسن: لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم. وقد اتفق أهل الحديث من السلف علىٰ هذا.

ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه، وقالوا: ما سكت عنه الصحابة - مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم - إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون». أي: المتعمقون في البحث والاستقصاء.

واحتجوا أيضًا بأن ذلك لو كان من الدين؛ لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلِّم طريقه، ويثني عليه وعلىٰ أربابه؛ فقد علمهم الاستنجاء، وندبهم إلىٰ علم الفرائض، وأثنىٰ عليهم، ونهاهم عن الكلام في القدر وقال: «أمسكوا». وعلىٰ هذا استمر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فالزيادة علىٰ الأستاذ طغيان وظلم، وهم الأستاذون والقدوة، ونحن الأتباع والتلامذة». وقد نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ معظم هذا الكلام عن «الإحياء» في «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٧٤)، وكذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٦٨ - ١٢٧١).

فنحن ندعو هؤلاء: أول شيء يلزمكم أن تأخذوا بعقائد هؤلاء الأئمة الذين تنتمون إليهم؛ تعرفون مناهجهم وطرقهم التي كانوا عليها، وكانوا يربون الناس عليها، عرفتم؟ والله بلغني أنّ بعض الشافعية غضب من طباعة كتاب «الأم»، لماذا؟ لأن فيه أشياء تُدين هؤلاء، وتبيِّن بعدهم عن مذهب الشافعي ومنهجه، وهكذا قل في غيرها؛ فإن هؤلاء كثير منهم ليس لهم من العلاقة بهؤلاء الأئمة إلا مجرد الانتماء، لا في التعامل مع النصوص، ولا يلتقون معهم في العقائد، عقائد هؤلاء الأئمة في وادٍ؛ عقيدة مالك والشافعي وأحمد وعمر وأبي بكر ورسول الله والصحابة شيء واحد، ما خرج مالك عما عليه الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح، ولا الشافعي، ولا أحمد، ولا غيرهم، ولا الأوزاعي ولا البخاري، كلهم ومؤلفاتهم تدين هؤلاء.

خذ «خلق أفعال العباد» للبخاري واقرأ فيه، وماذا؟ تجد كثيرًا مما أدان به الجهمية، حتىٰ من الأشياء التي كفّر فيها السلف؛ كفَّروا فيها الجهمية، تجدها نفسها في عقائد هؤلاء الذين ينتمون إلىٰ السنة!

يا قوم، أنتم تحترمون هؤلاء السلف وتحبونهم وتسلّمون بإمامتهم، وهم يكفّرون بهذه الأشياء التي تدينون الله بها وتعتقدون بها، كفّروا جَهْمًا بهذه الأشياء التي تعتقدون أنتم؛ فلماذا لا تخافون الله في أنفسكم وفي أمتكم؟!

واللهِ كثيرٌ، وأنا مستعد وأتحدىٰ أي واحد يقول: هذا الكلام غير صحيح. وأنا أطلعه علىٰ أن هذه أشياء سلفنا الصالح وأئمة الهدىٰ كفَّروا الأئمة بها، وهي

الآن تتغلغل في أدمغة هؤلاء، ويعتقدونها من كبريات أصول الدين؛ بل هذه الأشياء التي كُفِّر بها الجهمية يكفِّرون من يخالفها!

مصيبة والله! مصيبة عظيمة في الدين، وقد هانت وهانت كثيرًا كثيرًا، وما أصبحت شيئًا عند كثير من الجماعات ودعاتهم، مع الأسف الشديد، وكما يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر، إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ»[1]. عندهم مشاعر مرهفة؛ شيء صغير يفعله يراه جبلًا يسقط عليه، وأنت ترتكب الذنب الكبير فتراه مثل الذباب تطرده، أو مثل الشعر؛ أدق في أعينكم، مثلُ الشعر.

فكثير من كبريات المصائب في الدِّين وفي العقيدة ما أصبحنا نرىٰ أنها خطأ، ولو مثل الشعرة؛ كما يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بل أصبحنا نراها من أركان الدِّين وهي من كبريات الضلال. ومما كان يكفِّر بها السلف أصبحت من أصول الدين عند - لا الخوارج ولا الروافض -، بل عند من ينتمون إلىٰ السنة، وهذا أمر خطير يجب أن نعالجه.

أنا عندي فكرة؛ أقول: يجب أن نجمع علماء الأزهر وعلماء الهند وباكستان الذين ينتمون إلىٰ أهل السنة والجماعة، ونقول: هذا القرآن وهذه السنة، تشكون

---

(١) رواه البخاري: الرقاق، باب مَا يُتَّقَىٰ مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، برقم (٦٤٩٢)، وروىٰ في باب التوبة، برقم (٦٣٠٨) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ».

في شيء منها؟ لا، تشكون في عدالة مالك والشافعي وأبي حنيفة؟ لا؛ فهذه عقائدهم، وهذا القرآن ناطق بما يقولون، وهذه السنة تنطق بما يعتقدون، لماذا لا ترجعون يا إخوان؟ نناشدهم الله أن يرجعوا إلىٰ الحق، وأن لا يتمادوا في الباطل الذي يضيع الأمَّة ويفرِّقها ويمزقها.

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث: ما موقف السّلف - رحمهم الله تعالى - عند حدوث الفتن؟ وما الذي يجب أن يكون عليه طالب العلم من فتن هذه الأيام؟

❁ **الجواب**: السلف كانوا أشدَّ الناس ثباتًا عند حلول الفتن - رضوان الله عليهم -؛ أولًا لغزارة علمهم، ولرسوخ أقدامهم في العلم والدِّين، والرسول ﷺ بيَّن لنا أحوال الناس عند حدوث الفتن، وكيف يصير الناس.

يقول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما في حديث رواه مسلم عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟

فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ.

فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ.

قَالُوا: أَجَلْ.

قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ

الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا.

قَالَ: أَنْتَ - لِلّٰهِ أَبُوكَ -!

قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ: عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا؛ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا؛ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ.

قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا - لَا أَبَا لَكَ - فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ؛ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ؟

قُلْتُ: لَا، بَلْ يُكْسَرُ. وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ، حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ».

قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكَ مَا «أَسْوَدُ مُرْبَادًّا»؟ قَالَ: شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ. قَالَ: قُلْتُ: فَمَا «الْكُوزُ مُجَخِّيًا»؟ قَالَ: مَنْكُوسًا[1].

فأوَّلًا القلوب بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ الذي يريد الله أن يحفظه من الفتن

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن علىٰ القلوب، حديث رقم (١٤٤).

ينكر هذه الفتن؛ فينكت في قلبه نكتة بيضاء، تأتي فتنة أخرىٰ فيرفضها هذا القلب وينكرها، فينكت فيه نكتة بيضاء، ثم الثالثة؛ حتىٰ يصير مثل الصفا في الصلابة، لا يدخل في شيء من الفتن، يصير أبيض، قال: «**مثل الصفا**»، يقال هذا التشبيه في القوة والمناعة التي يعطيها الله لهذه القلوب والحصانة التي يعطيها الله لهذه القلوب. أما البياض فهو بياض ناصع، غير بياض الصفا، فهذا التشبيه كالصفا يعني: في القوة والصلابة والمناعة، بحيث إن الفتن لا تجد لها منفذًا إلىٰ هذا القلب.

وأما ذاك كالإسفنجة، قلب المفتون - والعياذ بالله - مثل الإسفنجة، كلَّما عرضت له الفتن يبلعها مع الأسف الشديد! حتىٰ يصير أسود مربادًّا، ثم لا يقبل شيئًا من الحق، مثل الكوز مجخِّيًا، كذا منكوس لا يقبل هدًىٰ أبدًا ولا يدخل فيه، الكوز المنكوس يدخل فيه الماء؟! ما يدخل، هو منكوس هكذا؛ فالخير لا يدخل، وقد امتلأ القلب بالباطل، والعياذ بالله!

فأوَّلًا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعصم من يشاء من عباده بأن يعطيه حصانة من الفتن؛ فلا تضره ما دامت السموات والأرض، والقلوب تسارع إلىٰ الفتن مسارعة الفراش إلىٰ النار والعياذ بالله؛ وهذا جرّبناه من كثير من الناس؛ ما تقع فتنة إلا وهم من أسرع الناس وقوعًا فيها وسقوطًا فيها، والعياذ بالله؛ كما شاهدنا هذه الأيام تجد أناسًا يؤيدون صدامًا، ويعتبرونه البطل المجاهد و...و... إلىٰ آخره، وجندوا أنفسهم إلىٰ الجهاد تحت راية صدام، جهاد المسلمين.

فهذه من الفتن - والعياذ بالله - فاعلم كيف الطريق الصحيح؛ يعني هذا

يلهم الرجوع إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيستطيع أن يحكم علىٰ هذه الفتنة، أنها فتنة أو أنها حق؛ هذا الشيء أنَّه حق أخذ، وأنَّها فتنة اجتنبها، وما تضرُّه - إن شاء الله -.

فموقفنا وموقف السلف هو اللجوء إلىٰ كتاب الله وسنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما تعرض الفتن، فإذا عرفنا أنها شرٌّ نفرنا منها، وحذَّرنا الناس من الوقوع فيها، وبيَّنا خطرها علىٰ الإسلام والمسلمين، وهذه مواقف السَّلف - رضوان الله عليهم -: الفتنة التي وقعت بين علي وبين معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، كان كثير من السلف يحذِّرون من الخوض فيها، طبعًا علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان علىٰ صواب، وكان مجتهدًا ومن معه من الصحابة، ومعاوية وعمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وقعا في الخطأ، لكنهما مجتهدان لهما أجر الاجتهاد؛ ولكننا نعتقد أن الجميع أراد الحق؛ لكن هي فتنة أضرَّت بالإسلام والمسلمين - لا شك -، ونحن نقول: موقفنا من الصحابة هو موقف سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم -؛ الذين عرفوا للصحابة قدرهم، وعرفوا مكانة هذه الصحبة، وأنها يعني صفة نبيلة ما يُلحقون فيها، ولا أحد يشاركهم فيها، وَلَوْ أَنْفَقَ أَحَدُنَا مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه[(١)].

ولكن الفتن التي وقعت بعدها أشدُّ خطرًا علىٰ كثير من الناس، فيقع فيها

---

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبيِّ ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا»، حديث رقم (٣٦٧٣). مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث رقم (٢٥٤١)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

كثير من الناس، وينجّي الله من يريد لهم الخير، خصوصًا المعتصمين بالكتاب والسنة؛ فإن فيه - إن شاء الله - العصمة من الضلال، والعصمة من العذاب، والعصمة من سخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

۞ ۞ ۞

السؤال الرابع: نريد منكم توجيهنا؛ وذلك بأننا نريد الجهاد في سبيل الله، ونريد جهادًا صحيحًا على الكتاب والسنة، وقد وجد الجهاد في كل من أفغانستان وفلسطين وبعض البلاد الأخرى، فدلُّونا على الطريق الصحيح.

السؤال الثاني: **يقول: ما تقولون فيمن يقول: إن الدعوة للعقيدة تفرّق الأمة، وجزاكم الله خيرًا؟**

۞ **الجواب**: الذي يريد أن يجاهد الطرق مفتوحة، خصوصًا أفغانستان، يذهب كثير من النَّاس، ناس يذهبون عن طريق إيرتريا، ما أحد يردُّهم - جزاهم الله خيرًا -، إذا فتح الجهاد علىٰ صدام جاهدوا؛ ولكن نسأل الله أن يكفي المسلمين شر هذه الفتنة، والعياذ بالله! لأن بعض الناس يقول: لا يجوز جهاد صدام. والله نحن نرىٰ أنه ما أضرّ من حزب البعث ولا أضرّ علىٰ الإسلام والمسلمين من حزب البعث، والله لا اليهود والنصارىٰ ولا الشيوعيين ما أثخنوا في الإسلام مثل ما أثخن البعثيون في الإسلام.

فابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير من الناس ترددوا في قتال التّتار، وقالوا: فيهم مسلمون، وفيهم مؤذنون كذا، قال لهم: هؤلاء ما التزموا كتاب الله وسنة

الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيجب قتالهم، هم كفّار في نظر ابن تيمية؛ لكن افرضوا أنهم كالخوارج، ألم يأمر رسول الله بقتل الخوارج وقتالهم؟ فأحسن أحوال التتار أن يكونوا مثل الخوارج، لكن واللهِ شتَّان بينهم وبين الخوارج، هم شرٌّ من الخوارج، ومع ذلك قال الرسول ﷺ في الخوارج: «**اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**»(١)، وقال: إِنَّهُمْ «**مِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ**»(٢)، وقال: «**هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»(٣) وهم إيش حالهم؟ «**لا تعدون قراءتكم إلىٰ قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلىٰ صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلىٰ صيامهم بشيء**»(٤)؛ لأن الصحابة يعني يجتهدون، ولا يستطيعون أن يجتهدوا اجتهاد الخوارج في الصَّلاة والصَّوم والقراءة وهم شرُّ الخلق والخليقة؛ لأنَّه عندهم ضلال منهجي، وضلال فكري؛ فالبدعة خطيرة، كثيرٌ من الناس يرىٰ شخصًا يتعبَّد يصلي، يرىٰ أنَّ هذا هو المقياس إذا كان مبتدعًا، في الحقيقة أن المبتدعين الآن يحملون بدعًا خطيرة جدًّا أخبث من بدع الخوارج، الخارجيُّ ما كان عنده شرك في الألوهية، ما كان عنده شرك في الربوبية، كان عنده احتقار الصحابة، واستباحة دماء

---

(١) هو بمعناه عند البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم: برقم (٦٩٣٠). ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٦)، كلاهما من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هذه الجملة وردت في الحديث السابق في رواية عند مسلم.

(٣) مسلم: كتاب الزكاة، باب الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، برقم (١٠٦٧)، من حديث أبي ذرّ ورافع بن عمرو الغفاريين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) مسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم (١٠٦٦)، عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المسلمين؛ وهذا أمر خطير جدًّا، لكن عقيدته ليس فيها شرك.

لكن الآن - بارك الله فيك - كثير من هؤلاء الضالين المبتدعين عندهم شركيات، عندهم بدع خطيرة، بدع لا تحصىٰ، عُدَّ مجلدات، بعض البلدان أحصيت فيه البدع أو بعض البدع بلغت المئات، فالبدع الآن أخطر وأخطر، كيف البعثيين؟ الذين قالوا:

آمنت بالبعث ربًّا لا شريك له وبالعروبة دينًا ما له ثانِ

وفعلوا في المسلمين الأفاعيل - كما تعرفون -، كيف ما نقاتلهم وهم يستبيحون الأعراض، ويسفكون الدماء، ولا يرقبون في المؤمنين إلًّا ولا ذمة؟! فنحن نعدُّ أنفسنا لقتالهم، اذهبوا لميادين التدريب، تدرَّبوا وأعدُّوا أنفسكم، والذي لم يجد قتالًا هنا، وكفىٰ الله المؤمنين القتال، أبوابُ الجهاد مفتوحة.

الذي يقول: إن الدعوة إلىٰ التوحيد تفرِّق، طيِّب: علىٰ ماذا نجتمع؟ هل ينفعنا اجتماع علىٰ غير التوحيد، بالله لو اجتمع المسلمون كلهم لكن علىٰ عبادة البدوي والدسوقي وعبد القادر؛ هل ينفعهم هذا الاجتماع؟ ماذا يستفيدون؟! إذن الذي خسر التوحيد خسر كل شيء، والذي رُزق التوحيدَ - إن شاء الله - ما فاته شيء؛ فيجب أن نعرف أهمية التوحيد، وأنه رسالة جميع الأنبياء، ولا شك أنها تفرِّق، و«**محمد فرق بين الناس**» كما في الحديث الصحيح(١)، وهذا القرآن

(١) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث رقم (٧٢٨١)، من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فرقان؛ لأنه يفرِّق بين الحق والباطل، ودعوة التوحيد لا شك أنَّها تفرِّق؛ ولكن الذي يترك التوحيد ويحاربه لا خير فيه ولا أمل فيه، الذي يهرب من التوحيد ويحاربه - واللهِ - لا نبكي قطرة عليه أبدًا؛ لكن لو عدد قليل يؤمن بمنهج الأنبياء، ويؤمن بهذه العقيدة، ويدين الله حقًّا بما في كتاب الله وسنة الرسول؛ يكفي، فهؤلاء حريصون علىٰ جمع المسلمين.

طبعًا أنا أعرف بعض الدعوات لا تفرِّق بين الرافضي والقادياني والسلفي والخلفي... و...إلىٰ آخره والتيجاني والمرغني والنقشبندي... ما يفرّق أبدًا، ولا يناقشون عقائدهم، يكفي يحترم هم هذا التنظيم! إذا احترم هذا التنظيم نضعه علىٰ رؤوسنا، ولو كان الخميني، ولو كان صدامًا!

هذا مصيبة المصائب، وهذه الدعوة التي يقولون: أنها تجمع المسلمين. وهي لا تجمع واللهِ تفرِّق؛ لأنها حزبية ضيقة، توالي علىٰ نقطة معيَّنة فقط، الذي يأتي فيها معنا، والذي يذهب علينا، والأمَّة كلهم ضدّها؛ فهذا هو التفريق، وهو تفريق بباطل، لكن أنت إذا دعوت الناس إلىٰ الحق والناس نفروا، «**يَأْتِي النَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الرَّهْطُ وَإِلَّا الرُّهَيْطُ** - العدد القليل -، **وَيَأْتِي النَّبِيُّ وَحْدَهُ**»[1] وما ذنبه! كل النّاس تركوه، هل هو مسؤول عن هذا النفور؟! كلا، أنا أدعو إلىٰ الحق

---

(١) البخاري: كتاب الطبِّ، باب من لم يرق، حديث رقم (٥٧٥٢).

ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث رقم (٢٢٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأبيّن للناس، وما عليك إلا البلاغ، إذا استجابت الأمة كلها؛ الحمد لله، وإذا نفرت؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكن أنا أقول لكم: إن عوامَّ الناس يريدون الخير؛ ولكن العقبات التي تفرِّق الأمة وتمزِّق الأمة، ولا تريد الأمة أن تعرف الحق؛ لأنهم لا يعيشون إلا في الظلام، هم قادة الضلال، هم أصعب شيء عليهم وأخطر شيء عليهم أن يلتفَّ المسلمون علىٰ كتاب الله وسنة الرسول ﷺ؛ لأنه يقبِّل أقدامك ويعطيك ماله ويعطيك ولده، وترىٰ ما فيه شيء فوق هذه المنزلة، ولا الملوك ما يتبوَّءون هذه المناصب؛ فكثير من زعماء الضلال واللهِ يقدَّس وتقبَّل أقدامه ويعطىٰ الأموال الطائلة، لا ملك ولا رئيس جمهورية يصل إلىٰ هذا المستوىٰ؛ فهو يحافظ علىٰ هذه المنزلة، كثير من الناس يحافظون علىٰ هذه المكانة، وتذهب الأمة في داهية في النار؛ يستعبدهم أعداء الإسلام وما يهمُّهم، ما دام أنا أضمن مصلحتي بهذه الطريق، بهذا الأسلوب؛ ما يهمني يهلك الناس أو ينجون، ما يضرني. كثير من الناس هذا واقعهم مع الأسف الشديد!

لكن علىٰ طلاب العلم الآن الذين التزموا الكتاب والسنة واستضاؤوا بنورهما، وعندهم الوعي وفيه استنارة، وإدراك لمشاكل المسلمين، وإدراك لخطورة أعداء الإسلام ومؤامراتهم ومخططاتهم ضد المسلمين؛ فيجب علىٰ هؤلاء الذين أدركوا هذه الأمور أن يدركوا مرة أخرىٰ ومرة أخرىٰ أنه لا بد أن ترتكز الدعوة وتنطلق من هذه العقيدة، وهذا منهجُ شرعه الله في كتابه، لا يرضىٰ

لنبيٍّ ولا لصالح ولا لعالم أن يسلك غير هذا المنهج في دعوة الناس؛ يعني منهج تجده في دعوة نوح، في دعوة إبراهيم، في دعوة يعقوب، يوسف، شعيب، صالح، عيسىٰ، موسىٰ، محمد - عليهم الصلاة والسلام -؛ كلهم ينطلقون منطلقًا واحدًا، ويدعون إلىٰ شيء معين لا يختلفون ولا يحيدون عنه.

وهكذا كل مصلح نبغ في هذه الأمة ودعا إلىٰ الإصلاح - إذا كان مصلحًا صادقًا - والله ما يبدأ بالانطلاق إلا من حيث ينطلق الأنبياء، من النقطة التي ينطلق منها الأنبياء ينطلق منها، الغاية التي يرمي إليها الأنبياء يرمي إليها، هذه هي الدعوة الصحيحة. دعوة لا تسلك هذا المنهج في دعوة الناس، هذه يجب أن يعيد أهلها النظر؛ فإنهم مخطئون خطأً فادحًا؛ فعليهم أن يتوبوا إلىٰ الله من هذه الدعوة، هذه الدعوة نفسها أول شيء يجب أن يندموا منه، ويعترفوا بأنهم ضلوا وأخطأوا، نفس هذه الدعوة ترمي التوحيد؛ بل تحارب التوحيد وتقول: دعوة إلىٰ الله! كيف دعوة إلىٰ الله وأنت تحارب التوحيد، وتنفِّر الناس من التوحيد، وتقول: إن دعوة التوحيد تفرِّق الناس، وتغرس هذا الشرَّ في نفوس الناس؛ أي دعوة هذه؟

أوَّل ما يجب: أن يتوبوا مما يدعون إليه، ومن هذه المواقف الخاطئة التي ضلت الطريق التي سنَّها الله علىٰ ألسنة الأنبياء، وسجّلها في هذا القرآن الكريم، ومن أراد أن يعرف الحقيقة؛ فليقرأ قصص الأنبياء، ويعرف كيف منهجهم.

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس: بعضُ الناس من المثقفين يدَّعون ويحتجون بأن العلماء هم السبب في فرقة الأمة من كثرة ما ألَّفوا من كتب تغيّر لون ماء الفرات.

وآخر يقول: ما ذكرتم من كلام في الفرقة بين المسلمين - وخاصة الدعاة - يدمي القلوب، لو أن هناك مع كبار العلماء هنا وفي الخارج؛ لجمع شمل الدعاة وتوحيدهم ونبذ الخلافات فيما بينهم؟

❁ **الجواب:** والله هذا الذي قلت لكم في أول المحاضرة بأنّه حلم كبير يجب أن يتحقق، وهو أن نسعىٰ من كل جانب ومن كل جهة، ويحمل الفكرة كل عالم يشعر بالمسؤولية أمام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنه مسؤول عن تبليغ هذه الرسالة حرفًا حرفًا، كل ما علمه من عقيدة ومن العبادة؛ هذه أمانة حُمِّلها يجب أن يبلِّغها، ويجب أن ينصح لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين، وإلا سوف يُسأل كل واحد عما قدم لهذه الأمة من الحق، وما كتم وما حارب من هذا الحق.

سوف نُسأل جميعًا، فهذا الشيء حلم يجب أن نسعىٰ إليه جميعًا - كما أقول -، المصيب مصيب، والمخطئ يجب أن يرجع عن خطئه، ولنتلافَ هذا الفرقة، وما يترتب عليها من آثار خطيرة في الدنيا والآخرة، يجب أن نتوب إلىٰ الله، وننيب إلىٰ الله، ونسعىٰ جادِّين للاحتكام إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أما بالنسبة للمؤلفات تنقسم إلى قسمين:

قسم يدعو إلىٰ الحق؛ فهذا واجب.

وقسم يدعو إلىٰ الفرقة وإلىٰ الضلال وإلىٰ البدع، ويكافح وينافح عنها؛

فهؤلاء هم الذين يتحملون المسؤولية، ما نقول العلماء كلهم علىٰ هذا.

هناك دعاة حق يؤدون واجب الدعوة إلىٰ الله، فيخطبون ويكتبون ويدرِّسون؛ يجب عليهم أن يخلصوا لله، وأن يلتزموا الحق، وهذا واجبهم، فإذا كتبوا أو خطبوا أو بيَّنوا للناس الحق وحذَّروهم من الضلال، وحذَّروهم من البدع، وحذَّروهم من مخالفة الكتاب والسنَّة، هذا - واللهِ - واجب عظيم، ليت الذين عرفوا الحق يقومون به فقط، يا ليتهم يقومون به، ولا يلامون؛ بل يلامون إذا تقاعسوا في بيان الحق ونشره والذود عنه.

وأناس يؤلِّفون يهاجمون الحق، - كما قرأتم - بعض الناس يهاجمون السنة ويطعنون فيها، ويطعنون في الصحابة، ويطعنون في أئمة الحديث... هؤلاء - واللهِ - هم الذين فرَّقوا الأمة، وهم الذين ضيَّعوها، ويسوقونها إلىٰ الدمار وإلىٰ الهلاك، هذا الصنف هو الذي يتحمل المسؤولية.

أما الذي يبين، ويدعو إلىٰ الله، لا؛ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

❁ ❁ ❁

السؤال السادس: عرض أحد التلفزيونات العربية احتفالاً بالطرق الصوفية لمولد أحمد البدوي، وحضره جمع غفير من علماء كنّا نجلُّهم، وأظهرتهم الكاميرا مرارًا وهم مسرورون؛ فماذا يفعل شباب الإسلام تجاه موقف العلماء من البدع والخرافات، وحديث الناس عن هؤلاء العلماء.

❁ الجواب: والله نحن نتجاوز في تسمية هذا الصنف بعلماء، أنا أعتقد أن

هؤلاء الذين يحضرون هذه الموالد ما أعدُّهم في علماء الإسلام أبدًا، الذين يشاركون عوامَّ الناس في هذه الخرافات والبدع ويشجِّعون عليها، هؤلاء لا نسميهم علماء؛ لأن عندهم علم ثانٍ غير علم الكتاب والسنة.

العالم هو الذي يفهم كتاب الله وسنة رسول الله، ويعرف أسسه وقواعده ومناهجه؛ هذا - إن شاء الله - هو العالم، قد يكون عنده خطأ، لكن الذي انحدر إلىٰ هذا المستوىٰ؛ فأنا - والله - لا أصنفه في عداد العلماء، فما ينبغي أن نلصق كل شيء بالعلماء[1].

❁ ❁ ❁

السؤال السابع: روى مسلم مرفوعًا: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[2]، ما معنى هذا الحديث؟

❁ **الجواب**: معنىٰ هذا الحديث: أن يكون هناك خليفة للمسلمين، يجتمع عليه المسلمون، ويلتفون حول قيادته؛ فالإمام - كما يقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَىٰ بِهِ»[3]، فمثل هذا الإمام لا يجوز لمسلم أن

(١) قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، وإنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة؛ فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم والكتب». شرح السنة (ص ٩، فقرة ١٠٤).

(٢) مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين في الفتن وفي كل حال، حديث رقم (١٨٥١)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) البخاري: الجهاد، باب يُقَاتَلُ مِنْ وَرَاءِ الْإِمَامِ وَيُتَّقَىٰ بِهِ، برقم (٢٩٥٧).

=

يتخلَّف عن بيعته، كذلك إذا ما وجد وما تحقق هذا الأمل؛ لكن قام حاكم مسلم في بلد إسلامي، وقامت له بيعة، وتخلف عنها بعض الناس؛ فإنهم إذا ماتوا دون هذه البيعة يموتون ميتة جاهلية كما أخبر رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بعض الناس يفسِّرون هذا بالبيعات الصوفية والبيعات الحزبية، إذا ما تابع قيادة هذا الحزب، أو ما تابع رئيس هذه الطائفة تموت ميتة جاهلية، هذه مغالطة وتحريف لسنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا يجوز لمسلم أن يرتكب مثل هذا.

فيجب أن يفهم أن البيعة المقصودة بالحديث هي التي كلِّف أن يقوم بها المسلم، ثم مات ولم يتابع؛ هي بيعة الإمام الذي يقيم الحدود، ويقيم الشريعة، ويأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر، ويرفع راية الجهاد في سبيل الله؛ فإذا تخلف عن هذه البيعة أحد ومات يموت ميتة جاهلية. أما بيعة رئيس حزب، أما بيعة رئيس طائفة؛ فهذه لا يجوز أبدًا أن نقول: إنها بيعة إسلامية. بل هي بيعة بدعية تفرّق المسلمين لا تجمعهم؛ لأن الإسلام لا يريد أن يتخلف أحد عن بيعة الإمام؛ حتىٰ يكون المسلمون كلهم أمة واحدة.

لكن لما يكون هذا يُبايَع ورئيس هذه الطائفة يبايَع، هذا ما حصل المقصود، هذا ضد هدف الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قصده أن تكون الأمة كلها أمة واحدة تحت راية واحدة، أما لما ينبغ ألف صوفي كل

=

ومسلم: كتاب الإمارة، باب الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقىٰ به، حديث رقم (١٨٤١)، كلاهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

واحد يرأس طائفة، وألف زعيم حزب، ثم إن كل واحد منهم يستدل؛ معناه أننا أصبحنا ألف أمة أو ألفي أمة أو ماذا؟! والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يريد أن نكون أمة واحدة فقط، ولنا إمام واحد، ولنا راية واحدة؛ فهذا هدف الحديث.

أما الحزبيون والطرقيون الذين يحتجون بهذا الحديث؛ فهذا – والله – حجة عليهم، وهم ضد مرمىٰ ومغزىٰ هذا الحديث الذي رمىٰ إليه رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

تنبيه: إذا تفرَّق حكام المسلمين فصار لكل بلد حاكم يبايعه أهلُ إقليمه؛ فإن هذه البيعات تنعقد وتصير بيعات شرعية، قرر ذلك عدد من كبار أئمة الإسلام؛ حقنًا لدماء المسلمين، وذلك لأنه لو أراد حاكم واحد أن يجتمع الناس تحت رايته؛ تحولت بلاد المسلمين إلىٰ أنهار من الدماء، والنتيجة: الفشل وعدم تحقق هذه الغاية.

۞ ۞ ۞

السؤال الثامن: فضيلة الشيخ، نرجو منك أن تبيِّن لنا حقيقة الأشاعرة، وتوضح لنا مكانتهم من الفرق.

۞ **الجواب**: الأشاعرة كُتب فيهم كثيرًا، وقد ردَّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من الكتب؛ يعني مثل: «الحموية»، و«التدمرية»، و«الواسطية»، و«درء تعارض العقل والنقل». هذه الطائفة إذا رجعنا إلىٰ أصولها نجد عندهم شيئًا من أصول أهل السنة، أبو الحسن الأشعري كان معتزليًّا، ثم هداه الله فعاد إلىٰ عقيدة أهل السنة والجماعة، وألَّف في بيان مذهبه الجديد؛ بعد العودة إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة ألَّف كتبًا منها: كتاب «الإبانة»، وهو مطبوع منتشر،

وكتاب «مقالات الإسلاميين»، وهو مطبوع ومنتشر، وكتاب «الوجيز» أو «الموجز» وهذا ما رأيته إلىٰ الآن؛ فهذه نحا فيها منحىٰ السلف الصالح، فليت الأشاعرة الآن علىٰ الأقل يأخذون بما في «الإبانة» وبما في «المقالات»؛ فإنهم لو أخذوا بما في هذين الكتابين ما بقي بيننا وبينهم خلاف فيما يتصل بصفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والإيمان، وفي الإيمان بالقدر والجنة والنار والأمور الغيبية.

أما الآن من يسمىٰ بالأشعرية؛ فالحقيقة كثير منهم عندهم أشياء أخر غير الأشعرية، وحينما يطرح سؤال عن الأشعرية يجب أن ينظر إلىٰ التلازم والترابط بين أمور أخر، غير المذهب الأشعري؛ يعني هناك تصوف، الآن التيجاني يقول لك: أنا أشعري. النقشبندي؛ السهروردي؛ الجشتي من عباد القبور؛ يقول لك: أنا أشعري.

فيجب أن ننتبه إلىٰ هذه الأشياء، الأشعرية هي خطأ؛ ولكن إذا نظرت إلىٰ هذه الأشياء التي لصقت بالأشعرية؛ يعني تضاعف خطر الأشعرية، سبعين طريقة صوفية يعبدون القبور، يعتقدون في الأولياء أنهم يعلمون الغيب ويقول لك: أنا أشعري! فهذا الملحظ يجب أن يكون في الاعتبار؛ يعني لو كان الخطأ خطأ الأشعرية فيما يتعلق بالصفات، وهذا أمر خطير ولا شك؛ ولكن والله فيه أمور أخطر واكبت هذا المذهب أو من ينتمون إلىٰ أبي الحسن الأشعري.

أوَّلًا: هم انتماؤهم لأبي الحسن الأشعري فيه نظر، لماذا؟ لأن مؤلفاته في وادٍ وعقائدهم في وادٍ، لما تقارن بين النسفية وبين عقائد الباجوري والمواقف للإيجي؛ تجد أن أبا الحسن في وادٍ وهم في وادٍ بعيد بعيد عن أبي الحسن

الأشعري نفسه، فضلًا عن الكتاب والسنة، ثم لما يضم لك إلىٰ هذا طريقة صوفية يقول: طريقتي كذا. وإذا بالأولياء يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، وذبح، ونذر، وكذا وكذا، هذا شيء ثانٍ غير الأشعرية، طبعًا فيه ناس عندهم مغالطات في الجدل، يقول لك: الأشعرية هم من أهل السنة والجماعة، فيجب أن نسكت حتىٰ نجمع كلمة المسلمين. لكن يا أخي كيف أسكت علىٰ التيجاني والمرغني والنقشبندي والسهروردي والقادري... و...إلىٰ آخره. هم عباد قبور، كيف أسكت عنهم يا أخي؟! هذا خيانة لهم أوّلًا، هذا غش لهم؛ يجب أن نبين لهم أن هذا ضلال، أن هذا ضلال حتىٰ الجاهلية الأولىٰ ما وقعت فيه.

أبو جهل لو تسأله: من خلق السموات والأرض؟ يقول: الله. ومن يملك السمع والأبصار؟ يقول: الله. ومن يدبر الأمر؟ يقول: الله.

إذا جئت تقول: لا إله إلا الله، يستكبر! ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، كانت حرب مستعرة بينهم وبين الأنبياء؛ وبين رسول الله ﷺ بصفة خاصة، مستعرة بينهم لتحقيق «لا إله إلا الله». أما في توحيد الربوبية، أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر؛ يدبر الأمر، يدبر الكون ويتصرف فيه، هذه ما أحد يجادل فيها أبدًا؛ لكن الآن في هذه الصوفيات المستفحلة التي لا تسلم منها طريقة من الطرق، فيها: اعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب، وأنهم يتصرفون في الكون، وفيه قطب وأقطاب، وفيه غوث، وفيه أبدال، وفيه قبور، وفيه شد الرحال، وطواف وركوع وسجود،

وأشياء كثيرة؛ إذا قِسْت الأشعرية بهذه تضاءلت الأشعرية أمامها؛ فهذا الذي يغالط الدعاة إلىٰ الحق يريد أن يسدل الستار علىٰ كل هذه الطوام للأشعرية، تقول له: يا أخي، الأشعرية وحدها لا يجوز السكوت عنها، ووراءها - والله - أشياء خطيرة(١). ثم هذا الذي يهوِّن من هذه الضلالات، لا يقف عند هذا الحد

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٢٩): «وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل؛ فقد أثبتوا غاية التوحيد، ويظن هؤلاء أنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه؛ فقد فنوا في غاية التوحيد. وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاث معانٍ، وهو: «واحد في ذاته لا قسيم له أو لا جزء له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له». وهذا المعنىٰ الذي تتناوله هذه العبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول، وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول؛ بل التوحيد الذي أمر به أمر يتضمن الحق الذي في هذا الكلام وزيادة أخرىٰ، فهذا من الكلام الذي لبس فيه الحق بالباطل وكتم الحق؛ وذلك أن الرجل لو أقرَّ بما يستحقه الرب تعالىٰ من الصفات، ونزَّهه عن كل ما ينزه عنه، وأقرَّ بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحِّدًا، بل ولا مؤمنًا حتىٰ يشهد أن لا إله إلا الله، فيقرَّ بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له. والإله هو بمعنىٰ المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنىٰ القادر علىٰ الخلق؛ فإذا فسر المفسر الإله بمعنىٰ القادر علىٰ الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من المتكلمة الصفاتية - وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه -؛ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله؛ فإن مشركي العرب =

بل يزيد، تجده يتعاطف مع الرافضي، ويعتبره أخاه، وهذا شيء موجود، وينشر في الصحف الآن؛ قيادات إسلامية كبيرة ويموتون دون صدام ودون الخميني وجماعته، يدافع لك عن الأشعرية، لكن هو في حقيقة الأمر مستعد يدافع عن الروافض وعن الخوارج، ومستعد أن يدافع عن كل باطل علىٰ وجه الأرض، وإذا قال: إن كلمة التوحيد تفرق. تفرق بينك وبين الروافض وبين الخوارج وبين الطرق الصوفية هذه الضالة؛ يريد لقاءً مع الروافض وهم علىٰ رفضهم؟ يريد اللقاء مع من يقولون: إن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون. يريد لقاءً معهم، وهم علىٰ هذه العقيدة؟ إذا تخلوا عن هذا الباطل فأهلًا، نفتح لهم صدورنا وعيوننا وقلوبنا إذا تخلَّوا عن هذا الباطل، ومن يريد أن يفرِّق بينهم بعد أن يجتمعوا علىٰ كتاب الله، والله ما جزاؤه إلا السيف؛ «مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ فَاقْتُلوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ»(١)، فإذا اجتمعت الأمة علىٰ الحق والوحي الذي جاء به محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأراد أن يفرقها؛ فيجب أن يقتل، لكن إذا تفرَّقت وأصبح هذا رافضيًّا يؤلِّه أهل البيت، ويكفِّر الصحابة، وإلىٰ آخر

=

كانوا مقرِّين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين!

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال طائفة من السلف: تسألهم: من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله. وهم مع هذا يعبدون غيره».

(١) مسلم: كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، حديث رقم (١٨٥٢)، من حديث عرفجة بن شريح الأشجعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

العقائد التي لا تحصىٰ ولا تعد؛ إذا قرأت القرآن في تفسيرهم تجد آيات الكفر كلها تنصبّ علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة - رضوان الله عليهم -، آيات النفاق، آيات الردة، آيات الوعيد، آيات كل ما يعالج الشر ويدمغ الشر كلُّها تنصب علىٰ الصحابة - رضوان الله عليهم -، إذا جاءت الآية تتكلم في المنافقين قالوا: أبو بكر وعمر. إذا جاء وعيد بالنار قالوا: أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة. وهكذا، هل هؤلاء نحرص علىٰ الاجتماع معهم؟ واللهِ نسأل الله العافية.

واللهِ اليهود ما حرَّفوا هذا التحريف، اليهود سئلوا: من خير أمتكم؟ قالوا: أصحاب موسىٰ. وسئل النصارىٰ من خير أمتكم؟ قالوا: أصحاب عيسىٰ. وهؤلاء إذا سئلوا: من شر هذه الأمة؟ يقولون: أصحاب محمد[1]. أصله زندقة وكيد للإسلام، ليس دينًا هذا، كيف نقول: إخواننا. في هؤلاء؟ ودعوة التوحيد تنفِّر منْ هؤلاء، فإذا نفر هؤلاء من دعوة التوحيد وحب الصحابة وتحكيم

---

(١) روي هذا الكلام عن عامر الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أثر طويل؛ أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٨/ ١٤٦١، ١٤٦٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٣٩)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة: (١/ ٢٤ - ٢٩ و٢٩ - ٣٥) عن ابن شاهين في كتاب: «اللطيف من السنة»، وخشيش بن أصرم في كتابه، ومن طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه «الأصول». وقال شيخ الإسلام (١/ ٣٥): «فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجود متعددة يصدق بعضها بعضًا، وبعضها يزيد علىٰ بعض، لكن عبد الرحمن بن مالك ضعيف، وذم الشعبي لهم - الرافضة - ثابت من طرق أخرىٰ».

الكتاب والسنة، ونفروا، ودعونا إلىٰ العقيدة، إلىٰ وحدة المسلمين وإلىٰ الكتاب والسنة ونفروا، هل نكون نحن مذنبين؟! ونحن نتحمل المسئولية؟! يتحملون المسؤولية هم ومن يدافع عنهم! نعم.

❊ ❊ ❊

أسئلة الدرس

السؤال الأول: هل الدعاء في القنوت على شخص معيَّن مثل: (اللَّهمَّ أهلك فلانًا) أو (اللَّهم العن فلانًا) منسوخ بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ٢٨] الآية؟

الجواب: لم أرَ عالمًا عدّ مثل هذا في المنسوخ، والله أعلم، كان في علم الله أنَّ هؤلاء الذين عيّنهم رسول الله ﷺ في قنوته ودعائه، مثل صفوان بن أمية، والحارث بن هشام، وأمثالهما من قريش الذين كان قد كتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم في الأزل؛ لأن الله قدّر مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، فكان الله يعلم أن هؤلاء سيتوبون ويرجعون إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فلهذا - والله أعلم - السبب نُهِيَ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الدعاء علىٰ هؤلاء المعيَّنين، وما أعتقد أن الآية ناسخة لهذا اللون من الدعاء، ونستأنس لهذا بأنّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يقنت وفي قنوته يلعن الكفار، ويدعو عليهم(١).

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ١١١، برقم ٤٩٦٩)، ومن طريقه ابن المنذر في الأوسط (٥/ ٢١٤)، ومحمد بن نصر في الوتر (ص ١٤٢ - المختصر) معلَّقًا، والبيهقي في الكبرىٰ (٢/ ٢١٠، برقم ٣٢٦٨)، وصححه. وصححه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ١٤٩).

فالله أعلم، لسبب معين يتعلق بهؤلاء الذين عيّنهم رسول الله، بسبب أن الله قد علم أن هؤلاء سيتوبون ويدخلون في الإسلام؛ سهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وهؤلاء فعلًا قد تاب الله عليهم، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فالله تاب عليهم، وكانوا من خير سادات المسلمين، ومن المجاهدين الأبطال؛ كان من آثار إسلام سهيل بن عمرو: أنه لما مات رسول الله وارتد كثير من العرب، وهمّت قريش أن تجاري الناس في هذا المضمار - يعني أن ترتد علىٰ عقبيها -؛ فقال: يا معشر قريش لا تكونوا آخر من دخل في الإسلام وأول من يخرج منه. فثبتهم الله علىٰ الإسلام بسببه(١)، ثم الحارث بن هشام جاهد(٢)، وصفوان بن أمية جاهد في سبيل الله(٣)؛ فكانوا من سادات الصحابة ومن خيارهم ومن كبار المجاهدين في سبيل الله، الذين أنار الله بهم منار الإسلام.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٦/ ٨٩ - الجيل)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/ ٣٠٠)، والإصابة لابن حجر (٣/ ٢١٣).

(٢) قال مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش (ص ٣٠٢)، في ترجمة الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حسن إسلامه، وخرج في زمن عمر بن الخطاب بأهله وماله إلىٰ الشام؛ فتبعه أهل مكة يبكون عليه؛ فوقف، فبكىٰ، ثم قال: «أما لو كنا نستبدل دارًا بدارٍ، أو جارًا بجار؛ ما أردنا بكم بدلًا، ولكنها النقلة إلىٰ الله» فلم يزل حابسًا نفسه ومن معه بالشام مجاهدًا حتىٰ مات». وانظر: تاريخ دمشق (١١/ ٤٩٩)، والإصابة (١/ ٦٠٧).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٥٦٣)، والإصابة لابن حجر (٣/ ٤٣٣).

فأعتقد – والله أعلم – أن هذا هو السبب، وهذا هو السبب في أن مثل الدعاء بقي محكمًا وليس بمنسوخ.

❁ ❁ ❁

السؤال الثاني: نرجو من شيخنا أن يقوم بعمل دروس في مدينة جدة في علم مصطلح الحديث مثلاً، أو كتب الحديث؛ لأنكم من أهل الاختصاص في هذا المجال.

❁ الجواب: والله قد أجبت علىٰ هذا السؤال قبل أن يطرح، قلت: ارحلوا؛ أنا في المدينة وعندي طلاب هناك يحتاجون إلىٰ ما عندنا من هذا، من علم المصطلح أو غيره في حدود طاقتنا وإمكانياتنا وضعفنا وعجزنا.

أنا ما أقدر أرحل إلىٰ جدة وأعلِّم أهلها؛ فأنا أشجعهم علىٰ الرحيل إلىٰ المدينة يتعلمون من الشيخ محمد أمان، من الشيخ العباد، ومن الشيخ حماد الأنصاري، من مشايخ التوحيد والسنة والفضل، ويرحلون إلىٰ شيوخ الرياض والقصيم وغيرهم ويتعلمون منهم، ويحيون هذه السنة التي ماتت، وكانت سببًا وعاملًا كبيرًا في أن كثيرًا من شبابنا ما يعتبرون في عداد طلاب العلم.

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث: ما موقفنا من بعض الدعاة الذين أيّدوا أهل الكفر والزندقة في هذه الأحداث؟

❁ الجواب: أنا أجبت هذا السؤال، واستفتحت به هذه الكلمة، أعلنت

موقف المسلمين؛ يجب علىٰ كل المسلمين أن يدينوا هؤلاء أكثر مما أدانوا صدامًا، صدام أدانه الكفار والمسلمون لا شك، وهؤلاء المسلمون في غفلة منهم، وهم يجب أن يدانوا أكثر من صدام؛ لأن صدامًا كافر مجرم، وإذا قال: أنا مسلم. هو كذّاب، لكن هؤلاء يقولون للناس: نحن قيادات إسلامية، نحن علماء الإسلام. فالذين شاركوا صدامًا في المؤتمر وأيّدوه، والذين الآن يعقدون مؤتمرات ويقومون بمظاهرات، حتىٰ نسمع بعض الناس منهم يقول: يا صدام اسمح لنا نبايع لك! تفضل علينا وتكرم علينا نبايعك!

هؤلاء يجب أن يشهّر بهم، وأن يستتابوا، فإن تابوا وإلّا - واللهِ - لا يستحقون إلا الإهانات والعقوبات الصارمة؛ لأنّهم والوا الكفار ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وليس هناك موالاة للكفار أقوىٰ وأشد من هذه الموالاة التي يعلنونها في الإذاعات وفي الشوارع في المؤتمرات و... إلىٰ آخره، وتمر عليهم أشهر وهم يهتفون كالغربان ليلًا نهارًا، وكالبوم لهذا الرجل المجرم؛ فما عرفنا موالاة لأعداء الله أقوىٰ من هذه وأشد، فالآيات هذه - في دمغ من يتولىٰ الكفار بأنه منهم - تنطبق علىٰ هؤلاء.

❁ ❁ ❁

السؤال الرابع: إن وسائل الإعلام ووسائل الأخبار تتناقل عن بعض من يسمونهم بالإسلاميين في بعض الدول يقومون بمظاهرات ومسيرات، ومع الأسف! مع القوميين والعلمانيين والزنادقة تؤيد النظام الحاكم في العراق، السؤال: ما حكم المظاهرات والمسيرات؟

الفقرة الثانية: أيضًا يقومون بعمل تخريب لبعض المنشآت والمؤسسات، فهل هذا من الإسلام؟

۞ الجواب باختصار: المظاهرات تعلَّموها من أسيادهم الغربيين، الذين يتظاهرون بحرب الغرب وهم من أشد الناس ولوعًا بتقاليدهم؛ فهم يتابعون الغربيين ويحاكونهم محاكاة الببغاوات والقردة، ويقولون: نحن نحارب الغربيين، ونحارب أمريكا، ونحارب... وهم مغرمون أشد الغرام بتقاليدهم وعاداتهم وسياساتهم، فهؤلاء يصدق عليهم قول النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**»[1]، فهذه تقاليد وعادات أجنبية كافرة، نبرأ إلَىٰ الله منها، والإسلام بريء منها إن شاء الله.

---

(١) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، حديث رقم (٧٣٢٠).

ومسلم: كتاب العلم، باب سنن اليهود والنصارىٰ، حديث رقم (٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

والفقرة الثانية: التخريب والتدمير، هذه - والله - إساءة إلىٰ الإسلام، وإجرام في حق الإسلام؛ لأنه إذا خرَّبوا ودمَّروا قتلوا واغتالوا وقالوا: هذا إسلام. هذه تعاليم الإسلام التي تربوا عليها. فهم إنما يعتدون علىٰ الإسلام، وإنما يشوهون الإسلام، وسوف يحاسبهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والذي نرجوه من شبابنا: أن يستخدموا عقولهم وعقائدهم وضمائرهم في مواجهة هذا الانحراف، فيكون لهم مواقف إسلامية صحيحة لا مجاملة فيها ولا مداهنة فيها؛ لأنَّ المسلم يجب أن يراعي في مواقفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يجب أن تكون مواقفه لله، يجب أن يكون ولاؤه لله، يجب أن يكون عداؤه من أجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا لأجل أحد.

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس: أيها الشيخ حفظك الله، أريد أن أفهم قولَ الرسول ﷺ: «أَخْرِجُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»[1]، وأيضًا قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

---

(١) رواه بهذا اللفظ الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٣٨، برقم ١٧٤٩)، والبزار في مسنده (٢٣٠)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، برقم (١٧٦٧)، بلفظ: «لأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّىٰ لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا».

ورواه الفاكهي (٣/ ٤٠، برقم ١٧٥٣) باللفظ الأول من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد رواه الشيخان من حديثه: البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، باب هل يستشفع إلىٰ أهل الذمة ومعاملتهم، حديث رقم (٣٠٥٣).

=

«لاَ يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»(١).

❁ **الجواب:** يعني رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال هذا، وكلامه - واللهِ - علىٰ رؤوسنا وأعيننا، وسمعنا وأطعنا لقول رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولنا في أقواله وأفعاله وتشريعاته ومواقفه خير أسوة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، لكن رسول الله - الذي قال هذا - مات واليهود والنصارىٰ في جزيرة العرب، وهو معذور عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبآبائنا وأمهاتنا هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ مات ودرعه مرهونة عند يهودي، ومات واليهود في خيبر،

ومسلم: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، (١٦٣٤)، بلفظ: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

(١) موطأ مالك: كتاب الجامع، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة، حديث رقم (١٦٥٢) عن الزهري مرسلًا، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٥٦) عن الزهري عن ابن المسيب مرسلًا نحوه.

ورواه مالك نحوه في الموطأ (١٦٥١) مرسلًا، ووصله البزار (٧٧٨٦)، والبيهقي في الكبرىٰ (٦/ ١١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال الهيثمي (٤/ ٢٠١٧): «رواه البزار، وفيه صالح بن أبي الأخضر وهو ضعيف وقد وثق».

ورواه ابن إسحاق في السيرة (٦/ ٨٨)، ومن طريقه: أحمد (٦/ ٢٧٤)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٢، برقم ١٠٦٦)، من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. وصححه الدارقطني في العلل (١٣/ ٢٥٦). وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٥٨٦): «رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع».

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التمهيد (١/ ١٦٥، ١٦٦): «يتصل من وجوه حسان عن النبيِّ ﷺ من حديث أبي هريرة وعائشة، ومن حديث علي بن أبي طالب وأسامة».

والنصارىٰ في نجران واليمن، وما استطاع إخراجهم، كان في حاجة، في خيبر يستطيع إخراجهم؛ لكن كانت هناك حاجة، الصحابة مشغولون بالجهاد، هل يشتغلون بالفلاحة ويتركون الجهاد، أو يستخدمون هؤلاء اليهود، يفلِّحون لهم ويكدُّون لهم ويتمرغون في الأوحال والتراب ويقدِّمون لهم ثمار خيبر؛ أيهما أحسن؟ وُجِدت حاجة، وجدت حاجة فأبقاهم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مع قناعته الكاملة بأنه لا بدَّ من إخراجهم، ولكن متىٰ؟ عندما نستغني عنهم نطردهم طردًا؛ فاستمرت الحاجة في عهد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثلاث سنوات من بقية حياته وسنتين من خلافة أبي بكر، خمس سنوات، مدة طويلة من خلافة عمر، استغنىٰ عنهم عمر، قال لهم: اخرجوا. طرد النصارىٰ، وطرد اليهود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ تنفيذًا لهذا الأمر، ألا نستفيد من إبقاء رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للكفّار في جزيرة العرب من أجل حاجة المسلمين إلىٰ خدمتهم، ألا نستفيد من هذا أنه إذا دعت الحاجة إلىٰ كفار يقدِّمون لنا عملًا نحتاجه في دنيانا، يقدِّمون لنا خبرة صناعية نستفيدها، يجوز لأجل الحاجة أن نبقيهم؟ بلىٰ نستفيد؛ هذا هو الفقه.

وربما كان هذا تمهيدًا لفقرة ثالثة، أنا أعرف أناسًا يدندنون حول الاستعانة بالكفار الموجودين في الجزيرة، يحتجون بمثل هذه الأحاديث، ونحن نشكرهم علىٰ الاهتمام بهذه الأحاديث والاحتجاج بها؛ ولكن نقول لهم: الفقه فقه الأحاديث، افقهوا؛ رسول الله الذي أمر بإخراجهم وقال: «**لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي الْجَزِيرَةِ**». لأجل الحاجة أبقاهم، ولمَّا استغني عنهم في عهد عمر طردهم.

نحن الآن نستخدمهم في حاجاتنا، فإذا استغنينا عنهم؛ قلنا: اذهبوا، روحوا. كما أمر وفعل فعله الرسول ﷺ والصحابة، فمن هو المتأسي برسول الله وأصحابه؟ فهمنا هذا بارك الله فيكم.

❁ ❁ ❁

السؤال السادس: هناك بعض الأسئلة موضوعها واحد، ألخِّص موضوعها في أنه يرجى من الشيخ أن يبين لنا الفرق ما بين الموالاة المحرَّمة للكفار ومعاملتهم؟

❁ **الجواب**: الإسلام يجيز المعاملة مع الكفار مع بغضك لهم. الموالاة حبُّهم، الموالاة هي المودة والمحبة والتناصر معهم، علىٰ باطل تنصرهم؛ يعني إذا كان هذا الكافر تحت ذمَّتنا ويعتدي عليه مسلم يجب أن تنصره ولو كان كافرًا، وهذا لا يعتبر من الموالاة؛ هذا من العدل الذي شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن الوفاء بالذمم والعهود التي يتحتَّم علىٰ المسلمين إذا أبرموا عهودًا ومواثيق مع الكفار أن يفُوا بها، عرفتم؟ فالتجارة؛ الرسول ﷺ - كما عرفتم - مات ودرعه مرهونة عند يهودي، وكانت المعاملات بين نصارىٰ الشام، بين المجوس وبين المسلمين يأتون إلىٰ المدينة في عهد الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولعلكم تقرؤون آخر سورة الجمعة، وأن قافلة أقبلت من الشام بتجارة فانفض المسلمون، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ١١]، ما سبب هذا؟ أنَّ قافلة قدمت بتجارة من الشام، فسمع الناس بقدوم هذه القافلة - وهم في أول الإسلام - فخرجوا،

وبقي مع الرسول عدد قليل - عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وإلىٰ أن مات الرسول وفي أيام عمر تأتي التجارة من الكفار، ولما فتحت الدنيا استمر هذا التعامل مع الكفار.

فالتعامل مع الكفار بالبيع والشراء ما فيه شيء، الحب والنصرة علىٰ الباطل هذه هي المحرمة؛ هذا معنىٰ الموالاة التي يحرمها الله، ومن يتولىٰ الكفار الآن؟

الذي ينصر صدامًا ويؤيده؛ هذه هي الموالاة الباطلة، لكن تأتي بكافر يساعدك علىٰ عدو خبيث تعجز عن مقابلته؛ هذا ليس من الموالاة في شيء أبدًا.

فبعض الناس أو كثيرٌ من الناس يعتبر هذا موالاة؛ وهذا خطأ في الفهم وقصور في الفقه.

❁ ❁ ❁

السؤال السابع: فضيلة الشيخ إنكم تعلمون ما للفقه ومعرفة الواقع في أمّتنا من أهمية عظمى، فأرجو من فضيلتكم وضع ميزان لنا حتى لا يكون هذا الواقع هو جلَّ همِّنا، ويبعدنا عن الاهتمام بالعلم الشرعي.

❁ **الجواب**: والله أنا أشرت سابقًا أننا نحاول - بارك الله فيك - أن يكون لنا إلمام بالواقع، بحيث لا يشغلنا عن قضيتنا الأساسية التي هي دراسة كتاب الله؛ حفظ كتاب الله وحفظ سنة الرسول؛ يعني العناية والاهتمام بعلوم الوسائل من اللغة والأصول والصرف والنحو والبلاغة، التي تساعدنا ويتوقف فهم كثير من نصوص القرآن والسنة علىٰ استيعاب مثل هذه العلوم ومعرفة دقائقها.

فيكون عندنا شبه إلمام، لا مانع أن يتوسَّع بعضنا؛ نوجِّه كلَّ الشباب كل

الشباب نوجههم إلىٰ هذا؟! هذا يصرفهم عن الواجب الأساسي، ويشغلهم عن الواجب الأساسي.

الذين يشغلون نفوسهم دائمًا ودائمًا بهذه الأشياء تقسو قلوبهم، ما تلين القلوب إلا بذكر الله، بالقرآن؛ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، القلوب تقسو، والقلوب تصدأ وتتّسخ، وتحتاج إلىٰ ما يطهِّرها وينظفها ويليّن قسوتها، وما ذلك إلا بكتاب الله وبسنة الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أما هذه فلها دخل كبير - باركَ الله فيكم - في الران علىٰ القلوب وعلىٰ قسوة القلوب، فنأخذ منها بقدر، وقليل منا يعتني بهذه الأشياء علىٰ أن يضاعف جهده ويعوّض عن هذا الوقت الذي يضيعه في هذه الأشياء، يعوِّض ما فاته من دراسة كتاب الله وسنة الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ باختزال شيء من وقته، أنا عندي ثمان ساعات؛ أترك ساعة من الثمان للاطلاع علىٰ هذه الأشياء مثلًا أو نصف ساعة، هذه النصف الساعة التي أضيعها في قراءة الأشياء أعوِّضها، يعني بدلًا أن أنام ثمان ساعات أنام ست ساعات فقط.

ثم يا إخوتاه - بمناسبة هذا السؤال - كثير من الشباب غلوا في هذا الواقع، غلوا وجفوا في نفس الوقت، وربما اعتبروه أفضل من العلم بكتاب الله وسنة الرسول؛ بل لمسنا هذا لمسًا باليد أن من يتميز بعلم الواقع... ما هو علم

الواقع؟ يعني يدرس الصحف، وفيها الكذب، وفيها الباطل، وفيها التزوير، وكثير من هذا الكذب والباطل ينطلي علىٰ هؤلاء الذين يعنون بالصحف والمجلات، فيظنونها صدقًا؛ فيشحنون أدمغتهم، ويشحنون أدمغة النَّاس.

ثم تأتي تحاليل ودراسات خطأ في خطأ، فيؤدي إلىٰ شر لا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالمهم علم الواقع هذا أصبح له قداسة وله مكانة، وفيه مفاضلات، وفيه تهميش للعلماء الحقيقيين؛ يعني جعلهم في جانب لا تقبل فتاواهم، ولا يُحترمون، وأصبح هذا مثل قول أحزاب غير إسلامية، يحاربون الإسلام؟ يعني العلماء المسلمون جامدون رجعيون متخلفون.

هذا علم الواقع؛ معناه أن أصحابه تقدميون، وهؤلاء العلماء المساكين الذي لا يعرفون رجعيون جامدون متخلفون.

نفس السلاح الذي يستخدمه أعداء الإسلام ضد علماء الإسلام يستخدمه الآن كثير من شبابنا، كثير من شبابنا - مع الأسف - يستخدمونه.

أنا أقرأ في كتيب في العلمانية يقول: من خصائصهم أنهم يقولون عن العلماء: أنهم جامدون رجعيون ومتخلفون.

نفس الشيء يستخدمه شباب مسلم في حق شيوخهم وعلمائهم، فيقولون: ما يعرفون الواقع. ما يقدرون أن يقولوا: رجعيين. غيروا العبارة فقط، يعني وضعوا قالبًا جديدًا، لكن في حقيقة الأمر إنما هي عبارة عن قولهم: هؤلاء

رجعيون جامدون متخلفون. لهذا ترفض فتاواهم؛ لأنهم ما يعرفون الواقع، وهذا أمر خطير جدًّا رهيب، يجب أن يتوب شبابنا منه، وأن يرجعوا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأنهم وقعوا في ذنب كبير، وفي تفضيل هذا الواقع علىٰ شرع الله؛ لأن الطعن في هؤلاء والتنفير منهم وفي عملهم؛ مؤدٍّ لا محالة إلىٰ الطعن في شرع الله وفي دين الله.

هذه ثمار هذا الأسلوب الذي يُستخدم الآن كسلاح لتهميش العلماء وعدم اعتبار فتاواهم ورميهم بالجهل، الجهل والرَّجعية والتخلف، هذا مغزىٰ قولهم الآن: علماء واقع، وغير علماء واقع. هذا حقيقته وهذا تفسيره؛ لكن أنا أعتقد أنهم ما يعرفون، مساكين أخذتهم العواطف، ولا يعرفون ماذا يراد بهم؛ ما يعرفون، مساكين! فوقعوا في هذه الشبكات.

فأنا أوقظكم - أيها الشباب - الذي وقع في هذا منكم عليه أن يتوب إلىٰ الله، ويرجع إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويعرف مكانة العلم، ويعرف خطورة هذا الأسلوب؛ لأنه يؤدي إلىٰ التنفير من دين الله؛ لأنه إذا كان هؤلاء هم علماء الدين ونطعن فيهم ونجهّلهم، تشمئز منهم النفوس وتنفر؛ فيكون النتيجة النفور عن دين الله، من أين نأخذه بعد ذلك؟ نذهب نرتمي في أحضان أهل البدع، أو نعيش نتخبط في ظلمات الجهل - بارك الله فيكم -.

فأنا أناشد شبابنا وإخواننا الذين يتلقفون هذا الكلام من غير معرفة بعواقبه، ومن غير معرفة بمنطلقه وأهدافه؛ عليهم أن يدرسوا هذا الأمر، ويأخذوا مني هذا الدرس، ويحللوه إذا كانوا بدأوا يحللون؛ ليعرفوا النتائج والثمار لمثل هذا

الأسلوب والسلاح الرهيب الذي استخدم، وإن كانوا لا يقصدون؛ لكن مؤداه التنفير من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، التنفير من التوحيد، التنفير من السنة، التنفير من التفسير، التنفير من العلوم الإسلامية، ونُقبل علىٰ الصحف ونقول: نحن علماء الواقع. ويا سلام! ويا ضياع الدين إذا كان هذا هو المنهج! فنسأل الله العافية! فهذه بادرة خطيرة جدًّا، يجب أن يدرك الشباب وأن يفيئوا إلىٰ الله وإلىٰ كنف الحق وإلىٰ كنف التوحيد، ويتعلموا العلم من مناهله.

وأعود فأقول لهم: إن هناك بقية باقية من العلماء إن ذهبت قبل أن نستفيد مما عندها من العلم؛ فإننا سنفضي إلىٰ ما قاله رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❋ ❋ ❋

(١) سبق تخريجه.

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيّئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمّا بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

أيُّها الأبناء والإخوة: إنَّها لفُرصَة طيِّبة مُباركة أن نلتقي في ذات الله - إن شاء الله - لنعرف شيئًا أو يُذَكِّرَ بعضُنا بعضًا بما ينفعنا - إن شاء الله - في ديننا ودنيانا، - أسأل الله أن يكون هذا اللِّقاء نافعًا، وعنوان هذا اللِّقاء ما سمعتموه من الأخ المُقدِّم ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ الضمير يعود إلىٰ الرَّسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ،

فطاعة الرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيها الهداية الكاملة؛ لأَنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جاء بالهدىٰ والنُّور، وأرسله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليُظهِرَه علىٰ الدِّين كلِّه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]؛ فجاء بالهُدىٰ وجاء بدين الحق؛ فكيف لا يهتدي من يطيعه ويتبعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ! والله يشهد لهذا الرَّسول بأنَّه يهدي إلىٰ صراط مستقيم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]؟! وكان في خُطَبِه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «أَمَّا بَعد؛ فَإِنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كَلامُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ»(١).

والله وَصَفَ كتابَه الذي أنزله علىٰ محمد ﷺ بأنَّه هُدًىٰ للمتقين كما في أول سورة البقرة وفي غيرها، وفي سورة لقمان بأنَّه هدىٰ للمحسنين، وفي غيرها أنه هدىٰ للمؤمنين، وقال عَزَّوَجَلَّ في سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ فهو أفضل الرُّسل وأكمَلُهُم، وبه خُتِمَت الرِّسَالات وعنده أَكْمَلُ هِدَاية، كتاب الله وما أوحاه إليه من السُّنَّة المُطَهَّرة التي هي تفصيلٌ وبيانٌ وشرحٌ لهذا القرآن العظيم.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣١٠ و٣١٩ و٣٧١، والدارمي رقم (٢١٢)، ومسلم رقم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «فإن خير الحديث كتاب الله.» الحديث.

منها بيانه[1] لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.
[النحل: ٤٤]

---

(١) قال الإمام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: «وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فجعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خمس الغنيمة للذين سماهم وسكت عن أربعة أخماسها فلم يأمر بقسمها في كتابه ولم يبين لمن هي فبين ذلك رسول الله ﷺ بسنته فقسمها علىٰ الذين حضروا الواقعة سواء بين رجالتهم قويّهم وضعيفهم، وفضل الفارس علىٰ الراجل مع غير ذلك مما بيّن من أحكام الجهاد والسير وسننهما مما سيأتي تبيان ذلك في مواضعها إن شاء الله».

وقال: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، فعم ذا القربىٰ بالذكر ولم يخص بعضهم دون بعض فقسم الرسول ﷺ سهم ذي القربىٰ بين بني هاشم وبني المطلب دون سائر قراباته، فبين بسنته أن الله إنما أراد بذكر القرابة بعض القرابة دون بعض».

وقال: «قال الشافعي: قال الله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية، فلما أعطىٰ رسول الله ﷺ السلب للقاتل في الإقبال دلّت سنة النبي ﷺ علىٰ أن الغنيمة المخموسة في كتاب الله غير السلب إذا كان السلب مغنومًا ولولا الاستدلال بالسنة وحكمنا بالظاهر لقطعنا كل من لزمه اسم سرقة وأعطينا سهم ذي القربىٰ مَنْ بينه وبين النبي ﷺ قرابة، ثم خلص ذلك إلىٰ طوائف من العرب لأن له فيهم وشائج أرحام وخمسنا السلب؛ لأنه من المغنم مع ما سواه من الغنيمة». السنة للمروزي (٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٩).

فصلواتُ الله وسلامُه عليه، لقد أكرمه الله وأنزله أعظَمَ منزلة لمخلوق مِنْ خَلْقِه - صَلَوَاتُ الله وَسَلاَمُه عَلَيْه -؛ فعلينا أن نتَّبعه، وعلينا أن نُطيعه لنَهتَدِيَ - إن شاء الله - الهداية الكاملة التي نسألها ربَّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كلِّ ركعة من ركعاتِنَا الفريضة والنافلة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، ونسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يهدينا الصِّرَاط المستقيم في عقائدنا وفي عباداتنا وفي سائر شؤون حياتنا، وأعظم وسيلة إلىٰ هذه الهداية هي طاعة الرَّسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واتِّبَاعه، فمن يريد الهداية والاهتداء بهذا النُّور فعليه أَنْ يُوَطِّنَ نَفْسَهُ علىٰ الالتزام الكامل بطاعة هذا الرَّسُول الكَرِيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتَرَسُّمِ خُطَاه، واحترام أقوالِه وأفعالِه وتقريراتِه وأخبارِه الصادقة؛ فيُؤمن بهذه الأخبار، ويطيعُ هذه الأَوامر، ويجتنب النَّواهي، ويؤمن بالوعد والوعيد وبالجنَّة والنَّار؛ تصديقًا لهذا الرَّسول وطاعةً واتِّباعًا له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وهذه الآية التي اختير منها العنوان تبدأ بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤] صَلَوَاتُ الله وَسَلاَمُهُ عَلَيْه؛ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ طاعة الرَّسُول ﷺ طاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال في آية أخرىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]، ومن يعص الرَّسُول ﷺ فقد عصىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما جاء في أحاديث[1] فعلينا

---

(١) منها حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن =

بطاعة الرَّسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وذلك أخذٌ منَّا بأعظم أسباب الهداية، ويدخل في هذه الطَّاعة التزام العقائد التي جاء بها في رسالتِه، تضمَّنَها القرآن وتضمَّنَتها السُّنَّة، وتصديق الأخبار كلِّها ما يتعلَّق بالماضي والحاضر وما يأتي في المستقبل؛ ما يتعلَّق بالماضي من قَصَصِ الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - من آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُرُورًا بنوح وغيره من الأنبياء هود وصالح وإبراهيم وإسحاق وموسىٰ وغيرهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، كلُّها فيها عظات، وفيها عِبَر وفيها تربية، بل وفيها عقائد؛ إذ عَرَضَ الله علينا عقائدَهم ودعواتِهم - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وأخباره التي تُحَدِّثُنَا عن المستقبل سواء في القرآن أو في السُّنَّة نؤمن بها، وأوامرُه نطيعُه فيها في السَّرَّاء وفي الضَّرَّاء وفي المنشط وفي المكره وليس واللهِ لنا أيُّ خيار في أن نأخذ أو نترك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] فلسنا مختارين، علينا أن نطيع هذا الرَّسُولَ الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

طاعته فَرْضٌ حَتمٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي خلقنا لعبادته، وأكرمنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإرسال الرُّسل، وإنزال الكتب ومن أكمل هذه الكتب الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ وهو أكملُ الرُّسُل؛ فليس لنا أي عذر في التَخَلُّف عن طاعته، وليس

=

عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصا أميري فقد عصاني» رواه أحمد (٢/ ٢٧٠) رقم (٧٦٤٣) والبخاري رقم (٧١٣٧) ومسلم رقم (١٨٣٥).

واللهِ أمامنا أيُّ خِيَار، واختيار غير طاعته اختيار للشَّقاء، واختيار للضَّلال، واختيار للمصير إلىٰ النَّار.

وإيثار طاعته، والاستسلام لأوامره ونواهيه، والانقياد لتوجيهاته هي طريق الهداية إلىٰ كلِّ خير وتخليصنا من كلِّ شر.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ هذا إنذار، إنذار للَّذين يُعرضون ويَتَولَّون عن طاعتِه، الرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليه البلاغ؛ حُمِّلَ هذه الرِّسالة العظيمة، وكُلِّفَ بتبليغها، وقال الله عَزَّوَجَلَّ له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] فقد بَلَّغَ البَلاغَ الكامل المبين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذ ما قَصَّر في حرف أوحاه الله إليه، ولا في أمر أمره الله بتبليغه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد أَشهَد علىٰ هذا التبليغ في أكبر مجمع في آخر حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْت**» قالوا: نعم، قال: «**اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ**»[1] عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد بَلَّغَ الرِّسالة وأدَّىٰ الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتىٰ أتاه اليقين، ما علىٰ الرَّسول إلَّا البلاغ المبين أنتم تتحمَّلون المسؤولية إن قصَّرتم.

الرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أدَّىٰ واجبَه وبلَّغ رسالتَه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنتم تتحمَّلون مسؤولية التقاعس عن طاعته، واتِّباع ما جاء به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٧ (٢٠٦٥٨) و٥/ ٤٥ (٢٠٧٢٧) والبخاري رقم (٤٤٠٦) ومسلم رقم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لا تقل: «واللهِ الرَّسول جَدِّي يشفع لي وأنا أذهب ألعب وأعبث وأرتكب المُحرَّمَات وأجد الشفاعة هناك»! كلا.

قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لا أُلْفِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ صَامِتٌ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُكَ»[1].

إذًا ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾؛ ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من تبليغ الرِّسالة وأداء الأمانة، وقد بَلَّغَ الرِّسالة وأدَّىٰ الأمانة، ونبقىٰ نحن تحت طائلة المسؤولية إن لم ننهض بهذه الرِّسالة إيمانًا بأخبارها وتصديقًا بهذه الأخبار والتزامًا للتشريعات من أوامر ونواه في كلِّ شؤون الحياة، نحن حُمِّلْنَا هذا؛ حُمِّلْنَا النُّهوض بهذه الرِّسالة، والقيام بأعبائها في نفوسنا، وفي أُسَرِنا، وفي الأُمَّة كلِّها؛ دعوةً، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن المنكر، وجهادًا في سبيل الله، هذه كلُّها مسؤوليات هذه

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٢٦ (٩٤٩٩) والبخاري رقم (٣٠٧٣) ومسلم رقم (١٨٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأُمَّة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

النبي ﷺ أدَّىٰ لهذه الأمَّة رسالتها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبلَّغ البلاغ المبين البيِّن الواضح؛ إذ لا نحتاج إلىٰ شيء إلَّا وقد بيَّـنه رسول الله ﷺ علىٰ أكمل الوجوه - صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْه -: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَأَنْ يُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»(١) فما من خيرٍ تستفيده هذه الأُمَّـة وتنتفع به إلَّا وقد دلَّهم عليه في الدُّنيا والدِّين، وما من شَرٍّ يضرُّهم في دينهم ودنياهم إلَّا وقد أنذرهم إيَّاه وحذَّرهم منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهنا تأتينا آية أخرىٰ يمكن أن نقرأ قبلها بعض الآيات وهي مُنَاسِبَة جدًّا، وهي وعد الله للمؤمنين المطيعين بأن يكرمهم الله في الدُّنيا، ويكرمهم في الآخرة إذا هم أطاعوا هذا الرَّسول ﷺ فصدَّقوا أخبارَه، وامتثلوا أوامرَه، واجتنبوا نواهيَه، واحترموا شريعتَه، وعدهم الله وعدًا عظيمًا، وقد أَنجزَ هذا الوعد العظيم لمن قام بهذه الرِّسالة علىٰ أكمل وجوهها؛ وهم صحابة مُحمَّدٍ ﷺ وخيارُ التابعين الذين اتَّبعوهم بإحسان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٥ - ٥٦].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٦١ (٦٥٠٣) و٢/ ١٩١ (٦٧٩٣) ومسلم برقم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

والذي يتأمَّل ذكر الطاعة في كتاب الله تعالىٰ يجد أنَّها وردت في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعًا، إذا تأمَّل ما يكتنف هذه الأوامر من طاعات يجدها أمورًا عظيمة، ومنها هذه الآيات التي ذكرناها أنَّ الأُمَّة إذا آمنت، وأطاعت هذا الرَّسول ﷺ وآمنت به، وعملت الصَّالحات أن يكرمها الله في هذه الدُّنيا بالعزِّ والتمكين والاستخلاف وقد حصل هذا للرَّسول ﷺ ولخلفائِه الرَّاشدين، وحقَّق الله لهم هذا الوعد الذي وعدهم في كتابه الكريم وفي السُّنَّةِ المطهَّرة.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَىٰ لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»[1]؛ فهؤلاء الذين أطاعوا الرَّسول ﷺ ونهضوا برسالته إيمانًا بها وعملًا وتطبيقًا وهو عَمَلُ الصَّالحات، حَقَّقَ الله لهم الوعد، وإنَّ الله لا يخلف الميعاد، وإذا حصل شيء فيما يبدو للنَّاس من عدم نفوذ الوعد فهذا من العباد بإخلالهم بمقتضىٰ هذه الرِّسالة، وتقاعسهم عن القيام بها، ونكولهم عن النُّهوض بها وتبليغها؛ ففي عهد الخلفاء الرَّاشدين نهضوا بهذه الرِّسالة، عقائد صحيحة، وأعمال صحيحة، وجهاد صحيح، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر؛ فحقَّقَ الله لهم هذا الوعد، مَكَّنَهُم واستخلفهم، ومَكَّنَ لهم دينَهم الَّذي ارتضىٰ لهم، وقال بعضُ المُفَسِّرين في قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قال: «أوَّل من كَفَر بهذه النِّعمة قتلةُ عثمان»؛ لأنَّ الإسلام امتدَّ في الأرض علىٰ يدي الخليفتين قبله أبي بكر وعمر، وزاد اتِّساعًا في عهده؛

(١) أحمد في مسنده ٥ / ٢٧٨، ٢٨٤ ومسلم برقم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فانتشرت الفُتوحات في مشارق الأرض ومغاربها، وبلَغت الأُمَّة في عهد عثمان قِمَّة المجد والعِزِّ، ووثب عليه هؤلاء السُّفهاء الفُسَّاق فقتلوه؛ فهم أوَّل من كفر بهذه النِّعمة، ولا يريد أن يُفَسِّر أَنَّهم ارتدُّوا وإنما يريد بذلك أَنَّهم ارتكبوا مُوبقات عظيمة جدًّا، جَنَت علىٰ الأُمَّة الإسلامية، وكانت كُفرًا بهذه النِّعمة، وأنتم تعرفون الفَرقَ بين الكفر المُخرِج من الإسلام وبين كفر النِّعمة، ولا شَكَّ أنَّ ابن سبأ ولعلَّ بعض المنافقين كانوا مُندَسِّين في صفوف هؤلاء القَتَلَة؛ ولهذا ورد في بعض الأحاديث أنَّ الرَّسول ﷺ وصفهم بالنِّفاق؛ قال لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا أَلْبَسَكَ اللهُ قَمِيصًا فَأَرَادَكَ المُنَافِقُونَ عَلَىٰ خَلْعِهِ فَلاَ تَخْلَعْه»(١).

فهؤلاء أرادوا من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتنازل عن الخلافة، يتنازل لهؤلاء الأوباش الأوغاد تلاميذ ابن سبأ، فأبىٰ حتىٰ قُتِل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَحَقَّقَ الله هذا الوعد علىٰ أيدي الخُلفاء الرَّاشدين - رضوان الله عليهم - لأَنَّهم نهضوا بهذه الرِّسالة. ولو أَنَّ الأُمَّة الآن جَدَّت وعزَمَت علىٰ النُّهوض بهذه الرِّسالة لأعاد الله هذا الوعد من جديد وما تخلَّفَ أبدًا، نُشهِدُ الله ونؤمن أنَّ الأُمَّة لو تَقُومُ بهذا الإسلام كما قامَ به الصَّحابة الكرام - رضوان الله عليهم - تطبيقًا علىٰ مستوىٰ الأُسَر والأفراد والجماعات، وأمرًا بالمعروف، ونهيًا عن

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٧٥) والتِّرمِذي رقم (٣٧٠٥) وابن ماجه رقم (١١٢، ١١٣) وغيرهم من طرق عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واللفظ لأحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم (١١٧٨) و(١١٧٩).

المنكر، ودعوةً إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صادقة وجهادًا مخلَصًا لله لإعلاء كلمة الله والله لَيُعِيدَنَّ لهم هذا، ولَيُحَقِّقنَّ الله لهم هذا الوعد؛ ولكنَّ البَلاء والدَّاء العُضَال في الأُمَّة مع الأسف. فنسأل الله أن يُهيِّئ لها العلماءَ الصَّادقين المخلصين، المطيعين لله باطنًا وظاهرًا، المستقيمين علىٰ منهج الله باطنًا وظاهرًا، لو توجد نُخبة من العلماء يُشمِّرُون عن ساعد الجِدِّ، ويخلصون في تبليغ هذه الرِّسالة، ويحاولون أن يجمعوا الأُمَّة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سُنَّةِ رسول الله ﷺ وعلىٰ تطبيقِها تطبيقًا صحيحًا، لا يشوبُه أهواء، ولا تأويلات باطلة؛ لا في العقائد ولا في العبادات، لا تأويلات، ولا بدع، ولا ضلالات، ولا معاصٍ، ولا منكرات؛ كما كان في عهد خير القُرُون الذين تَوَّجَهُم الله، وأكرَمَهم بالسِّيادة والعِزَّة والكرامة في الدُّنيا والآخرة، هذا إكرام الله في الدُّنيا لمن يطيع هذا الرَّسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وبعد هذا الوعد والحديث، لمحة عن تحقيقه علىٰ أيدي الصَّحابة الكرام – رضوان الله عليهم – أفضل الطَّائعين، وأفضل المؤمنين، وأفضل المجاهدين – بعد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام –.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إقامة الصَّلاة ليس الصَّلاة فقط؛ إقامة للصَّلاة «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[1] تصلِّي كأنَّك تشاهد رسول الله ﷺ وهذا يقتضي منك أن تدرس سُنَّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتحاول أن

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٢٨)، من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تُطَبِّقَها بحذافيرها في كلِّ حركة من حركات هذه الصَّلاة، إضافةً إلىٰ الخشوع لله ربِّ العالمين، والرُّقي إلىٰ درجة الإحسان أن تَعبُد اللهَ كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك، لا نُصَلِّي يا إخوة صلاة جوفاء.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي يُصَلِّي صلاةً لا خُشوع فيها ولا حُضور فيها للقلب تكون مثل المَيْتَة صلاتُه، أيحسن للعبد أن يُقَدِّم لملكٍ من الملوك أو عظيم من العُظماء أن يُقَدِّم له مَيْتَةً بشكل هديَّة؟!!»؛ فأنت حينما تُصَلِّي يا أخي تقف بين يَدَيْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتناجي الله عَزَّوَجَلَّ، فحَاوِل أن تُصَلِّيَ صلاةً كاملةً تستوفي الشُّروط والأركان؛ من الطَّهارة، إلىٰ الأذكار، إلىٰ القراءة، إلىٰ الخشوع، إلىٰ استحضار عظمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهذا قيامٌ بحقِّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: إحسانٌ إلىٰ المخلوقين بإيتاء الزَّكاة، وإن كانت هي حقُّ الله لكنَّها تتضمن الإحسان إلىٰ المخلوقين، فالمؤمن يقوم بحقِّ الله، ويقوم بحقوق العباد التي شرعها الله، وافترضها علىٰ عباده لعباده؛ من البرِّ والإحسان، والدَّعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والذَّب عن هذا الدِّين؛ لأنَّ ذبَّك عن هذا الدِّين ذبٌّ عن الأُمَّة؛ لأنَّها لمّا تأتيها البدع والضَّلالات فيقعون في حمأتها وأنت ترىٰ ذلك ما أَحْسَنْتَ إلىٰ هذه الأُمَّة، وما أَحْسَنْتَ إلىٰ الإسلام، وما نَهضْتَ بالواجب الذي يتطلَّبُه منك الإسلام.

ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ فالرحمة سببها طاعة هذا الرَّسول ﷺ والهداية سببها طاعة هذا الرَّسول ﷺ والفلاح والظَفَر

بالمطلوب الأعظم يكمن في طاعة الرَّسول ﷺ.

وكما أشرت سابقًا أنَّ الأمر بطاعة الله ورسوله تأتي في مواقف عظيمة من القرآن؛ فمثلًا في سورة النِّساء ذكر الله حقوقَ النِّساء والأيتام والمواريث والوصايا إلىٰ غير ذلك ثم قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] ذكر هذه التشريعات العظيمة، ووعد المطيعين الَّذين ينهضون بها علىٰ وجهها الأكمل سواءً في المواريث أو في الوصايا طبعًا هذا بعد الإيمان الصَّادق وعدهم بجنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وتَوَعَّدَ من يعصي اللهَ ويَتَعَدَّىٰ حُدودَه في هذه الأشياء وفي غيرها أن يُدخله نارًا خالدًا فيها - وَالعِيَاذُ بِالله -؛ فهذه من آثار طاعة هذا الرَّسول ﷺ ومن آثار مخالفته ومعصيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ إمَّا جَنَّة كما وصف، وإمَّا نار وخلود كما ذكر في هذه الآية.

وأذكر من هذا النَّمط مثلًا؛ لمّا نهىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الخمر والمَيْسِر قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩٢].

فهنا توجيهات عظيمة جدًّا لإصلاح النُّفُوس، وإصلاح العُقُول، والحفاظ علىٰ الأعراض والدِّماء، وعلىٰ الدِّين قبل ذلك؛ فإنَّ الخمر تُذهِبُ العقل، وإذا ذهب العقل بالسُّكْر أدَّىٰ إلىٰ مفاسد عظيمة جدًّا ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾

المَيْسِر: «هو المغالبات والمراهنات والقمار» فإنَّه يذهب الأموال ويؤدِّي إلىٰ مفاسدَ عظيمة والخمر تُذهِبُ العقول، وتؤدِّي إلىٰ مفاسد عظيمة، إلىٰ القتل، إلىٰ الزنا، وقبائح كثيرة. والأنصاب: الأوثان، ففي هذا حفاظ علىٰ الدِّين، وتطهيرٌ للنُّفُوس من أوضار الشِّرك أفرادٍ وجماعات، هذه هي رسالة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلُّ هذه رجس من عمل الشَّيطان؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَبَّح هذه الأشياء، وبَيَّن أنَّها رِجس؛ أي نَجَس معنوي وحِسِّي؛ بعضُها فيه نجاسة حِسِّيَّة، وبعضُها نجاسة معنويَّة، والذي فيه نجاسة حِسِّيَّة فيه نجاسة معنويَّة أيضًا؛ فالأزلام وهي الاستقسام بالأزلام عمل جاهلي خُرَافي رُبَّما يفعله الآن كثيرٌ من النَّاس، الاستقسام بالأزلام فيها قِدَاح من خشب يعني عود السِّهام التي يُرمَىٰ بها، هذا العود الأساسي يُسَمَّىٰ القِدْح، ولها ريش، ولها نصل، وهو الذي ينصبه الرَمِيَّة، والرِّيش هو التي يجعلها معتدلة في ذهابها إلىٰ الرميَّة، هذه القِدَاح والسِّهام المنحوتة من الخشب كانوا يستقسمون بها، الواحد يريد الخروج في أمرٍ من

الأمور فيكتب علىٰ قِدْح: أَمَرني ربِّي، وعلىٰ الثَّاني نهاني ربِّي، ويأتي يحرِّكها هكذا إن جاءت نهاني ربِّي رجع، وإن جاءت أمرني ربِّي مضىٰ، ولهم أقوال أُخَر حول الدُّخول، والخروج، والسَّفر، والزَّواج، وما شاكل ذلك؛ وهي خرافات وضلالات، يقال: إنَّ كثيرًا من الخرافيين يستقسمون بالسُّبَح، لهم طُرُق ما نعرفها، أو يستقسمون بالمصاحف يستفتحون كما يُسمُّونه، استفتاح لا يُسَمُّونَه استسقامًا بالأزلام! فهذه رذائل وقبائح وخرافات يجب أن يَتَنَزَّه عنها المسلمون؛ لأنَّها من أوساخ وأنتان الجاهلية؛ فعلىٰ المسلمين أن يتناصحوا فيما بينهم، ويتآمروا بالمعروف ويتناهَوْا عن المنكر؛ سواء ارتُكِبَ الشِّرك كما في الأنصاب، أو الكبائر العظيمة والقبائح المُخزيَة كالخمر والمَيْسِر التي تُدَمِّرُ العقول، وتُفسِدُ الأموال، وتُنهِكُ أصحابَها، قد تَذهَب بمال الرَّجل، المَيْسِر هو القِمار؛ المُقامرات - وَالعِيَاذُ بِالله - قد تذهَب بمال الرَّجل كلِّه - وَالعِيَاذُ بِالله -.

فالإسلام يحافظ علىٰ عُقُول المسلمين، وعلىٰ دمائِهم، وعلىٰ أموالِهم، وعلىٰ أعراضِهم التي إذا تَعَاطىٰ النَّاس هذه القاذورات أدَّت إلىٰ فسادٍ عظيم في حياة المسلمين؛ فهذا من هداية محمد ﷺ وإرشاده لهذه الأمة بما تقتضيه الفطر السليمة والشرائع العظيمة، وبما تقتضيه العقول؛ فإن العاقل حتىٰ ولو لم يسمع القرآن ويتأمل هذه الأمور بعقله يدرك ما فيها من الفساد، كيف وقد جاء بها القرآن الكريم ناهيا عنها، أو حاربها القرآن الكريم، وحاربتها السنة المطهرة، فالقرآن أو هذه الرسالة علىٰ يد سيِّد الهداة محمد ﷺ فيها ما يحقِّقُ الهداية

الكاملة إلىٰ كلِّ خير، وإلىٰ الابتعاد عن كلِّ شر.

وأنتقل إلىٰ آيةٍ أخرىٰ فيها الأمر بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ اختَلَف الصَّحابة في وقعة بدر علىٰ الغنيمة فانقسموا إلىٰ ثلاثة أقسام: قسم لما انهزَم العدوُّ ذهب يُطارِد العدوَّ ويواصل هزيمتَه، وقسمٌ ذهبوا يجمعون الغنائم، وقسمٌ أحاطُوا برسول الله ﷺ يحمونه من غوائل الأعداء، ولما انتهىٰ الأمر وهدأت النُّفوس واجتمعوا قال الذين جَمَعُوا الغنيمة: الغنيمةُ لنا؛ لأَنَّنا نحن جمعناها، وقال أولئك: نحن ذَهبْنا نُطارِد العدوَّ، ونواصل هزيمتَه، ولولا أَنَّا فعلنا ذلك لأمكن أن يكرُّوا عليكم ويأخذوها، وقال أولئك: نحن أحطنا برسول الله ﷺ نحميه؛ فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] فأسند الأمر إليه جَلَّوَعَلَا وإلىٰ رسوله الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ١ - ٤]، هذا إكرام من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهم بهذا الثَّناء العاطر، وبهذه الشَّهادة، وبهذا الجزاء العظيم في الجَنَّة الذي أَعدَّه لهم؛ فهذا من ثمار طاعة الرَّسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتقوىٰ الله في نفس الوقت والإيمان بالله المستكمِل لهذه الصِّفات العظيمة التي استحقُّوا بها هذا الجزاءَ العظيم؛ كما في

آية أخرىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦] واستحقُّوا بها الشَّهادة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأنَّ هؤلاء الموصوفين بهذه الصِّفات وعلىٰ رأسهم واللهِ أصحابُ محمَّد ﷺ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ ورزق كريم في الجَنَّة، والدَّرجات هذه في الجنة؛ «**للمجاهد في سبيل الله مائة درجة ما بين الدَّرجتين كما بين السَّماء والأرض**»(١)؛ فكيف إذا جاهد في عشرات الغزوات!! وكيف إذا فَتَح أصحابُ محمَّد ﷺ الدُّنيا كلَّها!!، فتحوا الأرض والبُلدان والقلوب - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ -، فكم لهم من عظيم الدَّرجات عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟! حياتهم كلُّها جهاد وفتوحات، وهَدَىٰ الله بهم أممًا وشعوبًا لا تُحصىٰ؛ فلهم أجرُ ذلك الجهاد، ولهم أجر من أسلم علىٰ أيديهم إلىٰ يوم القيَامة، فكم نتخيَّل من الفضائل والمنازل العظيمة لمُحمَّد ﷺ وأصحابِه؟! لا يلحقهم أحدٌ بعد الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، هم أفضل النَّاس بعد الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وخِيارُ النَّاس بعد الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وخِيارُ القُرون، فمالهم منَّا إلا أن نترضىٰ عليهم، ونقول: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَه**»(٢)، لقد واللهِ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٥ (٨٤٠٢) والبخاري رقم (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١١، ٥٤، ٥٥، ٦٣) والبخاري رقم (٣٦٧٣) ومسلم رقم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

ظَفِرُوا بالدَّرجات العُلا، وشَهِدَ الله لهم بأنَّهم المؤمنون حقًّا، ووعدهم بالجَنَّة؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

بيَّن تفاضلَهم ووعد الكُلَّ، من أنفَق من قبْل الفتح، وقاتل ومن أَنفَق بعده وقاتَل، وكلُّ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يشتركون في الإنفاق والبَذْل، والقِتَال في سبيل الله؛ فاستحقُّوا من الله الحُسنىٰ وهي الجَنَّة.

فعلينا أن نعرف فضلَهم علىٰ هذه الأُمَّة، وأن نعرف منزلتَهم، وأن نؤدِّي ما نستطيعه من حقوقِهم بما في ذلك الذَّبُ عن أعراضهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن أحقُّ منهم - بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام - بأن يُذَبَّ عن عِرضِه وهذه منزلتُهم؟!

ومن المؤسف أشدَّ الأسف: أن من يتصدَّىٰ للذَّبِّ عن أعراضِهم يُؤذَىٰ أشدَّ الأذىٰ، ومع الأسف في هذه الأيَّام الحالكة المدلهمَّة التي تُسمَّىٰ بأيَّام الصَّحوة - مع الأسف - يوجد هذا البلاء ينتشر سبُّ أصحاب محمَّد ﷺ في كتب ويُروَّجُ لها.

وإذا قال إنسان هذا غلط قامت الدُّنيا وقعدت من أبناء هذه الأُمَّة! - مع الأسف -. فتوبوا إلىٰ الله جميعًا أيُّها الشَّباب، واعرِفُوا قدْر محمَّد ﷺ.

وواللهِ ما تعرفون قدْره ﷺ إلَّا إذَا قَدَّرتُم أَصحابَه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الذين ربَّاهم أحسن تربية، وقاموا برسالتِه خيرَ قيام بما لم يسبق لأُمَّة نبيٍّ من الأنبياء، ما أحدٌ بَلَّغ مثل تبليغهم، ما أُمَّة من الأُمَم جاهدت مثل جهادهم، ما هَدَىٰ الله أُممًا وشعوبًا علىٰ أيدي أُمَّةِ نَبيٍّ من الأنبياء مثل ما هَدَىٰ الله علىٰ أيدي أصحاب محمَّد ﷺ فواجب علىٰ المسلمين جميعًا أن يحترموهم، وأن يُقَدِّروهم، وأن يُنزلوهم منازلَهم العظيمة التي أَنزلهم الله فيها، ومن أراد أن يُزحزِحَ أحدًا منهم عن مكانتِه فقد تعرَّض لغضب الله ولعناتِه؛ كما لعنَ رسولُ الله ﷺ من يفعل ذلك[(١)].

فعلينا أن نعرف قدرَهم، وأن نعرف منزلتَهم؛ فهُم واللهِ أدَّوا إلينا رسالةَ محمَّد ﷺ غَضَّةً طريَّة، فبِها نَنعَم، وبها - إن شاء الله - نَسعَد، وبها عنهم نَذُب ونَفدِيهم بأرواحِنا ومُهَجِنَا؛ فهُم واللهِ نفديهم بأموالِنا وآبائِنا وأنفسِنا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ فلهم علينا أعظم الحقوق بعد الأنبياء - عَلَيْهِمْ الصَّلاَة وَالسَّلاَمَ -؛ فلنعرف لهم

(١) إشارة إلىٰ قوله ﷺ: «من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل» رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٥٩) رقم (٨) والآجري في الشريعة رقم (٢٠٤٨، ٢٠٤٩) والطبراني في الدعاء رقم (٢١٠١) والخطيب البغدادي في التاريخ (١٤/ ٢٤١) وابن عدي في الكامل (٥/ ٢١٢)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو في الصحيحة للألباني رقم (٢٣٤٠).

كرامتَهم، ولنعرف لهم منزلتَهم، وليكن لنا المواقف المشرِّفة في الذَّب عنهم وفي وجه من يتصدَّىٰ لهم أو لأحد منهم، هذا واجب من أعظم واجبات هذه الأُمَّة، وأصلٌ من أصول دينِها[١]، لا يجوز لهم أن يتهاونوا فيه أو يتخلَّوا عنه، - ونعوذ بالله - من التهاون في ذلك، ونعوذ بالله من التخلِّي، ونعوذ بالله أشد وأشد إذا تصدَّينا لمن يَذُبّ عنهم؛ فإنَّه واللهِ لمن أعظم البوائق ومن أعظم الكوارث التي حلَّت بالأُمَّة، وأعتقد وربِّي أنَّ ما نزل بالأُمَّة من هوان من أعظم أسبابِه هو الاستهانة بأصحاب محمَّد ﷺ، فلما استهانُوا بأصحاب محمَّد ﷺ أهانهم الله وأذلَّهم وسلَّط عليهم أذلَّ الأُمَم، ولا ينـزع الله عنهم هذا الذلَّ إلَّا بعد أن يعرفوا قدرَ الإسلام وقدرَ من بَلَّغ لهم هذا الإسلام، وهم أصحابُ محمَّد ﷺ.

واللهِ كنت أذكر ما أسباب هوان هذه الأُمَّة؟ طبعًا منها معاصٍ؛ لكن أنا أعتقد أنَّ من أعظم أسباب هذا الهوان النَّازل بهذه الأُمَّة لمّا لم تعرف حقَّ هؤلاء الأصحاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ استهانوا بهم فسقطوا في عين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وماذا تستحقُّ أُمَّةٌ تستهين بمنزلة مَنْ هذا شأنُهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعند رسولِه ﷺ وعند المؤمنين؟، ماذا تستحقُّ من الله إلَّا الهوان، حتىٰ تنـزِع من كلِّ المخالفات،

---

(١) روىٰ الخطيب البغدادي في الكفاية (٤٩) عن أبي زرعة الرازي: قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدىٰ إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ وهم زنادقة».

ومن أشنعِها وأفظعِها أن يُهان محمد وأصحاب محمَّد ﷺ (!!) ولا تَحمَىٰ الأُنُوف لهم (!) وتحمَىٰ لأهلِ الضَّلال والبدع السَّخيفة - مع الأسف - (!!).

تجد شبابًا تَحمَىٰ أُنُوفهم لأضَّل النَّاس وأسقطِهم في البدع والضَّلالات، ولا تأخذهم الغيرة ولا تَحمَىٰ أُنوفُهم لمحمد وأصحاب محمَّد ﷺ (!!!).

فأيُّ هُوَّةٍ ارتطم فيها هذا النَّمَط من البَشَر - مع الأسف الشَّديد -؟!

ما هذه الموازين؟!! أهذه موازين إسلامية؟!! أن يُهَان أصحابُ محمَّد ﷺ؟!

ومن تصدَّىٰ للذَّب عنهم يُؤذَىٰ ويُحَارَب علىٰ كلِّ المستويات وفي كلِّ الأصعدة (!!). والله أنا ذببت عن محمد وأصحابِ محمَّدٍ ﷺ، وأتَشَرَّف بهذا الذَّب، وواللهِ يحاربوننا في كلِّ مكان؛ في نَشَرَات علىٰ مستوىٰ الدُّنيا وفي مواقع الانترنت وفي الشبكات العنكبوتية... لأجل واحد سبَّ أصحابَ محمَّدٍ ﷺ، وسبَّ بعضَ الأنبياء - عَلَيْهِمُ الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ -! وهذه الحرب كلُّها لأجل هذا السَّاقط! سيِّد قطب لأجل هذا الضَّال التعيس الذي نكَبَ هؤلاء الشَّباب!!

فاتّقوا الله يا شباب الأُمَّة ويا شباب محمَّد ﷺ، واعرِفُوا للنَّاس قدْرَهم، واعرِفُوا لأصحاب محمَّد ﷺ قدرَهم، أُنبِّهكم يا إخوة.

وأعتقد أنَّ كثيرًا ممن وقع في هذه الهُوَّة يَسمَع الآن ومن لم يَسمَع فليَسمَع! هذه نصيحة يا إخوة! هذا واللهِ بلاءٌ عظيم؛ بلاءٌ عظيم الذي يَسبُّ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويُهينه يا إخوة، ويقول: «تَحَطَّمَت رُوحُ الإسلام في عهده، وتحطَّمت أُسُس

الإسلام في عهده»!!

خليفةٌ بَسَط نُفوذَه علىٰ الدُّنيا كلِّها، يَنشُر الإسلام، ويُجَهِّز السَّرايَا والجُيُوش لإعلاء كلمة الله، ويَنشُر العدل والإسلام في أرض الله يُتَّهم بهذه التُّهم ثم لا يَحمَىٰ له أنف! ويُروَّج لهذا الذَّم وهذا الطَّعن وهذا التشويه لأصحاب محمَّد ﷺ لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيرِه!

لا تنتظرُوا خيرًا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا كان هذا حالُكم، فتوبوا إلىٰ الله جميعًا أيُّها المؤمنون، وانصروا الله، ومن نَصْرِ الله وَنَصْرِ دِينِه الذبُّ عن محمد وأصحابِ محمَّد ﷺ.

والذَّبُّ عن أصحاب محمد ﷺ له صلة قويَّة بهذا الموضوع.

فأقول: إنَّه واللهِ من أعظم المُروق من طاعة الرَّسول ﷺ أن يُسبَّ أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، ويُشَاع هذا السَّب بين أُناس لا يخجلون ولا يَغارُون لأصحاب محمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واللهِ لو أمامنا السُّيوف والرِّماح والله لقَذَفْنا بأنفسِنا عليهم من أجل أصحاب محمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ما هو بالكلام السَّاقط الباطل، فلا نزدادُ - إن شاء الله - إلا حَميَّة لهم؛ حَمِيَّة إسلاميَّة لا جاهليَّة، ولا نزدادُ إلا ذَبًا عنهم - ونحن واللهِ - نرفع رؤوسَنا بهذا. ونسأل الله أن يتقبَّل منَّا هذا، وأن يرزقنا فيه الإخلاص، ونَعُدُّه والله من أفضل أنواع الجهاد، الذَّب عن سُنَّة رسول الله ﷺ، والذَّب عن أصحاب رسول الله ﷺ لا يَعدِلُه جهاد، أيُّ قيمة لجهاد يقوم علىٰ سبِّ أصحاب محمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟! أيُّ قيمة؟!

أو يُغضّ الطَّرْفُ عمن يَسبُّهم، بل يعتبرونهم أئمَّةَ هُدًىٰ! يعتبرون من يَسُبُّ أصحابَ محمَّد ﷺ، وبعضَ الأنبياء عَلَيْهِمْ الصَّلاَةَ وَالسَّلاَمَ إلىٰ عقائد طويلة عريضة، عقائد فاسدة.

والله يَشهدون لهم بالتجديد وبأنَّهم أئمَّة هُدًىٰ! ويُعلَن هذا - مع الأسف -! ولا أحد يحَاسِب من يقول هذا الكلام، ويشهد هذه الشَّهادة الباطلة الضَّالة! لا أعرف شهادة أَكذَب ولا أَفجَر منها - وربِّ السَّماء -، إنسان يَسُبُّ أصحابَ محمَّد ﷺ ويَسُبُّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويَسخَر منه...

تَشهد له أنَّه إمام هُدىً؟! أيُّ أُمَّة الآن هذه التي يعيش فيها أمثال هؤلاء، ويستطيعون أن يجهروا بمثل هذه الشَّهادة المُزَوَّرة علىٰ رؤوس الأشهاد؟! ولا مِنْ نكير لمثل هذا!

فنبرأ إلىٰ الله من هذه الأساليب ومن هذه الأفاعيل، وندعو الشباب المسلم في كلِّ مكان إلىٰ احترام الإسلام، واحترام العقائد الإسلاميَّة، والسَّيْر علىٰ منهج السَّلف باتِّباع سنَّة المصطفىٰ - صلوات الله وسلامه عليه - واحترام أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم -.

قال بعض السَّلف: «من انتَقَص صَحابِيًّا واحدًا فهو زِنديق»(١).

---

(١) قال أبو بكر الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي عن رجل شتم رجلًا من أصحاب النبي ﷺ، فقال: «ما أراه علىٰ الإسلام» السنة برقم (٧٨٦).

وقال الإمام أحمد: «ومن انتقص واحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه لحدث كان منه أو =

هذه نظْرَتُهم إلىٰ من ينتقص واحدًا من أصحابِ محمَّد ﷺ.

كيف بمن يقول في معاوية وعمرو بأَنَّهما كذَّابَيْن وخائِنَيْن وغَشَّاشَيْن...؟!!

سُئلَ ابنُ المُبَارَك: أَيُّهُما أفضل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو معاويَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ فقال: «الغُبار الذي دَخَل في أَنْف معاويَة وهو يغزُو مع رَسولِ الله ﷺ أفضل من عمر بن عبد العزيز»(١).

ويُقسِمُ أحدُ التَّابعين أنَّ: «أَيَّام معاويَة أفضل من أَيَّام عمر بن عبد العزيز؛ فقال: في ماذا؟ قال: في العَدْل»(٢).

العَدْل كان قائمًا في أَيَّام معاويَة أحسن منه في أَيَّام عمر بن عبد العزيز – رِضْوَانُ الله عَلَىٰ الجَمِيع –.

ذكر مساويه كان مبتدعًا حتىٰ يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا». السنة للخلال رقم (٧٥٨) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٤).

وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله – يعني الإمام أحمد – وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضي؟ قال: «إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما يبغض أحدٌ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وله داخلة سوء». السنة للخلال (٢/ ٤٤٧) رقم (٦٩٠) وتاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ٢١٠ والبداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٤٨.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٥٩/ ٢٠٧ والبداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٤٨.

(٢) روي ذلك عن الإمام سليمان بن مهران الأعمش؛ انظر: السنة للخلال (٢/ ٤٣٧) ومنهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٣٣٣).

هذه شهادة من تابعيٍّ ثقة مأمون عَرَف العَهدَيْن؛ أنَّ أيَّام مُعاويَة في العدل أفضل من أيَّام عمر بن عبد العزيز ورضي الله عن عمرَ بن عبد العزيز؛ لكن والله لا يُقَدَّم علىٰ أصحابِ رسول الله ﷺ لا في عدل ولا في فضل، وإن كان بعضُ النَّاس يتجرَّأ ويُفَضِّل عمر بن عبد العزيز علىٰ معاويَة، هذه جُرأةٌ عظيمة - أستغفر الله وأتوب إليه -، منزلة الصُّحبة يا إخوة لا يَلحَقُها شيء[1]، أنت تُنفِق جَبَلًا من الذَّهب وهو يُنفِق مُدًّا من الشَّعير أو نصف مُدٍّ ما تَلحَقُه، هذا دليل علىٰ كرامتِه ومنزلتِه عند الله يا إخواني.

علىٰ كلِّ حال: أنا كنت أعددت أحاديث في هذا الباب، ولعلي أَذكُر لكم منها شيئًا يتعلق بالهداية، ومنها ما يتعلق بالطَّاعة والمعصية، - ومع ضيق الوقت - أقرَؤُها عليكم إذا استحضرتها.

فيما يتعلق بالهداية حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ المَاءَ فَأَنْبَتَتْ العُشْبَ وَالكَلأَ الكَثِير وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَشَرِبَ مِنْهَا النَّاسُ وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً»[2].

---

(١) روىٰ ابن ماجه برقم (١٦٢) وأحمد في [فضائل الصحابة (١/ ٦٧) برقم (١٥) - وصي الله عباس] وغيرهما عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لا تسبُّوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره». قال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٩ والبخاري برقم (٧٩) ومسلم برقم (٢٢٨٢).

شَبَّه الهُدىٰ والعِلم الذي جاء به محمَّد ﷺ بالغيث وقسَّم استقبال النَّاس له وقَبُولهم إيَّاه أو إعراضهم عنه ثلاثة أقسام:

قِسْمٌ يَقبَل هذا الهُدىٰ، ويتعلَّم ويُعَلِّم، ويَنشُر هذا الخير؛ فهذا مَثَل الأرض الطيِّبة التي قَبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشبَ الكثير.

وأناس منهم حَفِظُوا هذا العلم وهذا الغَيث، واستفاد النَّاس من هذا المحفوظ؛ فانْتَشَر في النَّاس هذا الخير كانتشار نفع الماء الذي أمْسَكَتْهُ الأرض الأجادب؛ سَقَوْا وَزَرَعُوا، يعني ناس يَنهَلُون من هذا العلم، ويستفيدون منه، ويشتَقُّون منه الأنهار والعلوم وما شاكل ذلك؛ ولهذا قال في آخر هذا الحديث: «**فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فقه في دين الله فنفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي جِئْتُ بِهِ**»؛ فطائفتان قَبِلَتا، لكن تفاوتتا في نفع العباد وفي الانتفاع فعلًا من فِقهٍ وغيرِه، وطائفةٌ نَفعَت ونَشَرَت الخير في النَّاس، ولكنَّها دون الطَّائفة الأولىٰ، وطائفةٌ لم تقبل هُدَىٰ الله، ولم تَرفَع به رأسًا؛ فهي كالسِّباخ لا تمسِك ماءً ولا تُنبِتُ كلأً، وهذا قد يَشمَل الكُفَّار، ويشمل المنافقين، ويَشمَل العُصاة والفاسقين من هذه الأُمَّة - عِيَاذًا بِالله - أن نكون من هذه الأصناف.

ونسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا من الصِّنفين المستفيدين اللَّذَين استفادَا وأفادَا النَّاس.

وفي الطَّاعة والمعصيَة؛ يقول الرَّسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كُلُّكُم يَدْخُلُ الجَنَّة إِلَّا مَنْ يَأْبَىٰ، قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ**

وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»(١) فالحديث يوافِق الآيات القرآنيَّة، من يُطِع الله فله الجنَّة، ومن يعص الله فله النَّار؛ كما مرَّت بنا الآيات التي استعرضْنَا بعضَها فيما سبق.

وفي حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول ﷺ: **«مَثَلِي وَمَثَلُ مَا جِئْتُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْم! إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنِي وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَان فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَنَجَوْا وَكَذَّبَهُ طَائِفَةٌ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمْ الجَيْشُ وَاجْتَاحَهُمْ وَأَهْلَكَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَق»**(٢).

فهذه الأحاديث تتوافق مع الآيات الكثيرة في الوعد والوعيد، الوعد العظيم لمن يطيع الله، والوعيد الشَّديد لمن يعصي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]؛ فهذه معصية الكفر.

وتبقىٰ معصية الكبائر والمخالفات أيضًا لهم قِسطٌ من كثيرٍ من نصوص الوعيد التي وردت في نُصوص القرآن والسُنَّة؛ كالوعيد علىٰ الرِّبا، والوعيد علىٰ الزِّنا، والوعيد علىٰ شُرب الخَمر، والوعيد والذمّ الشَّديد لمن يقع في الكبائر والمخالفات ولو كان من المسلمين وفيها من الوعيد ما تشيب له النَّواصي، وقد يكون هذا المُنهمِك في المعاصي قد يموت علىٰ سوء الخاتمة - مع الأسف - فيلتحق بالكافرين، وقد يرتد وهو حي - والعياذ بالله تعالىٰ -، وقد يؤدِّي به ذلك

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٦١ (٨٧١٣) والبخاري رقم (٧٢٨٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٤٨٢، ٧٢٨٣) ومسلم رقم (٢٢٨٣).

التَّمادي والإصرار علىٰ المعاصي قد يؤدِّي به إلىٰ زيغ القلوب والنِّفاق الأكبر - والعياذ بالله تعالىٰ -.

فالحرص الحرص علىٰ طاعة هذا الرَّسول الكريم ﷺ واحترام تعاليمه وتوجيهاته، والحذر الحذر من عصيان هذا الرَّسول ﷺ ومخالفة أوامرِه؛ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أتدري ما الفتنة؟ لعلَّه يصيبُه شيءٌ من الزَّيغ فيَهلَك»(١).

فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُوَفِّقَ هذه الأُمَّة وأن يسدِّدَها في الالتزام بكتاب ربِّها وسُنَّة نبيِّها ﷺ والاعتصام بذلك، ونسأله أن يُهيِّئ لها الدُّعاة الصَّادقين المخلصين الذين يلتزمون شريعةَ الله ظاهرًا وباطنًا، ويَشعُرون بِثِقَل الأمانة وعِظَم المسؤولية في تربية شباب الأُمَّة، وقيادتهم إلىٰ كلِّ خير وتجنيبهم كلَّ شر.

أسأل الله أن يحقِّقَ ذلك.

إنَّ ربَّنا لسميع الدُّعاء. وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

والسَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه.

❊ ❊ ❊

---

(١) الإبانة لابن بطة رقم (٩٧)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص١٨٢.

مكانة الصحابة في الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مرحبًا بالإخوة والأحبة في هذا اللقاء الطيِّب الذي أرجو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأضرع إليه أن ينفعنا وإيَّاكم بما نقول ونسمع، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، موضوع المحاضرة مهمٌّ جدًّا وهو: (مكانة أصحاب محمد ﷺ)، وإنَّ لهم والله لمكانةً ومنـزلةً عظيمة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وعند رسوله ﷺ وعند المؤمنين الصادقين، والقرآن مليءٌ بمخاطباتهم، والإشادة بهم، وذكر صفاتهم الجميلة؛ فيصفهم بالمتقين، ويصفهم بالمحسنين، وبالصابرين، والثابتين، والقانتين، كل ذلك في القرآن، والسنَّة مليئةٌ ببيان هذه المنزلة للصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد دوَّن أهل العلم الأحاديثَ النَّبوية التي تتعلق بفضائلهم ومزاياهم؛ دُوِّنت في الكتب الصِّحاح والمسانيد والمجامع، وفي كتب خاصة بفضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن حقِّهم علينا أن ندرس ما يتعلَّق بهم من القرآن دراسةً خاصة، وما يتعلَّق بهم من السنَّة كذلك، وأن نفديهم بأموالنا وأنفسنا، وأن نَذُبَّ عن أعراضهم هجمات الضالين من المستشرقين والروافض والباطنية وغيرهم من فرق الضلال، يجب أن نَذُبَّ عنهم أكثر من أن نَذُبَّ عن آبائنا وأبنائنا وأنفسنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد دونت في هذه الأوراق آياتٍ وأحاديث تتعلَّق بهم، فأستهلُّ بذكر فضائلهم ببعض الآيات القرآنية، وأعطف علىٰ ذلك ببعض الأحاديث ممَّا يخطر علىٰ بالي، وأحيلكم علىٰ المصادر التي ذكرتها في هذه المقدمة من الصحاح والمسانيد والجوامع وغيرها من الكتب الخاصة التي أُلِّفَت في بيان فضائلهم.

مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ

يقول الله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] رضوان الله عليهم.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: جاهدوا في سبيل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، خاضوا غِمار الجهاد في معارك معروفة، لماذا؟ لإعلاء كلمة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فهم في مواجهة أعداء الله أشدَّاء، يعني هؤلاء الكفار أعداء الله فلا نتساهل معهم، ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن إذا جدَّ الجد فنَسُلُّ عليهم السيوف ليخضعوا لكلمة الله، وليخضعوا لدين الله، وليتبعوا رسل الله - عليهم الصَّلاة والسَّلام -، وهذه الشدَّة محمودة، الشدَّة ليست محمودة في كلِّ حال، ولكن أحيانًا تتعيَّن ولا بدَّ منها في مواقف الجهاد والذَّب عن دين الله، وعن رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: فيما بينهم يتراحمون، متآخون متحابُّون، هذه الأخوة التي

هي مضرب الأمثال وأروعها التي حصلت لأصحاب محمَّد ﷺ حتىٰ كان أحدُهم إذا جُرِح في المعركة جراحة الموت وإلىٰ جنبه إخوانه صرعىٰ مثله يطلب الماء، فيأتيه، فيلتفت فإذا حوله إخوانُه فيحيل الماء إلىٰ أخيه، والثاني إلىٰ الثالث، والثالث إلىٰ الرابع وهكذا، حتىٰ إن الذي دار عليهم بالماء لا يصل إلىٰ الأول إلا وقد قضىٰ، ويعود إلىٰ الثاني إلا وقد قضىٰ، وهكذا، فهم كما وصفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. كانت بينهم محبة، وبينهم مودة، وأرجو أن نُحييَ هذه الرُّوح الطيِّبة فيما بين الشباب المسلم الصادق، وأن يتآخوْا بينهم، وأن يجعلوا هذه المحبة من أعظم محاور حياتهم؛ لأنَّه أمرٌ عظيم، والله يُحبُّه ويجازي عليه أعظم الجزاء «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»[1]، وجبت محبة الله لهؤلاء، والمتحابُّون في الله يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وكان السلف إذا سئل أحدهم عن أرجىٰ أعماله يقول: المحبة في الله، فاهتموا بهذا الأمر العظيم؛ لأنَّ هذا الآن يكاد يكون مفقودًا فيما بين الشباب إلا من رحم الله، فأرجو أن نحيي هذه الرُّوح في واقعنا وفيما بيننا.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع رقم (٢٧٤٤) وأحمد في المسند (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧) رقم (٢٢٣٨٠، ٢٢٤٨٢) وابن حبان في صحيحه - الموارد (ص٦٢٢)، والحاكم (٤/ ١٦٩) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٩٢.

﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾: عُبَّادٌ في اللَّيل والنهار.

﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾: مخلصين لله، لا رياء ولا سمعة، وإنَّما يبتغون الفضل من الله ألا وهو الجزاء، ورضوانه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الذي هو أعظم من الجزاء بالجَنَّة، فعبادتهم وأخوتهم... يبتغون بذلك وجه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: آثار هذه العبادة، وهذه الأخلاق، وهذا الإخلاص، سيماهم بارزة ظاهرة في وجوههم، ترىٰ فيهم علامات الخير؛ سمتٌ جيِّد، وهديٌ جيِّد، ودَلٌّ جيِّد، حتىٰ إنَّهم لمّا فتحوا الشام كان النصارىٰ ينظرون إليهم، ويقولون: واللهِ هؤلاء أفضل من الحواريين؛ لكمال أخلاقهم، ومروءتهم، وشرفهم، ورحمتهم، وبرِّهم، فانبهر بهم أتباع عيسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ(١)، قالوا: هؤلاء أفضل من الحواريين، هم يعبدون الحواريين، ويقدِّسونهم، لكنَّهم رأوا في أصحاب محمَّد ﷺ من الأوصاف الجميلة ما جعلهم يُفضِّلونهم علىٰ الحواريين؛ ولهذا دخل معظمهم في الإسلام، جذبوهم بهذه الأخلاق، نعم

---

(١) قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسيره (٤/ ١٧٣ - ١٧٤): «قال مالك رَحِمَهُٱللَّهُ: بلغني أن النصارىٰ كانوا إذا رأوا الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة. إلىٰ أن قال: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ قال: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع».

فتحوا الشام وغيرها بالسيوف، ولكن القلوب أقبلت عليهم بسبب هذه الأخلاق الكريمة الشريفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُسجِّل هذا الفضل وهذا الخير لأصحاب محمَّد ﷺ ليكونوا لنا قدوة وأسوة، فلنجعلْ منهم قدوةً وأسوةً في كلِّ ما يمدحهم الله عليه ويثني به عليهم، وأقول: كلُّ وصفٍ جميل في القرآن وخطابٍ جميل فإنَّما أصله للأنبياء ثم لأصحاب محمَّد ﷺ، ومن جاء بعدهم ممن اتبعهم بإحسان إنما يدخل بالتَّبَع، وأمَّا المقصود الأول فهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلهم منزلة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ إنَّ الرسول ﷺ قال: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْل أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[1]. يعني هذا في مجال الإنفاق، ينفق مُدًّا من الشعير أو من الحنطة وأنت تنفق جبلًا من الذهب ما تلحقه؛ لإخلاصه، وتفانيه في نصرة هذا الدِّين، وإخلاصه لربِّ العالمين، ولنصرته لرسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في تلك الأوقات الحالكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولاسيما السابقون منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولمن تبعهم، وللأنصار نصيبٌ وافر من ذلك، فنعرف مكانتهم، ونحاول أن نتأسّىٰ بهم لتشملنا رحمة الله ورضوانه الذي تناولهم قبلنا.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: هذه الصفات التي يصف الله بها محمَّدًا ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ موجودة في التوراة، أوحاها الله إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تنويهًا بذكرهم؛ لمنزلتهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكثيرٌ ممن دخل في الإسلام من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١١، ٥٤، ٥٥، ٦٣) والبخاري في الفضائل رقم (٣٦٧٣) ومسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أهل الكتاب عرف هذا، عرف هذه الصفات لمحمَّد ﷺ ولأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فدفعه ذلك إلىٰ الإسلام، والعناد يوجد في كلِّ طائفة وفي كلِّ ملة وفي كلِّ نِحلة، والقلوب التي تريد الحق موجودة في كلِّ الطوائف، فمن يريد الحق إذا لمسه أخذ به وتقبَّله، ومن أراد الله به شرًّا يرفض هذا الحق ويردُّه؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في اليهود في حق محمَّدٍ ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] يعرفون محمَّدًا ﷺ وأنَّه رسول الله، لماذا؟ لأنَّ صفات محمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصفات أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ موجودةٌ في التوراة في مئات النصوص؛ كما يذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن درس حتىٰ البقية الباقية من كتبهم بعد التحريف يجد كثيرًا من الآثار والنصوص التي تنوِّه بمحمَّدٍ ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: يعني الزراعة يخرج أصل الزرع عودًا واحدًا، ثم تطلع فروعه، فيشتد ويقوىٰ، وهكذا بدأ محمَّد ﷺ بهذه الدعوة، ثم آمن وتتابع من وفَّقه الله من العرب وغيرهم إلىٰ الدخول في الإسلام، حتىٰ اشتدَّ وقوي بأصحابه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونصره الله علىٰ أعدائه، وهذا التكاتف وهذه القوة وهذا التماسك يَغيظ الكفار ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: لا شك أنَّ هذا يغيظ أعداء الله، وممن يغيظه هذا الوصف وما سجَّله التأريخ لأصحاب محمَّدٍ ﷺ، وما دوَّنه القرآن والسنة طائفة الروافض؛ ولهذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ من يُبغض

أبا بكرٍ وعمر ويبغض الصحابة لا نصيب له في الفيء؛ لأنَّ الله قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[(١)]، فلا يغتاظ منهم إلا كافر - والعياذ بالله -؛ ولهذا ترىٰ كثيرًا من العلماء يُكفِّرون من يسبّ أبا بكر وعمر ولو لم يكفِّرهما، فكيف وقد تجاوزوا حدود السبِّ والشتم إلىٰ التكفير! إلىٰ الطعن والتشويه! نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن ينتقم منهم، وأن يُعليَ كلمة الحق.

ويقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مخاطبًا أصحاب محمَّدٍ ﷺ وواصفًا لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧ - ٧٨].

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾: فجاهدوا في الله حقَّ جهاده، وفتح الله بهم الدنيا، وملؤوا الدنيا عدلًا وأخلاقًا ورحمةً؛ كما يشهد لهم بذلك كتب التاريخ، حتىٰ إن الأعداء الذين يمتلكون شيئًا من الإنصاف ليعترفون بهذا الفضل وهذا العدل وهذه الحكمة وهذه الرحمة لأصحاب محمَّد ﷺ.

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: هذا الشاهد؛ الله اصطفاكم واختاركم وأشاد بكم في الكتب السابقة في التوراة والإنجيل.

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٢٢٩) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٣٩١).

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: أنتم مختارون، ومِلَّتكم مختارة ومتميزة علىٰ سائر الملل؛ فيها الرحمة، وفيها السماحة؛ كما قال الرسول ﷺ: «بُعِثْتُ بالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَة»[1]؛ ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ﴾: وأكَّد هذه الآية بآيات أخر، وأكدتها النصوص النبوية، وأكدتها تطبيقات الرسول ﷺ، وتطبيقات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾: ورسول هذه الأمّة أُمر بإتباع ملَّة إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأنَّ ملَّته كانت التوحيد، والإيمان بالجزاء، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل عليهم السَّلام، وهذه الأساسيات مشتركة بين جميع الرِّسالات، والرِّسالات التي جاءت بعد إبراهيم كلُّها في ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فمن جاء من الأنبياء عليهم السلام بعد إبراهيم إنما يتَّبع ملته ويحذو حذوه ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وحثَّ الله رسوله علىٰ اتباع ملة إبراهيم، وحث هذه الأمة علىٰ اتباع ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لهذا جاء في القرآن: أنَّ لكم منزلة، فأنا اخترتكم، وشرعت لكم أكمل الشرائع، ونوَّهت بكم في السابق في الكتب السابقة، في التوراة والإنجيل، ورسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥ / ٢٦٦) والطبراني في المعجم الكبير (٧٨٦٨) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ لشواهده؛ انظر الصحيحة (٦/ ١٠٢٢ - ١٠٢٧).

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فبعث الله محمَّدًا في هذه الأمَّة يزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، وفي بعض الأحاديث الصحيحة: «أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيم وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ»[(١)]، فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعا هذه الدعوة التي سُجِّلت وقرأتها عليكم، وعيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَشَّر بمحمَّدٍ ﷺ، والتوراة والإنجيل مليئةٌ بالنصوص التي تُبشِّر بمحمَّد ﷺ، وتذكر مزاياه وخصائصه، وتذكر مزايا وخصائص أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾: يعني في هذه الكتب، هذه التسمية ليست بعد بعثة محمَّد ﷺ، بل هي مسجلة ومدوَّنة في الكتب السابقة، بعضهم يقول ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ يقول: إبراهيم، ويرجّح ابن جرير[(٢)]، وابن كثير[(٣)]، وغيرهم من المفسرين أنَّ التسمية هذه إنَّما هي من الله، وذكرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتبه السابقة تنويهًا بمنزلة هذه الأمَّة وعلىٰ رأسهم أصحاب محمَّد ﷺ.

---

(١) نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢ / ٢٧٥) عن ابن إسحاق - صاحب السيرة - بسنده إلىٰ النَّبي ﷺ، وقال: هذا إسناد جيد قوي وله شواهد، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٠) من طريق ابن إسحاق، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي؛ انظر: الصحيحة (٤/ ٥٩ - ٦٢، ٥٥٨ - ٥٥٩) برقم (١٥٤٥، ١٥٤٥، ١٩٢٥).

(٢) في تفسيره (١٨/ ٦٩٢)، ورواه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك.

(٣) في تفسيره (٥/ ٤٥٥)، وقال: «وقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ قال الإمام عبد الله بن المبارك، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ قال: الله عَزَّوَجَلَّ. وكذا قال مجاهد، وعطاء، والضحاك، والسدي، وقتادة، ومقاتل ابن حَيَّان».

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: يعني هذه المزايا: الاجتباء، واختيار أفضل الملل لكم، وتنويه ربكم بكم، كلُّ هذا لتكونوا شهداء علىٰ الناس يوم القيامة، الأمم كلُّها تُسلِّم بعدالتكم يوم القيامة، يشهدون لهذه الأمَّة بأنَّها أمَّة عدل؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، الرسول ﷺ يشهد علىٰ هذه الأمَّة أنَّه بلَّغها، وهم يشهدون لنوح وإبراهيم وصالح وهود وموسىٰ وغيرهم من رسل الله عليهم السلام، يشهدون لهم بأنَّهم قد بلغوا الرِّسالات إلىٰ أممهم، يعني نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُسأل: **«هل بلَّغت؟ يقول: نعم بلَّغت، فيسأل قومه فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: أمَّة محمَّد ﷺ، فتشهد له أمَّة محمَّد ﷺ بأنَّه بلَّغ»**[1]، وهم عدول عند الأمم، ويقبلون هذه الشهادة، والله يقبلها، فتكون شهادتهم هذه علىٰ خصوم الأنبياء - عليهم الصَّلاة والسَّلام -، حجة يقبلها الله فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقيم الحُجج علىٰ من خالف الأنبياء عليهم السلام في الدنيا والآخرة بالأدلة والبراهين والمعجزات، وفي الآخرة بشهادة هذه الأمَّة فما يبقىٰ لهم حجة علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الشاهد إنَّ هذه الآية قريبة من الآية التي تلوناها عليكم سابقًا، فصفاتهم موجودة في التوراة كما في آية الفتح

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٢) والبخاري في أحاديث الأنبياء حديث رقم (٣٣٣٩) هكذا مختصرا، وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٥٨) وابن ماجه في صفة أمة محمد ﷺ حديث رقم (٤٢٨٤) بتمامه، وأوله: «يجيء النبيُّ ومعه الرجل.»، من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وهو في الصحيحة برقم (٢٤٤٨).

هذه، وكما في أواخر الحج ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ... ﴾، فهذا من فضائل أصحاب محمَّد ﷺ، ولا تقف علىٰ آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ... ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ... ﴾ [النساء: ١٣٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وغيرها من الآيات إلَّا والخطاب لأصحاب محمَّد ﷺ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] أصحاب محمَّد ﷺ ومن شاركهم في هذه الصفات أو تابعهم فيها فله نصيبٌ منها، لكن النصيب الأعظم لأصحاب محمَّد ﷺ.

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧١ - ٧٢]، هذه والله صفات أصحاب محمَّد ﷺ، وهذا الوعد لهم في الدرجة الأولىٰ بعد الأنبياء.

﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾: وعلىٰ رأس الأمر بالمعروف الدعوة إلىٰ توحيد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: وعلىٰ رأس المنكرات الشرك بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ والكفر به، وقد دعا أصحاب محمد ﷺ إلىٰ توحيد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وحملوا

سيوفهم لتبليغه، وقاوموا الكفار المدافعين عن الشرك بسيوفهم، قاومهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر فنصرهم الله وأظهر الله بهم دينه علىٰ الأديان كلها.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: ما أحد أقام الصلاة مثلهم ويؤتون الزكاة كذلك ما لحقهم في هذا الميدان أحد.

والوعد الذي وعد الله به المؤمنين في قوله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ هذا الوعد لهم في الدرجة الأولىٰ، ولا تكاد تجد كما ذكرت لكم وصفًا جميلًا أو وعدًا جزيلًا إلَّا والمقصود به أصحاب محمَّد ﷺ في الدرجة الأولىٰ بعد الأنبياء والناس تبع لهم، وانظر قوله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: يعني أنَّ: «**الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يُدخلهم الجنة، ويناديهم يا أهل الجنة، فيقولون: لبَّيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ماذا نزيد وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من العالمين! فيقول: بلىٰ أعطيكم شيئًا أكبر من هذا، فيقولون: ما هو؟ قال أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعد ذلك أبدًا**»(١)، فرضوان الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أكبر من الجنَّة، «**جنتان من ذهب وآنيتها وما فيها، وجنتان من**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٨٨ (١١٨٥٧) والبخاري في الرقاق حديث رقم (٦٥٤٩) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها حديث رقم (٢٨٢٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنَّة عَدْن»[(١)]، في نعيم وصفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] وقد ذكر الله كثيرًا من صفات هذا النعيم، ومنها ما جاء في هذا الحديث، جنَّتان من ذهب وآنيتهما وما فيهما... ومنها ما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ... ﴾ [محمد: ١٥]، ومنها ذكر الحور العين، ووصفهم الله كثيرًا وبيَّن حسنهن وجمالهن؛ ترغيبًا فيهن، كل هذا النعيم يتضاءل أمام رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو أفضل من الجنة، ويتضاءل أمام رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، ما شيء أحب إليهم من أن يرَوْا ربَّهم[(٢)] عَزَّوَجَلَّ، وبإيمانهم وصدقهم وإخلاصهم يعطيهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا النعيم وقد جاهدوا وللمجاهد مائة درجة، كلُّ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند٤/ ٤١١ والبخاري في التفسير حديث رقم (٤٨٧٨) ومسلم في الإيمان حديث رقم (١٨٠)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إشارة إلىٰ ما أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٣٢ (١٩١٤٣، ١٩١٤٤) ومسلم في الإيمان حديث رقم (١٨١) عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ وقال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادىٰ مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنْجِزَكُمُوه. فيقولون: وما هو؟ ألم يُثقِّل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا من النار؟». قال: «فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم».

درجة ما بين السماء والأرض(١)، ولا أحد يضاهيهم في هذا، ولا أحد يلحقهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيجب أن نعرف منزلة أصحاب محمَّد ﷺ، وأن نترضىٰ عنهم، وأن ندعو لهم، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحشرنا في زمرة نبيِّهم ومعهم، وحبهم إيمان ودين، وبغضهم كفر ونفاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والآيات كثيرة في ذكر فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ واقرؤوا القرآن وتدبَّروه وستجدون شيئًا كثيرًا من هذا، ولا نستطرد فيه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٣٥ (٨٤٠٢) والبخاري في الجهاد والسير حديث رقم (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم في الإمارة حديث رقم (١٨٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْوَارِدَةِ فِي سنته ﷺ

وأذكر شيئًا من الأحاديث.

فمنها: قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «النُّجُومُ أمنة لِلسَّماءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّماء مَا تُوعد» - يعني إذا انفجرت النجوم وتناثرت وهنت السماء وضعفت وانشقت وتصدعت وانفطرت - أتىٰ السماء ما توعد - فتنفطر وتنشق وتصير وردة كالدهان، «وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبت أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ»، - فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان مدة حياته أمنةً لأصحابه من شرورٍ جاءت بعده، منها رِدَّة بعض الأعراب، التي حصلت عقب وفاة النبي ﷺ فقضىٰ الله عليها بأصحاب محمد ﷺ ومنها ما حصل بينهم من الاختلاف الذي يجب السكوت عنه، وكلهم مجتهدون ومعذورون، لكنَّه مما وعدوا به - «وَأَصْحَابِي أمنة لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[1].

فالصحابة كانوا أمنةً لهذه الأمَّة، وهذا دليل علىٰ مزيتهم العظيمة، فإذا ذهبوا

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٩). ومسلم في فضائل الصحابة حديث (٢٥٣١)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أتىٰ الأمَّة ما توعد، جاءت الاختلافات، وجاء سلُّ السيوف، ونجمت البدع هذا بعدما ذهب أصحاب محمد ﷺ، نجم الشر، وعلىٰ مرِّ الأيام يزداد والعياذ بالله، الشاهد أنَّهم إذا ذهبوا جاءت هذه الفتن، وهم كانوا كما يقال صمام أمان من هذه الفتن، فلمَّا ذهبوا جاءت، هذا الحديث رواه مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي حديث رواه الشيخان(١) عن أبِي سعيد الْخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ؛ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُم: فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيفْتَحُ لَهُمْ.** - هم سِرُّ النصر والفتح، فيُفتح لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - **ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ منْ صحب رَسُول الله ﷺ؟ فَيقُولُونَ: نَعَمْ. فَيفْتَحُ لَهُمْ.** - هم يُدركون أنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا وُجدوا وُجِد النصر؛ لصدقهم وإخلاصهم وإيمانهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - **ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ مَنْ صحب من صَحِبَ رَسُول اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.** يعني هذه نهاية القرون المفَضَّلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية - **فَيُفْتَحُ لَهُمْ**».

ما كانوا يعرفون هزيمة ساحقة أبدًا، لا يعرفون إلا الانتصارات في حياة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفي حياة التابعين وأتباع التابعين، وانتشرت الفتوحات في

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٧ (١١٠٥٦) والبخاري في الفضائل حديث رقم (٣٦٤٩) ومسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٢٥٣٢).

مشارق الأرض ومغاربها، فإذا ذهب المجاهدون إلىٰ خراسان فَيُقَالُ لَهُم: فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيفْتَحُ لَهُمْ.

السؤال الثاني: «هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ من صَحِبَ رَسُول اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيفْتَحُ لَهُمْ» وهكذا، فنكاد نقول إنَّ الفتوحات توقفت بنهاية الجيل الثالث، وهم أتباع التابعين «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يُوفُونَ وَيَكْثُرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[(١)]، وإن كان هناك طائفة منصورة ممدوحة، لكن غلب علىٰ الناس هذه الفرق التي تحدَّث عنها رسول الله ﷺ في حديثه الثابت من طرق كثيرة «إِنَّ الْيَهُودَ افْتَرَقَتْ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ النَّصَارَىٰ افْتَرَقُوا عَلَىٰ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[(٢)] رواه

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/٤٢٧ (٢٠٠٧٤) و٤/٤٣٦ (٢٠١٤٨) والبخاري في الفضائل حديث رقم (٣٦٥٠) ومسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٣٢) و(٣/ ١٢٠)، والدارمي في «السنن» في السير (٢/ ٢٤١) رقم (٢٥٥٢)، وأبو داود في السنة رقم (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان رقم (٢٦٤٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن رقم (٤٠٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٨)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٥). وقوله ﷺ: «من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي» بنحوه عند الترمذي رقم (٢٦٤٣) وحسنه، وهي عند الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٩) =

الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة. وفي حديث آخر يشد هذا الحديث لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهَم وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ[1] الشاهد أنَّ صحبة النبي ﷺ فيها الخير الكبير، فيها أنَّ الجزاء العظيم الذي يحصل للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يلحقهم فيه أحد مهما اجتهد وبذل من الجهد في العبادة وفي البذل والإنفاق وفي الجهاد وفي كلِّ ميادين الخير لا يمكن أن يلحق أدنىٰ صاحب من أصحاب محمَّد ﷺ؛ لأنَّ هذه الصحبة مزيَّة لا يُلحقون فيها، ولهذا كما جاء في هذا الحديث: «فَيُقَالُ لَهُم: فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ منْ صَحِبَ رَسُول اللهِ ﷺ؟ هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَىٰ منْ صَحِبَ منْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟».

هذه المزية لا يُلحقون فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذه من فضائلهم من السنَّة التي تدل علىٰ فضل عموم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كبارهم وصغارهم أنصاريُّهم ومهاجريهُّم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

❁ ❁ ❁

=

والطبراني في «الصغير» رقم (٧٢٤). والحديث صححه جمع من الحفاظ منهم ابن كثير في التفسير (٤/ ٢٩٦) والعراقي في تخريج الإحياء (٣/ ١٩٩) وابن حجر في تخريج الكشاف (ص٦٣) والألباني في الصحيحة برقم (٢٠٣) و(١٣٤٨).

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٧٩ ومسلم في الإمارة رقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

منقبة وبشرى للعشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

ومما خصَّ رسول الله ﷺ به العشرة وهم أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال: عن عبد الرَّحمن بن عَوْفٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْد بْنِ عُمَرَ بْنِ نفيل فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عَبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»[1].

فهؤلاء العشرة هم المشهورون في الأمَّة بأنَّهم العشرة المشهود لهم بالجنَّة، شهد لهم بذلك رسول الله ﷺ فهذه فضيلة تخص العشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

❋ ❋ ❋

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ١٩٣) والتِّرمذيُّ في المناقب حديث (٣٧٤٧)، ورواه التِّرمذي من طريق عبد الرَّحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد، وقال: هذا أصحُّ منَ الأوَّل، ونقل عن البخاريِّ أنَّه أصحُّ من الحديث الأوَّلِ، وصحَّح الألبانيُّ الحديثَيْنِ.

فضيلة أهل بدر
وأهل بيعة الرضوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وفضيلة لأهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أهل بدر لهم مزيَّة خاصة أيضًا، وفضيلة لمن بايع في العَقَبة، وفضيلة لمن بايع بيعة الرضوان، هذه فضائل تخص طوائف منهم - رضوان الله عليهم -، مدوَّنة في السنَّة الصحيحة؛ قال رسول الله ﷺ: **«لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ ممن بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»**(١)، كانوا ألفًا وأربعمائة أو ألفًا وخمسمائة من أصحاب محمد ﷺ، بايعوا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على أن لا يَفِرُّوا وفي حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «بَايَعْنَا عَلَىٰ المَوْت»(٢) - رضوان الله عليهم -، والمعنىٰ واحد، إذا بايعوا علىٰ أن لا يَفِرُّوا معناه بايعوه علىٰ الموت، فلا فرق بينهما، سواءً قلنا: بايعوه علىٰ الموت، أو قلنا بايعوا علىٰ أن لا يفرُّوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٣٥٠ (١٤٨٣٧) وأبو داود في السنة حديث رقم (٤٦٥٣) والترمذي في المناقب حديث رقم (٣٨٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنّسائي في الكبرىٰ في التفسير رقم (١١٤٤٤)؛ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. نحوه في صحيح مسلم في فضائل الصحابة بسياق أطول حديث رقم (٢٤٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٤٧، ٥١، ٥٤) (١٦٦٢٣، ١٦٦٤٨، ١٦٦٦٤) والبخاري في الجهاد والسير رقم (٢٩٦٠) ومسلم في الإمارة رقم (١٨٦٠).

وأهل بدر لما تكلم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في خطأ حصل منه وشدَّد في شأنه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «مَا يُدرِيكَ يَا عُمَر أَنَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[1] هذه فضيلة لأهل بدر – رضوان الله عليهم –.

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٧٩، ٨٠) والبخاري في الجهاد والسير حديث رقم (٣٠٠٧) ومسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٩٤)، من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

من الفضائل التي تخص الثلاثة

أبا بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

من الفضائل التي تخص الثلاثة قال أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كنت مع النَّبِيِّ ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النَّبيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»، ففتحت له فإذا أبو بكر، فبشَّرته بما قال النَّبيُّ ﷺ، فحمد الله، ثمَّ جاء رجل فاستفتح فقال النَّبيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النَّبيُّ ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: «افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَىٰ بَلْوَىٰ تُصِيبُهُ»، فإذا عثمان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعانُ[(١)].

بَلْوَىٰ تُصِيبُهُ: هو ما حصل له أنَّه حوصر حتىٰ قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظلومًا، فهذه فضائل الثلاثة المتفق عليها.

عن نافعٍ عن ابنِ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنَّا نخيِّر بين النَّاس في زمن النَّبيِّ ﷺ، فَنُخَيِّرُ أبا بكر ثمَّ عمر بن الخطَّاب ثمَّ عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٣، ٤٠٦) والبخاري في الفضائل حديث رقم (٣٦٩٣) ومسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصَّحابة، حديث (٣٦٥٥).

وفي رواية له رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا في زَمَن رسول الله ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا - أو كما قـال - ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت فلا نفاضل بين أصحاب محمـد ﷺ(١) فضائل هؤلاء الثلاثة ينبغي أن نفهمها؛ لأنَّ أعداء الله أشد ما يُركزون علىٰ هؤلاء الثلاثة، ولاسيما الروافض، فعندهم من الطعون التي لا تُحصىٰ ومن التكفير لهم، لماذا؟ لأَنَّهم أسقطوا عروش الأكاسرة والقياصرة، حطَّموا دول الكفر، فقلوب اليهود والنصارىٰ والروافض تغلي بالحقد علىٰ هؤلاء؛ لأَنَّهم أسقطوا عروش الكفر، ورفعوا راية الإسلام في أعظم بقاع الأرض، فلهم النصر والظَفَر في الدرجة الأولىٰ فلهذا يُركِّز عليهم هؤلاء.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصَّحابة، حديث (٣٦٩٨).

من فضائل أبي بكر الصدِّيق

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

ومما يخص أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال فيه: «**إِنَّ أمن النَّاسِ عَليَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»، - هذه لا تليق إلا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمَّدًا خليلًا؛ ولهذا كانا أفضل الأنبياء عليهم السلام، محمَّد ﷺ ثم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والذي جعلهما يتسنَّمان هذه القِمَّة هي أَنَّهما خليلا الله رب العالمين - «**ولَكِنْ أُخُوَّة الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يبْقِين فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَاب أَبِي بَكْرٍ**»[1].

وكذلك روىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مثل هذا الحديث قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي»[2].

---

(١) متَّفق عليه، رواه البخاريُّ فِي فضائل الصَّحابة، حديث (٣٦٥٤)، ومسلم فِي فضائل الصَّحابة، حديث (٢٣٨٢)، وعند مسلم فَبَكَىٰ أبو بكر وبكىٰ، فقال: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وأمَّهاتنا.

(٢) رواه البخاري فِي فضائل الصَّحابة، حديث (٣٦٥٦)، ورواه مسلم فِي فضائل الصَّحابة من حديث عبد الله بن مسعود، حديث (٢٣٨٣) وروىٰ البخاري نَحْوه من حديث عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ثلاثة من الصحابة يشهدون هذه الشهادة لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال ليس أحدٌ أمنَّ علي من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحبته وماله، وهذه منزلة لا يلحقه فيها أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما كان رسول الله ﷺ يسمح لأحد أن يؤذي أبا بكر بأقل أذىٰ قال ﷺ: «**هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي**»[1]، لمنزلته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعند رسوله ﷺ، كيف وقد أثنىٰ الله عليه في القرآن وأثبت صحبته؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، الشاهد في هذه الآية أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ فمن هو هذا الثاني؟. أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: غامر بنفسه، وغامر بحياته، وبذل ماله، والرسول ﷺ لما أراد الهجرة عزمت قريش علىٰ قتله أو أسره أو نفيه أو سجنه، فأذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لرسوله ﷺ بالهجرة، فخرج مهاجرًا، قال لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحبة، قال له أبو بكر: تهاجر؟ قال: نعم. قال: الصحبة يا رسول الله، قال: الصحبة، فخرج مهاجرًا واتَّجه إلىٰ الجنوب، إلىٰ غار ثور، يعني تعمية علىٰ العدو،

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٩٤ - ٢٩٦) برقم (٢٩٧) والبخاري في فضائل الصحابة، حديث رقم (٣٦٦١)؛ من رواية أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونزل في الغار، وجاء الطلب حتىٰ وقفوا علىٰ فم الغار، فعن ثابت عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ أبا بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حدثه قال: نظرت إلىٰ أقدام المشركين علىٰ رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[(١)]، أي: ثالثهما بالمعونة والحفظ والنّصرة والتّسديد. وأشاد الله به في هذه الآية، فهذه مزية أثبتها الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ألا تدرون ماذا يصنع الروافض؟ يقلبونها مثلبة علىٰ أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ! لعنة الله عليهم، لا أشد عداءً للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ منهم.

❀ ❀ ❀

(١) رواه البخاري في المناقب حديث (٣٦٥٣) ومسلم في فضائل الصحابة حديث (٣٣٨١) وأحمد (١/ ٤).

من فضائل عمر بن الخطَّاب

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

من فضائل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»**(١).

الشيطان إذا لقيه يهرب منه.

والحديث قاله بمناسبة كما يروي مُحَمَّد بن سعد بن أَبِي وقَّاص عن أبيه قال: اسْتَأْذَنَ عمر بن الْخَطَّاب علىٰ رسول الله ﷺ وعنده نِسْوَةٌ من قريش يكلِّمْنَه ويستكثرنه عاليةً أصواتُهنَّ علىٰ صوتِه، فلمَّا استأذن عمرُ بن الْخَطَّاب قُمْنَ فبادرن الْحِجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أَضْحَكَ الله سِنَّك يا رسول الله، فقال النَّبِيُّ ﷺ: **«عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ»**، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فأنت أحقُّ أنْ يَهَبْنَ يا رسول الله، ثُمَّ قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا عدوَّات

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٧١، ١٨٢، ١٨٧) (١٤٧٢، ١٥٨١، ١٦٢٤) والبخاري في الفضائل، حديث (٣٦٨٣) ومسلم في فضائل الصحابة حديث (٢٣٩٦)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

أنفسهنَّ، أتَهَبنني ولا تَهَبْن رسول الله ﷺ؟، فقلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

الفج: هو الطريق الواسع، يمكن ألف شيطان يمرُّون فيه، الشيطان إذا رآه يفر منه خوفا منه.

إِيهًا: يعني زد من التوقير والإجلال؛ لأنَّه مطلوب لرسول الله ﷺ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ...﴾ [الفتح: ٩] يعني رَفعُ النساء أصواتهن عليه ينافي التوقير والتعزير، فقال ﷺ: «إِيهًا» يعني أنَّ هذا الكلام في محله فزدني.

الشاهد هذه الفضيلة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

في قصة ثابتة أنَّ جارية نذرت، كان رسول الله ﷺ خرج لإحدىٰ الغزوات فنذرت إن عاد رسول الله لتضربنَّ عليه بالدُّف ولتغنِّي، فلما رجع رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قالت: يا رسول الله إنِّي نذرت إن سلَّمك الله أن أضرب عليك بالدف وأتغنَّىٰ، قال: إن كنت نذرت فافعلي فشرعت تضرب في الدف، دخل أبو بكر وهي تضرب، دخل عثمان وهي تضرب، دخل علي وهي تضرب، فدخل عمر فوضعت الدُّف تحت استها وجلست عليه. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ

الشَيْطَانَ لَيَخاف مِنْك يا عُمَر!»[١]، فضائله كثيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومنها أنَّ رسول الله ﷺ رأىٰ الناس يُعرَضُون عليه وهو في النوم وعليهم قُمُص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما هو دون ذلك، وعُرِض عليّ عمر وعليه قميص يجرُّه أو اجترَّه، قالوا: ما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «**الدِّين**»[٢] ناس عندهم إلىٰ الصدر، إلىٰ الثدي، وما شاكل ذلك، وعمر الإيمان سابغه كله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وعن الزُّهريِّ عن حَمْزة عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ - يعني اللَّبَنَ - **حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَىٰ الرَّيِّ يَجْرِي فِي ظفرِي أَوْ فِي أَظْفَارِي ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ»**، قالوا: فما أَوَّلْتَه يا رسول الله؟ قال: «**الْعِلْمُ**»[٣].. فيشهد له الرسول ﷺ بالدِّين المتين ويشهد له بالعلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وعن أبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «جُعِلَ الحَقُّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣، ٣٥٦) (٢٣٣٧٧، ٢٣٣٩٩) والتِّرمذيّ حديث رقم (٣٦٩٠) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن حبان (٤٣٧١ - الإحسان). وقال الألباني في الصحيحة (٥/ ٣٣٠): «إسناده جيد».

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٨٦ (١١٨٣٦) والبخاري في فضائل الصحابة حديث رقم (٣٦٩١) ومسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٢٣٩٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٨٣، ١٠٨) (٥٥٥٤، ٥٨٦٨) والبخاري في الفضائل حديث رقم (٣٦٨١) ومسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٢٣٩١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المُسند (٢/ ٤٠١)، وفي فضائل الصَّحابة حديث رقم (٣١٥)، وإسناده حسن. وهذا الحديث رواه بلفظه ومعناه أبو هريرة وابن عمر وأبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعًا.

وعن الشَّعبيِّ عن وهب السُّوائي قال: خطبنا عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: من خير هذه الأمَّة بعد نبيِّها؟ فقلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: لا، خيرُ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ثمَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما نبعد أنَّ السَّكينة تنطق علىٰ لسان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

وعن ابن أبِي مليكة أنَّه سَمِع ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: وضع عمر علىٰ سريره، فتكنفه النَّاس يدعون ويصلُّون قبل أن يُرفع - وأنا فيهم -، فلم يُرِعْنِي إلَّا رجل آخذ منكبي فإذا عليّ بن أبِي طالب فترحَّم علىٰ عمر، وقال: ما خلَّفتَ أحدًا أحبَّ إلَيَّ أن ألقىٰ الله بِمِثل عمله منك، وايْمُ الله إنْ كنت لأظنُّ أن يَجْعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنِّي كنتُ كثيرًا ما أسْمَع النَّبيَّ ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[(٢)].

يتفرس علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سيكون مع صاحبيه في المقبرة وفي الجنة، وهذا اعتراف من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفضيلة عمر، بل وبفضيلة أبي بكر وسأذكر تفضيله لهما.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فِي فضائل الصحابة (١/ ٩٥) برقم (٤٤).

(٢) أخرجه أحمد ١/ ١١٢ (٨٩٨) والبخارِي في الفضائل حديث رقم (٣٦٧٧) و(٣٦٨٥) ومسلم فِي فضائل الصحابة حديث رقم (٦٢٦٣).

تفضيل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

فقد روىٰ عنه أبو جحيفة حديثًا من طرق: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أبا جحيفة ألا أخبرك بأفضل هذه الأمَّة بعد نبيِّها؟ قال: قلت: بلىٰ، قال: ولم أكن أرىٰ أنَّ أحدًا أفضل منه، قال: أفضل هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبعدهما آخر ثالث ولم يسمِّه.

وعن عون بن أبي جحيفة قال: كان أبي من شرط عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان تحت المنبر، فحدَّثني أبي أنه صعد المنبر يعني عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فحمد الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه وصلَّىٰ علىٰ النَّبيِّ ﷺ، وقال: «خيرُ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر، والثَّاني عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، وقال: «يجعل الله تعالىٰ الخير حيث أحبَّ».

انظر هذه الآثارَ في «مسند الإمام أحمد» (١/ ١٠٦).

وعن محمَّد بن الحنفية قال: «قلت لأبي: أيُّ النَّاس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثمَّ من؟ قال: ثمَّ عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثمَّ أنت؟ قال: ما أنا إلَّا رجلٌ من المسلمين»[١].

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٦٧١).

ما هو إله كما يقول الروافض والباطنية! ما أنا إلا رجل من المسلمين، يعترف بفضيلة أخويه ومنزلتهما، وأنَّهما أفضل منه، والأمَّة علىٰ هذا الترتيب أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رضوان الله عليهم -، وقد كان هناك خلاف في تقديم علي علىٰ عثمان وتقديم عثمان علىٰ علي، ثم انتهىٰ بإجماع أهل السنة علىٰ هذا الترتيب: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. علي هو الرابع، وهم الخلفاء الراشدون، وهم أفضل من بقية العشرة، وأفضل من سائر الصحابة رضي الله عنهم، وقد عرفتم فضل أدنىٰ الصحابة رضي الله عنهم فكيف بفضل أعلاهم وهم هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدون - رضوان الله عليهم -.

❊ ❊ ❊

من فضائل عثمان

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ما رواه البخاريُّ: وقال عبدان: أخبرني أبِي عن شعبةَ عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن: أنَّ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حُوصِرَ أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله ولا أنشد إلَّا أصحاب النَّبيِّ ﷺ، ألستم تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجنَّةَ**» فحفرتها، ألستم تعلمون أنَّه قال: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العسرة فَلَهُ الجَنَّة**»، فجهَّزته، قال: فصدَّقوه بما قال[1].

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال النبي ﷺ: «**مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّة**»، فَحَفَرَهَا عثمانُ، وقال: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العسرةِ فَلَهُ الجَنَّة**»، فجهَّزه عثمان، ذكرهما قبل حديث[2].

وقال الإمام أحمد في «مسنده»[3]: ثَنَا أبو قطن، ثنا يونس، يعني ابن أبي إسحاق، عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمن، قال: «أشرف عثمانُ من القصر وهو

(١) البخاري في الفضائل، حديث (٢٧٧٨). ورويت أحاديث بهذا المعنىٰ خارج الصحيحين.

(٢) في الصحيح قبل حديث (٣٦٩٥).

(٣) (٥٩/١).

محصور، فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتزَّ الجبل فركله بقدمه ثم قال: «اسْكُنْ حِرَاءُ، لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ» وَأنا معه، فانتشد له رجالٌ، قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرِّضوان إذ بعثني إلىٰ المشركين إلىٰ أهل مكَّة، قال: «هَذِهِ يَدِي وَهَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» فَبَايِعْ لِي، فانتشد له رجال، قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يُوَسِّعْ لَنَا بِهَذَا البَيْتِ فِي المَسْجِدِ بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ» فابتعته من مالي فوسعت به المسجد، فانتشد له رجال، قال: وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «مَنْ يُنْفِقِ اليَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً» فجهَّزت له نصف الجيش من مالي، قال: فانتشد له رجال، وأنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السَّبيل فابتعتها من مالي لابن السَّبيل، قال: فانتشد له رجال»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه الترمذي في المناقب، حديث رقم (٣٦٩٩)، من طريق أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن السُّلمي، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث أبي عبد الرحمن عن عثمان»، ورواه النَّسائي في الأحباس، وقف المساجد، حديث رقم (٣٦٠٩) من حديث أبي إسحاق عن أبي سلمة، ورواه من حديث الأحنف بن قيس رقم (٣٦٠٦، ٣٦٠٧)، ومن حديث ثمامة بن حزن القشيريِّ رقم (٣٦٠٨). وصححه الألباني في تعليقه علىٰ سنن النسائي.

من فضائل علي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال البخاري[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال النَّبيُّ ﷺ لعليٍّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»، وقال عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «توفي رسول الله وهو عنه راض».

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، فَبَات النَّاسُ يدوكون ليلتهم أَيُّهم يعطاها، فلمَّا أصبح النَّاس غَدَوْا علىٰ رسول الله ﷺ، كلُّهم يرجو أن يُعْطَاها، فقال: «أَيْنَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ؟»، فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ»، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتَّىٰ كأنْ لم يكن به وجع، فأعطاه الرَّاية، فقال عليٌّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا، فقال: «انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ لِلإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ[٢]..».

(١) كتاب المناقب، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥ / ٣٣٣ (٢٣٢٠٩) والبخاريُّ في المناقب، حديث رقم (٣٧٠١) ومسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٠٦).

وهناك فضائل للزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهناك فضائل لسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهناك فضائل لباقي العشرة رضوان الله عليهم، وأمَّا الفضائل العامة فقد ذكرتها لكم، وأقف عند هذا الحد وأحيلكم علىٰ كتب السنَّة الصحاح، والمعاجم والمسانيد، فاعتنوا بأصحاب محمَّد ﷺ، وقد أُلِّف فيهم، وقد عزمت أن أكتب فيهم كتابًا - إن شاء الله - أستمده من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ؛ لأنَّ هناك آيات تصلح للاستشهاد بها علىٰ فضلهم ما رأيتهم يذكرونها، فيقتصرون مع إيمانهم إن شاء الله بأنَّ هذه تدل علىٰ ميزة الصحابة وفضلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا من أحبائهم ومن أتباعهم ومن السائرين علىٰ نهجهم. ونسأل الله تعالىٰ أن يحشرنا معهم؛ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

❊ ❊ ❊

الأسئلة

س١: ما حكم لعن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهل يُعتبر كفرًا أو يعتبر فِسقًا؟

ج١: هذه القضية بحث فيها العلماء، وألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ «الصارم المسلول في شاتم الرسول ﷺ» وأدخل فصلًا فيه يتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم، وتكلَّم القاضي عياض وغيره في هذه القضية، فمن الناس من يُكفِّر من يطعن في أبي بكر وعمر، ومنهم من يكفر من يكفر أبا بكر وعمر، ومنهم من لا يكفر إلا من كَفَّر جُلَّ الصحابة؛ إذا كفَّر جُلَّ الصحابة معظمهم، أو رماهم بالنفاق أو الرِّدة فإنَّه كافر، واختار هذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: من شكَّ في كفره فهو كافر؛ الذي يُكفِّر الصحابة أو معظمهم ثم تشك في كفره فأنت كافر في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية، وحكىٰ الإجماع علىٰ هذا عدد من العلماء الذي يُكفِّر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أو يقذفها هذا كافر بالإجماع، الذي يطعن في زوجات الرسول ﷺ؛ يرميهن ويقذفهن بالزنا، فهو كافر علىٰ القول الراجح؛ إلحاقًا لهنَّ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل جيِّد في الفصل الذي ذكرته لكم راجعوه بارك الله فيكم.

❁ ❁ ❁

س٢: ما موقف المسلم من الدعاة الذين يتساهلون مع من يطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

ج٢: هذا بلاء ابتلي به المسلمون؛ أن يدعو بعض الناس إلىٰ التقارب مع الروافض، الروافض لا يقتربون، الفكرة فكرتهم، وهم يموِّلونها وينشئون لها المراكز، وهدفهم تحويل العالم الإسلامي إلىٰ مذهبهم الكفري الرافضي، ليس هدفهم أنَّهم يصطلحون مع المسلمين ويتنازلون عن بعض الأشياء، هدفهم إدخال المسلمين في الرفض، وهذه خطة من خططهم، وهم يُكفِّرون المسلمين، يُكفِّرون الصحابة، ويُكفِّرون المسلمين، ويستحلُّون دماءَهم وأموالهم، وهذا موجود في كتبهم وفتاواهم لا يتردَّدون في تكفير أهل السنة، بل هم أكفر من اليهود والنصارىٰ عند الروافض، كيف نتآخىٰ معهم ونقول إخواننا؟!! فهذه الفكرة رسخت في أذهان بعض الكتاب وبعض السياسيين وأُنشئت لها دور التقريب في بلاد السنة، ليس في إيران، في بلاد السنة وتُموَّل هذه الدور من قبل الروافض، أحد الكتاب كان له كتابات أُعجَب بها، لكن لمَّا تأتي كتابته للحديث عن الروافض إذا به يتميَّع، كلام فارغ، بل يقول: إخواننا ولي منهم أصدقاء!! فكنَّفت أحد الطلاب أن يسأله، وجاء يُدرِّس في أم القرىٰ، فسأله عن الروافض، فقال له: هم إخواننا، الفرق بيننا وبينهم أنَّنا نقول أبو بكر وعمر وهم يقولون علي، قال: يا شيخ يُكفِّرون الصحابة، قال: لا هذا كذب، فهؤلاء الذين يدعون المسلمين إلىٰ التقارب مع الروافض يدافعون عن الروافض أكثر مما يدافع

الروافض عن أنفسهم، ويغالطون أكثر مما يغالط الروافض، الروافض يقولون بتحريف القرآن، ويطعنون في زوجات الرسول ﷺ ويقولون في أبي بكر وعمر أنَّهما قارون وهامان، ويقولون إنَّ أبا بكر أشدُّ عذابًا من إبليس، وهذه الفرية في تفسير إمامهم القمي وهي؛ إنَّ إبليس يأتي يوم القيامة وعليه سبعون غُلًّا وسبعون نكالًا ثم يرىٰ أبا بكر وعليه مائة وعشرون غُلًّا ومائة وعشرون نِكالًا، فيقول: كيف أنا أضللت البشرية من أولها إلىٰ آخرها وهذا عذابي وأنت أشدُّ منِّي؟! قال: لأنِّي خالفت الإمامة!! الإمامة افتراها ابن سبأ، لا وجود لها في الإسلام، إمامة أهل البيت، وأنهم يطاعون، وأن معرفتهم واجبة، والولاء والعداء عليها، هذا أصله من ابن سبأ وطوَّره الروافض، لماذا هذا العداء لأبي بكر؟ لأنَّه اغتصب حق علي في زعمهم، علي ليس له حق، لو كان له حق لقاتل عليه، الحق في الخلافة بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر لأنَّ هناك إشارات وبعضهم يعتبرها نصوصًا علىٰ أنَّ الخليفة من بعده أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعليٌّ بايعه، وبايعه الصحابة وعليٌّ منهم، وعمر رشح ستة والستة اختاروا واحدًا منهم عثمان، وأول أو تالي من بايع عثمان هو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس عنده للصحابة إلَّا الحب والاحترام والتقدير، ولا عداوة ولا خلاف ولا شيء، وإنَّما اختلق الأكاذيب والافتراءات الرَّوافض، فعل الروافض بأصحاب محمَّد ﷺ ما لم يفعله اليهود والنصارىٰ. كيف نتولَّاهم؟! كيف نقول: إخواننا وهم يُكفِّروننا ويُكفِّرون الصحابة ويُكفِّرون زوجات الرسول ﷺ؟!! ويقولون القرآن مُحرَّف!! يحرِّفون القرآن عمدًا ثم يقولون: الصحابة حرَّفوا، ونحن وقفنا علىٰ ألاعيبهم ومكرهم وكذبهم.

س٣: يتناقل في موقع من مواقع الإنترنت بعض الألفاظ غير اللائقة في صحابة الرسول ﷺ وتنسب إلى فضيلتكم فنأمل منكم توضيح الأمر؟

ج٣: هذه فئة خطيرة جدًّا، دعوتها وحركاتها ونشاطها قائمٌ علىٰ الكذب والخيانة والتلبيس، يتركون الروافض والنصارىٰ واليهود ويسلِّطون الأضواء علىٰ ربيع كما يقال كذبًا وزورًا، وكم كذبوا، وكم افتروا، قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون، والله تركوا الروافض، وأذكر أني كتبت مقالًا أدافع فيه عن رسول الله ﷺ وإذا بهم يريدون أن يشوِّهوه، وما تركوا شريطًا أحارب فيه أهل البدع إلا وذهبوا يشوهونه ويبترون ويحرِّفون ويفعلون الأفاعيل، وليس لهم عدو إلا ربيع، الذي يدافع عن الصحابة، ويستميت دونهم، وله في الذب عنهم مؤلفات، مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ، وكشف زيف التشيع، والانتصار لكتاب العزيز الجبار والصحابة الأخيار، ويدافع عن أئمة الحديث، ويشيد بفضائلهم - رضوان الله عليهم -، ويكتب الكتابات ويتكلم في دروسه ومجالسه... الخبثاء يعرفون هذا، ولكن يريدون أن يشوهوا سمعة ربيع ويريدون أن ينفروا الناس من منهجه ومؤلفاته التي تقوم علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عقيدة ومنهجا ودعوة إلىٰ احترام الصحابة وذبًّا عنهم وإلىٰ احترام السلف وأئمتهم، هم طعنوا في أئمة السنة، وطعنوا في علماء السنة الموجودين، وطعنوا في علماء الجرح والتعديل، ويخونون ويبترون الكلام عن سياقه وسباقه، وننصحهم فلا يسمعون، ويتمادون في باطلهم، فينتقمون بمثل هذه

الأساليب، هذا مكر وكذب، نحن لا نكذب، ونُربِّي علىٰ الصدق، لكن هؤلاء دعوتهم قائمة علىٰ الكذب، هذه الفئة والله بدأت بابن تيمية، والله كان يَغيظهم إذا أثنيت علىٰ ابن تيمية، وكانوا يُفضِّلون رئيسهم الحدَّاد علىٰ ابن تيمية وهو جاهل كاذب ظالم، وأنا أثبتُّ كذبه، ولهم رئيس جديد أكذب من الأول، متعلقون به، وليس لهم همّ إلا الذبّ عنه فقط، والدفاع عنه بالكذب، لا عن رسول الله ولا عن الصحابة إلَّا حرب أهل السنة، أهل السنة الآن الموجودون علىٰ البسيطة في مشارق الأرض ومغاربها ليس لهم قيمة عندهم أبدًا، ويتعلقون كذبًا باثنين أو ثلاثة من المشايخ ويقوِّلونهم ما لم يقولوا، وما إذا سمعوه استنكروه وأنكروه، ويوهمون الناس أنَّ هذين الشيخين أو الثلاثة معهم، وهم ليسوا معهم، ولا يعرفونهم، ولا يدرون من هم، هم مدسوسون وقد صرَّحت أنَّني لا أستبعد أن يكون بينهم باطنية وروافض؛ لأنَّ أساليبهم لا تشبه أساليب المسلمين، تشبه أساليب الباطنية، من هم؟ لا تدري من هو خصمك، يبرز واحد فإذا برز عرفت خيانته وكذبه، وعقيدته ومنهجه وإذا اختفىٰ عُرف أنَّه كذَّاب خائن، هؤلاء المختفون نحن لا نتابعهم، نتابع من يُخرج رأسه نضربه، أنا ما رأيت أسوء وأقبح وأرذل من هذه الطائفة والله، ممكن الروافض يستحون هؤلاء ما عندهم شيء من الأدب والخلق، القرآن مليءٌ بالآداب والأخلاق، والسنة مليئةٌ بذلك، حياة المسلمين مليئةٌ بالآداب والحياء والأخلاق، ما عندهم شيء من هذا أبدًا، لا يرحمون صغيرًا ولا يُوقِّرون كبيرًا، ويحاربون أهل السنة بالأكاذيب والخيانات،

وما تركوا لا ابن عثيمين، ولا الألباني، ولا الذهبي، ولا ابن تيمية، بدؤوا بابن القيم، بدؤوا بالذهبي، بدؤوا بابن أبي العز، وهم علىٰ هذه الطريقة بل زادوا فيها شرًّا، وإذا سألتهم يقولون: نحن لسنا حدادية، الباطنية ممكن يعترفون بأنَّهم باطنية وهم لا يعترفون، طريقة في غاية الخبث، فنحن تركناهم أشهرًا ممكن من منتصف محرم والله أعلم إلىٰ قبيل أيام، فإذا بهم يُكفِّرونا، هل هناك علماء كفَّرُوا فلانًا ربيعًا والعبيكان والنجمي؟ هم تكفيريون متسترون ولا أستبعد أن يكون بينهم باطنية، وابن تيمية يقول: ما من فئة ضالة إلَّا وفيها منافقون، النفاق لم يكن خاصًّا بعهد رسول الله ﷺ، النفاق موجود في الطوائف علىٰ مرِّ التأريخ، وأنا أظن أنَّ أخبث المنافقين في هذه الفئة، والآن أهل البدع والضلال يتعاونون معهم، وهذا التعاون معهم دليل علىٰ أنَّهم فرقة ضالة، من أكبر الأدلة أن يتعاون معهم أهل البدع والضلال، واللهِ كنت أدافع عن رسول الله ﷺ فيطعنون في كتابتي، أنا كم ألهج بعمر ومكانته العظيمة وفضائله الجسيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصحابة وفضائلهم ومزاياهم وكم أذبُّ عنهم وكم أذبُّ عن أئمة الحديث وهم يقولون: طعن في الصحابة، طعن في الأنبياء، طعن في ذات الله، لا أفجر منهم، واللهِ رددت علىٰ الروافض وما ردوا علي بشيء من هذه الاتهامات الفاجرة، ورددت علىٰ غلاة الصوفية وما ردُّوا عليَّ بشيء من هذه الاتهامات. ورددت علىٰ غلاة الأحزاب وما ردُّوا عليَّ شيئًا بهذه الاتهامات أبدًا، إمَّا يسكتون وإما يناقشك مناقشة إنسان عنده أخلاق، أمَّا هؤلاء فلا أسوء منهم، أخلاقًا فأنا أحذِّركم منهم

أينما كنتم؛ فإنَّهم أسقط وأفجر وأخبث الفرق.

إنَّ ربَّنا لسميع الدُّعاء

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.



العودة إلى فهم سلف الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فإنَّ المسلم ليشعر بالغبطة حينما يلقىٰ أحبَّةً وإخوةً له في الله، يلتقون معه علىٰ أساسٍ من تقوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ أساس الحب في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والتطلُّع إلىٰ الحق والخير، أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُكثِرَ هذه النوعيات من شبابنا في العالَم الإسلامي كلِّه، وأن يُوجِّه القلوب والأنظار إلىٰ شريعة محمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنَّنا الآن نجتاز أَخطر المراحل؛ إذ أنَّ أعداء الإسلام من الداخل والخارج؛ أعداء الإسلام الواضحين من اليهود، والنصارىٰ، والوثنيين، والمجوس، وأعداء الإسلام من الدَّاخل الذين يتظاهرون بالإسلام ويُبطِنُون النِّفاق والزَّندقة والإلحاد، ويساعدون أعداءَ الإسلام من الخارج في هدم الإسلام.

يجبُ علىٰ الشباب المسلم أن يكون واعيًا مُدركًا لهذه الأخطار التي تُحيطُ بأهل السنة خاصَّة في كلِّ مكان؛ إذ رَحَىٰ الحُروب الآن في كلِّ بلد في البلدان العربية وغيرها من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، إنَّما تدور رحاها علىٰ الضعفاء المُفكَّكِين المُمَزَّقِين المُنتسِبين إلىٰ السنة، وهم ولا شكَّ يُشَكِّلون ثمانين أو تسعين في المائة من المنتسبين للإسلام، ولكن لضعف صِلَتِهم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وبمنهج سلفهم الصالح بهذا الابتعاد وبهذه الغفلة دبَّ إليهم الضعف، وتسرَّبت إليهم عقائد غير إسلامية تلبس لَبُوسًا

إسلاميًا، فينطلي علىٰ كثيرٍ من هؤلاء المنتسبين إلىٰ السنة، وتصبح عقائد لهم فتفعل أفاعيل في التفريق والتمزيق وتشتيت الصفوف، مما جعلهم لُقمةً سائغةً للطامعين من الداخل والخارج، فليدركوا أنَّه لا خَلاَص لهم من هذه الأخطار التي أحدقت بهم، وهذه الكوارث والنَّكبات التي نزلت بهم إلَّا أن يعودوا إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإنَّ فيها العصمة من الضلال، وفيها في نفس الوقت الضمان الأكيد للسعادة والعِزَّة والكرامة؛ لأنَّهم لا يَستَحِقُّون هذه المكرمات من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التي وعد بها من العِزَّة والسَّعادة والكرامة والنَّصر إلَّا إذا تَمَكنت عقائد الإسلام في قلوبهم وفي عقولهم، وطُبِّقَتْ عَمَلِيًا في حياتهم، فليُدركوا حقَّ الإدراك هذا، ويجب أن يُيَمِّمُوا شطرَ الكتاب والسنة، وصوب منهج السلف الصالح، يستلهمونهما عقائد ومبادئ وفهمًا وتطبيقًا والتزامًا، وإلَّا واللهِ فإنَّ الأخطار تزداد بهم يومًا فيومًا، والدَّمار يُهَدِّدُهم صباحًا ومساءً، حقًّا من يفهم الإسلام يُدرِك هذا، ولا تغرُّكم الأماني والأحلام؛ فإن واللهِ المسألة جِدٌّ فَشَمِّروا أيُّها الشباب عن ساعد الجِدّ إلىٰ التمسك بأسباب السَّعادة، وليست واللهِ إلَّا في هذا الكتاب وسنة رسول الله ﷺ، والذي يدرس التأريخ؛ تأريخ الإسلام، وتأريخ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالأخص الذين نصرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أعدائهم وفتحوا الدنيا؛ انظروا أيُّها الإخوة! لما تُوفِّي رسول الله ﷺ ارْتَدَّ أكثرُ الجزيرة؛ أكثر أهل الجزيرة من العرب ارتَدُّوا عن الإسلام، ولم يبق علىٰ الإسلام إلَّا المدينة ومكة والطائف، وهي قُرَىٰ صغيرة في ذلك الوقت، وجواثة في منطقة البحرين، ما يُسَمَّىٰ بمنطقة الخليج الآن، الذي تصدَّىٰ لهذه الرِّدة هم أهل

المدينة فقط، والذي تصدَّىٰ لها في أول مرَّة أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وحده، وكان بعضُ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يراجعونه، لكنه صمَّم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ قتال أهل الرِّدَة، قالوا: كيف تُقاتل قومًا يقولون: لا إله إلا الله، وقد قال رسول الله ﷺ **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاس حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»**، فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «والله لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو مَنَعُوني عِقَالًا كانُوا يُؤَدُّونها إلىٰ رسول الله لقاتلتُهم عليه»[1]، يعني عزم أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يُقاتل بمُفرَدِه؛ أن يُواجه جحافل أهلِ الرِّدَة بمُفردِه لو لم يستعد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في المشاركة معه في القتال، وبعد ذلك شرح الله صدور الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وعلىٰ رأسهم عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ أنَّ أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ الحق، وهم عددٌ قليل، وكان قبل هذا قُبَيْل وفاة الرسول ﷺ قد جَهَّز جيشًا إلىٰ الشام بقيادة أُسَامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقيل لأبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يعني نحن الآن أحدقت بنا الأخطار وما عندنا جيش، استرجع هذا الجيش الذي جُهِّزَ لقتال الرُّوم، قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «والله لاَ أَحُلُّ رَايَةً عَقَدَها رسول الله ﷺ ولو أَخَذَت الكلابُ بأَرْجُل أزواجِ رسول الله ﷺ[2]» يعني أنَّ

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ١٩ (١١٧) و١/ ٤٧ (٣٣٥) والبخاري؛ رقم (٧٢٨٤ و٧٢٨٥) ومسلم؛ رقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وعند أحمد: «عناقا» بدل «عقالا». وقال البخاري عقب روايته: «قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ وَعَبْدُ اللهِ عَنْ اللَّيْثِ: عَنَاقًا. وَهُوَ أَصَحُّ».

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص٤٨٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/ ٦٠) من رواية أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. انظر: البداية والنهاية (٦/ ٣٣٦) لابن كثير.

أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنده مُنتَهىٰ الثِّقة بنُصرةِ الله تعالىٰ لهذا الدِّين ولهذه الجماعة، وأقرَّ الجيش وواصل أوامرَه ليواصل زحفه إلىٰ الشام، وعقد راياتٍ لقتال أهل الردة؛ رايات في أعداد محدودة، تُقاتل أهل الردة، فاشتبكوا مع أهل الردة في معارك قُتِل فيها عددٌ من القُرَّاء، وكانت العاقبة لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصحابة رسول الله الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فانتصروا علىٰ غَطَفَان، وعلىٰ بني حنيفة، وعلىٰ قبائل اليمن، وعلىٰ غيرهم من القبائل، فأعاد الجزيرة إلىٰ حظيرة الإسلام، عددٌ قليلٌ محدود من أهل الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أهل المدينة نصرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أهل الجزيرة المُرتَدِّين، وأعادوهم إلىٰ حظيرة الإسلام، وما تزال سيوفهم تقطر من دماء أهل الردة، وإذا بهم يُجَهِّزُون جيشين إلىٰ الشام، وإلىٰ فارس، يفتحون جبهتين علىٰ أعظم قُوَىٰ الأرض في ذلك الوقت بعددٍ قليل من الفقراء المساكين، وينصرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بالحسابات السياسية لا توجد نسبةٌ أبدًا، جهزَ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من هذا العدد الضعيف لمجابهة دولتين، ويفتح جبهتين في آنٍ واحد، هل هذا اتِّكالٌ علىٰ قُوَّتِهم، أو علىٰ وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ هل هذا اعتمادٌ علىٰ ما عندهم من الطاقات البشرية والأعداد البشرية أو علىٰ وعد الله عَزَّ وَجَلَّ؟ إذا تأمَّلْتَ ترىٰ أنَّهم ما عندهم إلَّا الثقة في وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لماذا؟ لأنَّهم آمنوا بالله، ويُقاتلون في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا دين الله عَزَّ وَجَلَّ لا بُدَّ أن يَنصُرَه، ولا بُدَّ أن تعلوَ كلمة الإسلام ولو علىٰ أقوىٰ قوىٰ الأرض في ذلك الوقت، وفعلًا نصرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وفتحوا الشام، وفتحوا العراق، وخراسان، وفتحوا مصر، والمغرب، ووصلت فتوحاتهم

إلىٰ حدود الصين، بهذا العدد القليل المؤمن، والآن المسلمون وخصوصًا المنتسبون إلىٰ السنة ازداد عددهم عن أكثر من ألف مليون، لكنَّهم لا قيمةَ لهم علىٰ خريطة العالَم، ليس لهم قيمة، ليس لهم وزن، هم كما مَثَّلَهُم رسول الله ﷺ «غُثَاءٌ كغُثَاء السَّيل»(١)، لو عندنا عُشر ما عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان ومن العقيدة الصحيحة لما كان هذا واقعنا الآن، لكن بماذا نُفَسِّر هذا الضَيَاع وهذه الغُثَائِيَة؟ لا شك أنَّ هذا راجع إلىٰ بُعدنا عن الإسلام؛ عدم تَمَسُّكنا بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وبسنة رسول الله ﷺ، إذا درست عقائد المسلمين وذهبت تَدْرُس مناهج مدارسهم في العالَم لرأيتها بعيدة كلَّ البعد عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ، عقائدهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تقوم علىٰ الفكر اليوناني، وصِلَتُهم بالله في العبادة تقوم علىٰ بدع، وعلىٰ تصوُّفاتٍ مُسْتَمَدَّة من المجوسية، ومن الوثنية، ومن اليهودية، ومن النصرانية، إذا درست الفكر الصوفي تجد هذه؛ يعني قُمامات وحُثالات أفكار البشر، بعيدة كلَّ البُعد عن منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن العقيدة الإسلامية القائمة علىٰ الكتاب والسنة، وإذا جئتَ تدرُس عقيدتهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي اليوم الآخر، وفي الجنة والنار، تجدها بعيدةً عن منهج الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذًا هذا هو السبب الرئيس فيما حاق بالمسلمين من هوانٍ وذُلٍّ، ولا شك بأنَّنا نُدرك ونؤمن أنَّ هذا تسليطٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأعدائه علىٰ هؤلاء النَّاس؛ هم سياطٌ يُلهِب بهم ظهورَ المسلمين حتىٰ يعودوا إلىٰ

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٨ (٢٢٧٦٠) وأبو داود؛ رقم (٤٢٩٧)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٦٤٧ - ٦٤٨) برقم (٩٥٨).

الطريق الصحيح، إلىٰ المنهج الواضح، إلىٰ صراط الله المستقيم الذي أمرهم بالاعتصام به في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، هذه السبل الآن تفرَّقت بالناس؛ بالمنتسبين للإسلام، تفرَّقت بهم عن منهج الله عَزَّوَجَلَّ، ابتعدت بهم عن منهج الله عَزَّوَجَلَّ فسلَّط اللهُ أعداءَ الإسلام علىٰ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فلا ترىٰ معركةً، ولا تسمع عن اضطرابات، ولا تسمع عن فوضىٰ في أيِّ بلدٍ إلَّا وهي ضدُّ المسلمين، فالاضطرابات يوميًا في الهند علىٰ المنتسبين للإسلام، والمعارك تدور في لبنان وغيره علىٰ المسلمين؛ علىٰ المنتسبين للسنة، والمعارك في الفِلِبِّين، وفي الحبشة، وفي أيِّ بلدٍ من بلدان الله عَزَّوَجَلَّ، كلُّها تدور رَحَاها علىٰ المسلمين، ومع الأسف الشديد لم يُفيقُوا، ولم يبحثوا عن أسباب النجاة من هذا الدَّمار الماحق الذي نزل بهم، لم يعتبروا ولم يَتَّعِظُوا، ولا شكَّ أنَّهم بحاجةٍ إلىٰ علماءَ مخلصين يواجهون هذه الأفكار وهذه العقائد التي يعتقدها أكثر المسلمين، وهذا التحلُّل الأخلاقي، وهذه المُيُوعة، يواجهونها بكلِّ صراحةٍ وبكلِّ رُجولة وشجاعة، ويقولون للمسلمين - بحقٍّ -: إنَّا كنَّا نقودكم بالباطل، لا بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وإنَّنا رجعنا الآن إلىٰ منهج الله الحق في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وفي منهج السلف الصالح.

فيا أيُّها الإخوة! لا شكَّ أنَّ الحق واضحٌ لا غُبارَ عليه في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وفي بيان السلف الصالح لهذه العقائد، ولهذه الأعمال الإسلامية التي يجب أن يَتَمَسَّك بها المسلم؛ فإنَّ أئمة الهدىٰ في كلِّ زمانٍ ومكان مُنذُ ذَرَّت قُرون البدع بدؤوا يواجهون هذه التيَّارات، وهذه المبادئ الهدَّامة، وهذه العقائد الفاسدة، بدؤوا يواجهونها بمواقفهم المُشَرِّفَة في ضوء نُصوص الكتاب والسنة، وفي ضوء فهم السلف الصالح من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والقرون المفضلة الذين فَسَّروا كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذلك الفهم الذي تَرَبَّىٰ في أحضان الرِّسالة، واجهوا كُلَّ الفِرَق؛ من خوارج، من معتزلة، من روافض، من مرجئة، ومن صوفية، واجهوهم وبَيَّنوا العقائد الإسلامية، والمواقف الإسلامية الصحيحة من هذه المبادئ التي بدأت تُمَزِّقُ صفوفَ المسلمين من ذلك الوقت، وبدأت تُفَتِّت الفكر الإسلامي، مما صدق علىٰ دعواتهم، وعلىٰ نشاطهم الهدَّام لتمزيق الإسلام والمسلمين، صدق فيهم قول الرسول ﷺ: «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١) فالرَّسول ﷺ في كثيرٍ من المناسبات تحدث عن مصير

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٣٢) و(٣/ ١٢٠)، والدارمي في [السنن] (٢/ ٢٤١) برقم (٢٥٥٢)، وأبو داود برقم (٤٥٩٦)، والترمذي برقم (٢٦٤٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٤٠٢٩)، والحاكم في [المستدرك] (١/ ١٢٨)، والآجري في [الشريعة] (ص٢٥).
وقوله ﷺ: «من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي» بنحوه عند الترمذي برقم (٢٦٤٣) وحسنه، =

هذه الأُمَّة، وعمَّا سيحدث في هذه الأُمَّة من انحرافاتٍ وضلالات وتَمزُّق، وبَيَّن لهم؛ يُبيِّن لهم الرسول ﷺ في تلكم المناسبات الحلَّ الحاسم للخلاص من هذه الدوَّامات المُضَلِّلَة.

في هذا الحديث كما سمعتم تَحَدَّث عن تَفرُّق هذه الأُمَّة، وبَيَّنَ مصيرَها وأنَّها إلىٰ النَّار والعياذ بالله، وبيَّن الخلاص والحلّ المُنجي؛ فقال ﷺ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» فكلُّ من يريد لنفسه السَّعادةَ في الدنيا، والنَّجاة في الآخرة، فليبحث عن ذلك الوضع الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا شيءٌ ضَمِنَ الله بَقَاءَه ليبقىٰ حُجَّةً علىٰ المسلمين وغيرهم إلىٰ يوم القيامة؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] والذِّكر هو الوحي؛ الكتاب والسنة؛ لأنَّ السنة من الذِّكر ومن الوحي، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في حقِّ الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ١ - ٤] ما الشأن؛ شأنُ محمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وشأن ما نَزَلَ عليه هو الوحي من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكما جاء في

= وبلفظه عند الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٩) والطبراني في [الصغير] برقم (٧٢٤). والحديث صححه جمع من الحفاظ منهم ابن كثير في التفسير (٤/ ٢٩٦) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٨٨٥) وابن حجر في تخريج الكشاف (ص٦٣) والألباني في الصحيحة برقم (٢٠٣) و(١٣٤٨).

حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا «أنَّه كان يكتب عن رسول الله ﷺ كلَّ ما يسمعه فأنكرت عليه قريش؛ قالوا: إنَّك تكتب كلَّ ما يقوله محمَّدٌ ﷺ وهو بشر يتكلَّم في حال الرِّضا وفي حال الغضب؛ يعني فقد يغضب فيقول كلامًا غيرَ حق - نستغفر الله العظيم - فلماذا تكتب كُلَّ شيء؟ فجاء إلىٰ رسول الله ﷺ وأخبره، قال: قالت لي قريش كذا وكذا، فقال: «**اكْتُبْ كُلَّ مَا تَسْمَعُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَخْرُجُ مِنْ هَذَا إِلَّا حَقٌّ**»[1] عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فكلُّ ما جاءنا في كتاب الله حقٌّ واضحٌ لا غُبَارَ عليه ولا تلبيس فيه أبدًا، وكلُّ ما نطق به رسول الله ﷺ فهو حقٌّ واضح، وهو يهدف من كلامه ومن توجيهه أن نَتَرَبَّىٰ علىٰ ما يقوله، أن نَنْشَأَ ونُنَشِّئَ المجتمعاتِ الإسلامية ونُرَبِّيها عليه، هذا الذي يريده؛ لأنَّ رسالتَه خالدة، ورسالته إلىٰ الإنسانية جميعًا؛ كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فمن الجرأة علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ومن التحريف لكتاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن نأتي إلىٰ نصوصٍ كثيرةٍ واضحة تتعلَّق بصفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فَنُحَرِّفَها ونُؤَوِّلَها؛ لأنَّ الرسول ﷺ كان يتحدَّث إلىٰ الأذكياء وإلىٰ غير الأذكياء، وإلىٰ المثقفين وإلىٰ العوام؛ يُملي عليهم هذه العقائد ليؤمنوا بها وليعتقدوها، وكانوا كذلك يَتَلَقَّوْنَ ما يقوله رسول الله ﷺ يؤمنون به؛

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٢) (٦٥١٠) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٢٩) وأبو داود، رقم (٣٦٤٦) والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٤ - ١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في الصحيحة (٤/ ٤٥) برقم (١٥٣٢) وفي صحيح الجامع برقم (١١٩٦).

لا تحريف ولا تأويل، حينما تأتي إلىٰ نصوص الكتاب والسنة فتجد أكثر من ألف نص تَنُصُّ علىٰ علوّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، وأنَّه فوق السموات، وأنَّه في السماء يعني في جهة السماء فوق العرش، وأنَّه في العُلوّ، وأنَّ الملائكة تعرج إليه، وأنَّ القرآن ينزل منه، وآيات في النزول، وآيات في الصعود إلىٰ الله كثيرةٌ جدًّا، وأحاديث عروج رسول الله ﷺ إلىٰ ربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكَلَّمَه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان يتردَّد بين موسىٰ في السماء السادسة وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مرَّاتٍ وكرَّات؛ يصعد إلىٰ الله ويهبط إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، نصوصٌ ما أكثرَها وما أوضحَها في علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! فتجد كثيرًا من الناس يُحَرِّفون هذه النصوص ويُؤوِّلونها، وما تسمح لهم أنفسهم أن يتصوَّرُوا أنَّ الله في السماء فوق جميع خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويقولون: إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كلِّ مكان، أو يحكمون عليه كما يحكمون علىٰ أعدم المعدومات، علىٰ أشدِّ المعدومات إيغالًا في العدم؛ فيقولون: لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار... هذه العقيدة تتحدَّىٰ مئاتِ النصوص من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن سنة رسول الله ﷺ، وتتحدَّىٰ ما كان عليه السلف الصالح، فلماذا نعيش علىٰ هذه التُّرَّهات، وعلىٰ هذه الأضاليل، وعلىٰ هذه التحريفات؟ لماذا لا نرجع إلىٰ كتاب ربِّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإلىٰ منهج السلف الصالح؟ فنرجع إلىٰ تفسيرات أئمَّة الهدىٰ كابن جرير وغيره الذي نقل لنا تفاسير سادة هذه الأمَّة في كتابه، لماذا لا نرجع إلىٰ صحيح البخاري نَسْتَلْهِمُ منه عقيدتَنا؟ وإلىٰ سنن أبي داود والترمذي

والنسائي، وإلىٰ «كتاب التوحيد» لابن خزيمة، وإلىٰ «السنة» لعبد الله بن أحمد، وإلىٰ مئات الكتب سَجَّلَها أئمَّةُ الهدىٰ؛ يبيِّنون فيها العقيدة الإسلامية التي تَلَقَّاها محمَّدٌ ﷺ عن ربه عَزَّوَجَلَّ، وتَلَقَّاها منه الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتَلَقَّاها عنهم خير القرون؛ كالأوزاعي وسفيان الثوري ومالك، وغيرهم وغيرهم من عباقرة الإسلام، سَجَّلَ عقائدَهم الإمامُ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «خلق أفعال العباد»، فلنرجع إلىٰ هذا الكتاب «خلق أفعال العباد» الذي نقل الإمامُ البخاري فيه أقوال أئمَّةِ الإسلام في الجهمية المعطِّلة الذين أنكروا عُلُوّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعَطَّلُوا صفاتِه، نقل عن هؤلاء الأئمَّة تكفيرَهم، ونحن الآن كثيرٌ منَّا يُدِيرُون ظهورَهم لنصوص الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة في دواوين الإسلام عن أئمَّة الهدىٰ رضوان الله عليهم، نُدِيرُ ظهورَنا لهذا التراث العظيم، ونلهث وراء فكر جهم بن صفون المجوسي! نُدِيرُ ظهورَنا لنصوص الكتاب والسنة ولعقائد السلف الصالح، ونعتقد مذهب هذا المجوسي الذي انْدَسَّ في صفوف المسلمين! فَحَرَّف أعظم النصوص الواردة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعَطَّل أعظمَ صفاتِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ التي لا نعرف اللهَ حَقَّ المعرفة إلَّا إذا آمَنَّا واعتقدنا ما جاء في كتاب ربِّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنةِ نَبِيِّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[1]، فعقيدةٌ تقول

---

(١) قال الذهبي في العلو للعلي العظيم كما في المختصر للألباني ص (١٥١ - ١٥٢) الأثر برقم ١٣١/١٥٠: «صح عن علي بن الحسن بن شقيق قال: قلت لعبد الله بن المبارك كيف نعرف ربنا عَزَّوَجَلَّ؟ قال: في السماء السابعة علىٰ عرشه.

=

لك: رَبُّنَا لا فوق ولا يمين ولا يسار ولا داخل العالم ولا خارجه.. أي لا فرق بينها وبين الفكر الشيوعي الذي يُنكِرُ وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يعني لو قلت للشيوعي: أين الله؟ لقال لك: لا فوق ولا تحت ولا يمين... يعني الخلاصة أنَّه غير موجود - والعياذ بالله - فلا ندري بماذا يؤمن هؤلاء! نحن نؤمن بربِّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي خلق هذا الكون، وسيِّد هذا الكون، وهو فوق كلِّ هذ الكون، ولا تشريف ولا تعظيم لله ولا إجلال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلَّا إذا دِنَّا بهذه العقيدة، وآمنَّا بها.

المسلمون في غير هذا الميدان في باب عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حوَّلوا توحيد العبادة إلىٰ خرافات وأساطير، توحيد الأنبياء - عليهم السلام - الذي ابتعث الله به جميع الأنبياء - عليهم السلام -، هذا لا تجده الآن في أوساط كثير من المسلمين، تجد أفكارًا غريبةً جِدًّا عن الإسلام موروثةً من الأفكار البشرية،

=

ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض، فقيل هذا لأحمد بن حنبل فقال: هكذا هو عندنا».

قال الألباني: وفي رواية للمصنف - الذهبي - عنه قال:

«سألت ابن المبارك: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا عَزَّوَجَلَّ؟ قال: علىٰ السماء السابعة علىٰ عرشه ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض» قال الألباني: أخرجه الدارمي في الرد علىٰ المريسي ص٢٤ و١٠٣ والرد علىٰ الجهمية ص٥٠ وعبد الله بن أحمد (ص٧ و٢٥ و٣٥ و٧٢) من طرق عن ابن شقيق فهو صحيح كما قال المؤلف، وقال في مختصره: هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك وأحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه ابن تيمية في الحموية وابن القيم في جيوشه ص٤٤ وقال في مكان آخر: وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر.

الشرقية والغربية، عقيدة الأنبياء - عليهم السلام - التي بَيَّنَها القرآن وَوَضَّحَها غايةَ التوضيح؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، توحيد العبادة هو أن تُخلِص الدِّينَ كُلَّه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن تعبدَ الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تدعو إلا الله، لا تنذر إلا لله، لا تستغيث إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تلجأ في الشدائد إلا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّه، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّه»[1]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، آياتٌ كثيرةٌ جِدًّا في القرآن الكريم تُبَيِّن أنَّ السؤال لا يجوز إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تسأل إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تدعو إلا الله، إذا دعوت غيرَ الله فأنت ضال، لا أَضَلَّ منك علىٰ وجه الأرض؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦]، اذهب فَتِّش، اذهب إلىٰ بلدان العالَم الإسلامي وطَبِّق هذه النصوص علىٰ واقع المسلمين وعلىٰ حياة المسلمين، تجد حياةَ كثير من المسلمين في واد، وهذا القرآن وهذا التوحيد في وادٍ آخَر، تجدهم يدعون في كلِّ بلدٍ أولياءَ يُسَمُّونَهم أقطابًا وأوتادًا، ويعتقدون فيهم أنَّهم يعلمون

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣ (٢٦٦٩) و١/ ٣٠٣ (٢٧٦٣) و١/ ٣٠٧ (٢٨٠٤) والترمذي؛ رقم (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١/ ١٢٥ - ١٢٨) برقم (٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨).

الغيب، ويتصرَّفون في الكون... والدنيا تزخر بهذه العقائد، وبهذه الألوف المؤلَّفَة أو الملايين من البشر التي تَدِين بهذا الفكر الخُرَافي؛ الذي يجعل من البشر أندادًا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يستغيثون بهم، ويذبحون لهم، ويشدُّون الرِّحال إلىٰ قبورهم، ويطوفون بها، يُشَيِّدُون القبور، إلىٰ آخره من مظاهر الجاهلية التي ما ابتعث الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الأنبياء إلَّا لتطهير الأرض من هذه الأفكار، ومن هذه اللَّوْثات، ومن هذه الخرافات؛ فإذًا علىٰ المسلمين أن يُعِيدُوا حساباتِهم، أن يُراقبوا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في أنفسهم، فإنَّ - واللهِ - حياتَهم حياةُ شقاءٍ وحياةُ الذُّلِ، والجزاء العظيم؛ الجزاء بالنار ينتظرهم إن لم يعودوا إلىٰ كتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ، وهذا لا يَتِمُّ إلا بأن يُجَنِّد رجالٌ من شباب الإسلام، يُجَنِّدُون أنفسَهم لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ لتصحيح أوضاع المسلمين، ولتصحيح عقائد المسلمين، ولتصحيح أخلاق المسلمين، ولتوعية المسلمين بالأخطار التي أحدقت بهم، وأنَّ أعداءَ الإسلام كلَّهم يرمونهم عن قوسٍ واحدة، فالخلافات شديدة بين الشرق والغرب، لكن إذا جاءت قضيَّة المسلمين تعاونوا ووقفوا صفًّا واحدًا ضدَّ المسلمين، وسدَّدُوا ضرباتِهم إلىٰ قلوب المسلمين ونحورهم، الملاحدة الشيوعيون، والنصارىٰ المنحرفون، واليهود وغيرُهم من الأعداء والمنافقون الداخليّون كلُّهم يقفون وقفةَ رجلٍ واحد للقضاء علىٰ الإسلام، لأنهم يشتَمُّون روائحَ الإسلام من هذه المجتمعات، فيريدون أن يُجْهِزُوا علىٰ آخِر نَفَسٍ من أنفاس الإسلام، يعني الآن إذا ذهبت إلىٰ لبنان تجد المسلمينَ المنتسبين إلىٰ

السنة ضائعين، ومع هذا مع مجرَّد الانتساب إلىٰ السنة وإلىٰ الإسلام فإنَّ اليهود والنصارىٰ والروافض وأعداء الإسلام كلُّهم يضربونهم عن قوسٍ واحدة، فلماذا لا نعي ونهرَعُ للأخذ بأسباب العِزَّة، وأسباب النجاة من هذا الدَّمار، وقد عرفنا أسباب العِزَّة والحمد لله أنَّها مُتوَفِّرَة ومتمثلة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفي سنة الرسول ﷺ، وفي تفسير وبيان سلفنا الصالح للعقائد الإسلامية، وللمنهج الإسلامي الصحيح؟ الأمر جدٌّ يا إخوتاه! واللهِ اليهودُ في غاية من الجِدّ، ويُضَحُّون بأموالهم وأنفسهم لنشر مبادئِهم ونُصرتِها، والنصارىٰ في غاية الجِدّ لِأَنْ تُسيطِر عقائدُهم علىٰ العالَم كلِّه، والشيوعيون كذلك، والرَّوافض كذلك، وأهل السنة لا يزالون يغطّون في سُبَاتٍ عميق - والعياذ بالله -، فاستيقظوا أيُّها الشباب، وتحرَّكوا بالإسلام الصحيح الذي جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو باقٍ والحمد لله، لم يُخرَم منه حرفٌ واحد، ولم تَضِع منه عقيدةٌ واحدة أبدًا، واضحٌ ولله الحمد، مصونٌ محفوظ، صدق فيه وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فعليكم أيُّها الشباب أن تتَّجهوا إلىٰ العلماء الناصحين للإسلام، والناصحين لهذه الأُمَّة، والذين تُوَجَّه إليهم التُّهم وتشوِّههم ليحولوا بينهم وبين شباب الإسلام، ليبقىٰ شبابُ الإسلام سادرًا في ضلاله، وبالتالي يكون ضحيَّةً وضياعًا أمام هذه التيَّارات المتكاتفة المتعاونة للقضاء علىٰ الإسلام، فأدرِكوا أيُّها الإخوة بوعيٍ وبعقل أنَّه لا نجاة لنا أبدًا ولا خلاص لنا ممَّا نحن فيه إلَّا أن نلتزم بحبل الله ونعتصم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعلينا

بالعلماء الذين يُمَسِّكُون بكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويجهرون بالدَّعوة الواضحة إلىٰ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنة رسول الله ﷺ ومنهج السلف الصالح، فنضع ثقتَنا فيهم، ونفهم عن طريقهم كتابَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنة رسول الله ﷺ، ونحمل راياتِ الهدىٰ إلىٰ آفاق العالَم الإسلامي، فنعيدهم إلىٰ حظيرة الإسلام الحق، وبهذا نُنْصَر، وبهذا نَهْزِمُ أعداءَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مهما تَكَتَّلُوا، ومهما تكاتفوا ضدَّنا، ومهما كان عندهم من قُوَىٰ؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكون معنا؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجمع كلمةَ المسلمين علىٰ الحق؛ علىٰ الكتاب والسنة، وأن يجعل في قلوب الشباب حوافز ودوافع تدفعهم إلىٰ الجد في العودة إلىٰ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنَّةِ الرسول ﷺ، وإلىٰ الجد في النهوض بالأُمَّة الإسلامية من كَبْوَتِها، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُحَقِّقَ ذلك، وأن يُرِيَنا ذلك في القريب العاجل؛ إنَّ ربنا لسميع الدُّعاء. وصلىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

الأسئلـــة

السؤال الأول: على ما فهمنا من درسك يا شيخ أنَّكم تريدون منَّا أن نكره إخواننا المسلمين، وأن نتفرَّق عن بعض، ونحن في وقتٍ نحتاج فيه إلى التعاون والتوحيد بين المسلمين، لماذا ندخل في متاهات، ونقول هذا صوفي وهذا رافضي وغير ذلك، بل يشملنا جميعًا مُسَمَّى الإسلام؟

❁ **الجواب:** في الحقيقة هذه التُّهم الخطيرة نواجهها - واللهِ - حينما ندعو الناس إلىٰ العودة إلىٰ الحق؛ إلىٰ الاعتصام بحبل الله، تُوَجَّه إلينا هذه التُّهم بأنَّنا نريد أن نُفَرِّق صفوفَ المسلمين، دعوتُنا واللهِ تجمع، ولا يَجْمَعُ هذه الأمَّة إلا كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنة الرسول ﷺ، وإذا كنَّا نُصِرُّ علىٰ احترام الصوفية والروافض فنرىٰ أنَّ هؤلاء الذي يُصِرُّون علىٰ هذا هم دعاةُ التفريق، دعاة التفريق ودعاة التمزيق هم هؤلاء الذين يُصِرُّون علىٰ بقاء هذه الجماعات، نحن ندعو إلىٰ الاجتماع علىٰ الحق؛ علىٰ كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وكلُّ من ركب رأسَه من صوفي ورافضي، واتَّبع هواه يجب عليه أن يرجع إلىٰ الحق، فإذا لم يرجع فهو السبب والسِّر في تفريق كلمة المسلمين؛ لأنَّه يُصِرُّ علىٰ الباطل، ويدعو بكلِّ نشاطٍ إلىٰ فكره، فمعناه أنَّ هناك عمليات تحويل من الحق إلىٰ الباطل، ما دام هؤلاء يُصِرُّون علىٰ رفضهم، وعلىٰ صوفيتهم، من حلول، ومن وحدة وجود،

فكلُّ ما تراه أمامك من سائر المخلوقات فهو الله عند الصوفية - تعالىٰ الله عن ذلك -، فهل هذا هو دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! وهل يرضىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن نُقِرَّ هذه العقائد، وتنتشر باسم الإسلام، ونُصَفِّق لها؟! سبُّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، تكفير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، تحويل آيات القرآن كلِّها علىٰ رؤوس صحابة رسول الله ﷺ، آياتُ الردّة تنطبق علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ونغضب لمسيلمة ولأبي لؤلؤة وأمثاله من أعداء الإسلام، هل هذا فكر إسلامي يُحتَرَمُ صاحبه! وندافع عنه ونقول: إنَّه مسلم ويكفينا اسم الإسلام!! لماذا لم يكتف الإسلام بتسمِّي عبد الله بنِ أُبَي؟ عبد الله بن أُبَي ورؤوس المنافقين - وكانوا واللهِ أخفَّ خطرًا من الصوفية ومن الروافض، كانوا أقلَّ خطرًا، وأقلَّ مكرًا وكيدًا للإسلام - ومع ذلك يُسَمِّيهم الإسلام منافقين، فهل كان الله يدعو إلىٰ الفُرقة حينما يدينهم بآيات كثيرة في القرآن الكريم، ويسلط الأضواء عليهم؟ فلان وفلان! تكاد أن تنظر في وجه الرَّجل فتعرف أنَّه منافق، هل كان رسول الله ﷺ داعيًا إلىٰ التفريق؟! ما كانت واللهِ عقائد ابن أُبَي تصل وتنحدر إلىٰ المستوىٰ الذي ينحدر إليه غلاة الصوفية، وينحدر إليه الروافض، ما كانوا يُعلنون سبَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتكفيرهم أبدًا، كانوا يستُرون نفاقَهم، ولا يستطيعون أن يَنبِسُوا بشيء من بنات أفكارهم، ولكن الآن مُلِئت الكتب، ومُلِئت المكتبات، ومُلِئت وسائل الإعلام من إذاعات وصحف بسبِّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبادِّعاء أنَّ القرآن مُحَرَّف، وأنَّ في القرآن زيادات، وهذا هو عين الكفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،

ربُّنا يخبر أنَّ كتابَه محفوظ، وأنَّه مضمون، ويشهد للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأنَّ الله قد رضي عنهم، وقد ضَمِنَ لهم الجنة، وهم يقولون: إنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كفار، الصحابة مرتدُّون، والصحابة منافقون، والصحابة في النار، هل هذا هو الإسلام يا إخوتاه؟!! أيُّ خيرٍ في دين هؤلاء القوم؟، - واللهِ - لَلْموتُ والفناء للمسلمين خيرٌ من أن يبقوا يحترمون هذا الكفر باسم الإسلام، فنحن - واللهِ - يا إخوتاه ندعو إلىٰ الكتاب والسنة، فإذا كان هؤلاء الصوفية والرافضة وغيرُهم من المنحرفين صادقين في إسلامهم فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾، هذا قَسَمٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ ومن يدعو إلىٰ التفريق الذي يحارب المسلمين ويقتلهم جَنْبًا إلىٰ جنب مع اليهود أو الذي يدعو إلىٰ نجدة هؤلاء؟ من يدعو إلىٰ تفريق المسلمين الذي يأخذ السلاح الأمريكي واليهودي ويقتل المسلمين في كلِّ مكان أو الذي يدعو إلىٰ إنقاذ هؤلاء باسم الإسلام؟ ألا ترون حرب أمل ضدَّ الفلسطينيين؟ الذي يفتك بالمسلمين أكثر من اليهود والنصارىٰ والشيوعيّون، حتىٰ أصبح النصارىٰ واليهود والشيوعيين يرحمون المسلمين ممَّا يُفْعَل بهم، هؤلاء المنتسبون للإسلام، فهل هذا هو الإسلام؟! وهذه الحرب الدائرة الآن

بين العراق وإيران لمصلحة من؟ والإصرار علىٰ استمرار هذه الحرب، من هو المُصِرُّ علىٰ تفريق كلمة المسلمين، وعلىٰ ضياع المسلمين، وعلىٰ سحق المسلمين هذا أو الذي يدعو إلىٰ الكتاب والسنة، ويدعو إلىٰ تحكيم كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنة الرسول ﷺ؟، يا إخوتاه لقد عرف أكثرُ أعداء الإسلام أنَّ أكثر المسلمين أغبياء بُلَهاء، فاستغَلُّوا هذا الغباء، واستغَلُّوا هذه السَّذاجة، ويأتونهم بهذا الكلام المُلَبَّس باسم الإسلام، يكفينا أن نقول: مسلمين! هو يقول: مسلم وفي نفس الوقت يقتلك، ويريد أن يسحقك، كيف هذا الإسلام؟! ومع هذا أنت تدافع عنه، وتغضب له إذا دُعِيَ إلىٰ الحق! نحن ندعوهم إلىٰ الحق؛ إلىٰ الكتاب والسنة، ولماذا جرَّد عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سيفَه علىٰ الخوارج[1]؟ لماذا حَرَّق أصول هؤلاء الروافض[2]؟ لماذا أحرقهم بالنار؟ هل هو يدعو إلىٰ تطهير الإسلام والمجتمعات الإسلامية من الإلحاد، أو يدعو إلىٰ تفريق كلمة المسلمين؟ أوّل من قاتلهم عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قاتل الخوارج، وقاتل الروافض، فمن علىٰ الحق؟ الروافض والخوارج الذين قاتلهم عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هم أولئك الخوارج وأولئك الروافض، الآن نجد دعواتٍ تقول: اتركوا الخوارج، اتركوا الروافض، إخواننا في الله! الله المستعان، أخوك الذي يُكَفِّرك، ويُكَفِّر أصحابَ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ! أين هذه الأخوة؟ فيا إخوة يجب أن نكون علىٰ مستوىٰ من الفهم،

---

(١) انظر قصتهم في البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣٠٨ - ٣٤٠).

(٢) انظر فتح الباري (١٢/ ٢٧٠) حديث رقم (٦٩٢٣).

ويجب أن نكون علىٰ مستوىٰ من الوعي، وثِقُوا أنَّها لن تجتمع كلمةُ المسلمين إلَّا علىٰ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلىٰ سنة الرسول ﷺ، فمن كان مسلمًا صادقًا فليرجع إلىٰ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإلىٰ سنة الرسول ﷺ، ومن أراد أن يَتَّبع هواه فإنَّ الله تعالىٰ غَنِيٌّ عنه، وسوف يحاسبه الله تعالىٰ علىٰ تفريق كلمة المسلمين في هذه الحياة، وعلىٰ ما اتبع من هواه، وما وقع فيه من ضلالٍ يوم القيامة أمام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والرسول ﷺ قد حكم علىٰ هذه الفِرَق أنها في النار، فالرسول ﷺ هو الذي بيَّن أن الأمَّة تفترق علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة، وأنَّها في النار إلَّا واحدة، هل أراد أن يُفَرِّق كلمةَ المسلمين أو أراد البيان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الرسول ﷺ الذي قال: «**سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّة إِلىٰ ثَلاثِينَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّار**»[1]، هل هذه دعوة من رسول الله ﷺ إلىٰ أن نُحِبَّ هؤلاء الطوائف أو إلىٰ أن ندعوهم إلىٰ الحق ونُبَيِّن لهم أنَّ ما أنتم فيه ضلال؟ وأنَّ ما أنتم فيه نهايته إلىٰ النار؟ فارجعوا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا سبيل النجاة، هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهنالك قول الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما يروي العرباضُ بنُ سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرِفَتْ مِنْهَا العُيُون، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوب، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والسَّمْعِ والطَّاعَةِ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرا** - ما هو الحلّ؟ - **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا**

(١) سبق تخريجه (ص٢٥٧).

وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ - تحذير - وَمُحْدَثَاتِ الأُمُور، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة»(١) فيا إخوتاه هل الآن نقول للشباب المسلم حينما يستشيرنا ما رأيكم في سبِّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ نقول سبُّوهم إرضاءً لإخوانكم!! ما رأيكم في سبِّ أزواج رسول الله ﷺ؟ نقول سبُّوهم؟! تعاونوا مع إخوانكم الشيعة!!

ويقول أحد المتصوِّفة الغلاة:

وما الكلب والخنزير إلَّا إلهنا ... وما الله إلَّا راهبٌ في كنسية

واللهِ إخوانكم!! صَفِّقُوا لهم!! وآمنوا بهذه العقيدة!! نقول هذا الكلام يا إخوتاه، أو نقول

- واللهِ - الجماعة علىٰ الحق في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، ويجب علىٰ المسلمين جميعًا ويجب علىٰ اليهود، ويجب علىٰ النصارىٰ، وعلىٰ المجوس

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٢٦ (١٧٢٧٥) و٤/ ١٢٦ (١٧٢٧٤) وأبو داود، رقم (٤٦٠٧) وابن ماجه، رقم (٤٤) والترمذي، رقم (٢٦٧٦) وقال: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ. وابن حبان (١/ ١٧٨) رقم (٥) والحاكم في المستدرك (١/ ٩٦) وقال: «هذا حديث صحيح ليس له علة». وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٣١٥): «قال الحافظ أبو نعيم: هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين، قال: ولم يتركه البخاري ومسلمٌ من جهة إنكارٍ منهما له». وقال الحافظ ابن كثير في «تحفة الطالب» (١٣٤ - ١٣٥) (٤٦): «وصححه أيضًا الحافظ أبو نعيم الأصبهاني. وقال شيخ الإسلام الأنصاري: هو أجود في أهل الشام، وأحسنه». وانظر الصحيحة (٢/ ٦١٠ - ٦١١) الحديث رقم (٩٣٧) و(٦/ ٦١٠ - ٦١١) الحديث رقم (٢٧٣٥).

أن تؤمن بهذا الدِّين؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أرسل محمَّدًا إلىٰ العالمين جميعًا؛ كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؟ فيجب أن نعيد الضَّالين الشاردين من المنتسبين للإسلام إلىٰ المنهج الإسلامي، ويجب أيضًا أن ندعو اليهود، والنصارىٰ، والشيوعيين، والوثنيين إلىٰ هذا الإسلام الذي جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لا إلىٰ إسلام الروافض، ولا إلىٰ إسلام الحلول ووحدة الوجود، ندعوهم إلىٰ الإسلام الذي جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأنا إذا ذهبت أدعو الآن في أمريكا وأروبا هل أدعو إلىٰ فكر الروافض أو فكر الصوفية؟! أو لأي فكر أدعو؟ إذا دعوت إلىٰ كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، قالوا: أنت تُفرِّق! أينما ذهبت سيقولون: أنت تُفرِّق! فإلىٰ ماذا أدعو؟! فأنا أسأل هذا السائل، يخبرني نكون صرحاء يا إخو ة؛ لأنَّ هذا إن شاء الله قصده الحق، الآن لما أذهب أدعو إلىٰ الإسلام، هل أدعو إلىٰ الفكر الشيعي، أنت مسلم والشيعة مسلمون، فما رأيك في سبِّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ واحد من النصارىٰ يقول لك: نسبُّ الصحابة، ماذا تقول له؟ تقول: هذا من الإسلام، ولا بأس به لأجل إخواننا!! أو ماذا تقول؟ ويقول لك: واللهِ قرأت لابن عربي، وقرأت للتلمساني، وقرأت للشعراني، وقرأت لفلان، وقرأت لفلان، ووجدت كذا وكذا، هل هذا من الإسلام؟ هل تقول: هذا من الإسلام أو ماذا تقول يا أخي؟ ما دمت تدعو إلىٰ الكتاب والسنة لا بدَّ أن تتعرَّض لهذا الضلال، وتُبيِّن أنَّه ليس من الإسلام، هذا الضلال الشيعي، أو الصوفي، أو غيره، لا بدَّ أن تُسأَل هل هو

من الإسلام أو ليس من الإسلام، شئت أم أبيت، فماذا تقول؟ إن قلت كلمة الحق، فهذا هو المطلوب وإن داهنت وجاملت وقلت: هذا من الإسلام، فأعوذ بالله، قد تخرج من الإسلام. نسأل الله العافية، فيا إخوتاه الذي يدعو إلىٰ الكتاب والسنة لا بدَّ أن يُواجِه مثل هذه الاتِّهامات وهذه التلفيقات، - واللهِ - هؤلاء هم دعاة التفريق، هم الذين فرَّقوا الأمَّة، ولا يزالون يبتعدون بالأمَّة عن منهج الله، ويُصِرُّون علىٰ هذا الابتعاد عن منهج الله، ونحن لا نريد منهم إلَّا أن يرجعوا إلىٰ الحق فقط، وليكونوا هم قادتنا، فمستعدون أن نكون جُندًا تحت رايتهم، الدولة لهم، والسياسة لهم، وكلُّ شيء، فقط يرجعون إلىٰ كتاب الله، ويرفعون راية القرآن والسنة، ونحن مستعدُّون أن نكون جنودًا لهم، دعوتنا لا تريد مناصب، تريد أن تبعد هؤلاء عن المناصب وتحتل أماكنهم، لا، نريد أن يخضعوا للحق، ويؤمنوا به كما جاء من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

السؤال الثاني: لقد تكلَّمت يا شيخ عن منهج كاملٍ في الحياة، فهل منهج الدعوة السَّلفية ينطبق على هذا الشيء، ونريد أن تعطينا بإجمال مفهوم هذه الدعوة؟

❁ الجواب: الدعوة السلفية خلاصتها أنَّها دعوة إلىٰ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسنة الرسول ﷺ، إلىٰ ما جاء به محمَّد ﷺ من ألفه إلىٰ يائه؛ من العقيدة في الله، إلىٰ الحاكمية، إلىٰ كلِّ شيء يتعلَّق بحياة المسلم من «لا إله إلا الله»؛ أعلىٰ كلمة

إلىٰ أدناها؛ إماطة الأذىٰ عن الطريق، لا تَسْتَخِفَّ بشيء من دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا من العقائد، ولا من العبادات، ولا من الأخلاق، ولا من التشريعات، لا من السياسة الإسلامية، ولا من غيرها، كلُّ ما جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حقٌّ ونور، فندعو كلَّ المسلمين، وندعو كلَّ الشعوب والأمم أن تؤمن بكلِّ ما جاء به محمَّدٌ ﷺ من «لا إله إلا الله» إلىٰ إماطة الأذىٰ عن الطريق، هذه خلاصة الدعوة السلفية. والذي يقول الدعوة السلفية قاصرة علىٰ العقيدة فقط هذا لم يفهم، أو هو ظالم، نحن متىٰ تَنكَّرنا لسُنَّةٍ من سنن رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نَتَحدَّىٰ أيَّ إنسان يأتينا بأصغر جزئيَّة في الإسلام أنكرناها وحاربناها وأدرنا لها ظهورنا، بينما الطوائف الأخرىٰ تجدها تحارب أصل هذا الإسلام؛ وهي العقيدة في الله، والدعوة إلىٰ عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بينما نحن والله لا مِسْواك، ولا ثوب، ولا سياسة، ولا حكم، ولا قطع يد سارق، لا شيء مما جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يهون علينا؛ كلٌّ عزيز عندنا، كلُّه حقٌّ وخير، لا يوجد عندنا أيُّ قشرة في الإسلام، يوجد أناس يقولون: هذه قشور، حتىٰ العقيدة يعتبرونها قشورا! وهي الصميم وهي اللُّب، يعتبرونها من القشور، نحن لا نقول هناك قشور في الإسلام، الإسلام كلُّه خير وفضل، يعني امرأة تمشي فتجد كلبًا يلهث فتنزل فتملأ خُفَّها وتعطي هذا الكلب يشرب فيدخلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الجنة[1]، نحن

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٥٠٧ (١٠٥٩١) والبخاري رقم (٣٣٢١، ٣٤٦٧) ومسلم؛ رقم (٢٢٤٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولفظه: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

نحترم مثل هذه السُنَّة، ورجلٌ يمشي في الطريق، فوجد شجرةً تُؤذي الناس، فقطعها فأدخله الله الجنة[١] بهذا السبب، ورجلٌ يُميط الأذىٰ من الطريق، ويبعد القذاة من المسجد، نحترمها ونقول: إنَّها سُنَّة[٢]، ويدفن النخامة في المسجد[٣]، نعتبر هذا عَمِل عملًا إسلاميًّا، لا نحتقر شيئا من الإسلام أبدًا، لكنَّنا نترسّم في الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خُطىٰ الأنبياء - عليهم السلام -؛ فهناك مهمٌّ وهناك أهمّ، كلُّ ما في الإسلام مهمٌّ جِدًّا، وليس هناك حقير في الإسلام أبدًا، كلُّ ما جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليس فيه شيءٌ حقير، وليس فيه قشر أبدًا، ولكنَّه يتفاوت، الأنبياء - عليهم السلام - حينما ركَّزوا علىٰ العقيدة، وقد جاؤوا بكلِّ ما يُسعد الإنسانية، لكن كان تركيزهم علىٰ العقيدة، ليس هذا استهانةً منهم ببقية

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ؛ حديث (٣٤٦) وأحمد ٢/ ٣٤١ (٨٤٧٩) و٢/ ٤٠٤ (٩٢٣٥) والبخاري؛ رقـم (٦٥٢) ومسلم؛ رقـم (١٩١٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ولفظه عند أحمد٢/ ٣٠٤ (٨٠٢٦)، ومسلم في رواية أبي رافع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كَانَتْ شَجَرَةٌ تُؤْذِي أَهْلَ الطَّرِيقِ، فَقَطَعَهَا رَجُلٌ فَنَحَّاهَا عَنِ الطَّرِيقِ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ».

(٢) أخرج أحمد ٢/ ٣٥٣ (٨٦١٩) والبخاري؛ رقم (٤٥٨)، ومسلم؛ رقم (٩٥٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ، دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ أَوْ قَالَ: قَبْرِهَا، فَأَتَىٰ قَبْرَهَا فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا». وبوّب له البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب كَنْسِ الْمَسْجِدِ وَالْتِقَاطِ الْخِرَقِ وَالْقَذَىٰ وَالْعِيدَانِ».

(٣) أخرج أحمد ٣/ ١٠٩ (١٢٠٨٥) و٣/ ١٧٣ (١٢٨٠٥) والبخاري؛ رقم (٤١٥)، ومسلم؛ رقم (٥٥٢)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا».

الجزئيات الإسلامية، لا، هذا من باب البدء بالأهم فالأهم، رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حينما بقي ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو إلىٰ التوحيد، إلىٰ ترسيخ معنىٰ لا إله إلا الله، هل كان بقية الإسلام الذي سينزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هيِّنًا عند رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ تحريم الخمر متىٰ جاء؟ ما جاء إلا في أُخريات أيام الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا مهمٌّ جدًّا، لكن أهمّ منه العقيدة، أهمّ منه الشرك الذي لا يغفره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، فإنسانٌ مشرك يدعو غير الله، يذبح لغير الله، يستغيث بغير الله، يطوف بالقبور.... إلىٰ ماذا تدعوه؟ وماذا تقول له؟ تقول له: تعال اجلس علىٰ كرسي الإسلام، واحكم بالإسلام وأنت مشرك قبوري؟!! علِّمه العقيدة الإسلامية، الحاكم المسلم ادعه إلىٰ العقيدة، الحاكم الذي يدَّعي الإسلام وهو يُحَكِّم القوانين الكافرة، أوّل شيء صحِّح عقيدتَه وبعدها قل له: صحِّح، نَفِّذ شريعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، نَفِّذ شريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كلِّ شأنٍ من الشؤون، في إعادة الزكاة؛ لأنَّ الزكاة الآن ضُيِّعَت في العالَم الإسلامي إلا ما شاء الله، أقيموا الصلاة، آتوا الزكاة، طَبِّقُوا الحدود... بعد أن يقتنع بالإسلام، وبعد أن يفهم العقيدةَ الإسلامية الصحيحة، حاول أن تُكَرِّس وتُرَكِّز الجهود لتقنعه بوجوب تطبيق شريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونبذ هذه القوانين الكافرة، هذه القوانين المستجلبة كافرةٌ عندنا لا شك، ولكن من أين تدخل علىٰ هذا المدعو؛ شعبًا أو حاكمًا؟ الشعب كيف تدخل عليه؟ كيف تدعوه؟ الحكام كيف تدعوهم؟ اهتدِ بهديِ الأنبياء - عليهم السلام - في الدعوة

إلىٰ الله، واسلك مسلكهم في الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

نفرض الآن حاكمًا قبوريًّا أو شيوعيًّا أو نصرانيًّا قال: واللهِ القوانين الإسلامية هذه طيِّبةٌ جدًّا، ولا يرتدع المجرمون إلا إذا جَلَدنا في الخمر، وقطعنا يد السارق، هذه واللهِ جرَّبناها، وجدناها تنفع الناس، وتُسَبِّب الاستقرار والأمن في هذه الدولة، فأخذ بهذه الجزئيات في الإسلام، فحرَّم الخمر، وجلد فيه، وقطع يد السارق، لكن بقي الشرك والإلحاد يعشعش في هذا البلد القبوري - وهو الذي يتعلَّق بالقبور - يبني القبور، ويستغيث بالأولياء، ويطوف بهم، ويذبح لهم، وينذر لهم، ويقيم لهم الأعياد، وهذا كثيرٌ وكثير في العالم الإسلامي، إذا ذهبت إلىٰ بلد كباكستان مثلاً تجد القبور قُرَىٰ ومدنًا يشدُّون لها الرِّحال، ويطوفون بها، يسجدون لها، يذبحون لها، ينذرون لها؛ أفاعيل جاهلية وثنية واضحة تمامًا، ومع هذا دعواتٌ تقوم باسم الإسلام لا تُحرِّك أيَّ ساكن! ولا تشير أدنىٰ إشارة إلىٰ هذا الواقع الوثني أبدًا! إلَّا الدعوة السلفية هي التي تتحمَّل الأذىٰ في مواجهة هذا، تتحمَّل الأذىٰ في مواجهة الشيوعيين، تتحمّل الأذىٰ في مواجهة كلِّ الملحدين، ومع هذا ما تسلَم من التشويه والتنفير، فأقول: الدعوة السلفية هي دعوةٌ شاملة كاملة إلىٰ كلِّ ما جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إذا أقنعتُ هذا الشاب بالمنهج السلفي والعقيدة السلفية، أقول: يا أخي من السنة أن تستخدم السواك، من السنة أن تبعد الأذىٰ من الطريق، لا حكم إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الحكم بالقوانين الأجنبية إذا كان قائمًا علىٰ احتقار حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنَّه لا

يصلح فهو كُفرٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، نعلِّمه هذه العقيدة، ونقول له: اسْعَ وربِّ شبابًا في يوم من الأيام ينبثق من هذا الشباب، ومن هذا المجتمع الذي تُرَبِّيه ينبثق منه - إن شاء الله - حُكَّامٌ مسلمون، وينبثق منه الجيش الإسلامي، فالدولة الإسلامية في الحسبان في ذهن المسلم، يعني الإسلام دينٌ ودولة في ذهن كلِّ مسلم فَهِمَ الإسلام، لكن يبدأ الإنسان بالدعوة إلىٰ الدولة قبل العقيدة أو يبدأ بالعقيدة ويقيم علىٰ أساسها الدولة؟ هذا هو السؤال يا إخوتاه، هذا هو الأساس يا إخوتاه، هل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما جاء وهناك حاكمٌ طاغوت يحكم بغير ما أنزل الله، وهناك شعبٌ وَثَنِي، بدأ بماذا؟ بدأ يدعو هذا الحاكم إلىٰ التنازل عن عرشه ليَحِلَّ مَحَلَّه، ويُطَبِّقَ شريعةَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو بدأ يدعو إلىٰ العقيدة ويُحَطِّم الأصنام؟ ماذا فهمتم من القرآن؟ كيف عرفتم دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ جاء إلىٰ حاكم أكبر طاغية علىٰ وجه الأرض، كافر يحكم بغير ما أنزل الله بالدرجة الأولىٰ، وجاء إلىٰ شعب وثني في نفس الوقت يعبد الأصنام؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦]، فجاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَحِّح عقائدَ الناس من الحاكم إلىٰ المحكوم، فهذه هي دعوة الأنبياء - عليهم السلام -، وكلُّ نَبِيٍّ كان يبدأ بالعقيدة، ويبدأ بتصحيح عقائد الناس، لا فرق بين حاكم ومحكوم، يُعَرِّفُهم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يُعَرِّفُهم

بحقوق الله، ومع ذلك لا نحكم إلا بشريعته، فإذا فَقَّهْنَا الناس بهذه الأشياء؛ أنَّه لا معبود إلا الله، وأن الحكم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده، نُفَقِّه الناس في العقيدة، وفي الدِّين وبذلك - إن شاء الله - يتحقَّق إذا وُجِد المجتمع الإسلامي، والأرضية الإسلامية تقوم دولة الإسلام، أمَّا أن تسكت علىٰ الشرك والبدع والإلحاد والخرافات وتقول: دولة إسلامية رأسًا؛ هذا غلط! أو تأتي في الجانب المقابل وتقول: أخلاق فقط، ندعو إلىٰ تصحيح الأخلاق فقط، ونترك العقائد ونترك الحكم هذا غلط! الدعوة الصحيحة أن نعلنها في الناس: أنَّه يجب أن نؤمن بكلِّ ما جاء به محمَّدٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولو كفر الإنسان بقضيَّة المسواك في الإسلام لخرج عن دائرة الإسلام، وهذا شيءٌ مُتَّفَقٌ عليه بين المسلمين، لو قال: السواك قذارة، هذا يكفر، لو قال: اللحية قذارة، هذا يكفر بلا شك، لو اسْتَخَفَّ بشيءٍ من الإسلام هذا يكفر عند جميع المسلمين، وفي كلِّ المذاهب، فالمسلم لا يستخفُّ بشيءٍ من الإسلام، لكن الدعوة الصحيحة فيها العقل، وفيها الحكمة، ومن أين يبدأ الإنسان، يكون عنده تَعَقُّل في الأمور، ويعرف كيف يخطو وكيف يمشي في دعوته إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، دعواتٌ كثيرة هوجاء لا تدري من أين تبدأ وضيَّعت الناس.

❊ ❊ ❊

التمسك بالمنهج السلفي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ -.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة.

أمّا بَعْدُ:

فإنها لفرصة سعيدة أن نلتقي بشيخنا وتلاميذه الذي نرجو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يبارك فيهم، وأن يجعلهم حملة لواء السنة؛ سنة محمد ﷺ علىٰ غرار أسلافهم

الكرام في نشر توحيد الله وسنة رسول الله ﷺ والقضاء علىٰ البدع والخرافات التي حذرنا منها رسول الله ﷺ.

إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أرسل محمّدًا رحمة للعالمين، وليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور؛ فبلّغ الرسالة، وأدّىٰ الأمانة، وأخرج الله به الناس من الظلمات إلىٰ النور؛ فصلوات الله وسلامه عليه.

وكلّفنا الله بالإيمان به وطاعته واتّباعه صلوات الله وسلامه عليه، وإن سعادتنا في الدنيا والآخرة متوقفةٌ علىٰ طاعته وتصديقه واتباعه - صلوات الله وسلامه عليه -، ولذا حثّنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في آيات كثيرة علىٰ طاعة هذا الرسول ﷺ واتّباعه، وحذّرنا في آياتٍ من معصيته ومخالفته، وتوعّد مخالفيه بالنار - ونعوذ بالله من ذلك - فلنحذر كلَّ الحذر من مخالفة هذا الرسول الكريم ﷺ في أيِّ شأنٍ من الشؤون، ولنجعلْ نصْب أعيننا قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣].

لا يستقيمُ أمر هذه الأمّة إلا بطاعة هذا الرسول ﷺ واتّباعه بصدقٍ وإخلاص، والاعتصامِ بما جاء به حبلِ الله كتابِ الله وسنةِ رسول الله ﷺ.

لا يمكن أن تقوم قائمةٌ للأمة إلا بهذا؛ فلنعتصمْ بحبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جميعًا، أفرادًا وجماعات، شعوبًا وحكومات، يجب أن نعتصم بحبل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا يرضىٰ منّا ربّنا إلا هذا أن نعتصم بحبله وأن نشد علىٰ هديه وهدي رسوله ﷺ

وهدي الخلفاء الراشدين بالنواجذ كما أوصانا بذلك رسول الله ﷺ بالإضافة إلىٰ الآيات التي أشرنا إليها.

هذا أمر عظيمٌ؛ ونحن الآن نرىٰ الأمة تفرّقت وتمزّقت، وما السرُّ في ذلك؟! إنه اتّباع الأهواء - والعياذ بالله -، لو حكَّمنا اللهَ ورسولَه في قضايا الخلاف لا يمكن أن يستمرّ أبدًا، ولكن الاستمرار دليلٌ علىٰ أن كثيرًا من الناس يتَّبعون أهواءهم، ويركبون رؤوسهم، ولا يخضعون لتوجيهات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: الآية: ٥٩].

فلابدّ من الاحتكام لله ورسوله، وبهذا تنحلُّ الخلافاتُ، ويذهب هذا التفرُّق، وتتبدّدُ هذه الأهواءُ، فإذا لم نكن علىٰ هذا المستوىٰ فما أمامنا إلا الضياع، وما أمامنا إلا الضلال والهلاك والبوار في الدنيا والآخرة، ونحن واللهِ نَنامُ في ظلِّ الدعوة السلفية.

الدعوة السلفية التي رفع رايتها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُحتذيًا في ذلك طريقةَ أصحاب رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وسادة الأمة في خير القرون، محتذيًا طريقَهم حذوَ القُذَّة بالقُذَّة؛ في العبادة، والعقيدة، والسياسة، وفي كلِّ شأنٍ من شؤون المسلمين، وقضىٰ اللهُ علىٰ الأباطيل وعلىٰ الخرافات والسحر والدّجَل والشعوذة وترك الصلاة وسفك الدماء والأموال، قضىٰ اللهُ علىٰ هذه الأباطيل وهذه التُّرَّهات وهذه الضلالات وهذه الانحرافات بهذه الدعوة المباركة، وأنشأ الله بفضل هذه الدعوة جامعاتٍ أضاءتِ العالم، قائمةٍ علىٰ منهج الله الحقِّ، فإذا ذكرنا المنهج

السلفيِّ والدعوة السلفية فنقصد هذه الدعوة المباركة التي سار عليها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأئمةُ الهدىٰ ومِنْ ورائهم أحمدُ بنُ حنبلٍ وابنُ تيمية ومحمدُ بنُ عبد الوهّاب رضوانُ الله عليهم.

والدين متكاملٌ لا نحتاج إلىٰ آراء وأفكارٍ من أي جهة من الجهات، أو من أي جماعة من الجماعات؛ فالدين كاملٌ في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وفي فقه هؤلاء الأسلاف الكرام الذين فهموا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حق الفهم عقيدةً وعبادةً.

فلنعُضَّ علىٰ هذا المنهج السلفي الذي ذكرناهُ لكم؛ فإنه هو الحقُّ، وهو منهجُ الطائفة المنصورة التي أخبر بها رسولُ الله ﷺ أنها علىٰ الحقّ وأنها لا تزالُ علىٰ هذا الحقّ(١)، وأنه منهجُ الفرقة الناجية - وهي الطّائفة المنصورة - التي نوّه بها رسول الله حينما تحدّث بافتراق الأمة(٢)، وصدَّق اللهُ هذا الخبر، وافترقت

---

(١) إشارة إلىٰ حديث: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم ظاهرون علىٰ الناس» أخرجه أحمد (٤/ ١٠١) (١٧٠٥٦)، والبخاري: المناقب؛ رقم (٣٦٤١)، ومسلم: الإمارة؛ رقم (١٠٣٧) واللّفظ له، من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إشارة إلىٰ حديث: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي إِلَىٰ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» وفي لفظ «الجَمَاعَة». أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٣٢) و(٣/ ١٤٥)، والدارمي في السنن: السير (٢/ ٢٤١) برقم (٢٥٥٢)، وأبو داود: السنة؛ برقم (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي: الإيمان؛ برقم (٢٦٤٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه: الفتن؛ برقم (٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، والحاكم في المستدرك: (١/ ١٢٨).

الأمة وبقيت هذه الطائفة أهل الحديث الذين شهد لهم حتىٰ أهل البدع بعد أهل السنة أنهم هم أهلُ الحق، وأنهم هم الطائفة المنصورة وأنهم الفرقة الناجية، والتي احتذىٰ حذوها ابن تيمية وابن عبد الوهاب رضوان الله عليهم.

إننا لنَنعَمُ في ظلال هذه الدعوة المباركة ونستضيء بأنوارها لا في هذا البلد بل في العالم، ولولا العوائق التي تعوقها من أعداء الله ومن أهل البدع والضلال لرأيتم العالم الإسلامي الآن مضيئًا بهذه الدعوة المباركة؛ فإنها بدأت تنتشر وتكتسح العالم فتآمر أهلُ البدع وأهلُ الكفر في وقف هذا المدّ وهذا التيّار القوي، ففعلوا الأفاعيل في إيقاف هذه الدعوة؛ فعليكم أن تدركوا هذه المؤامرات وهذه المكائد لهذه الدعوة التي لا يمكن أن ينام عن مدّها وامتدادها وامتداد أنوارها، لا يمكن أن ينام أهل البدع وأهل الضلال سواء تمثل هذا الابتداع وهذا الضلال في الكفر أو التحزب أو في التصوف أو في الرفض أو في غيره من الضلالات.

فإنه لا يمكن أن تقرَّ أعينُهم، ولا يمكن أن يهدأ لهم بالٌ وهذه الدعوة الإسلامية السلفية الحق تنتشر في الأرض، فكادُوا لها المكائد.

فانتبِهوا أيُّها الشباب، واعتصموا بحبل الله جميعًا كما أمركم الله، وإيّاكُم والتفرّقَ فاقطعوا دابر هذا التفرُّقِ واستأصلوا شأفةَ كلِّ أسبابه، سواء كان هوىٰ أو تعصّبًا أو أيَّ شيءٍ.

وعليكم أيُّها الإخوةُ بذلك؛ فإنّا نرىٰ كثيرًا من الشباب لا يتورّعون عن الكذب، ولا عن تمزيق أعراض الدعاة السلفيين أهلِ الحقِّ لا دعاة التحزّب

والباطل، يُمزِّقون أعراضهم ويشوِّهونهم بالأكاذيب وبالافتراءات، فعليكم بالصدق؛ فإن الصِّدق يهدي إلىٰ البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزالُ الرجل يصدقُ ويتحرَّىٰ الصدق حتىٰ يُكتب عند الله صِدِّيقًا، ولا يزالُ الرجل يكذب ويتحرَّىٰ الكذب حتىٰ يُكتب عند الله كذَّابًا.

فيه أناسٌ يتحرَّوْن الكذب، فلا نأمن أن يكونوا قد كُتبوا عند الله كذَّابين - والعياذ بالله - وماذا ينتظرُ هؤلاء؟!، والرسول الكريم ﷺ يحذِّر يا إخوتاه، يحذِّر من التعصُّب للقبائل أو للعشائر؛ «قال رجلٌ: يا لَلأنصار، قال آخرُ: يا لَلمهاجرين»، الأنصار لفظ شريف ورد في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ، والمهاجرون كذلك، لكن لما استُغلَّت هاتان اللفظتان في الدعوة إلىٰ الهوىٰ والباطل فقال الرسول ﷺ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ؟! قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»[1].

فهذا النتن الآن يفوح من التعصّبات الموجودة في الساحة؛ بدل أن يعتصم الشباب بهذا المنهج الحق الواضح تتجاذبهم الأهواء وتتجاذبهم الفِرقُ - والعياذ بالله -.

وهذه نعمةٌ من الله؛ أيجوز أن نُدير لها ظهورنا، إن هذه البلاد كانت ممزّقة، وأهلها فرقٌ وأحزابٌ وقبائلُ، بلِ القبيلةُ تتفتّت إلىٰ عددٍ من المُزق والفِرق؛ يقتلُ بعضهم بعضًا، وينهب بعضهم بعضًا، ووحّد اللهُ هذه الجزيرة بهذه الدعوة

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٩٢ (١٥٢٩٣) والبخاري في التفسير: (٤٩٠٥) ومسلم في البر والصلة والآداب: (٢٥٨٤)؛ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الطيّبة المباركة دعوة التوحيد، التوحيد في عقيدة، التوحيد في دين الله، وتوحيد الأمة علىٰ كلمة سواء وعلىٰ منهج واحد، نعمة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الجزيرة مرّ عليها قرونٌ وهي ضائعةٌ في جهل وضلال وشرك وبدع وخرافات وقتل وسلب ونهب، فجمع الله أهل الجزيرة بهذه الدعوة الطيبة المباركة.

فأهل الباطل لا يمكن أن تقرّ أعينُهم؛ يريدون لها الشر، ويريدون لها التفرق، ويريدون لها أن تُمزّق؛ لأن أهل البدع يخافون من المنهج السلفي، ويعرفون أن الحق متمثّلٌ فيه، واليهود والنصارىٰ ما يخافون إلا من الإسلام هذا الذي يسمّونه الإسلام الوهابي.

وأنا كنت أراقب وأرصد امتداد هذه الدعوة السلفية في العالم، كان أهل الجزائر يتّجهون إلىٰ الشيخ ابن باز وإلىٰ الشيخ ابن عثيمين وإلىٰ الشيخ الألباني إلىٰ أئمة المنهج السلفي، يكاد يُطبق أهل الجزائر علىٰ هذا المنهج، فأعداء الله تآمروا وحوّلوا دفّة هذا الشعب إلىٰ جهة أخرىٰ وأبعدوها عن منهج الله الحق، وهذا البلدُ قامت فيه الجامعاتُ ترىٰ ماذا يحصل الآن؟ كلُّ ذلك بسبب مكائد أهل البدع وأهل الضلال ومن ورائهم أعداءُ الله؛ لأن هذا الإسلام يخافون منه، ومن هنا تآمروا علىٰ قتل السلفية في باكستان وأفغانستان، أعداءُ الله تآمروا عليها وقتلوها، ويريدون قتلها وإبادتها في هذا البلد، ولا مَخْلَص لهذه الأمة ولا مَخْلَص لهذا الشعب ولهذه الجزيرة إلا أن يعتصموا بحبل الله جميعًا، وينبذوا التفرّق ويقضوا علىٰ آخر سببٍ من أسبابه، ويتركوا هذه الشائعات وهذه

الدعايات الباطلة، واللهِ نعرف أن العرب في جاهليتهم وفي إسلامهم يخجلون من الكذب، والآن كثيرٌ من الناس لا يخجلون من الكذب، ولا من الافتراءات، ولا من التعصُّبات العمياء، وقد حاربها الإسلام أشد الحرب.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ أو عُمِّيَّةٍ، - يجوز اللّفظان - يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ - أو لعصبيّةٍ - أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ولا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا ولا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[١] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تبرّأ منك رسول الله.

فهذه التعصّبات الآن موجودةٌ ملموسةٌ بالأيدي؛ لا تقبل حجّة، ولا يَقبل برهانًا، فلا يصَدَّقُ الصادقُ ويُصَدَّقُ الكاذِبُ! هذا موجود، هذه آفات، يا إخوتاه لابد من استدراك أنفسنا ومحاولة التخلص منها والقضاء عليها.

يقول الرسول الكريم ﷺ: «مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّىٰ يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»[٢] ردغة الخبال هي عصارةُ أهل النار أظنه شرَّ موقع

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٦، ٣٠٦، ٤٨٨) ومسلم: الإمارة (١٨٤٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٧٠) وأبو داود: في الأقضية (٣٥٩٧) والحاكم (٢/ ٢٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

في الجحيم - والعياذ بالله -، أظنه أخبثَ وأنتنَ موضعٍ يسكنه من ينصرون الباطل؛ سواء كان هذا الباطل كفرًا أو كان بدعةً أو كان ما كان هذا الباطل، ينصره وهو يعلم أنه باطل يكون في سخط الله عَزَّوَجَلَّ، لا يزال حتىٰ ينـزع منه، وإذا خاصم في باطل أو قال في امرئ مسلمٍ ما ليس فيه تكون عقوبته أن يسكنه الله ردغة الخبال حتىٰ يخرج مما قال، وفي رواية للطبراني: «**وليس بخارج**»(١) كيف يخرج وهو يبهت المؤمنين الأبرياء النـزهاء.

فيا إخوتاه علينا أن نعتصم بحبل الله، وأن نبتعد عن التفرُّق وأسبابه، وأسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُبصّرنا بالحق، وأن يُريَنا الحقّ حقًّا ويرزقنا اتّباعه، وأن يُريَنا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعلنا من دعاة الحق وأنصار الحق البعيدين عن نصرة الباطل وعن بهت الأبرياء من المؤمنين الذي أخبرنا رسول الله عن مصير من يقع فيهم.

وأخيرًا أختم هذه الكلمة الموجزة بالصلاة علىٰ نبيّنا الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأدعو إلىٰ طاعته واتّباعه مرّة أخرىٰ، وأرجو من شيخنا أن يُعلّق بما يراه ينفع أبناءه، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه في الكبير (١٢/ ٣٨٨) وفي الأوسط (٦٤٩١). قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٥٢): «إسناده جيد».

تعليق سماحة الشيخ
ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

أثابكم الله...

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وصلىٰ الله وسلم علىٰ رسوله وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبع هداه.

أما بعد: قد سمعنا هذه الكلمة المباركة الطيبة من صاحب الفضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في موضوع التمسك بالكتاب والسنة والحذر مما خالفهما، والحذر من أبواب التفرّق والاختلاف والتعصب للأهواء، ولقد أحسن وأجاد وأفاد، جزاه الله خيرًا وضاعف مثوبته.

وهذا هو الواجب، والتحاكمُ إليهما في القليل والكثير؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: الآية: ٥٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورىٰ: ١٠].

والله يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والأمرُ كما قال؛ يجب علىٰ المؤمنين التمسّك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والتحاكم إليهما، وعرض ما تنازع فيه الناس عليهما.

فما شهد له كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ بالصدق والصحة فهو الصحيح، وما شهدا له أو أحدهما بالباطل فهو الباطل، فهذا هو الواجب علىٰ جميع الأمة لأن الله أمر بذلك وأوجب ذلك، وهكذا الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فالواجب علىٰ أهل العلم وعلىٰ طلبة العلم وعلىٰ جميع المُكلَّفين التمسّك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والسير علىٰ منهج السلف الصالح وهم أصحاب النبيّ ﷺ ومن تبعهم بإحسان كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

هذا جزاء أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسانٍ ومن سار علىٰ طريقهم، والواجبُ علىٰ طلبة العلم التفقُّه في ذلك، والإنصاف، والصدق، وتحرّي الحق، والحذر من أسباب الخلاف ومن اتباع الهوىٰ ومن التقليد الأعمىٰ والتعصّب لزيدٍ أو عمرو أو الطائفة الفلانية أو غير ذلك؛ الواجب اتّباع الحق، والتمسك به، والحذر مما يخالفه، وإن كان الذي قال أباك أو أخاك أو غيرهما فعليك باتباع الحق فهو أحقُّ بالاتباع.

يقول الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه العظيم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

[آل عمران: الآية: ٣١]

ويقول - سبحانه -: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: الآية: ٧].

ويقول النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصىٰ الله»(١).

ويقول ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ، قيل: يا رسول الله! من يأبىٰ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ»(٢).

فالواجب علىٰ أهل العلم تبليغُ الناس وتبصيرهم وتفهيمهم ما يجب عليهم، وهكذا طلبة العلم أن يتأسّوْا بأهل العلم، وأن يسيروا علىٰ نهجهم في إيضاح الحقّ، والحذر من التنازع والاختلاف واتّباع الهوىٰ.

وهكذا عامة المسلمين يجب أن يستقيموا علىٰ الحق، وأن يسألوا علماءهم الذين يعرّفونهم بالسنة، ويعرّفونهم بالاستقامة علىٰ دين الله، ويعرّفونهم بالحق، عليهم أن يستقيموا، وأن يسألوا عما أشكل عليهم.

كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣ والأنبياء: ٧]

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٧٠) رقم (٧٦٤٣) والبخاري: الجهاد والسير (٢٩٥٧) ومسلم: الإمارة (١٨٣٥)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٦١ (٨٧١٣) والبخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومما يروىٰ عن رسول الله ﷺ أنه قال لقومٍ أَفْتَوْا بغير علمٍ: «**أَلَا سألوا إذ لم يعلموا! إنما شفاءُ العيّ السؤالُ**»(١)، وهكذا يجب علىٰ أهل العلم نشرُ العلم؛ نشرُ الحقّ وإيضاحه للناس في المساجد وفي المجالس العامة وفي الإذاعة وفي الصحافة وبكل وسيلة يصل بها العلم، الناس بحاجة إلىٰ العلم؛ «قال الله وقال الرسول»، مع بيان الباطل والتحذير منه.

وما ذكره فضيلة الشيخ ربيع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمة الله عليه – هو الحقيقة، فإن الله منَّ علىٰ هذه البلاد بهذه الدعوة المباركة، وهي دعوة سلفيةٌ لكن شوّه أعداء الله هذه الدعوة، وقالوا: وهّابيةٌ المبتدعةُ التي فعلت وفعلت، وهم الضالون المبتدعون، وهم ما بين جاهلٍ أو من قلّد جاهلًا؛ إما جاهلٌ وإما مقلِّدٌ لجاهلٍ، وإما ثالثهم متبِّعٌ لهواه الذي يعصي اللهَ علىٰ بصيرة، هؤلاء أعداء الدعوة السلفية، إما جاهلٌ، وإما مقلِّدٌ لجاهلٍ، وإلا صاحبُ هوىٰ متعصّبٌ لهواه يريد المآكل، ويريد إرضاء الناس علىٰ حساب مأكله ومشربه وهواه، نسأل الله العافية.

ودعوة الشيخ محمد – رحمة الله عليه – دعوةٌ سلفيةٌ؛ درج فيها علىٰ ما درج عليه الصحابة – رضي الله عنهم وأرضاهم وأتباعهم بإحسان –، وتبعهم في

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٣٠ (٣٠٥٧) والدارمي في سننه: الطهارة (٧٧٥) وأبو داود: الطهارة (٣٣٦، ٣٣٧) وابن ماجه: الطهارة وسننها (٥٧٢) والدارقطني في سننه: الطهارة (١/ ١٩١ – ١٩٢) والحاكم في المستدرك (١ / ١٦٥ و١٨٧)، وهو في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٦٤ و٣٦٥) من حديث جابر بن عبد الله وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وأشباههم من أئمة الإسلام، ثم جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر - في النصف الثاني من القرن الثاني عشر - رحمةً من الله لهذه الأمة لهذه الجزيرة فأوضح لهم العبادة الشرعية التي تجب لله، وأوضح لهم حقيقة التوحيد وما كان عليه المشركون وما كان عليه سلف الأمة، وأوضح لهم طريقة السلف الصالح، ودعاهم إلىٰ الجهاد، وألّف كتاب التوحيد وكشف الشبهات والثلاثة الأصول لبيان الحق وهي كتبٌ عظيمة مفيدة، وهكذا نشر بينهم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لما فيها من الخير والعلم والدعوة إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فنفع الله بهذه الدعوة المسلمين، وجمع الله عليها أهل هذه الجزيرة بأسباب أنصارها من آل سعود وغيرهم؛ ممن نصر الحق واستقام علىٰ الحق، فدعَوْا إلىٰ الله، ونصروا هذه الدعوة نصرًا لدين الله نصرًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حتىٰ أيّدهم الله، وفتح عليهم الفتوح، وجمع الله عليهم هذه الجزيرة من شرقها إلىٰ غربها ومن جنوبها إلىٰ شمالها علىٰ الحق وعلىٰ اتباع شريعة الله وعلىٰ الاستقامة علىٰ دين الله؛ فالحمد لله علىٰ ذلك.

فالواجب التمسّك بهذه العقيدة، والدعوة إليها، والحفاظ عليها، ونشرها بين الناس؛ بالحكمة، بالأسلوب الحسن، بالرفق، لا بالعنف والشدة، وبيان الأخطاء والضلالات والشبهات بالبيان الواضح، بالرفق بالحكمة، لا بالعنف والشدة، ولا بالأساليب الملتوية، ولكن بالبيان الواضح، والأسلوب الواضح،

والرفق والحكمة؛ كما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ يعني: بالعلم؛ «قال الله وقال رسوله»، ووضع الأمور في مواضعها ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: الآية: ١٢٥].

وقال ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ولا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»(١).

والله وصفه بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: الآية: ١٥٩].

فالواجب علىٰ الدعاة أن يتبصّروا، وأن يُبصِّروا، وأن يرفقوا، وأن يعتنوا بالأساليب الواضحة البيّنة، وأن يحذروا العنف والشدة وعدم التعصّب لزيدٍ أو عمرو.

نسأل الله أن يوفّق الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يولّيَ عليهم خيارهم، وأن يصلح قادتهم، وأن يوفّق ولاة أمرنا في هذه المملكة؛ نسأل الله أن يوفقهم لكلِّ خيرٍ، وأن ينصر بهم الحق، وأن يجعلهم من الهداة المهتدين وأن يصلح لهم البطانة، وأن يعيذهم من بطانة السوء، وأن يوفّق صاحب الفضيلة الشيخ ربيعًا لكل خيرٍ، وأن يجزيه عن كلمته خيرًا.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١١٢، ١٢٥، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢٢) ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٩٤)؛ من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ضرورة العناية بفقه السلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمّا بعد؛

فأنا أذكّر الإخوان بأنَّ الدِّين لا يقوم إلا بالعلم، وأنَّ ضياع الأمَّة بضياع العلم، وثباتها علىٰ الإسلام بالعلم، وانحرافها بسبب فقدان العلم والعلماء، فالعلم حثَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليه، وأثنىٰ علىٰ أهله، وبيَّن منازلهم عنده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وقرن شهادة العلماء بشهادته وشهادة ملائكته؛ وهذا دليلُ علىٰ منزلة العلم والعلماء، والعلماء هم العلماء بكتاب الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وسنة رسوله ﷺ والعاملون

بما فيهما، وإلا إذا تعلَّم وعلَّم ولم يعمل فالويل له كلُّ الويل، فمن النصوص الواردة في هذا الباب قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ويرفع الله بالعلم والإيمان درجات عند الله درجات في الجنة، العالم أفضل من المجاهد، وفي الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله[1]، ومع ذلك فالعلماء لهم عند الله درجات أفضل!، فافهموا هذا واحرصوا علىٰ أن تكونوا من العلماء العاملين المستحقين لهذه الدرجات الرفيعة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩] فرق كبير بين العالم وبين غير العالم، لا مساواة بينهما، لماذا؟ لأنَّ العالم بأسماء الله وصفاته وعظمته وجلاله والعارف بحقه علىٰ عباده، ويقوم به، ويعرف حقوق الناس، ويعرف الحلال والحرام، ويعرف العقائد الصحيحة والباطلة، ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر؛ لأنَّ هذا من العمل بالعلم، فشتّان بين أهل العلم العاملين، وأهل الجهل، والجهل مهلكة والعياذ بالله، وكانت

---

(١) كما ثبت عن النبي ﷺ فيما رواه أحمد ٢/ ٣٣٥ (٨٤٠٢) والبخاري؛ الحديث رقم (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

العرب جُهَّالًا ضُلَّالًا فهداهم الله بمحمَّدٍ ﷺ؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] وسُمِّي زمان الفترة قبل البعثة بالجاهلية لغلبة الجهل علىٰ الناس، لا يعرفون الله حقَّ معرفته ولا يعرفون حقوقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وواقعون في الشرك بسبب هذا الجهل، وواقعون في الضلال والكفر، وسفك الدماء، والسلب والنهب إلىٰ آخر الجهالات والضلالات التي استحقُّوا بها اسم الجاهلية، فالجاهلية مأخوذة من الجهل، فاجتهِدُوا في طلب العلم لإخراج أنفسكم من الجهل؛ فإنَّه داءٌ وبيل وظلمات.

والله بعث محمَّدًا ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور؛ من ظلمات الجهل والشرك والكفر إلىٰ نور العلم والإيمان والتوحيد، فما نستطيع أن نُوَحِّد الله ونخلص له الدِّين، ونعرف عظمته وجلاله وأسماء كماله وصفات جلاله إلَّا بالعلم الذي نتلقاه عن محمَّدٍ ﷺ الذي أوحىٰ إليه هذا الكتاب العظيم الشامل لكلِّ خير، والمتحدث عن الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته وكماله وجلاله، وكذلك السنَّة التي علَّمه الله وهي الحكمة، وهي بيان لهذا القرآن، وهي تؤكِّد ما في القرآن، تفسِّره وتبيِّنه وتوضِّحه، فعليكم يا معشر الشباب السلفي أن تُشَمِّروا عن ساعد الجد لتحصيل العلم؛ أوَّلًا: لإنقاذ أنفسكم من مخالب الجهل والضلال، وثانيًا: لتبليغ رسالة الله التي أرسل بها محمدًا إلىٰ العالمين، ويبدأ كلُّ واحد منكم بأقاربه وعشيرته؛ قال الله لمحمَّدٍ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ

ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(١) [الشعراء: ٢١٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فكلُّ واحد يتعلّم ثم يذهب إلىٰ عشيرته وقومه فيسعىٰ في تعليمهم وتبصيرهم بدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، واستنقاذهم من براثن الجهل والهوىٰ والبدع والضلالات؛ هذا أمرٌ عظيم، والعلم كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه

ويقول:

والعلم معرفة الهدىٰ بدليله ... ما ذاك والتقليد يستويان

الذي يعرف الهدىٰ بدليله: هذا هو العالم.

«ما ذاك والتقليد يستويان»: التقليد الأعمىٰ؛ لأنَّ المقلِّد أخو العميان، فالعلم معرفة الهدىٰ، المقلِّد ليس بعالم، فكثير من الناس يعيشون علىٰ التقليد

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٣ (٨٣٨٣) و٢/ ٣٦٠ (٨٧١١) والبخاري؛ رقم (٢٧٥٣ و٤٧٧١) ومسلم؛ رقم (٢٠٦)، واللفظ لهما، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ! لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا».

الأعمىٰ، نعم! الجاهل الذي لا طريق له إلىٰ العلم يقلِّد من يثق فيه من العلماء، لا يتعصّب لمذهب، لا يجوز له التعصب لمذهب أبدًا، وإنَّما يبحث عمن يرىٰ فيه الكفاءة والعلم والثقة والأمانة في الدِّين ويسأله؛ كماقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأمَّا من يستطيع أن يتعلّم ويُخرِج نفسه من الجهل فعليه أن يُشمِّر عن ساعد الجدّ، ويتعلّم ويُخرِج نفسه من ظلمات الجهل، ومن ظلمات التقليد الأعمىٰ؛ لأنَّه ما من مذهب إلَّا وفيه أخطاء، ما من مذهب إلَّا وفيه صواب وخطأ، فالذي يحصر نفسه علىٰ مذهب معيَّن قد يقع في أخطاء يراها أنَّها من الحق ومن السنَّة وليست منه.

الأئمة المجتهدون إذا أخطأوا مأجورون، والمقلِّد إذا أمكن أن يفكّ نفسه من ربقة التقليد فعليه أن يفكّ نفسه من أسر التقليد وربقته؛ لأنَّ هذا المدح للعلماء؛ العلماء العالمين بكتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ويأخذ الأحكام من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ وبفهم السلف الصالح؛ لأنَّ بعض الناس يغتر فيقول: أنا لا أحتاج أن أرجع إلىٰ السلف؛ فهذه طريقة الخوارج، لا بد من اتباع سبيل المؤمنين في الفقه والاستدلال والفهم، الصحابة هم النموذج الأعلىٰ في الفقه في كتاب الله، فنستعين بفهمهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولا نستطيع أن نرد الأهواء والبدع والضلالات إلا بفقه السلف رضوان الله عليهم، فلمَّا اغترَّ الخوارج وابتعدوا عن فقه الصحابة وقعوا في الضلال، فصاروا شرَّ الخلق والخليقة، وإن كانوا يزعمون أنَّهم يأخذون الدِّين

من القرآن؛ فإنَّ هذا الهوىٰ جعلهم يردُّون حتىٰ السنَّة[١]، تمادىٰ بهم الشر بعد رفض أقوال الصحابة وفقههم، تمادىٰ بهم إلىٰ رفض السنَّة نفسها، فلا يأخذون

---

(١) حكىٰ أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» وابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» أشياء من ذلك؛ قال الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المقالات (١/ ١٧٨ - المكتبة العصرية) ت - محيي الدين عبد الحميد: «وذكر الكرابيسي في بعض كتبه أن العجاردة والميمونية - من فرق الخوارج - يجيزون نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بنات الأخوة وبنات بني الأخوة ويقولون: إن الله حرم البنات وبنات الأخوة وبنات الأخوات».

وقال في (١/ ٢٠٦): «وحكىٰ حاك أن البدعية تقول مثل مقالة الأزارقة غير أنها تزعم أن الصلاة ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي.

واختلفت الخوارج في اجتهاد الرأي وهم صنفان: فمنهم من يجيز الاجتهاد في الأحكام كنحو النجدات وغيرهم، ومنهم من ينكر ذلك ولا يقول إلا بظاهر القرآن وهم الأزارقة..

والخوارج لا يقولون بعذاب القبر ولا ترىٰ أن أحدًا يعذب في قبره».

وقال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصل (٤/ ١٨٩ - الفكر): «وقال أبو إسماعيل البطيحي وأصحابه وهم من الخوارج: أن لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالغداة وركعة أخرىٰ بالعشي فقط، ويرون الحج في جميع شهور السنة، ويحرّمون أكل السمك حتىٰ يذبح، ولا يرون أخذ الجزية من المجوس، ويكفّرون من خطب في الفطر والأضحىٰ، ويقولون: إن أهل النار في النار في لذة ونعيم وأهل الجنة كذلك».

وقال في (٤/ ١٨٩): «وقالت سائر الأزارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق بإبطال رجم من زنىٰ وهو محصن، وقطعوا يد السارق من المنكب، وأوجبوا علىٰ الحائض الصلاة والصيام في حيضها، وقال بعضهم: لا! ولكن تقضي الصلاة إذا طهرت كما تقضي الصيام، وأباحوا دم الأطفال ممن لم يكن في عسكرهم وقتل النساء أيضًا ممن ليس في عسكرهم».

منها إلا ما يوافق هواهم والعياذ بالله، هم بهذا الأمر خالفوا كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمرهم في غير ما آية بطاعة رسوله ﷺ وحذّرهم من مخالفته وتوعّد من يخالفه بالوعيد الشديد فلا بد إذًا من احترام سنته، والذي لا يؤمن بالسنة يكفر؛ الذي يكذّب بالسنة ويردّها كافر؛ كما حصل للقرآنيين قاتلهم الله ردّوا سنة رسول الله جملة وتفصيلا فأجمعت الأمة علىٰ تكفيرهم، كيف نفهم القرآن؟ كثير من مجملات القرآن لا نستطيع أن نفهمها؛ حتىٰ الصلاة، حتىٰ الزكاة، حتىٰ الصيام لا نستطيع أن نفهمها وأن نطبقها ونقوم بها إلا إذا أخذنا بالسنة، وفصّلنا بها مجملات القرآن، وفسّرنا بها مبهماته، وقيدنا بها مطلقاته، وخصّصنا بها عموماته؛ فلا يكون المرء مسلمًا إلا إذا آمن بالكتاب والسنة وما تضمناه من عقائد وعبادات وأخلاق وأوامر ونواهٍ ووعد ووعيد... والسنة تشارك القرآن في كل مضمار وكل ميدان من هذه الميادين، فتعلّموا القرآن وتعلّموا السنة مع الاهتمام الشديد والتعويل الأكيد علىٰ فهم الصحابة ومن سار علىٰ نهجهم من أئمة الإسلام؛ فإنه مهما بلغ الإنسان من الذكاء والفطنة والنباهة لا يمكن أن يستغني عن فقه السلف؛ حتىٰ الأئمة الكبار الشافعي ومالك وأحمد وأبو حنيفة وغيرهم كانوا في أشد الحاجة إلىٰ فقه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقال الشافعي: «إن الصحابة فوقنا في كل علم وعقل وفهم»[1] ولما

---

(١) قال الشافعي في رسالته البغدادية الَّتِي رَوَاهَا عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَسَبَقَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ =

استخف الخوارج والروافض بأصحاب محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جرّهم هذا الاستخفاف جرّ غلاتهم(١) إلىٰ الإلحاد والزندقة؛ لأنهم إذا خالفوا فقههم وقعوا في الضلال والإلحاد، ولمّا نشأت الفرق الضالة وهم ينـزعون بأدلّة من القرآن - عندهم شبهات -؛ وهي من المتشابه؛ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧] ما استطاع السلف أن يواجهوهم

=

رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ، فَرَحِمَهُمُ اللهُ وَهَنَّأَهُمْ بِمَا آتَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِبُلُوغِ أَعْلَىٰ مَنَازِلِ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَدَّوْا إِلَيْنَا سُنَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَشَاهَدُوهُ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فَعَلِمُوا مَا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامًّا وَخَاصًّا وَعَزْمًا وَإِرْشَادًا، وَعَرَفُوا مِنْ سُنَّتِهِ مَا عَرَفْنَا وَجهلنا، وَهُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَوَرَعٍ وَعَقْلٍ وَأَمْرٍ اُسْتُدْرِكَ بِهِ عِلْمٌ وَاسْتُنْبِطَ بِهِ، وَآرَاؤُهُمْ لَنَا أَحْمَدُ، وَأَوْلَىٰ بِنَا مِنْ رَأْيِنَا عِنْدَ أَنْفُسِنَا، وَمَنْ أَدْرَكْنَا مِمَّنْ يَرْضَىٰ أَوْ حُكِيَ لَنَا عَنْهُ بِبَلَدِنَا صَارُوا فِيمَا لَمْ يَعْلَمُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِ سُنَّةً إِلَىٰ قَوْلِهِمْ إِن اجْتَمَعُوا، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ إِنْ تَفَرَّقُوا، وَهَكَذَا نَقُولُ، وَلَمْ نَخْرُجْ عَنْ أَقَاوِيلِهِمْ، وَإِنْ قَالَ أَحَدُهُمْ وَلَمْ يُخَالِفْهُ غَيْرُهُ أَخَذْنَا بِقَوْلِهِ» نقله البيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (١١٠ - ١١١) وابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٨٧).

(١) قال أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصل (٢/ ١١٤): «وقد تسمّىٰ باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام علىٰ أنه ليس مسلمًا مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا: إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الإخوة وبنات بني الأخوات وقالوا: إن سورة يوسف ليست من القرآن، وآخرون منهم قالوا: يحد الزاني والسارق ثم يستتابون من الكفر فإن تابوا وإلا قتلوا».

إلا بفقه الصحابة رضوان الله عليهم؛ فقه الصحابة لا بدّ منه في الأصول والفروع، فلا نستغني عنه أبدًا، ولن يستغني عنه إنسان يريد الله والدار الآخرة، فعليكم يا إخوة بحفظ القرآن ودراسة تفاسيره السلفية المأمونة الموثوقة؛ مثل تفسير ابن جرير، تفسير ابن كثير، تفسير السعدي، تفسير البغوي، والتفاسير التي سبقت ومنها بقايا مثل تفسير ابن أبي حاتم، وتفسير عبد الرزاق الآن يوجد شيء منها؛ وهي تفسير بالمأثور ينقل لك التفسير بالإسناد، وهناك تفسير بالرأي تفسير المعتزلة وغيرهم من أهل الرأي، وهناك تفسير بالأثر يعني نقل تفسير النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بأقوال الصحابة وأقوالهم وفقههم والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين؛ هذا هو التفسير بالمأثور، هذا يجعلك في وضع كأنك تعيش في عهد الصحابة والتابعين، تنقل لك الفهوم الصحيحة بالأسانيد فتفهم كتاب الله وسنة الرسول كما فقهها هؤلاء أو قريبا منهم، نحن لا نستطيع أن نقربهم ولا بمرتبتهم، ولكن نتشبه بهم ونتأسىٰ بهم، ونجتهد في أن نفقه مثل ما فقهوا، كذلك عليكم بالسنة؛ صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، وما يتلوها من معاجم، وجوامع، ومسانيد؛ لمن يريد أن يتوسّع، وإلا من أراد أن يفهم دينه حق الفهم فهذه الكتب تكفيه، ولكن فوق كل ذي علم عليم؛ يعني بعضهم يقول: يكفي أبو داود في الفقه في معرفة الحلال والحرام[1] أو

---

(١) قال النووي: في تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧/ الكتب العلمية): «وروينا عن =

الترمذي[(١)]، وعلىٰ كل حال نهتم بالسنة بقدر ما نستطيع من مصادرها المعتبرة مما ذكرناه، كذلك كتب العقائد التي دونها علماء السلف وميزت لنا بين العقائد السلفية وعقائد أهل الضلال والخُلوف من أهل الأباطيل والأهواء. مثل السنة للخلال، والشريعة للآجري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، والإبانتين لابن بطة، والحجة للأصبهاني، وغيرها من دواوين السنة التي دوَّنها أئمة الإسلام؛ تبين عقيدة الصحابة ومنهجهم والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدىٰ، وتميز بينها وبين طرق أهل الضلال من الخوارج والمعتزلة والروافض والمرجئة

=

الإمام أبي سليمان الخطابي: قال: سمعت أبا سعيد بن الأعرابي ونحن نسمع منه كتاب السنن لأبي داود، وأشار إلىٰ النسخة وهي بين يديه يقول: لو أن رجلًا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف، ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلىٰ شيء من العلم البتة.

قال النووي: وهذا كما قال؛ لأن الله تعالىٰ أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء. وقال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، إلا أن البيان ضربان، بيان جلي تناوله القرآن نصًا، وبيان خفي تناوله القرآن ضمنًا، وكان تفصيل بيانه موكولًا إلىٰ النبي ﷺ، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤]، فمن جمع الكتاب والسنة فقد استوفىٰ نوعي البيان، وقد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدّمًا سبقه إليه، ولا متأخّرًا لحقه فيه».

(١) قال أبو عيسىٰ الترمذي: «صنفت هذا الكتاب، وعرضته علىٰ علماء الحجاز والعراق وخراسان، فرضوا به، ومن كان هذا الكتاب - يعني «الجامع» - في بيته، فكأنّما في بيته نبيّ يتكلّم». سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٤).

وغيرهم من أهل الضلال هذه لا نستغني عنها أبدًا، لا بد من الرجوع إليها، وقد قام البخاري ببيان أصول العقيدة في كتابه؛ كتابه قام علىٰ الفقه في الأصول والفروع؛ فافتتح كتابه ببدء الوحي، وثناه بالعلم، ثم بالإيمان هذه أمور عظيمة؛ وكتاب الإيمان بيّن فيه عقيدة أهل السنة، وفيها ردود علىٰ المرجئة وغيرهم، كذلك ضم في كتابه كتاب التوحيد، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة؛ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رد علىٰ أهل الأهواء، ورد علىٰ أهل الرأي، وكتاب الإيمان رد علىٰ المرجئة وما شاكلهم، كتاب التوحيد فيه رد علىٰ الجهمية.

أبو داود رد علىٰ الجهمية والمرجئة وغيرهم في كتابه السنة من كتاب السنن، ابن ماجه كذلك ألمح علىٰ شيء من هذا، الترمذي ألمح علىٰ شيء من هذا؛ لهذا تميز أهل الحديث علىٰ سائر الفرق لعنايتهم الشديدة بسنة رسول الله ﷺ بل بالكتاب والسنة، فخالفوا الفرق في أنهم لا يستمدون دينهم أصوله وفروعه إلا من كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولهذا لمّا يسأل الأئمة الكبار عن الطائفة المنصورة من هي؟ يقولون: أهل الحديث؛ وفعلا إذا درست كتب العقائد وقارنت تجد الفروق الهائلة بين عقائد أهل الحديث وعقائد غيرهم؛ فأهل الحديث تجدهم دائما مع النصوص القرآنية والنبوية ومع فقه السلف، وهم يضعون في اعتبارهم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وهم يترسمون سبيل المؤمنين ولا يخرجون عنه؛ سبيل المؤمنين سبيل

الصحابة ومن تبعهم بإحسان رضوان الله عليهم؛ قال رسول الله ﷺ: «**ستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: من هي قال: من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي**»(١) وفي رواية «**الجماعة**»(٢) هذا الحديث يلتقي مع حديث الطائفة المنصورة لأنه لما سئل عنها قال: «**الجماعة**» الجماعة هي التي اجتمعت علىٰ الحق، وقال ﷺ في حديث الطائفة المنصورة: «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق**»(٣) الحق ما هو؟ الذي كان عليه رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي حديث الفرقة الناجية قال: «**من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي**» الرسول ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا علىٰ ماذا؟ علىٰ الكتاب والسنة؛ والكتاب والسنة هما الحق، بعض الناس فرّق بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية! هذا غلط كبير جدًّا.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٣٢) و(٣/ ١٢٠)، والدارمي في [السنن] (٢/ ٢٤١) برقم (٢٥٥٢)، وأبو داود برقم (٤٥٩٦)، والترمذي برقم (٢٦٤٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٤٠٢٩)، والحاكم في [المستدرك] (١/ ١٢٨)، والآجري في [الشريعة] (ص٢٥). وقوله ﷺ: «من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي» بنحوه عند الترمذي برقم (٢٦٤٣) وحسّنه، وبلفظه عند الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٩) والطبراني في [الصغير] برقم (٧٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٤٥) و(٤/ ١٠٢)، وأبو داود برقم (٤٥٩٧)، وابن ماجه برقم (٤٠٤٠، ٤٠٤١)، والحاكم في [المستدرك] (١/ ١٢٨)، والآجري في [الشريعة] (ص١٨). والحديث صححه جمع من الحفاظ منهم ابن كثير في التفسير (٤/ ٢٩٦) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٥٨٨) وابن حجر في تخريج الكشاف (ص٦٣) والألباني في الصحيحة برقم (٢٠٣) و(١٣٤٨).

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٨ و٥/ ٢٧٩ ومسلم؛ برقم (١٩٢٠)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أولًا لأن معنىٰ الحديثين واحد؛ لا يختلفان أبدًا، ولا يمكن لإنسان أن يستفيد منهما أي فرق بين هذا الحديث وهذا الحديث؛ الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة والطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية هي نفسها؛ الحق الموجود في هذا في قوله «**ما أنا عليه وأصحابي**» يوافق حديث الطائفة «**لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق**» فالتفرقة باطلة باطلة مائة في المائة؛ ولهذا لا تجد أحدًا من أهل السنة أو من فرق الضلال فرّق بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية أبدًا حتىٰ جاء العصر الذي جمحت فيه الأهواء - الأهواء السياسية - فوجد التفريق وهو تفريق باطل، وقد تعرّضنا لذلك وبينته في كتابي «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الفرقة الناجية».

هم هم، شيء واحد؛ لهذا السلف ما فرّقوا أبدًا، هي منصورة في الدنيا وناجية في الآخرة، فهما وصفان لطائفة واحدة، ولما جاء هذا التفريق هوّن من شأن الفرقة الناجية، وجعلها دون المنصورة! وبيّنا أن العبرة بالنجاة، ولهذا تجد أهل البدع ينازعون أهل الحديث فيما يسمىٰ بالناجية لأنهم حريصون علىٰ النجاة، أما المنصورة فقد تنتصر في الدنيا ويندس فيها منافقون وفيها ناس مدسوسون؛ لما يرون الشوكة والقوة والغلبة لأهل السنة يستظلون بهم فيشاركونهم يدخلون في المنصورة - إن فرّقنا - أما النجاة فما فيها سبيل للحيل؛ من تمسك بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ نجا من هذا الوعيد، وإن كانت الفرق الهالكة لا نحكم عليها بالخلود في النار، لكنها متوعدة بالنار ويدخل كثير منهم

فعلًا في النار وبعدها يغفر الله لمن يشاء، لكن قبلها ماذا والعياذ بالله؟! من يتحمل الآن منا عذاب يوم أو ساعة؟ الشاهد أن النجاة في الكتاب والسنة، والعلم الذي يجب أن يحرص عليه المسلم هو علم الكتاب والسنة، وما أثنىٰ الله علىٰ العلماء إلا علىٰ العالمين بكتابه وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما علوم الدنيا إن كانت تخدم الدين فالحمد لله، لكن هناك فرق بينهم وبين علماء الدين علماء السنة علماء الإسلام، وهؤلاء يعطيهم الله علىٰ حسب نياتهم، وعلىٰ حسب إخلاصهم ونصرهم للإسلام، ولكن المدح الذي يشاد به في الكتاب والسنة إنما هو للعلم وللعلماء بكتاب الله وبسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فاحرصوا علىٰ أن تنالوا هذه الدرجات التي وعد الله بها أهل العلم، وتميزوا بذلك عن أهل البدع، وتميزوا عن أهل الجهل، نسأل الله تعالىٰ أن يوفّقنا وإياكم لحمل راية السنة، وحمل راية العلم، وأن يجعلكم من الدعاة المخلصين إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ، وإلىٰ إنقاذ المسلمين من الضلال الذي وقع فيه كثيرٌ منهم، وإلىٰ إنقاذهم من الذل الذي يتخبطون فيه الآن؛ لأنه واللهِ لا خلاص لهم مما هم فيه من ذل يعيشونه إلا بالعودة إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كما قال الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم**»[1] الجهاد في

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٨ (٤٨٢٥) و٢/ ٤٢ (٥٠٠٧) و٢/ ٨٤ (٥٥٦٢) وأخرجه أبو داود برقم (٣٤٦٢)، =

سبيل الله هو الذي يكون لإعلاء كلمة الله، لا إشباعًا لنزعات تكفيرية جاهلية، وإنما لإعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ «**من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١) والجهاد ليس فوضىٰ، وإنما جهاد يأتي في الوقت المناسب الذي يمتلك فيه المسلمون القدرة والقوة التي ترهب الأعداء؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] الآن المناوشات السفيهة التي تحصل من بعض الناس واللهِ يفرح بها الأعداء واللهِ ينتهزونها فرصة لإذلال المسلمين، والتسلط عليهم، واستعبادهم، وامتلاك نواصيهم وثرواتهم، فالآن هذه الحركات السفيهة إنما هي تحريش لأعداء الإسلام، وهم في غاية القوة، والمسلمون في نهاية الضعف عقائديًا ومنهجيًا وعملًا... والله تعالىٰ يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] المؤمنون الكاملو الإيمان؛ عندهم توحيد خالص، وإيمان كامل هؤلاء ينصرهم الله، أما الآن رفْضٌ، خروج، اعتزال، تصوف مهلك، تحشدهم في صعيد واحد! كلهم أهل ضلال لا يستحقون النصر، ولهذا يذكر(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

=

من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١ / ٤٢ح رقم (١١): وهو حديث صحيح لمجموع طرقه.

(١) كما ثبت في الحديث الذي أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٢ و٤٠١ و٤٠٥ و٤١٧، والبخاري؛ برقم (١٢٣) ومسلم؛ برقم (١٩٠٤)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الاستغاثة» الذي رد فيه علىٰ البكري (٤١٢ - ٤١٣/ دار المنهاج الرياض): «حتىٰ إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لمّا قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتىٰ عند

=

أنه لما زحف التتار هبّ الصوفية وعندهم خرافات وشركيات وبدع، ويردّدون بيتين من الشعر:

=

القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

يـا خائفيـن مـن التتـر ... لـوذوا بقبـر أبـي عمـر

أو قال:

عـوذوا بقبـر أبي عمـر ... ينجيكـم مـن الضـرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد؛ فإنه كان قد قضىٰ أن العسكر ينكسر لعدة أسباب اقتضت ذلك ولحكمة لله عَزَّوَجَلَّ في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة - (يقصد شيخ الإسلام بالمكاشفة: الفراسة، لا ما يقصده الصوفية بهذه اللفظة!) - لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد، وانتفاء النصرة المطلوبة من القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كثيرا من القائلين الذي اعتقدوا هذا قتالا شرعيا أجروا علىٰ نياتهم، فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله عَزَّوَجَلَّ والاستغاثة به وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ وروي أن رسول الله ﷺ كان يوم بدر يقول: «**يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث**» وفي لفظ: «**أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين، ولا إلىٰ أحد من خلقك**»، فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم الله علىٰ عدوهم نصرا عزيزا، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلا؛ لما صح توحيد الله تعالىٰ وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك؛ فإن الله تعالىٰ ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»اهـ. فاعتبروا يا أولي الأبصار!

يـــا خــــائفين مــــن التتــــر لــــوذوا بقبــــر أبــــي عمــــر!
لــــوذوا بقبــــر أبــــي عمــــر ينجــــيكم مــــن الــــضرر!

المسلمون الآن - إلا من رحم الله - يلوذون بقبر البدوي والرفاعي والعيدروس...، وأفغانستان أنا لا أعتبر بأي جهاد فيها إلا جهاد جميل الرحمن وإخوانه السلفيين، أمَّا جهاد الآخرين فكان لجمع الأموال والضحك علىٰ الناس!، لا علىٰ العقيدة ولا شيء، وكانوا يحاربون التوحيد، ثم ما طردوا الشيوعية إلا بالشيوعيين، ما فتحوا كابل إلا بالشيوعيين، ما فتحوها بسيوف الإسلام أبدًا، الجهاد الذي كان فيه فتح وفيه إعلاء لراية الإسلام كان جهاد جميل الرحمن السلفي؛ واللهِ لا أقولها لكم مجاملة، ولقد عرفت فيه من العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ والخبرة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والصدق والإخلاص، وبارك الله في جهاده وكانت تأتيه مساعدات طفيفة؛ الأموال كلها تتدفق من الدول كلها علىٰ الجهاد الفاسد؛ جهاد الخرافات والبدع والضلال، وهو محروم من المساعدات إلا القليل، فبارك الله في هذا المال، وفتح به، وأقام به إمارة إسلامية تطبّق الإسلام بحذافيره عقيدة، ومنهجًا، وتربية، وإنكار منكرات، وهدم للقبور، واستئصال للحشيش المنتشر في أفغانستان إلىٰ آخره، تجمّع هذا الجهاد الخرافي القبوري علىٰ إمارة التوحيد فقَضَوْا عليها؛ لأنهم يعادون التوحيد! الآن تبخّر، ما هي الفائدة من ذاك الجهاد الطويل؟ ما هي ثماره؟ ذهبت روسيا جاءت أمريكا الآن، الشيوعية باقية، والباطنية، والرفض، والتصوف، والقبور، والخرافات كأن لم يكن شيء، لو كان جهادًا إسلاميًّا صحيحًا كانت أفغانستان الآن في قمة

الإسلام؛ كانوا واللهِ يقفون في وجه الموحدين هذا وهابي! لو عندي رصاصة وكان أمامي شيوعي ووهابي أبدأ بالوهابي قبل الشيوعي! يقولون: وهابي! وهابي! لما كانوا ينادون بالتوحيد! الآن في فلسطين لو قامت دولة تقوم علىٰ أي أساس؟ حامل الراية يصرّح بالعلمانية! ما هي الفائدة؟ الجهاد لإعلاء كلمة الله لا يقوم إلا علىٰ رجال موحّدين مخلصين لله لا يريدون إلا إعلاء كلمة الله، ويطلبون إحدىٰ الحُسنَيين إما النصر وإما الشهادة، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية لما تصدّىٰ الصوفية والخرافيون لجهاد التتار ويرددون:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر
لوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر

قال لهم: سوف تهزمون قال: وتخلّف علماء عن هذا الجهاد؛ لأنهم يرونه غير شرعي، ولم ينكر هذا لما رأىٰ هذا الجهاد الفاسد القائم علىٰ الشرك والبدع والضلالات، راح يربّي ناسًا علىٰ التوحيد، لما وُجد الجيش الذي يستحق النصر قال: الآن الجهاد والنصر إن شاء الله مضمون، وكان يُشبّه هذه المعركة القادمة بمعركة الأحزاب: وقال: سننصر، قالوا له: قل: إن شاء الله، قال: أقولها تحقيقًا لا تعليقا؛ لماذا؟ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] هؤلاء هم المؤمنون الآن ورجال التوحيد، ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٢] الآن نحن لا نستحق النصر صراحة، ولهذا نُهزم ونُهزم ونُهزم، ولا

يوجد نصر، شروط النصر غير موجودة، الله وعد بالنصر إذا توفّرت فينا هذه الشروط، وتوفرت فينا هذه الصفات، وهي ليست متوفرة فينا الآن، فلابد من توفر هذه الصفات كيف؟ لابد من تربية الشعوب الإسلامية علىٰ التوحيد الحق، وعلىٰ التمسك بالكتاب والسنة، وهذا هو العودة إلىٰ كتاب الله «**حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم**» دينكم ليس هو دين الروافض ودين الصوفية والمعتزلة والخوارج والمرجئة، ولا دين سيد قطب الآن الخليط من كل الضلالات، الرجوع إلىٰ دين محمد ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] الرجوع إلىٰ هذا الدين الحق الذي جاء به محمد النبي ﷺ وأخذه بحذافيره، حينئذ نستحق النصر من الله، ونُعِدّ العدّة بقدر ما نستطيع؛ واللهِ لننتصر علىٰ الدول الكافرة كلها، نصرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١] يقذف الله الرعب والوهن في قلوبهم، ويأتي الله بالنصر لهذا الجهاد الذي يراد به إعلاء كلمة الله، وكلمة الله هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلمة التوحيد، فاعرفوا هذا وأدركوه، واسْعَوا في تحقيقه، ولا تغرّكم الشعارات الفاضية، هذه الشعارات من سبعين سنة ما زادت الأمة إلا ذلاً وهوانًا، وواللهِ لولا هذه الشعارات التي وقفت في وجه المنهج السلفي؛ فأصحاب هذه الشعارات يحاربون المنهج السلفي حربًا لا هوادة فيها، ويسعون في إفساد المؤسسات السلفية، الجامعات السلفية التي قامت لو لا هذه الأحزاب الضالة تربّصت بالدعوة السلفية الدوائر وبشبابها،

وحرفت كثيرًا منهم عن منهج الله الحق! لولا هذا الغزو الخبيث الذي اكتسح البلاد؛ جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين غزَوْا بلاد التوحيد هذه، هذه كان يمكن أن تكون منطلقا لإعلاء كلمة الله، ومنطلقا لإعادة المسلمين إلىٰ كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وهم ينخرون فيها كالسوس، ويعبثون بعقول شبابها، وحالوا بين الدعوة السلفية وبين انتشار هذا النور في العالم، واللهِ لولا هذه المكائد وهذه الحيل وهذا المكر لرأيت العالم الإسلامي غير الحال التي هي عليه الآن؛ فإن النفوس بدأت تنبعث للدعوة السلفية، وبدأت تلغي الخرافات والتعصُّبات المذهبية، وتُقبل علىٰ الكتاب والسنة، فتعرّض هؤلاء لصدّ هذا التيّار، وأعتقد أن هناك قوة خفيّة من وراء هذه الأحزاب لمقاومة الإسلام الحق؛ لأنهم يدركون أن الإسلام الحق في الدعوة السلفية، فيسلطون هذه الدعوات الفاشلة الفاسدة لتشويه الدعوة السلفية، وتحول أبناءها وتصرفهم عن الحق، ونجحوا بمكائدهم إلىٰ حد بعيد، فاليوم الذي يدرك فيه الشباب مكائد هؤلاء، ويحذر من شرهم وكيدهم يمكن أن تشق الدعوة السلفية طريقها في نشر هذا النور، وفي العودة بالأمة إلىٰ كتاب ربها وسنة نبيها، وبداية هذا الخير بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، لولا هذه المكائد لرأيت الآن العالم الإسلامي علىٰ غير الحالة التي تراها عليه الآن، وأنا أعتقد اعتقادًا جازمًا أنهم أخَّروا المسلمين بهذه الحيل والمكائد والشعارات المزيفة أخّروهم قرونًا؛ لتستمر الشعوب الإسلامية ترفس في أغلال الذلّ والهوان، وتحت وطأة أعداء الله عَزَّوَجَلَّ.

نسأل الله التوفيق، ونسأل الله أن يأخذ بنواصي شباب الأمة وسواد الأمة إلىٰ كتاب ربها وسنة نبيها؛ إنَّ ربنا لسميع الدعاء، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.



إن الله يرضى لكم ثلاثا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

أيُّها الإخوة! فإنه لابدَّ لنا من طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ ونترسم خُطا هذا الرسول الكريم في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمنهج، والدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. هذا الرسول الكريم الذي تركنا علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، تركنا علىٰ العقائد الصحيحة والمناهج الصحيحة، والأخلاق العالية، والأعمال الصالحة؛ كما قال: **«عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلا هَالِكٌ»**[1]، وتوجيهاته كثيرة وعظيمة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مما بلغنا من كتاب ربِّنا وسنة نبيِّنا.

ومما أوصانا به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **قولُه: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلاثًا، يَرْضَىٰ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ**

(١) سنن ابن ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): حديث العرباض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٧).

تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» (١).

فهذه وصايا عظيمة في أمر الدين والدنيا منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا الحديث من جوامع كلمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كأنه تلخيص لجميع ما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فأوصانا بالعقيدة التي هي الأساس، وهي أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، وهذه دعوته ودعوة الأنبياء جميعًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وهي مضمون ما جاء به الأنبياء جميعًا: (لا إله إلا الله).

فعلينا أن نحقِّق هذه العقيدة، وأن نصحِّحها، وأن ننشرها في الناس، أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، نعبده العبادة الصحيحة القائمة علىٰ كتاب الله وسنة رسوله، فلا نَدْعُو إلا إياه، ولا نذبح إلا له، ولا ننذر إلا لجلاله، ولا نتوكل إلا عليه، ولا نستغيث في الشدائد إلا به، ولا نلجأ في الشدائد إلا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا نصلي إلا له؛ لا نركع ولا نسجد ولا نخضع ولا نخشع ولا نخاف إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذن سائر العبادات التي تضمنها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهي كثيرة، في نصوص القرآن وفي نصوص السنة ودواوينها، فعلينا أن نتعلَّمها ونعرفها حق المعرفة حتىٰ نعبد الله مخلصين له الدِّين ببصيرة وعلم، فلا نقع في البدع، ولا

(١) مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، حديث رقم (١٧١٥)، من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في الضلالات، ولا في الانحرافات، ولا في الشركيات.

والثانية: أن نعتصم بحبل الله جميعًا، فهـذه مطابقة لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، لأنّ القرآن والسنة من مشكاة واحدة، وفيها تفصيل وبيان لما في القرآن من إجمال وما يحتاج إلىٰ تفسير.

فعلينا أن نعتصم بحبل الله جميعًا في عقائدنا وعباداتنا وأخلاقنا ودعوتنا وعلاقاتنا مع الناس - مسلمين وغير مسلمين -، لا ننطلق إلا من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ.

نعتصم به - كما ذكرت - في العقائد، فلا نعتقد إلا ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في توحيد الرّبوبية، وفي توحيد الألوهية، وفي توحيد الأسماء والصفات، وفي العبادات التي نتقرب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فلا نعبد الله إلا بما شرع في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ.

والثالثة: أن نناصح من ولاه الله أمر المسلمين؛ لا غش، ولا دغل، ولا خيانة، ولا خبث في النفوس، وإنما النصيحة النّافعة التي تنفع هؤلاء الذين ولاهم الله أمر المسلمين وتنفع المسلمين، فبصلاحهم ونصيحتهم تستقيم حياة المسلمين، وبانحرافهم تنحرف حياة المسلمين، والنصيحة كما في حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**

وَعَامَّتِهِمْ»[(١)]، المسلم دائمًا ناصح لكل النّاس حكّامًا ومحكومين، الأقارب والبعداء، هو ناصح، ينصح للناس يدعوهم إلىٰ الحق، ويحذِّرهم من الباطل، يدعوهم إلىٰ الخير، ويحذِّرهم من الشر، يدعوهم إلىٰ الهدىٰ، ويحذِّرهم من الضلال، بالعلم والحكمة والبصيرة، وفي نفس الوقت بالأخلاق العالية، من يواجه أذىٰ في دعوته؛ فعليه بالصبر والحلم والصفح؛ لأنه لا يريد للناس إلا الخير، فلا ينتقم لنفسه.

وهناك أمثلة كثيرة، وعلىٰ رأس هذه الأمثلة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما كان ينتقم لنفسه أبدًا إلا لله[(٢)]، إذن حماة دين الله يغضبون لله، أما لأنفسهم فلا يغضبون ولا ينتقمون.

فأحذِّر الشباب من الصفات التي تنافي هذه الأخلاق، وأحثُّهم أن يكونوا ناصحين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، صابرين محتسبين لله، وأن يتحلَّوا بالأخلاق العالية، وأن يكون من مبادئهم الصبر والحلم والصفح[(٣)]؛ فإن هذه الأخلاق العالية تنفع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، برقم (٥٥).

(٢) كما ثبت ذلك من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند البخاري: المناقب، باب صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، (٣٥٦٠). ومسلم: الفضائل، باب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ، وَانْتِقَامِهِ لِلهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ، برقم (٢٣٢٧).

(٣) قال عبد الله بن بريدة الأسلمي: شَتَمَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّكَ تَشْتُمُنِي وَفِيَّ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنِّي لَآتِي عَلَىٰ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ وَلَعَلِّي لَا =

الدعاة السلفيين، فيتماسكون في دعوتهم، وتنفعهم في مواجهة الآخرين، هذه الأخلاق مطلوبة فيما بين الدعاة إلىٰ كتاب الله وسنة الرسول علىٰ بصيرة وبين الآخرين من المدعوّين، فنتعامل بهذه الأخلاق الطيبة حتىٰ يدخل الناس في دين الله، وحتىٰ يقبلوا دعوتنا، هذه الأخلاق لها دور عظيم في إقبال الناس علىٰ هذه الدعوة وفي قبولهم لها.

وكل ذلك يرجع إلىٰ ما تضمنه هذا الحديث وتضمنه غيره، وقالها نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وقالها هود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]. فكونوا نصحاء؛ ومعناه سالكين في ذلك مسلك الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام -؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، علماء السنة والتوحيد وعلماء الحق ورّاث الكتاب والسنة هم ورّاث الأنبياء هذا مستوىٰ عظيم ودرجة عظيمة، لا ينبغي أن يتدلَّىٰ الداعي إلىٰ الله الصحيح العقيدة والمنهج إلىٰ الأخلاق الدنيئة، فالأخلاق الدنيئة تشوِّه هذه الدعوة،

=

أُقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنِّي لأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلادِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَفْرَحُ بِهِ، وَمَا لِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ. رواه أبو عبيد في فضائل القرآن برقم (٧٥)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٨٨)، ووكيع الضبي في «أخبار القضاة» (١/ ٨١)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٦، برقم ١٠٦٢١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢١ - ٣٢٢)، وفي معرفة الصحابة (٣/ ١٧٠٢، برقم ٤٢٧١). والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٥٠٣، برقم ١١١٣٧). قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٦٣): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

فحذار حذار أن تنحدروا إلىٰ هذه المستويات التي ينحدر إليها دعاة البدع والضلال - بارك الله فيكم -، فلا غشَّ، ولا خيانة، ولا خبَّ، ولا حقد[1]، وإنما النصح والبيان للناس وقصد الخير لهم، وقصد نفعهم، وقصد انتشال من وقع منهم في انحراف وضلال فتكون المقاصد نبيلة والأخلاق نبيلة يا إخوتاه.

«وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ»، (قِيلَ وَقَالَ) هذه والله دمار، كثر القيل والقال، كثر القيل والقال بين السلفيين، القيل والقال الضار، ليس ترداد العلم، وترداد النصوص والفقه في الدين، ونقل الأعمال الصالحة والأخلاق العالية، إنما (قيل وقال) مما يؤذي ويضر، وقد تضررت الدعوة السلفية كثيرًا هنا وهناك بكثرة القيل والقال، فعليكم بالعلم يا إخوتاه، وعليكم بالعمل والدعوة إلىٰ الله بحكمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الحكمة، وبعلم، ولأهداف سامية، والقيل والقال للانتقام في النفس والأغراض الشخصية والأهواء

---

(١) قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلَّموا العلم فإذا علمتموه فاكظموا عليه، ولا تخلطوه بضحك ولا لعب، فتمجه القلوب». رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٦٨)، ورواه ابن المبارك عن سفيان في الزهد (٢٦٩) قال: كان يقال: إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب، ثم ذكر نحوه.

وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن حقًّا علىٰ من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متَّبعًا لأثر من مضىٰ قبله». رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٤)، والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٣٢، برقم ٢١٢)، وابن عبد البر في الجامع (١/ ٢٧٠)، والبيهقي في المدخل إلىٰ السنن (ص ٣٢٤، برقم ٥١٠).

وعن الشافعي قال: «زينة العلم الورع والحلم». رواه البيهقي في المدخل برقم (٥١٤).

الجامحة هذا شر، ينبغي أن نحذره يا إخوة لنرضي ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونتجنّب سخطه؛ لأنك في القيل والقال قد يدخلها أغراض نفسية، وقد يوهم الشيطان أن الإنسان يتكلم لله وهو يتكلم لنفسه ويدعو لنفسه، ويسخط لنفسه ويوهم الشيطان أن هذه الأعمال لله، فليحذر نزغ الشيطان، وليحاسب نفسه، ويوطِّن نفسه علىٰ الإخلاص لله، وقصد وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيما يقول وفيما يفعل في مواقفه وفي تصرفاته، ولاسيما في ميدان الدعوة؛ لأن الله أمرنا أن نخلص له الدين.

المسلم صادق ناصح لله ولكتابه ولرسوله، يكون مخلصًا لله فيما يقول، وفي كل ما يفعل، وفي كل ما يذر، وهذا يحتاج إلىٰ مراقبة النفس وملاحظة لها ودقة في الملاحظات؛ فإن الشيطان قد يتدخل ويوهم هذا الإنسان المسكين أنه يعمل لله وهو يعمل لنفسه، فليحذر كل الحذر، ولهذا قال السلف: أشد ما كانوا يعانون فيه النية[1]، النية كانت صعبة عليهم، ويشعرون بهذه الصعوبة؛ لأن

---

(١) روىٰ أبو نعيم في الحلية (٧/ ٥) والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٣١٧، برقم ٦٩٢) عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ما عالجت شيئًا أشدَّ علي من نيَّتي - وعند أبي نعيم: نفسي مرة عليَّ ومرة لي -، إنها تقلب عليَّ».

وقال أبو داود للإمام أحمد: كَتَبْتَ الْحَدِيثَ بِنِيَّةٍ؟ قَالَ: شَرْطُ النِّيَّةِ شَدِيدٌ، وَلَكِنْ حُبِّبَ إِلَيَّ فَجَمَعْتُهُ. الفروع - ومعه تصحيح الفروع - لابن مفلح (٢/ ٣٣٩)، وغذاء الألباب بشرح منظومة الآداب للسفاريني (٢/ ٤٠٧).

وانظر في هذا: «الإخلاص والنية» لأبي بكر ابن أبي الدنيا، وجامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ص (١٢ - ١٤) المعرفة، ط١.

عندهم إحساسًا قويًا وعندهم عزم قوي، فالذي لا يشعر بهذه المشقة بالإخلاص يمكن ما يفكر فيها، فلابد أن يجاهد الإنسان نفسه؛ فإن النفس أمارة بالسوء، وتأمر باتباع الهوىٰ، ولها جنوح إلىٰ الانتقام وإلىٰ ما شاكل ذلك، يتكلم الإنسان لله؛ سواء يبلِّغ أو يحذر سواء من قريب أو بعيد، لا يريد بذلك إلا وجه الله[1].

قضية الإخلاص قضية مهمة يا إخوة، والدعوة إلىٰ الله وتعلُّم العلم من أعظم العبادات ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وتعلمون أن الملائكة تبسط أجنحتها لطالب العلم رضًىٰ بما يصنع[2]، طالب العلم الذي يريد به وجه الله ويخلص فيه لله هذه التي تبسط الملائكة لها أجنحتها، إكرامًا له لأنه يتقرب إلىٰ الله بهذه العبادة العظيمة، فيستحق من الله الإكرام ومن الملائكة الإكرام.

---

(١) قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من لم يتكلم في هذا الشأن علىٰ الديانة فإنما يعطب نفسه، كل من كان بينه وبين إنسان حقد أو بلاء يجوز أن يذكره! كان الثوري ومالك يتكلمون في الشيوخ علىٰ الدين فنفذ قولهم، ومن لم يتكلم فيهم علىٰ غير الديانة يرجع الأمر عليه». سؤالات البرذعي لأبي زرعة (٢/ ٣٢٩).

(٢) كما جاء في حديث صفوان بن عسال المرادي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: رواه أحمد (٤/ ٢٤٠، برقم ١٨١٢٠)، والنسائي: الطهارة، باب الوضوء من الغائط والبول، برقم (١٥٨)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب فضل التوبة، برقم (٣٥٣٥ و٣٥٣٦)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والطبراني في الكبير (٨/ ٥٥ و٥٦ و٥٨ و٥٩ و٦١ و٦٢ و٦٤ و٦٦) واللفظ له في رواية. وصححه ابن خزيمة (١/ ١٣، برقم١٧)، وابن حبان -الإحسان- (١١٠٠ و١٣١٩)، والحاكم (١/ ١٨١).

فافهموا هذه الأشياء يا إخوتاه، ووطِّنوا أنفسكم علىٰ الإخلاص لله، والابتعاد عن القيل والقال الذي ترافقه الأغراض، والتي لا تثمر إلا الشر، ولا تثمر إلا التصدّع والتفرّق، ولاشك أنه كثر القيل والقال في السلفيين، فأدىٰ إلىٰ تفرق كثير منهم، فاحذروا غاية الحذر من الأقوال الضارة الناشئة عن حب القيل والقال الذي يسخط الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والتزموا آداب الإسلام وآداب السلف الصالح الذين نشر الله بهم الإسلام، وحفظ بهم الإسلام، ولولا إخلاصهم وصدقهم في نياتهم لما وجدنا هذا الخير العظيم، ولما انتشر هذا الخير العميم، فبصدقهم وإخلاصهم وبأخلاقهم العالية انتشر الإسلام وحفظ الله هذه القرون.

الفرق شاسع بين طلاب العلم في العهد الذي أدركناه وبين طلاب العلم الآن نجد فرقًا كبيرًا، كثرت الخلافات، كثر الشغب، كثر القيل والقال، فأوهن الدعوة السلفية وأضعفها، وأفرح خصومها، فلا تكثّروا بأنفسكم ولا بدعوتكم المتربصين، كونوا عقلاء ونبهاء وشرفاء بارك الله فيكم، الدعوة هذه تحتاج إلىٰ رجال يتحلّون بهذه التوجيهات وبهذه الأخلاق التي علّمنا إياها رسول الله ﷺ، والتي كان عليها فعلًا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، هذه شهادة من الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ للرسول ﷺ أنه علىٰ خُلُق عظيم، وهو أسوتنا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتأسَّ بالرسول في عقيدته وعبادته وأخلاقه، والأخلاق يا إخوتاه أمر مهمٌّ جدًّا، يقول الرسول: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُتَمِّمًا لِمَكَارِمِ

الأَخْلَاَقِ»[١] فعليكم يا إخوتاه بمكارم الأخلاق، ومنها ما أشرنا إليه من الصبر والحلم والصفح، وطهارة القلوب من الحقد والغل وحب الانتقام، إلىٰ آخر الصفات الذميمة وإلىٰ آخر الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلىٰ بها الإنسان، والذميمة التي يجب أن يتخلىٰ عنها الإنسان، وأن يربأ بنفسه عنها.

بهذا يا إخوة تتماسكون وتتآخون وتتحابون، ويكون المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر.

ونهانا عن (كثرة السؤال) سواء كان في المسائل العلمية التي تنشأ عن التعنت وحب التعجيز وحب التعالي، بعض الناس يسأل تعنتًا ليحطَّ من قدر المسؤول،

(١) رواه مالك في الموطأ (١٦٠٩)، ومن طريقه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٢) بلاغًا، وأحمد (٢/ ٣٨١، برقم ٨٩٣٩)، وأبو القاسم البغوي في «حديث مصعب الزبيري» (١٠٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) والتاريخ الكبير (٧/ ١٨٨، برقم ٨٣٥)، والبزار في مسنده (٨٩٤٩) والقضاعي في مسند الشهاب (١١٦٥)، وتمام الرازي في الفوائد (٢٧٦)، وأبو الشيخ البرجلاني في «الكرم والجود» (ص٢٩، برقم ١)، والحاكم (٢/ ٦٧٠، رقم ٤٢٢١) وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، والبيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ١٩٢) وفي شعب الإيمان (٦/ ٢٣٠، برقم ٧٩٧٨). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٣٣): «وهذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ» ثم رواه موصولًا وقال: «هذا حديث مدني صحيح».

قال الهيثمي (٨/ ٣٤٣): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». وقال أيضًا (٨/ ٥٧٣): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار إلا أنه قال: «لأتمم مكارم الأخلاق» ورجاله كذلك، غير محمد بن رزق الله الكلوذاني وهو ثقة».

وأصبح الآن في هذا الوقت إذا لم يجب العالِم علىٰ المسائل كلِّها في نظر كثير من الشباب هو جاهل، والجاهل هو الذي يجيب عن كل سؤال بالحق والباطل(١).

فلا يجوز أن يتكلم إلا بما يعلم، ولا يسأل إلا للاستفادة، لا للتعنُّت ولا للتعجيز(٢).

---

(١) روىٰ الأعمش عن شقيق عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله إن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه لمجنون» قال الأعمش: فقال لي الحكم: لو كنت سمعت بهذا الحديث منك قبل اليوم ما كنت أفتي في كثير مما كنت أفتي!

رواه أبو خيثمة زهير بن حرب في «العلم» (ص٨، برقم ١٠)، وعنه ابن الجعد في مسنده (٣٢٠)، وابن بطة في إبطال الحيل (ص٦٦).

ورواه الدارمي في السنن (١/ ٧٣، برقم ١٧٣)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٨٨، برقم ٨٩٢٣)، وابن عبد البر في الجامع (٨٣٧) و(١١٤٤)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١١٨٩ و١١٩٠)، والبيهقي في المدخل (٤٣٢، برقم ٧٩٨). قال الهيثمي في المجمع (١/ ٤٣٧): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون».

وعن سفيان بن عيينة قال: سمعت أيوب السختياني يقول: أجسر الناس علىٰ الفتيا أقلهم علمًا باختلاف العلماء، وأمسك الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء. رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٨٠٠) و(٨٠٢).

و«نَقَلَ الْمَرُّوذِيُّ أَنَّ رَجُلًا تَكَلَّمَ بِكَلامٍ أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ - أي أحمد بن حنبل - قَالَ: هَذَا مِنْ حُبِّهِ الدُّنْيَا يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لا يُحْسِنُ، فَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَىٰ الْجَوَابِ». الآداب الشرعية لابن مفلح: (٢/ ٦٣).

(٢) قال محمد بن صدقة: جاء رجل إلىٰ مالك فسأله عن مسألة، فلم يجبه، فقال له: يا أبا عبد الله ألا تجيبني عما أسألك عنه؟! فقال له مالك: «لو سألت عما تنتفع به» أو قال: «تحتاج إليه في =

تعلمون يا إخوتاه آداب السلف، واقرؤوا (آداب المفتي والمستفتي)، وقد كُتِب في هذه الأشياء، فكان السلف ينفرون من الأسئلة، يحب الإنسان أن لا يجيب علىٰ السؤال، والثاني يحيل علىٰ الثالث، والثالث يحيل علىٰ الرابع(١)، وإذا لم يعرف الإجابة لا يخجل أن يقول: لا أدري(٢)، ومالك الجبل في العلم والنجم الثاقب فيه يسأل عن نحو أربعين مسألة فلا يجيب إلا عن خمس أو ست، ويقول في الباقي: لا أدري(٣). حتىٰ يقول أحد طلابه: لو شئت أن أملأ ألواحي بقول

=

دينك أجبتك». رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١١٩٤).

(١) عن عمير بن سعيد قال: سألت علقمة عن مسألة، فقال: ائت عبيدة فسله، فأتيت عبيدة فقال: ائت علقمة، فقلت: علقمة أرسلني إليك، فقال: ائت مسروقًا فسله، فأتيت مسروقًا فسألته، فقال: ائت علقمة فسله، فقلت: علقمة أرسلني إلىٰ عبيدة، وعبيدة أرسلني إليك، قال: فأت عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، فأتيت عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ فسألته فكرهه، ثم رجعت إلىٰ علقمة فأخبرته، قال: كان يقال: «أجرأ القوم علىٰ الفتيا أدناهم علمًا». رواه الآجري في «أخلاق العلماء» (١٠٣)، ومن طريقه الخطيب في الفقيه والمتفقه (٦٣٤).

(٢) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سئل عن مسألة، فقال: «لا علم لي»، ثم قال: «وابردها علىٰ الكبد! سئلت عما لا أعلم، فقلت: لا أعلم». رواه الدارمي في السنن (١/ ٧٤، برقم ١٧٨)، والآجري في أخلاق العلماء: (ص٩٤، برقم ١٩٠)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٩٩)، والبيهقي في المدخل (ص٤٣٠ - ٤٣١، برقم ٧٩٤). وانظر في هذا الباب: جامع بيان العلم لابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: (٢/ ١١١ - ١٢٠) و(٢/ ٣١٥ - ٣٢١) دار ابن حزم.

(٣) الانتقاء لابن عبد البر (ص٣٨)، وترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ١٤٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٧٧).

مالك: (لا أدري)؛ لملأتها[١]. وكان الإمام أحمد الذي يحفظ مليون حديث[٢]، وعالم جبل في العلم كثيرٌ من المسائل يقول عنها: لا أدري، لا أعرف[٣].

وأيضًا أنتم كذلك إذا أصبحتم تسألون فسيروا على هذا المنهج وعلى هذا المنوال، الطالب يكون مؤدَّبًا يريد بالسؤال وجه الله، لا يريد تعنُّتًا ولا تعجيزًا، والعالم يريد بالإجابة وجه الله وإفادة إخوانه المسلمين، وحلَّ مشاكلهم بما

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٣).

(٢) شهد له بذلك الإمام أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ١٠٠) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ٢٩٦).

(٣) نَقَلَ أَحْمَدُ بْنُ أَصْرَمَ عَنْ أَحْمَدَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي اللِّعَانِ، فَقَالَ: سَلْ رَحِمَكَ اللهُ عَمَّا ٱبْتُلِيتَ بِهِ، وَنَقَلَ عَنْهُ أَبُو دَاوُد وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ لَهُ: دَعْنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُحْدَثَةِ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ أُخْرَىٰ فَغَضِبَ وَقَالَ: خُذْ وَيْحَكَ فِيمَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَإِيَّاكَ وَهَذِهِ الْمُحْدَثَةَ، وَخُذْ فِي شَيْءٍ فِيهِ حَدِيثٌ. وَقَالَ الأَثْرَمُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، قَالَ: دَعْنَا، لَيْتَ أَنَّا نُحْسِنُ مَا جَاءَ فِيهِ الأَثَرُ. وَقَالَ مُهَنَّا: سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنْ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ مِنْ رَجُلٍ دَارهُ سَنَةً بِعَبْدٍ، فَلَمْ يَسْكُنْ الدَّارَ وَأَبَقَ الْعَبْدُ، فَقَالَ لِي: اعْفِنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَسَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنِ الْمَرِيضِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ يَضْعُفُ عَنِ الصَّوْمِ، قَالَ: يُفْطِرُ، قُلْتُ: يَأْكُلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَيُجَامِعُ امْرَأَتَهُ؟ قَالَ: لا أَدْرِي، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، فَحَوَّلَ وَجْهَهُ عَنِّي.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَيَّانَ الْقَطِيعِيُّ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللهِ فَقُلْتُ: أَتَوَضَّأُ بِمَاءِ النورة؟ فَقَالَ: مَا أُحِبُّ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَاقِلا؟ قَالَ: مَا أُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ فَتَعَلَّقَ بِثَوْبِي وَقَالَ: أَيْشٍ تَقُولُ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ؟ فَسَكَتُّ، فَقَالَ: أَيْشٍ تَقُولُ إِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟ فَسَكَتُّ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَتَعَلَّمْ هَذَا. الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٧٢).

يستطيع، ويكون صادقًا فيما يقول، السائل والمسؤول.

و(إضاعة المال)، المال نعمة لا تسرف فيه، هذه نعمة نحافظ عليها، أنفقه في سبيل الله علىٰ الفقراء المساكين الأقارب إلىٰ آخره، هذا ليس من إضاعة المال، هذا من حفظ المال؛ لأن هذا هو الذي يبقىٰ، هذا هو الذي يبقىٰ[1] - بارك الله فيكم -.

❁ ❁ ❁

(١) عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي - قَالَ: - وَهَلْ لَكَ يَابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». رواه مسلم: الزهد والرقائق، باب حدثنا قتيبة، برقم (٢٩٥٨).

أسئلة الدرس

السؤال الأول:....

۞ الجواب:

... فإن هذا صِف له بالبدعة، وأنه من أهل البدع، إما أنه رأس فيها، وإما أنه غارق فيها.

أما المبتدع، عنده بدعة هذا وقع في شيء، ولا تستطيع أن تحكم عليه بأنه مبتدع، فإن كان قد مات فيُذكر بالخير؛ لأنه ما قامت عليه الحجة ولا أحد بيَّن له، وإن كان حيًّا ينصح ولا يبدَّع. وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن كثيرًا من علماء السلف والخلف وقعوا في بدع من حيث لا يشعرون. يعني مجتهد يريد الخير؛ لكن وقع في بدعة من حيث لا يشعر، خفيت عليه أو وقعت له شبهة، إما فهم من بعض النصوص فهمًا خاطئًا، إما بنىٰ علىٰ حديث ضعيفٍ يظنُّه صحيحًا أو حسنًا، وفي الواقع هو ضعيف أو موضوع أو ما شاكل ذلك، إما اجتهد في المسألة، وقاس قياسًا فاسدًا أدَّىٰ إلىٰ بدعة، فإن كان قد مات غفر الله له ولا يبدَّع، وإن كان حيًّا ينصح ولا يبدَّع، ونقول عنده بدعة.

۞ ۞ ۞

السؤال الثاني: شخص بُيِّن له المنهج السلفي ونُصح عدة مرات؛ لكن بدون جدوى فهل يهجر؟

❁ الجواب: ماذا عنده؟ عنده بدع؟

يبيِّن السائل؛ لأن هذا سؤال عام، هل عنده بدع وأصرَّ عليها، يعني هو ما عنده بدع، ما وقع في البدع، جالس المبتدعة لا ينصحهم، يدافع عنهم ويمدحهم، علىٰ كل حال يُنصح، فإن لم يرجع عن غيِّه وباطله يُلحق بهم، بارك الله فيكم. الشرط أن نتأكد أنه لا ينصح ويجامل ويداهن ولا ينصح، فإن كان هذا حاله من باب النصيحة يبدع ويحذر منه.

❁ ❁ ❁

السؤال الثالث: كيف نرد السلام في الصلاة على حال الركوع أو السجود أو حال التشهد؟

❁ الجواب: حال السجود لا يرد؛ لكن في حال القيام يرد بالإشارة بيده إلىٰ أسفل وظهرها إلىٰ الأعلىٰ[1] حتىٰ يشعر المسلِّم بأنك رددت السلام وفي الجلوس نفس الإشارة.

---

(١) روىٰ أحمد (٦/ ١٢، برقم ٢٣٦٣٢)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب رد السلام في الصلاة، برقم (٩٢٧)، والترمذي: الصلاة، باب الإشارة في الصلاة، برقم (٣٦٨): عن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ قُبَاءَ يُصَلِّي فِيهِ، فَجَاءَتْهُ الأَنْصَارُ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي. قَالَ: فَقُلْتُ لِبِلَالٍ: كَيْفَ رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ حِينَ كَانُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي؟ قَالَ: يَقُولُ: هَكَذَا وَبَسَطَ كَفَّهُ. وَبَسَطَ جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ - أحد الرواة - كَفَّهُ =

السؤال الرابع: هل كتاب الكبائر من تأليف الذهبي أم هو منسوب إليه؟

❁ **الجواب:** والله أنا ما درست؛ لكن يقال والأصل أنه له، ومن يزعم أنه ليس للذهبي فعليه الأدلة والقرائن التي تنفي هذا الكتاب عن الذهبي، فإذا قدم الأدلة سلَّمنا له.

هناك من أنكر نسبة بعض الكتب إلىٰ مؤلفيها.

منها «الرد علىٰ الجهمية» ينكر أن يكون للإمام أحمد؛ ولكن كبار الحنابلة والقدامىٰ منهم ينسبون هذا الكتاب إلىٰ الإمام أحمد، ودافع عن ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأثبت هذه النسبة.

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس: هل يكون التكلم والطعن في الأئمة المخالفين للسنة من الطعن في ولاة الأمور؟

❁ **الجواب:** التكلم يا إخواني يكون بحكمة، إن كان هناك موجب للكلام، كأن يعلن باطله ويعلن بدعه علىٰ المنابر، مستغلًا هذه الوظيفة، هذه الوظيفة هي لنصرة دين الله ولنشره؛ لكنه يستغلها لنشر باطله، فيحذَّر منه ويبيَّن خطؤه بالحجة والبرهان، فإذا أعلن جواز الاستغاثة بغير الله والتوسل بغير الله نسكت

=

وَجَعَلَ بَطْنَهُ أَسْفَلَ، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ إِلَىٰ فَوْقٍ. هذا لفظ أبي داود.

قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

عنه؟ أو أعلن فكر الخوارج، تكفير الناس، التأليب علىٰ الدولة وكذا وكذا، هذا لا يستحق الاحترام.

إن أخطأ ينصح، وإن كان له بدع يدعو إليها يحذَّر منه؛ لكن بالعلم والحجة والبرهان.

وهذا يرفع أمره إلىٰ المسؤولين بالنصيحة إلىٰ وزير الشؤون الإسلامية وما شاكل ذلك، هذا خطر إن كان عنده بدع ينشرها.

۞ ۞ ۞

السؤال السادس: كيف يفعل الشاب السلفي إذا دُعِيَ إلى مناظرة مع الإخوان المسلمين؟

۞ الجواب: إذا كان عاجزًا فلا يناظر، ويقول: أنا لست بعالِم، وإذا أردتم فناظروا العلماء، أنا لست بعالِم، أنا مقتنع أن هؤلاء العلماء علىٰ خير والحق معهم، وما عندي استعداد لمناظرتكم؛ لأن هذا الذي يناظره ضعيف، قد يسقط في باطلهم وتخطفه شبههم، ولهذا كان السلف لا يحبُّون المناظرة[1].

(١) قال الإمام ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإبانة الكبرىٰ (٢/ ٤٧٠): «الله! الله! معشرَ المسلمين، لا يحملن أحدًا منكم حسن ظنه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحة مذهبه علىٰ المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه؛ فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم، ويسبونهم، فجالسوهم علىٰ سبيل الإنكار، والرد =

السؤال السابع: إذا دخل أحد للمسجد ليوتر في وقت متأخر من الليل فهل تسقط هذه الركعة أم يصلي ركعتين؟

۞ **الجواب**: تحية المسجد ركعتان، فليصلِّ تحية المسجد ثم يوتر، إن خاف ذهاب الليل وإن كان في سعة فليستكثر من الخير لا بركعة واحدة.

۞ ۞ ۞

السؤال الثامن: رجل به وسوسة في الوضوء، فكان إذا كان توضأ حلف لله أنه توضأ؛ لكنه يعود بعد الحلف إلى الوضوء، هل هذا حنث؟ وإذا كان حنثًا فكيف يكفّر وهو أكثر من مائتي حنثة؟

۞ **الجواب**: هذه لو كانت كذبًا لكانت يمينًا غموسًا ولا كفارة فيها؛ لأنها إخبار؛ اليمين التي يكفِّر بها هي اليمين الإنشائية التي يحض فيها أو يمنع؛ يعني اليمين التي يكفِّر فيها الإنشائية التي يحض فيها أو يمنع: والله لأفعل كذا، والله لا أفعلن كذا؛ ثم يفعل، والله لا أدخلن بيت فلان، والله لأفعلن كذا؛ ثم لا يفعل، رأىٰ خيرًا منها فيكفّر[1] هذه التي فيها الكفارة.

=

عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر، ودقيق الكفر حتىٰ صَبَوْا إليهم». وللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحو هذا الكلام في شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٩).

(١) لما روىٰ البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ الآية، برقم (٦٦٢٢)، ومسلم: الأيمان، باب نَدْبِ مَنْ حَلَفَ يَمِينًا فَرَأَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَيُكَفِّرَ عَنْ يَمِينِهِ، برقم (١٦٥٢): أن النبيَّ ﷺ قال

=

أما أن يحلف علىٰ شيء كان مضىٰ فهذا ليس من الأمور التي تكفر، ليست من الإنشائيات التي تكفر، إنما هي من الإخباريات فإن كان كاذبًا فهي غموس، وإن كان كهذه الصورة التي سئل عنها؛ فهذا يدل علىٰ جهل وجنون ومرض، فعليه أن يتقي الله في نفسه ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

لا تسلِّط الشيطان علىٰ نفسك يا أخي، استعن بالله - بارك الله فيك -، وتوضأ؛ هذا جنون لا شك، استعن بالله عَزَّوَجَلَّ، أذكر من كلام ابن الجوزي في الموسوسين، يقول: أنا أركع، وأقول: ما ركعت، وأسجد وأقول: ما سجدت، وأقرأ أقول: ما قرأت. قال له: أنت مجنون تسقط عنك الصلاة[1].

=

لعبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَىٰ يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا؛ فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ».

(١) انظر: تلبيس إبليس (ص١٢٤)، وقد حكىٰ ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخبارًا عن جماعة من الموسوسين، نقل عنه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا منها في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٣٣ - ١٣٥) ثم قال: «فمن أراد التخلص من هذه البلية؛ فليستشعر أن الحق في اتباع رسول الله ﷺ في قوله وفعله، وليعزم علىٰ سلوك طريقته عزيمة من لا يشك أنه علىٰ الصراط المستقيم، وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته، ويوقن أنه عدو له لا يدعوه إلىٰ خير، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وليترك التعريج علىٰ كل ما خالف طريقة رسول الله ﷺ كائنًا ما كان؛ فإنه لا يشك أن رسول الله ﷺ كان علىٰ الصراط المستقيم، ومن شك في هذا فليس بمسلم، ومن علمه فإلىٰ أين العدول عن سنته؟! وأي شيء يبتغي العبد غير

=

السؤال التاسع: ما رأيكم في الشخص يدّعي أنه سلفي ويقرُّ الانتخابات الحزبية وينصح الناس بها ويطعن في أئمة الجرح والتعديل؟

❁ **الجواب:** إذا كان يطعن في أئمة الجرح والتعديل! هذا من علامات أهل

=

طريقته؟! ويقول لنفسه: ألست تعلمين أن طريقة رسول الله ﷺ هي الصراط المستقيم، فإذا قالت له: بلىٰ، قال لها: فهل كان يفعل هذا؟ فستقول: لا، فقل لها: فماذا بعد الحق إلا الضلال! وهل بعد طريق الجنة إلا طريق النار! وهل بعد سبيل الله وسبيل رسوله إلا سبيل الشيطان! فإن اتبعت سبيله كنت قرينه، وستقولين: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين! ولينظر أحوال السلف في متابعتهم لرسول الله ﷺ فليقتد بهم، وليختر طريقهم؛ فقد روينا عن بعضهم أنه قال: لقد تقدَّمني قومٌ لو لم يجاوزوا بالوضوء الظفر ما تجاوزته! قلت: هو إبراهيم النخعي.

وقال زين العابدين يومًا لابنه: يا بني اتخذ لي ثوبًا ألبسه عند قضاء الحاجة؛ فإني رأيت الذباب يسقط علىٰ الشيء ثم يقع علىٰ الثوب، ثم انتبه! فقال: ما كان للنبي ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد، فتركه.

وكان عمر - رضي الله تعالىٰ عنه - يهم بالأمر ويعزم عليه، فإذا قيل له: لم يفعله رسول الله ﷺ انتهىٰ، حتىٰ إنه قال: لقد هممت أن أنهىٰ عن لبس هذه الثياب؛ فإنه قد بلغني أنها تصبغ ببول العجائز، فقال له أُبَيٌّ: مالك أن تنهىٰ؛ فإن رسول الله ﷺ قد لبسها ولبست في زمانه، ولو علم الله أن لبسها حرام؛ لبينه لرسوله ﷺ، فقال عمر: صدقت.

ثم ليعلم أن الصحابة ما كان فيهم موسوس، ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله عن رسوله وصحابته وهم خير الخلق وأفضلهم، ولو أدرك رسول الله ﷺ الموسوسين لمقتهم، ولو أدركهم عمر - رضي الله تعالىٰ عنه - لضربهم وأدبهم، ولو أدركهم الصحابة لبدَّعوهم، وها أنا أذكر ما جاء في خلاف مذهبهم علىٰ ما يسَّره الله تعالىٰ مفصَّلًا». انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٣٥ - ١٣٦) فما بعدها.

البدع، أئمة الجرح التعديل الأوَّلين أو المعاصرين؟ المعاصرين. علىٰ كل حال إذا كان يطعن في العلماء المعاصرين هذا يدل علىٰ أنه علىٰ شر، فعليه أن يتقي الله وأن يتوب إلىٰ الله، ونعوذ بالله من البلاء الذي يؤدي إلىٰ الطعن في العلماء، فإن هذا داء وبيل، فالعلماء ينبغي توقيرهم واحترامهم، «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»[1] فالعلماء علماء السنة يجب إكرامهم، واحترامهم، والذب عن أعراضهم، ولا يطعن فيهم إلا صاحب هوىٰ.

الانتخابات من البدع الخطيرة، الدعوة السلفية لا تنفعه إذا كان هذا حاله.

❁ ❁ ❁

السؤال العاشر: إذا جرِّح الرجل بما فيه، وتكلم فيه أهل العلم هل يعدُّ هذا تتبُّعًا لعوراته؟

❁ الجواب: إذا كان فيه بدع وفيه شر وحُذِّر منه؛ فليس من تتبع العورات، إذا كان ينشر هذا الشر ويبثه في الناس ويدعو إليه وينافح عن الباطل؛ فهذا لا حرمة لعرضه، هذا مجرم، لا كرامة لعرضه، وليس من تتبع العورات، تتبع

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٣)، والطبري في التهذيب (٢/ ٥٤٣، برقم ٧٨٧)، وابن أبي الدنيا في العيال (١٨٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٦٥)، والآجري في أخلاق حملة القرآن (٦٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١١، برقم ٤٢١)، وعنه البيهقي في المدخل إلىٰ السنن (ص٣٨٣، برقم ٦٦٦)، والضياء المقدسي في المختارة (٨/ ٣٦١، برقم ٤٤٥) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العورات إنسان في بيته تفتش عنه، الفاسق إذا أعلن فسقه والمبتدع إذا أعلن بدعته يجب التحذير منه[١]، وإذا تمادىٰ في نشره البدع، فمن العقوبات أن يُقتَل عند أئمة المالكية والشافعية وغيرهم من أئمة الإسلام، يُقتَل لأن هذا فساده أشد من فساد قطاع الطرق؛ لأن قطاع الطرق يسلبون الأموال، أموال الناس أما هذا فيسلب دينهم، ويفسد دينهم يفسد العقائد والمناهج، هؤلاء من شرِّ خلق الله يجب التحذير منهم، التحذير من أوجب الواجبات؛ لأنه يُحترَم المسلمُ لاحترامه الإسلام، وإن كان لا يحترم الإسلام وينشر العقائد الضالة والفاسدة فلا كرامة له.

۞ ۞ ۞

السؤال الحادي عشر: رجل يريد أن يعتمر عن والدته المتوفَّاة من أين يحرم؟

۞ **الجواب**: من المواقيت التي حدَّدها الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

۞ ۞ ۞

السؤال الثاني عشر: هل يُشرَع التأمين أثناء دعاء الإمام أثناء خطبة الجمعة، وكذا الصلاة على النبي ﷺ إذا ذكره؟

۞ **الجواب**: ليس عندي نص في هذا؛ لأن الدعاء الذي يسير عليه الخطباء الآن ما كان موجودًا فيما سبق، وكنت أنصح بعض الخطباء أقول لهم: اجعلوا الخطبة الثانية موعظة وتعليمًا. فترىٰ كثيرًا من الخطباء يحفظون هذه الخطبة الثانية وكأنهم يكسلون عن إعداد الخطبة الثانية التي تقوم علىٰ النصوص من

(١) انظر: «إجماع العلماء علىٰ الهجر والتحذير من أهل الأهواء» للشيخ خالد بن ضحوي الظفيري.

الكتاب والسنة وتبين الأحكام تبين العقائد، فيقتصر علىٰ الدعاء.

فالتزام هذه الصور من الخطبة عندي فيها نظر، وكنت أنصح من أنصح من هؤلاء الأئمة، وأقول لهم اذهبوا إلىٰ المشايخ كالشيخ ابن باز وهيئة كبار العلماء واسألوهم في هذه القضية، وكأنهم ما كانوا يرغبون في السؤال.

أنا لي نظر في هذا السؤال، لكن إذا سمعت الصلاة علىٰ النبيِّ ﷺ فصلِّ عليه.

۞ ۞ ۞

السؤال الثالث عشر: ما هي المخالفة التي تخرج صاحبها عن المنهج السلفي؟

۞ **الجواب**: المخالفة إذا كانت في أمر واضح، في عقيدة واضحة، إذا كان يقول: إن الله لا يُرىٰ في الآخرة. هذه ثابتة بالكتاب وبالنصوص المتواترة؛ هذا يُبدَّع ويخرج من السلفية، إذا أصبح يقول: إن القرآن مخلوق، هذا يُبدَّع ويخرج من المنهج السلفي، إذا خالف أصلًا من الأصول الإسلامية هذا يُبدَّع، الأمور الواضحة والأصول الواضحة إذا خالف فيها يُبدَّع.

وأما الأخطاء الخفيَّة سواء في العقيدة وفي غيرها؛ هذا لا يُبدَّع كما ذكرنا سلفًا، قلّ من يسلم من الوقوع فيها حتىٰ العلماء قد يقعون فيها.

۞ ۞ ۞

السؤال الرابع عشر: من القصاص والوعاظ المجهولين ويدعي أنه سلفي هل تنفعه سلفيته؟

۞ **الجواب**: قد يكون جاهلًا فيُبيَّن له، ما نقدر نقول: لا تنفعه سلفيته. هذا

أمر عظيم! قد يكون جاهلًا فيُبيَّن له، ويبيَّن له ما في هذه الأشرطة من أخطاء، أحاديث موضوعة مثلًا، عقائد فاسدة، يعني كذب علىٰ الله، شيء من هذا يُبيَّن له.

فإذ تمادىٰ بعد البيان يحذَّر منه، فإنه قد يكون مدَّع؛ لأن السلفية الآن كل واحد يدَّعيها حتىٰ الروافض يدَّعون السلفية، وغلاة الصوفية يدَّعون السلفية، وغلاة الحزبية يدَّعون السلفية، فالدعاوىٰ كبيرة، فإذا أصرَّ علىٰ مثل هذا الذي قلنا بيَّنا له، فإن أبىٰ إلا هذا فحينئذ يُلحقُ بهم فهو منهم.

هؤلاء قناطر إلىٰ الحزبية، الوعَّاظ فلان وفلان من الوعاظ واللهِ قناطر للحزبية والبدع، هذا النمط من الناس يخدم الحزبية؛ للحزبيات مكايد وحيل وكذا وكذا ينشر هذا الواعظ أقاصيصه وبلاياه حتىٰ يستولي علىٰ ألباب الشباب المساكين، ثم يأخذهم ويجرُّهم إلىٰ حظيرة البدع والفتن وما شاكل ذلك[(١)].

والقصَّاص قد عانىٰ منهم أهل السنة من قديم[(٢)] فيهم الكذابون والخرافيون[(٣)]،

---

(١) قال عاصم بن أبي النجود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ فَكَانَ يَقُولُ لَنَا: لا تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الأَحْوَصِ، وَإِيَّاكُمْ! وَشَقِيقًا، قَالَ: وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَىٰ رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَلَيْسَ بِأَبِي وَائِلٍ». رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٢٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٩٣).

(٢) قال أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أمات العلم إلا القصاص، إن الرجل ليجلس إلىٰ القاص برهة من دهره فلا يتعلق منه بشيء، وإنه ليجلس إلىٰ الرجل العالم الساعة فما يقوم حتىٰ يفيد منه شيئًا». أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي: (٢/ ١٦٤، برقم ١٥٠٠).

(٣) قال أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكذب الناس القصَّاص والسّؤَّال، وما أحوج الناس إلىٰ قاصٍّ =

وقد كُتب في القصَّاص[١]

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس عشر: أتباع المبتدع هل يلحقون به في الهجر؟

❁ الجواب: المخدوع منهم يعلّم يا إخوة لا تستعجلوا، علِّموهم وبيِّنوا لهم، فإن كثيرًا منهم يريد الخير، حتىٰ من هؤلاء الصوفية والله لو كان هناك نشاط سلفي لرأيتهم يدخلون في السلفية زرافات ووحدانًا.

فلا يكون القاعدة عندكم فقط هجر وهجر وهجر، الأساس هداية الناس وإدخال الناس في الخير، الهجر هذا قد يُفهم غلطًا، إذا هجرت الناس كلهم من يدخل في السنة، إذا وضعنا السدود والحواجز بيننا وبينهم بالهجر وبين السنة متىٰ يدخلون في السنة، الهجر هذا يا إخوتاه في وقت الإمام أحمد الدنيا مليئة بالسلفيين، وإذا قال أحمد: فلان مبتدع؛ سقط، أما الآن فعندك السلفية كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، فلا يُهجَر إلا المبتدع المستكبر المعاند، أما المخدوعون =

صدوق يذكر الموت والقبر». ذكره أبو بكر الطرطوشي في «البدع والحوادث»: (ص ١١٢). وانظر: القصاص لابن الجوزي: (ص٣٠٥)، والآداب الشرعية لابن مفلح: (٢/ ٨٢). وروي نحوه عن علي ابن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي: (٢/ ١٦٥، برقم ١٥٠١).

(١) منها: «المذكر والتذكير والذكر» لابن أبي عاصم النبيل، و«القصَّاص والمذكرين» لابن الجوزي، وأحاديث - أو أكاذيب - القصَّاص لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«الباعث علىٰ الخلاص من حوادث القصاص» لعبد الرحيم العراقي، و«تحذير الخواص من أكاذيب القصاص» للسيوطي.

فتأنَّ بهم، ويُدعون إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد يستجيب منهم الكثير.

الأساس هداية الناس وإنقاذهم من الباطل والضلال، فادعوهم وقرِّبوهم، وقدِّموا للناس الكتب والرسائل العلمية النافعة، والأشرطة العلمية، واستخدموا كل وسائل الدعوة المشروعة، ومنها الخطب والمحاضرات، فسيحصل بذلك الخير الكثير إن شاء الله، ويكثر إن شاء الله سواد السلفيين، وما تخسرون كثيرًا من الناس، كل الناس ضالون عندك ولا تنصح ولا شيء ولا بيان؟! غلط! هذا معناه سد أبواب الخير في وجوه الناس، فلا يكون عندكم فقط هجر هجر.

القاعدة الأساسية هداية الناس وإدخالهم في السنة، وإنقاذهم من الضلال، هذه القاعدة عندكم، واصبروا واحلموا وكذا وكذا، ثم من عاند بعد البيان الواضح فآخر الدواء الكي، أما الكي من أول مرة، هذا غلط بارك الله فيكم.

فليكن أيها الإخوة القاعدة عندكم انتشال الناس، واللهِ كثير من الناس يريدون الخير، يريدون الجنة يا إخوان، يريدون الخير، فلتكن أساليبكم حكيمة، واللهِ الأساليب الحكيمة الرحيمة التي يشعر أنك لست متعاليًا عليه، وأنك ما تريد إهانته، لكن تواضع له، ألن له جانبك، ترفَّق به، وبلِّغ بالحكمة، كثير وكثير من الناس قبوريون هداهم الله علىٰ أيدي قلة من أهل الحديث لما جاؤوا بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة.

وأضرب لكم مثالاً واحدًا من هؤلاء الدعاة:

كان الشيخ ثناء الله الأمرستري في الهند من جهابذة العلماء وحكمائهم

يدعو إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويناظر بالحكمة والحجة والبرهان مع الأخلاق العالية، فأقبل بَشرٌ كثير علىٰ دعوته واستجابوا لها، فغاظ ذلك علماء السوء والضلال المعاندين فسلَّطوا عليه رجلًا جاهلًا فاجرًا ليقتله، فجاء هذا الرجل إلىٰ الشيخ ثناء الله وهو يحاضر فهجم عليه بمعول وضربه ضربة قاتلة، فخرَّ مغشيًا عليه، فجاء رجال الحكومة - انظر ثلاثة، أربعة من كبار تلاميذ الشيخ نذير حسين قلبوا الهند رأسًا علىٰ عقب بحكمتهم وعلمهم! - وأخذوا هذا المجرم، وأودعوه في السجن، فأول ما أفاق هذا من غشيته قال: أين هذا الذي ضربني؟ قالوا: في السجن، قال: ما يسجن أبدًا، فأصرت الحكومة علىٰ سجنه، فكان هذا الحليم ينفق علىٰ أولاد المجرم مدة بقائه في السجن، ثم لما أفرج عنه فأول عمل قام به زيارة الشيخ وإعلان الدخول في السلفية ونبذ البدع.

ومثال آخر:

كان أول داعية في السودان إلىٰ السلفية في هذا العصر الشيخ حسونة، وكان مضرب المثل في الصبر والحلم والحكمة، يدعو إلىٰ الله بنشاط في المساجد وغيرها، فيهجم عليه أهل البدع فيضربونه ضربًا شديدًا حتىٰ يعتقدوا أنه مات، فيسحبونه برجله ثم يرمونه خارج المسجد، فإذا أفاق فأول ما يفاجئ الناس بالابتسامات، لا السب، ولا التسخط، ولا يحقد علىٰ أحد، ولا ينتقم، ولا شيء، فدخل ناس كثير بسبب هذه الأخلاق في الدعوة السلفية.

ومرة أخرىٰ ركبوا في قطار فحانت صلاة المغرب أو العشاء، وصلىٰ بالناس

بقراءة حلوة جدًّا، أُعجبوا بها، فقالوا: من صلىٰ بكم؟ قال: أنا فلان، فوثبوا عليه فضربوه ضربًا شديدًا حتىٰ أغمي عليه، وكعادته إذا أفاق فأول ما يفاجئ الناس بالابتسامات الرضية.

الشاهد: يجب أن يكون عندكم شيء من الحكمة والحلم والصبر والقصد الطيب - بارك الله فيكم -، واللهِ بالأخلاق الحكيمة، بالحلم يُقْبِلُ الناس علىٰ دعوتك، وإن كان ما عندكم إلا الجفاء والشدة ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؟

يا إخوة - بارك الله فيكم - بعض إخواننا عنده شدة زائدة التي تخرج الناس من السلفية ما تدخل أحدًا، هذا موجود الآن، هؤلاء المطاردون عليهم أن يتوبوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يُحسِّنوا أخلاقهم، وأن يكونوا هداة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بارك الله فيكم، عليكم بهذه الأخلاق، واتركوا التركيز علىٰ الهجر، الهجر مشروع لكن عندما ينفذ الصبر والحلم بارك الله فيكم، فعليكم بترغيب الناس في الخير وإدخالهم فيه.

❁ ❁ ❁

السؤال السادس عشر: إعطاء الأموال لأهل الأهواء يدخل في النهي عن إضاعة المال؟

❁ **الجواب**: إذا كان تألُّفًا لهم وتقريبًا لهم إلىٰ الخير؛ فهذا ليس من إضاعة المال، الرسول ﷺ كان يتألَّف رؤوس الكفر ﷺ، والمال قد ينفع ويؤثِّر في كثير

من الناس من الكفار أو من أهل الضلال، فيعطي من يطمع في قبوله الحق، يعطيهم بارك الله فيكم، السلفيون محتاجون؛ لكن إذا طمع في إنسان رأىٰ فيه حب الخير يعطيه حتىٰ يجذبه وغيره إلىٰ الحق إن شاء الله، وليس من التبذير.

۞ ۞ ۞

السؤال السابع عشر: أنا شاب في بداية استقامتي، أودُّ من فضيلتك أن تبين لي المنهج الصحيح.

۞ الجواب: اعتصم بكتاب الله وسنة الرسول وما عليه إجماع السلف، واطلب العلم تعرف المنهج الصحيح.

۞ ۞ ۞

السؤال الثامن عشر: ما الذي يقصد بفقه الواقع؟

۞ الجواب: الذي يقصد بفقه الواقع - والله أعلم - حسب ما درسنا وعرفنا: إسقاط العلماء الذين لا يدرسون الصحف، ولا مذكرات ددسن، ولا بروتوكولات صهيون، الذين لا يعرفون هذه الأشياء يسيرون في أمور مظلمة، هكذا يقولون ويدَّعون معرفة أسرار الدول، وهذا كذب وضحك علىٰ الناس، الدول ما تعطي أسرارها للناس.

طبعًا فقه الواقع له مقاصد سيئة؛ وهو أن يجذبوا إلىٰ مناهجهم، ويصرفوا الناس عن الحق السلفي، فيهدفون إلىٰ إسقاط العلماء، وجلب الناس إلىٰ مناهجهم الفاسدة، وإلىٰ الضلالات التي يتخبطون فيها، ويزعمون أنها علم.

السؤال التاسع عشر: ما الفرق بين الحكمة والمداهنة؟

۞ **الجواب**: الحكمة وضع الشيء في موضعه، الحكمة هي التحلِّي بالعلم والدعوة إليه بالحجج والبراهين.

والمداهنة - كما قلنا لكم - هي التنازل عن الدين لأجل الدنيا، هذه هي المداهنة: التنازل لأهل البدع والكفار، تتنازل عن شيء من دينك إرضاءً لهم، وكسبًا لعواطفهم وأموالهم ودنياهم.

وأما الحكمة المطلوبة فهي طرح العلم للناس بالبراهين يرافقه الأخلاق الطيبة.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، وأستغفرك وأتوب إليك.

بهذه الدعوة بالحكمة والأخلاق العالية وعلىٰ الدرس الذي قدمناه لكم أرجو أن نستفيد منه، وأن تغيِّروا ما حصل فيكم من ضعف، وما حصل في دعوتكم من خلل من الجهالات إلىٰ العلم والحلم، ومن التقصير والكسل إلىٰ النشاط السلفي بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر هذه الدعوة؛ لأن الأمة تحتاج إلىٰ ما عندكم من الخير، لا بالطرق التي يسير عليها البعض، وإنما تكون بالطرق التي يسلكها السلف الصالح، ويسلكها الصحابة الكرام، وبارك الله فيكم.

كان الناس يسمعون عنهم الأخلاق الطيبة فيدخلون فورًا، وأنتم أيضًا معهم فسيروا سيرهم واتبعوا منهجهم: قال الله قال رسول الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفَّقكم الله وسدَّد خطاكم، بارك الله فيكم، وفَّقنا الله وإياكم لما يحب ويرضىٰ، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

سبيل النجاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فإننا نرجو الله ونعتقد حسب ما نعرف من أنفسنا - إن شاء الله - أننا ندعو النّاس عمومًا والمسلمين خصوصًا إلىٰ دعوة الله الحق، إلىٰ الاعتصام بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهدي الخلفاء الراشدين، وهدي السلف الصالحين: في العقيدة والعبادة والأخلاق والاجتماع وفي سائر شؤون الحياة.

ونظن إن شاء الله أننا ما نخرج عن هذا.

ومن أراد هذه الحقيقة فلينظر فيما كتبناه، بدأنا نكتب ونسمع ما سُجِّل لنا من كلمات في المساجد وغيرها في توجيه الناس، إلىٰ تحقيق هذا المطلب العظيم والمطلب الكبير؛ وهو أن يعتصم المسلمون جميعًا بكتاب ربهم وسنة نبيهم كما أمرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يبتعدوا عن التفرق والاختلاف وأسبابهما، فإن الله أمرنا بهذا، ونهانا عن ذاك أشد النهي، وحذّرنا أشد التحذير من تفريق الدين وتفريق الأمة إلىٰ أحزاب وشيع وجماعات.

ونقول هذا الكلام؛ لأنه لابد لمن يسلك هذا السبيل من خصوم وأعداء يشوهون السمعة ويصدون الناس عن سبيل الله، ويدفعون الناس إلىٰ ما نشأوا عليه من مخالفات عقدية ومنهجية لكتاب الله وسنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لا شك أنه يسوؤهم أن تقوم دعوة ولها رجال ينتمون إلىٰ هذا المنهج العظيم.

لأن أهل الأهواء لا يستريحون أبدًا إلىٰ دعوة تخالف ما هم عليه في العقائد وغيرها، ولابد أن يبذلوا كل ما يستطيعون من الأسباب والجهود لصرف الناس عن اتباع الحق؛ لأنهم أهل الأهواء كما وصفهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ووصفهم رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠].

وقد أخبر رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن «**هذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ إِلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»(١) قالوا: من هي يا رسول؟ قال: «**هِيَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢) فأخبر الرسول الصادق المصدوق ﷺ بما يؤول إليه أمر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ٣٣٢ (٨٣٧٧) و٣/ ١٢٠ (١٢٢٢٩)، و١٤٥ (١٢٥٠١) و٤/ ١٠٢ (١٦٩٧٦)، والدارمي في السنن: ٢/ ٣١٤ (٢٥١٨)، وأبو داود: في السنة؛ باب شرح السنة، برقم (٤٥٩٦ و٤٥٩٧)، والترمذي: في الإيمان؛ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، برقم (٢٦٤٢) وقال: «حديث حسن صحيح»، وبرقم (٢٦٤٣) وحسنه، وابن ماجه: في الفتن؛ باب في افتراق الأمم، برقم (٤٠٣٩ و٤٠٤٠ و٤٠٤١)، والطبراني في المعجم الكبير: ٨/ ٢٦٨ (٨٠٣٥) و٨/ ٢٧٣ - ٢٧٤ (٨٠٥١ - ٨٠٥٤) و١٨/ ٥٠ (٩٠)، وفي الأوسط برقم (٤٨٨٦) و(٧٨٤٠)، وفي المعجم الصغير (٢/ ٣٠) برقم (٧٢٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧، برقم ١٠ و٢١٧ - ٢١٩، برقم٤٤١ - ٤٤٥) وصححه.

والحديث قد صححه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٨٨٥)، وابن حجر في تخريج الكشاف (ص٦٣).

(٢) هذه الزيادة وردت في سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث =

هذه الأمة من التفرق والتمزق والذهاب بعيدا عما كان عليه رسول الله وأصحابه، لا يبقىٰ إلا فرقة واحدة علىٰ هذا المنهج العظيم، وهي علىٰ ما عليه رسول الله وأصحابه، فمن أراد الله له السعادة والبصر والبصيرة الطيبة التي تميز بين الهدىٰ والضلال والحق والباطل، كما تميز بين حاملي مناهج الضلال ورافعي راية هذا المنهج الحق الذي مضىٰ عليه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون وصحابته الكرام ومن سار علىٰ نهجهم إلىٰ يومنا هذا؛ بل إلىٰ أن يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كما أخبر رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»**(١).

فإن هذه الأمة لابد أن يبقىٰ فيها من يثبت علىٰ كتاب الله وسنة رسوله =

رقم (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسَّر حسن غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. ورواه المروزي في السنة برقم (٥٩)، والطبراني في الصغير (٢/ ٣٠) برقم (٧٢٤)، والآجري في «الشريعة» (ص ١٥ – ١٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٩)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ٩٩ – ١٠٠، برقم ١٤٥ – ١٤٧).

(١) مسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم»**، حديث رقم: (١٩٢٠)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجاه في الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نحوه: البخاري: كتاب الاعتصام، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، برقم (٧٣١٢) و(٧٣١١). ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم»**، برقم (١٧٤/ ١٠٣٧م) و(١٩٢١).

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعلىٰ ما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام:

أولًا: لاعتزاز أمر الله بهم.

وثانيًا: لتقام بهم الحجة علىٰ سائر من ينحرف عن هذا الحق وعن هذا الهدىٰ.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تصديقًا بما أخبر هذا الرسول وتحقيقًا لهذا الواقع الذي أخبر به رسول الله سينصر من يتلو عليه الحق ويذبُّ عنه وعن قيامه ويرفع راية الجهاد جهاد الحجة والبرهان، وقد يحتاج إلىٰ السيف والسنان كما حصل.

ولا شك أن دعوة الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب والصنعاني والشوكاني ومن قبلهم من علماء اليمن وعلماء الحديث في الهند وغيرهم ممن سار علىٰ نهجهم في سائر قارات الدنيا، لا شك - ولله الحمد - أنهم يمثِّلون هذه الطائفة الموعود بها، والتي تحدث عنها الصادق المصدوق ﷺ، فجاءت هذه الدعوات المباركة تحقيقًا وتأكيدًا ومصداقًا لما أخبر به الصادق المصدوق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذه دعواتهم وكتبهم وجهادهم - ولله الحمد - ظاهرة للعيان لمن منحه الله البصر والبصيرة النافذة؛ لأنها تنطلق من كتاب الله وسنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتدعو إلىٰ الاعتصام بهما عقيدة وعبادة وتشريعًا ومعاملة وأخلاقًا وسياسة إلىٰ آخر القضايا والغايات والأهداف التي تضمّنها هذا الدين الحنيف.

ونحن وغيرُنا من دعاة السنة لا نريد للمسلمين إلا كل الخير، ولا نريد لهم إلا

السعادة والعزة والكرامة في الدنيا والآخرة؛ لأن ذلك لا يتحقق لهم إلا بأن يعتصموا بحبل الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في سائر شؤونهم التي ذكرناها مرارًا.

وأما إذا طلبوا العزة والسعادة في غير ما جاء به محمد ﷺ؛ فإنهم لن ينالوا إلا الخيبة والخسران والذل والهوان، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بمشيئته الكونية والشرعية يأبىٰ أبدًا أن يمنح هذه العزة والسعادة إلا لمن اتبع سنة الله الكونية والشرعية، ومن خالفهما فقد رمىٰ نفسه في هوة الهلاك في الدنيا والآخرة[(١)].

فعلىٰ المسلمين أن يتبصَّروا في هذه الأمور، وأن يبتعدوا عن المغامرات والمجازفات بأرواحهم وبدينهم؛ لأن الأمر خطير يحتاج إلىٰ الوقفات الطويلة والتأمل البعيد والعميق - البعيد الغاية والمرمىٰ والعميق، لا يحتاج أن تؤخذ الأمور بأطراف الأنامل؛ لأن الأمر جدّ.

لكن مع الأسف نرىٰ أن كثيرًا من الناس يتناولون هذه الأمور بدون مبالاة

---

(١) روىٰ ابن المبارك في الزهد (٥٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣٠، برقم ٢٠٧ و٢٠٨) عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلىٰ الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا علىٰ مخاضة وعمر علىٰ ناقة له فنزل عنها، وخلع خفيه، فوضعهما علىٰ عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا، تخلع خفيك، وتضعهما علىٰ عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك! فقال عمر: أوّه! لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذلَّ قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله. قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وبأطراف أناملهم، وكأن الأمر لا يحتاج إلىٰ مراجعة الكتاب والسنة، ولا مراجعة العقول، ولا تغيير مواقف، وذلك من تزيين الشيطان لهم.

ولهذا كثيرٌ منهم ينظر إلىٰ هذه الدعوة العظيمة - دعوة النبوة - علىٰ أنها قشور، ويتعلَّلون بكثير من التعلُّلات الفاسدة، ومن تعلُّلاتهم الفاسدة أننا نحن الآن في حال مواجهة الأعداء، فيجب أن نوحِّد صفوف المسلمين علىٰ علاتهم لمواجهة الأعداء، وهذا خطأ فادح وضلال واضح، فإننا لا نستطيع أن نواجه أضعف الأعداء ونحن نخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فضلًا أن نواجه قوىٰ الدنيا كلها بما عندها من قوات وعُدد، فأعظم سلاح لنا علىٰ أعداء الله الإيمان الصادق والاتباع الصحيح والتمسك الصحيح بكتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[1]؛ لأننا حينما يرانا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ هذا الوصف لابد أن يحقق وعده الذي لا يُخلف من نصر في الدنيا وعزة في الآخرة، وإذا لم يكن هذا عندنا ولا يتحقق هذا فينا؛ فإننا لا نستحق من الله إلا الخذلان، لأننا خذلنا دينه والجزاء من جنس العمل.

وهذه التُّرهات التي يتمسكون بها ويرون أن الدعوة السلفية تشغل الناس وتفرق المسلمين والناس في حالة حرب، ونحن نقول: سنة.. بدعة، وشرك..

(١) روىٰ ابن المبارك في الجهاد (ص٣٠، برقم ٥)، وأبو داود في الزهد (٢٥٢) عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إنما تقاتلون بأعمالكم**». وعلقه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد، باب عمل صالح قبل القتال. فتح الباري (٦/ ٢٤).

وتوحيد. والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما بعث الأنبياء كلهم من أولهم وآخرهم إلا ليبينوا: هذا شرك، وهذا توحيد، وهذه سنة، وهذه بدعة. وهذا أعظم أمر جاء به الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وليس عند الله أفضل وأكمل وأجلُّ من هذه الدعوة، والدعوات الأخرىٰ لا تساوي شيئًا ولا قيمة لها مهما ضخموها. أنا كنت أفكر في هذا الكلام الذي يقولونه: المسلمون يُقتَّلُون، المسلمون يُذَبَّحُون.. إلىٰ آخره، يفتحون للناس خمارات، يشربون الخمر، نقول: هذا ليس وقت تغيير المنكرات، هل يوافقون علىٰ هذا؟! طبعًا لا يوافقون علىٰ هذا.

ثم إن رسولنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكان المؤمنون قلَّة في غاية القلَّة والضعف ومع هذا لا يخطئون خطأً إلا ويعاتبهم الله عليه أشد العتاب؛ بل يعاقبهم عليه عقابًا شديدًا.

وأنا أقول: إن هذا لا يستفيدونه من القرآن ولا من السنة ولا من التاريخ ولا من الواقع ولا من شيء آخر، إنما يتكلمون بطفولة وغباء وجهل، يضحكون بها علىٰ الناس، ما الذي حصل لمحمَّدٍ ﷺ وأصحابه في غزوة أحد؟ ما هو الذنب الذي ارتكبه الرماة إذا قسناه إلىٰ الأباطيل والضلالات والشركيات والخرافات والبدع! إنها أنهكت المسلمين، وأفسدت عقائدهم وعقولهم، ماذا فعل الرماة؟ الرسول ﷺ قال: ابقوا في هذا المكان، لا تبرحوا هذا المكان، ولو رأيتم الطير تخطفنا[1]. لما

---

(١) كما في حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٣٩)، في كتاب الجهاد، وعقد له بابًا بعنوان: مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالاخْتِلَافِ فِي الْحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَىٰ =

ظهر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ عدوه، قالوا: الحمد لله، الرسول هزم الأعداء، انتهىٰ الأمر. يعني تأويل معقول عندهم، فالتف عليهم العدو فقتل منهم كثيرين، والنبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كُسِرَت رباعيته(١).

فالآن تجد تشييد القبور والخرافات والبدع والشركيات والضلالات ولا يراها كثير من الناس شيئًا!

استشار رسول الله ﷺ أصحابه يوم بدر: هل نأخذ الفداء من الأسرىٰ أو لا نأخذه منهم؟ فقال بعضهم - ومنهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: نأخذ هذا المال ونتقوَّىٰ به علىٰ الأعداء، وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هؤلاء صناديد قريش إذا استأصلنا شأفتهم لا تقوم لهم قائمة، مال رسول الله ﷺ إلىٰ رأي أبي بكر ومن معه، فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه الظروف الصعبة جدًّا ذلك العتاب: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢) [الأنفال: ٦٧ - ٦٨]، محتاجون إلىٰ المال وأكثرهم جاؤوا مشاة، حالتهم المادية لا يعلمها إلا الله، لا

=

إِمَامَهُ. وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

(١) كما في صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب الْمِجَنِّ وَمَنْ يَتَتَرَّسُ بِتُرْسِ صَاحِبِهِ، برقم (٢٩٠٣)، وصحيح مسلم: في كتاب الجهاد والسير، باب غَزْوَةِ أُحُدٍ، برقم (١٧٩٠)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما جاء في الحديث الآتي تخريجه.

عُدَّة ولا عدد، لهذا كانوا يريدون مالًا فعاتبهم الله هذا العتاب الشديد.

وفي صحيح مسلم أن عمر جاء في اليوم الثاني والرسول وأبو بكر في الخيام وهما يبكيان، قال: ما يبكيكما إن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت(١).

تأملوا هذا! وقارنوا بين هذه التربية الربانية لهذه الأمة وعلىٰ رأسهم محمد ﷺ، وانظروا إلىٰ هؤلاء إنما هم في ظروف صعبة يحتاجون إلىٰ المال قال: نأخذ المال وما يترتب عليه من مصالح كذا وكذا وكذا، ومع ذلك يرجح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رأي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما ينبغي أن تفعلوا هذا أبدًا.

هذا يبيِّن لنا أن هؤلاء ينطلقون من أهوائهم، وأنهم لا يستمدون عقائدهم ولا مناهجهم العلمية ولا السياسية من كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإنما يتبعون فيها أهواءهم.

فالرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يواجه في هذه العقيدة ولا يتهاون أبدًا فيها، ولا يقول: نوقف الدعوة من أجل كذا وكذا، لأي مبرر من المبررات، وهو أُسوتنا وقدوتنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما أن الأنبياء جميعًا أسوتنا وقدوتنا - عليهم الصلاة والسلام - جاؤوا بدعوة الإسلام؛ دعوا إلىٰ توحيد الله وإخلاص الدين لله، ونبذ الشرك، ونبذ عبادة الأوثان، وعبادة القبور، وعبادة الأشخاص، ولا تقوم رسالة من الرسالات إلا علىٰ هذا الأساس.

---

(١) مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث رقم: (١٧٦٣)، في حديث طويل في قصة وقعة بدر، من رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

خلقنا الله لعبادته وأرسل رسله لتحقيق هذه الغاية، وأنزل الكتب لتحقيق هذه الغاية، فإن نحن أخللنا بهذه الغاية أو بشيء منها؛ فإنّ علىٰ المصلحين جميعًا أن يبذلوا كل ما عندهم من طاقة ووسع لتصحيح العقائد، دعوة الكفار إلىٰ الدخول في التوحيد والخروج من الشرك، ودعوة المسلمين إلىٰ الخروج أيضًا من الشـرك؛ لأن كثيرًا من المسلمين حتىٰ بعض الدعاة واقعون في الشرك، من الدعاة - كثير منهم - واقعون في الشـرك؛ فهؤلاء الدعاة يحتاجون إلىٰ دعاة يدعونهم إلىٰ دعوة الأنبياء وإلىٰ منهج الأنبياء، وحيث إنهم واقعون في هذا الضلال فهم يستنكرون دعوة الأنبياء ويحاربونها بشتىٰ العلل وبشتىٰ الأساليب؛ لأنهم واقعون في شركيات وفي ضلالات وفي بدع، ويظنون أنها هي الدين، والدعوة السلفية تحارب هذا الدين عندهم؛ فلهذا يرون أن الدعوة السلفية خطأ لأنها تدعو: توحيد، توحيد، توحيد، شرك، شرك، شرك، وهم يواجهون الكفار بالروافض وباطنية الصوفية وأهل القبور، ولم يُجْدِ عنهم هذا شيئًا، ولن يحققوا شيئًا ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم إلا إذا التزموا منهج الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في تحقيق معنىٰ لا إله إلا الله، وإصلاح النفوس، والقلوب، والمناهج بهذه الدعوة الشاملة إلىٰ التزام الإسلام الكامل؛ ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، دين الله نلتزمه كلَّه الأمة كلها عن بكرة أبيها يجب أن تعتصم بحبل الله جميعًا، وهذا أمر واجب محتَّم لابد منه، ولابد من بذل كل ما يستطيعه المخلصون لتحقيق هذه الأهداف النبيلة، فعلىٰ كل سلفي يرجو الله والدار الآخرة أن يشمِّر عن ساعد الجد لتحصيل العلم، ثم تكريس ما يستطيعه

من جهد مادي ومعنوي في تحقيق هذه الغاية النبيلة التي أكّد الله عليها أشد التأكيد، وفهمها السلف الصالح من الصحابة والتابعين إلىٰ يومنا هذا.

فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُصلح المسلمين، وأن يأخذ بنواصيهم إلىٰ الحق والخير، وأن يهدي دعاة السوء؛ أن يهديهم أو يريح الأمة من شرهم، ويكفي المسلمين أذاهم، فيفسح المجال أمام المسلمين لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي أوجبها الله وحتَّمها، ولا مناص للمسلمين منها ولا عذر لهم، واللهِ لو قُتلوا في ساحات الجهاد وهم رافضون تحقيق هذه الغاية لا ينفعهم ذلك، الذي يرفض الدعوة إلىٰ التوحيد ويأبىٰ إلا سلوك سبيل الشيطان والله لو يقتل ألف قتلة لا تنفعه، فلا يغرنكم الدعوات الباطلة، لا بد أن يقتل لتكون كلمة الله هي العليا[1]، فهذا لا يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لتكون كلمة حزبه هي العليا،

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٣٦٧ - ٣٦٨): «لَمْ يَجُزْ تَرْكُ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ هُوَ الشَّرْعُ الْمُنَزَّلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَهُوَ دِينُ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ، لا يُجَاهِدُونَ عَلَىٰ قَوْلِ عَالِمٍ وَلا شَيْخٍ وَلا مُتَأَوِّلٍ؛ بَلْ يُجَاهِدُونَ لِيُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، وَيَكُونَ الدِّينُ لَهُ؛ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بُعِثْت بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً: فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ: مَنْ قَاتَلَ =

وإلا لو كان يريد كلمة الله هي العليا لتعلَّمها ودعا إليها وجاهد أهل البدع، «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»(١).

فلأجل هذا شرع الجهاد، قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ قال له رسول الله: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «مَاذَا قُلْتَ؟» قال: قلت: كذا وكذا، قال: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلا الدَّيْن، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ»(٢) يعني لتكون كلمة الله هي العليا، «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ

=

لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ». فالْمَقْصُودُ بِالْجِهَادِ أَنْ لا يُعْبَدَ أَحَدٌ إلا اللهُ؛ فَلا يَدْعُو غَيْرَهُ، وَلا يُصَلِّي لِغَيْرِهِ، وَلا يَسْجُدُ لِغَيْرِهِ، وَلا يَصُومُ لِغَيْرِهِ، وَلا يَعْتَمِرُ وَلا يَحُجُّ إلا إِلَىٰ بَيْتِهِ، وَلا يَذْبَحُ الْقَرَابِينَ إلا لَهُ، وَلا يَنْذِرُ إلا لَهُ، وَلا يَحْلِفُ إلا بِهِ، وَلا يَتَوَكَّلُ إلا عَلَيْهِ، وَلا يَخَافُ إلا إِيَّاهُ، وَلا يَتَّقِي إلا إِيَّاهُ؛ فَهُوَ الَّذِي لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلا هُوَ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلا هُوَ، وَلا يَهْدِي الْخَلْقَ إلا هُوَ، وَلا يَنْصُرُهُمْ إلا هُوَ، وَلا يَرْزُقُهُمْ إلا هُوَ، وَلا يُغْنِيهِمْ إلا هُوَ، وَلا يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ إلا هُوَ».

(١) انظر: البخاري: كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، حديث رقم (٢٥)، وغيره.

ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.، حديث رقم (٢٠، ٢١، ٢٢).

(٢) مسلم: كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، حديث رقم (١٨٨٥)، من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[1]، فلا يكون المجاهد مجاهدًا في سبيل الله إلا إذا قاتل لتكون كلمة التوحيد هي العليا، ليست كلمة فلان ولا شعارات فلان، ولا منهج علاّن، إنما لتكون كلمة الله؛ وهي توحيد الله بمعانيها كلها وبشروطها كلها، وبالخروج من نواقضها كلها، فهؤلاء إذا كانوا علىٰ هذه الكيفية وعلىٰ هذه الحال وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، إن شاء الله إذا قُتِلُوا يكونون شهداء.

أما الذي يحيي الخرافات والبدع والضلالات، ويحارب من يدعو لإعلاء كلمة الله، ثم يذهب يقاتل وهو رافضي وصوفي قبوري يحارب التوحيد، فهيهات هيهات أن يكون ممن يُقتَل لتكون كلمة الله هي العليا.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أن الناس استدعوا لقتال التتار، التتار يدَّعون الإسلام، وفيهم إلحاد، وفيهم زندقة، وعندهم مشاكل لا أول لها ولا آخر؛ فاحتشد الصوفية يقاتلون، وبعض العلماء من أهل السنة - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - تخلَّفوا لأنهم يرون أن هذا الجهاد غير شرعي؛ لأنه ليس لإعلاء كلمة الله؛ لأن حملة هذه الراية يحاربون كلمة الله كلمة التوحيد، فتخلَّفوا. شيخ الإسلام سمعهم يقولون:

يا خائفين من التتر ... لوذوا بقبر أبي عمر
لوذوا بقبر أبي عمر ... ينجيكم من الضرر

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم (٢٨١٠).
مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم (١٩٠٤).
من رواية أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فقال لهم: سوف تُهزَمُون، هؤلاء لو خرجوا يقاتلون معكم لهُزِمُوا.

ذهب ابن تيمية يُرَبِّي علىٰ التوحيد ووجد رجالًا فعلًا موحدين، ثم حث الناس علىٰ الجهاد قال: أنا أضمن لكم النصر. قالوا: قل: إن شاء الله. قال: أقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا. لأنه عندنا النص ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، هؤلاء قاتلوا لإعلاء كلمة الله، ومن قاتل لإعلاء كلمة الله، فلابد أن ينصرهم وعد الله لا يتخلف. وهزموا التتار شر هزيمة(١).

هنا كثرة لكن غثاء، فالشاهد أن العلماء يرون أن هذا الجهاد غير شرعي، إذن الجهاد الشرعي هو الذي يكون لإعلاء كلمة الله، لتكون كلمة الله هي العليا، هي السائدة، هي المهيمنة، تخضع لها الأعناق، لهذا نرىٰ أن الدعوة السلفية هي دعوة الأنبياء، هي دعوة محمد بن عبد الله والخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وندعو جميع الجماعات والفِرَق أن يتوبوا إلىٰ الله مما هم عليه من عقائد ومناهج ومبادئ، وأن يعقلوا ويفهموا كتاب الله حقًّا وسنة نبيه ﷺ بفهم السلف الصالح، إن أرادوا الجنة والنجاة من النار، وأرادوا العزة في الدنيا والآخرة فهذا هو الطريق، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، قرأ رسول الله هذه الآية وخط خطًا مستقيمًا وقال: «**هذَا صِرَاطُ اللهِ مُسْتَقِيمًا، وَهَذِهِ السُّبُلُ عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا**

(١) انظر: الاستغاثة في الرد علىٰ البكري: (٢/ ٧٣٢ - ٧٣٨)، ومدارج السالكين (٢/ ٤٨٩)، والبداية والنهاية (١٤/ ٢٧ - ٣١).

شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»[١] فما عدا هذا كتاب الله وسنة الرسول الذي يمثل المنهج السلفي ما عداه من الطرق والمناهج علىٰ كل سبيل منها شيطان. وقد أجاب الدعاة علىٰ أبواب جهنم من أجابهم فقذفوه فيها[٢].

والله لا يحارب المنهج السلفي ويحارب أهله إلا وهو سائر في طريق الشيطان، لا يحارب هذه الدعوة وينابذ أهلها إلا السالكون في تلك السبل الضالة التي لا تفضي بأهلها إلا إلىٰ النار، تحاربون المنهج السلفي؟ تحارب أهله؟ ما ذنب من يقول: ربنا الله؟ كيف تحاربونه؟ الإسلام ليس شعارات ولا ادعاءات فارغة، الإسلام حقائق، عقائد، منهج، عمل.

علىٰ كل حال لا يُخرج هذه الأمة مما هم فيه من هوان في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة إلا العودة الجادة إلىٰ ما كان عليه رسول الله، «حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ»[٣].

يعني لابد من الرجوع إلىٰ الدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

---

(١) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر): مسند ابن مسعود، حديث رقم (٤١٤٣). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: البخاري: المناقب، باب علامات النبوة، برقم (٣٦٠٦). ومسلم: الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، برقم (١٨٤٧).

(٣) جزء من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

أخرجه أحمد في المسند: ٢/ ٢٨ (٤٨٢٥) و٤٢ (٥٠٠٧)، وأبو داود في سننه: البيوع، باب في النهي عن العينة، برقم (٣٤٦٢) وغيرهما.

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، الإسلام الذي رضيه الله هو الذي تضمنه الكتاب والسنة، وما عداه لم يرضه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مخالفات في العقائد، مخالفات في المناهج، مخالفات في التشريعات، مخالفات في كل باب من أبواب الدين، ولا يرضىٰ كثير منهم التحاكم إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ، إلىٰ هذا الدين الذي يريده الله والذي شرع من أجله الجهاد، والذي رتب عليه النصر في الدنيا والعز في الدنيا ورتب عليه الجنة أو النار.

الإسلام براء من هذه العقائد، براء من هذه الشعارات الكاذبة، براء من هذه المناهج الفاسدة، حتىٰ يرجعوا إلىٰ العقائد الإسلامية المستمدة من كتاب الله، وإلىٰ المنهج الإسلامي الحق المستمد في الفهم وفي التطبيق وفي الولاء والبراء إلىٰ هذا المنهج المنبثق من كتاب الله ومن سنة رسول الله.

أما دعوة إلىٰ وحدة الأديان، ودعوة النصيرية والروافض؛ فلا، مع الأسف ضيعوا الإسلام والمسلمين! يجب علىٰ هؤلاء أن ينيبوا إلىٰ الله، وأن يتوبوا إلىٰ الله، وأن يدعوا إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله عقيدة ومنهجًا، وإلا فليتحمَّلوا مسؤولية ذلك في الدنيا والآخرة، والسلفيون إن شاء الله برآء مما يترتب علىٰ هذه الانحرافات، ويتحمل مسؤوليتها أمام الله - وكما يقال أمام التاريخ - هؤلاء، والسلفيون من هذه التبعات والمسؤوليات برآء.

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُعلي كلمته، وأن ينصر دينه ويظهره علىٰ الدين كله، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره المتبدعون الضالون المنحرفون؛ إن ربنا لسميع الدعاء.

الأسئلة والأجوبة

شَكَرَ الله لكم فضيلة الشيخ علىٰ هذه الكلمة، ونسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يوفقنا جميعًا لما يحب ويرضىٰ.

السؤال الأول: فضيلة الشيخ لا يخفى عليكم ما يلاقيه المنهج السلفي من إعراض من أصحاب الجماعات الأخرى، فما هو الدور الصحيح لتبصيرهم بحقيقة المنهج السلفي، أثابكم الله؟

۞ **الجواب**: بُذلت الجهود كثيرًا وكثيرًا من العلماء؛ علماء المنهج السلفي ودعاته، وطُرحت الكتب وكل الوسائل بين أيدي هؤلاء، فأبوا إلا أن يظلوا سائرين فيما هم فيه، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، و﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورىٰ: ٤٨]، ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فالأسباب بُذلت، وطرحت بين أيديهم، وهم يحاربونها ويحاربون أهلها، فماذا يصنع دعاة السلفيين! فليس واللهِ بأيديهم أن يهدوا الناس وقلوب الناس بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء[1].

---

(١) كما ثبت في الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند أحمد في المسند: ٣/ ١١٢ (١٢١٢٨) =

فإذا شاء الله هداهم، وسترىٰ هؤلاء كيف يهرعون إلىٰ المنهج السلفي، وإذا أراد الله غير ذلك فلا راد لما قضاه ولا هادي لمن أضله، ونحن لا نملك إلىٰ جانب ما قدمه السلفيون إلا أن ندعوا الله لهم بالهداية.

هذا الذي نملكه، فلا نلوم السلفيين ونقول: إنهم قصَّروا، لقد طبعوا ألوف الكتب، وأخرجوا آلاف النشرات في العالم كله، ومن أراد الله به خيرًا قبِل، ومن أراد به غير ذلك سار في طريقه الذي رسمه له الشيطان، ونحن لا نملك لهم إلا الدعاء بالهداية.

❁ ❁ ❁

السؤال الثاني: فضيلة الشيخ - سلمك الله وعافاك -، نرجو أن توضح لنا كيفية منهج الولاء والبراء مع المسلمين، وهل يعني البراء ممن أخطأ الطريق اجتنابه، وعدم السلام عليه، وعدم عيادته عند مرضه أو تشييعه عند موته، بشِّرونا بشَّركم الله بهداه؟

❁ الجواب: بسم الله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

=

و٢٥٧ (١٣١٢٧)، والترمذي في جامعه: كتاب القدر: باب ما جاء أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، برقم (٢١٤٠) - وحسنه، وابن ماجه: الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، برقم (٣٨٣٤)، والحاكم (١/ ٥٢٦) وصححه، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» برقم (٢٢٢٢) و(٢٢٢٣) و(٢٢٢٤) وصححه.

الإجابة علىٰ هذا السؤال تجدونها وافية كافية فيما دوّنه السلف؛ ولأن كثيرًا من الشّباب لا يقرؤون كتب السّلف لا تنتهي هذه الأسئلة.

فمن قرأ كتب السلف وجد الإجابة الشافية في باب الولاء والبراء مع الكفار، ومع أهل البدع علىٰ اختلاف أصنافهم من روافض ومرجئة وجهمية ومعتزلة وصوفية حلولية أو قبورية وما شابه ذلك، يجد ذلك واضحًا كافيًا شافيًا.

ما مرَّ فترة بأهل المنهج السلفي إلا وهم يبيِّنون ويوضحون للناس بما فيهم أهل هذا العصر.

هل قرأتم ما قاله ابن أبي حاتم في رسالته الصغيرة في أصول الدِّين أو أصول أهل السنة؟ هل قرأتم [السنة للخلال]، و[الشريعة للآجري]، و[الإبانة لابن بطة]، و[شرح السنة] للالكائي، و[شرح السنة] للبربهاري، هل قرأتم هذه الكتب؟ يوجد في شبابنا من لم يقرأ هذه الكتب، هناك المخطوطات ليست بين أيدينا؟! فلماذا تكثر التساؤلات عن هذا الأمر، نحن ليس لنا أن نلعب بالدين ونغيِّر فيه ونبدِّل كما نريد، موقفنا من أهل البدع واضح من هجرانهم ومقاطعتهم، إلا من تتوسم فيه أنه سيأخذ منك الحق فادعه وبيِّن له، لا تخالطه وتعاشره وتصادقه وقد تمر عليك الأيام والأشهر والسنون وأنت لا تبيِّن له شيئًا! هذا شيء لا يرضاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وليس من المنهج السلفي في شيء.

فأنا أقول: إن أصول السلف يجب أن نحافظ عليها، وأن نعضّ عليها بالنواجذ؛ لأنّ الحق والهدىٰ والنور يجب أن يتمسك به؛ لكن بعض أفراد أهل

البدع قد ترىٰ فيه الميل إلىٰ الحق، تنبسط إليه شيئًا من الانبساط لتعطيه الحق ليرجع إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، تدعوه إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، تبين له إن استجاب ولله الحمد، وإلا يُلحَق بإخوانه وركبه الضالين.

هذا البغوي[(١)] والصابوني وغيرهما من أئمة السنة يحكون إجماع أهل السنة علىٰ هجران أهل البدع وبغضهم ومقاطعتهم[(٢)]، وهجران أهل البدع لا ينتهي. الهجران الشخصي لا يجوز أن يتجاوز ثلاثة أيام؛ لكن إذا هجرته من أجل بدعته فهذا لا ينقطع إلا بتوبته وأوبته إلىٰ الحق.

وأنا أختصر الوقت، وأدفعكم إلىٰ قراءة هذه الكتب لتأخذوا المنهج السلفي ليس مني أنا، وإنما تأخذونه من المصادر الأساسية الموثوق بها، وفّقكم الله.

❁ ❁ ❁

---

(١) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح السنة (١/ ٢٢٤): «قد أخبر النبيّ ﷺ عن افتراق هذه الأمة وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فعلىٰ المرء المسلم إذا رأىٰ رجلًا يتعاطىٰ شيئًا من الأهواء والبدع معتقدًا أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه، ويتركه حيًّا وميتًا، فلا يسلم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ، إلىٰ أن يترك بدعته، ويراجع الحق. والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة، دون ما كان ذلك في حق الدين؛ فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلىٰ أن يتوبوا».

(٢) انظر: «إجماع العلماء علىٰ الهجر والتحذير من أهل الأهواء» تأليف: خالد بن ضحوي الظفيري.

السؤال الثالث: فضيلة الشيخ ما رأيكم فيمن يقول: إنَّ البدع العملية لا تخرج صاحبها من أهل السنة، بهذا العموم؟

❁ **الجواب:** هذا رأي ليس بصحيح، ولا أدري ما دليل هذا القائل.

أرأيت - طبعًا السجود لغير الله شرك - عمل الطواف بالقبر عمل؛ لكن ما أظن أن هذا القائل يرىٰ أن مثل هذا العمل يدخل في الأعمال التي أرادها.

علىٰ كل حال نريد منه أمثلة للبدع العملية التي يرىٰ أنها لا تخرج أهلها من أهل السنة، ونريد الأدلة علىٰ ذلك من كتاب الله ومن سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن تطبيق السلف الصالح.

نعم نقول: إذا عرفنا من إنسان أنه من أهل الحق، ويحب الحق، ويدعو إلىٰ الحق، ويبتغي الوصول إلىٰ الحق، ثم في خلال اجتهاده أخطأ فوقع في بدعة عملية أو علمية، هذا لا نبدِّعه حتىٰ ننصحه ونبيِّن له أن هذا العمل أولًا بدعة؛ نقول له: إنك وقعت في بدعة، والدليل كذا وكذا، وندعوه إلىٰ الرجوع عن بدعته، فإن استجاب وهذا منتظر من هذا الذي وصفته لكم، فإن أصرَّ فحينئذ يُبدَّع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: كثير من كبار السلف والخلف وقعوا في البدع من حيث لا يشعرون، يعني: يريد المجتهدين منهم، إما بناءً علىٰ حديث ضعيف، أو بناء علىٰ فهم خاطئ من نص من النصوص، أو بناء علىٰ قياس فاسد، فظن أن هذا الحديث صحيح يحتج به، فأوقعه في بدعة، فهذا يُعذَر لا يُبدَّع،

وهذا ندعو الله أن يغفر له ولا نبدِّعه.

إن بقي حيًّا وناقشناه وأصرَّ عليها يبدَّع، فهم النص - القرآني أو النبوي - فهمًا خاطئًا هذا هو مدلول النص فعمل به، مات علىٰ هذا لا نبدِّعه، بقي حيًّا وناقشناه وقلنا: هذه بدعة وكذا؛ يمكن أن يُبدَّع.

مثلًا المولد يرىٰ أنه يقرأ سيرة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا مانع من قراءة سيرة هذا الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، نحن نقول: اقرأ سيرة الرسول علىٰ طريقة السلف، لا تحدِّد يومًا من شهر معيَّن وتقيم فيه اجتماعًا، لو اجتمعوا علىٰ هذه الطريقة لا يقرؤون إلا سيرة الرسول ﷺ وخصَّصوا زمانًا يدور ويعود كل عام؛ لكان هذا في حد ذاته بدعة، فإذا نصحوا وبُيِّن لهم وأصرُّوا عليه؛ فهم مبتدعة، فكيف وهم الذين يعملون موالد تقوم علىٰ عقائدهم الباطلة والفاسدة ومناهجم الفاسدة، ويقيمون هذا العمل الفاسد، ويمزجونه بشركيات وضلالات كثيرة كما هو معروف من أهل الموالد.

كيف يتردد عاقل سلفي في تبديع هؤلاء؛ لأننا ما نعرف سلفيين علىٰ وجه الأرض عقائدهم صحيحة يجتمعون كل سنة؛ في شهر رجب، أو شهر شعبان، أو شهر رمضان، أو شهر ربيع الأول يجتمعون ويقرؤون سيرة الرسول الخالصة النقية يفعلون هذا، لكن لا نعرف قرَّاء الموالد إلا أناسًا منحرفين في عقائدهم، تجد أحدهم يجمع التجهم في الصفات، وفي أبواب العقيدة والتصوف، الشرك القبوري في أبواب العبادات، وتكون هذه حلقة صغيرة من تلك السلسلة

الفاسدة من العقائد والانحرافات المعروفة عن هذه الأصناف التي تلتزم بالموالد، وتحارب من يناقشها.

فهل هذا الذي تكلَّم بهذا الكلام يعرف من هم الذين يقومون بهذه الموالد، وهل يعرف عقائدهم حتىٰ يقول مثل هذا الكلام.

نسأل الله أن يوفقنا جميعًا لقول الحق والصدع به، وأن يجنبنا مضلات الأهواء والقول الباطل؛ إن ربنا لسميع الدعاء.

❁ ❁ ❁

السؤال الرابع: في الحقيقة الأسئلة كثيرة جدًّا ومتنوعة، ويسألون أسئلة عن دعوة الإخوان والسرورية، ويذكرون تفصيلات وأسماء؟

❁ الجواب: علىٰ كل حال كل من خالف منهج الرسول وأصحابه فاضربوا به عرض الحائط هو وأهله. هذه قاعدة.

❁ ❁ ❁

السؤال الخامس: فضيلة الشيخ ربيع - حفظك الله - من المعلوم أن التقوى تقود الإنسان إلى اتباع الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فما موقف السلفي من بعض أهل العلم الكبار الذين قد تقع منهم بعض الأمور ما موقفنا منهم، وكثير من الأسئلة تأتي على احترام العلماء وفضلهم؟

❁ الجواب: العلماء علماء أهل السنة، لا علماء الرفض، وعلماء التصوف، وعلماء الخرافات والبدع، هؤلاء أهل بدع، ولا يقال فيهم علماء.

الحق أن كل مبتدع ليس بعالِم(١)، كما قال غير واحد من علماء السنة(٢) إن أهل البدع غير علماء، أما علماء السنة فلا نعتقد فيهم العصمة أبدًا، من عهد الصحابة إلىٰ قيام الساعة، العصمة خاصة بالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عصمهم الله فيما يبلغونه لأممهم - عليهم الصلاة والسلام -، ومن عداهم مُعَرَّضُون للأخطاء، فمن اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد منهم فأخطأ فله أجر واحد.

ومن هذا المنطلق نتعامل مع أهل السنة الذين نعرف صدقهم وإخلاصهم والتزامهم بدين الله الحق ومنهجه الصحيح، فإذا أخطأ أحد منهم فلا يجوز لنا

(١) عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الْجُمَحِيِّ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «مِنْ أَشْرَاط السَّاعَة أَنْ يُلْتَمَس الْعِلْم عِنْد الأَصَاغِر» أخرجه ابن المبارك في الزهد: (٢٠، برقم٦١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (١/ ١٥٧)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي: (١/ ١٣٧، برقم١٥٩)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة: (١/ ٨٥، برقم١٠٢)، والهروي في ذم الكلام وأهله: (٥/ ٧٤، برقم١٤١٠).

(٢) قال الإمام عبد الله بن المبارك في تفسير قوله ﷺ: «الأصاغر»: أهل البدع. انظر: جامع ابن عبد البر: (١/ ١٥٧)، والجامع لأخلاق الراوي للخطيب: (١/ ١٣٧، برقم١٦٠)، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: (١/ ٨٥، برقم١٠٢)، وذم الكلام للهروي: (٥/ ٧٦).

وبنحو قول ابن المبارك يقول إبراهيم الحربي والبربهاري وابن عبد البر وغيرهم، انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٨٥، برقم ١٠٣)، وشرح السنة للبربهاري (٩٦، برقم١٠٤)، وجامع العلم لابن عبد البر (١/ ٣١٢) و(٢/ ١٩٤ - ١٩٥). عن «شرح أثر ابن سيرين» للشيخ أحمد بازمول: ص (١٨٢ - ١٨٣ و٢٥٢).

أن نأخذ بخطئه أبدًا، ويجب أن نبيِّن للناس أن هذا خطأ مع احترامنا لهذا، إن كان حيًّا نصحناه وبيَّنا له أن هذا خطأ، وإن كان بعيدًا لا نستطيع الوصول إليه أو ميِّتًا فنستغفر له، ونعتقد أن له أجرًا في هذا الاجتهاد؛ لأن الرسول قال هذا «إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ» يعني أجر اجتهاده وأجر إصابته «وَمَنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ»[1] يعني أجر اجتهاده ويعذر في خطئه، فالأجر الذي يحصل عليه في مقابل اجتهاده، أما الخطأ فليس مقابله إلا أن يعذره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ونحن موقفنا من هذا الخطأ أننا لا نتبناه أبدًا مهما كان قائله، ومهما عظم، ومهما كبر، ومهما كانت منزلته، لا يجوز لنا بحال أن نتابعه في هذا الخطأ، ولا أن نقول: إنه ليس بخطأ أبدًا.

بعض الناس يعطون قياداتهم العصمة، ولو وقعوا في كبريات الضلالات لا يجوز أن تقول: هذا خطأ! فهذا هو الضلال البعيد.

❁ ❁ ❁

السؤال السادس: فضيلة الشيخ كلمة لشباب جدة في تعاونهم السلفي وعملهم، وهل كل عمل جماعي لا يقبل؟

❁ **الجواب:** مثّل لي بالعمل الجماعي أنا خائف منه، قد يكون العمل الجماعي

(١) البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم: (٧٣٥٢).

مسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم: (١٧١٦).

من رواية عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأناشيد، التمثيليات، المسرحيات. إذا اجتمعوا علىٰ طلب العلم، واحد يدرسهم عالِم هذا هو الاجتماع في بيت من بيوت الله؛ «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا غَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِي مَنْ عِنْدَهُ»(١) فهذه الجلسة ترضي الله عَزَّوَجَلَّ، وكانت معاقل المسلمين وموضع اجتماعاتهم هي بيوت الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وأما التجمع في البيوت، فإذا كانوا مضطرين فذاك، وأما إذا كانت المساجد مفتوحة أمامنا فالحمد لله ومن نعمه، فنجتمع في المساجد، ولنلقي العلم للخاص والعام يسمع السلفي وغيره.

❁ ❁ ❁

السؤال السابع: هل يجوز لشخص أن يدعو الناس في قريته إلى الدعوة السلفية ولا يظهر أنه من هذه الدعوة حتى يقبل بعضهم، إنما يدعوهم إلى ما لديه من الحق، زادكم الله إخلاصًا وعلمًا وعملًا صالحًا؟

❁ **الجواب**: الداعية ما يقول لهم: أنا سلفي أنا سلفي، يقول: هذا كتاب الله وسنة رسوله، ويعلمهم، لو قال: أنا سلفي عند جماعة مبتدعة يمكن أن لا يقبلوا دعوته.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر، حديث رقم: (٢٦٩٩). من رواية أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

السؤال الثامن: من باب التثبت نُقل عنكم أنكم تقولون عن طارق السويدان أنه زنديق. فهل هذا صحيح؟ وما رأي فضيلتكم في أشرطته؟

❁ **الجواب**: لا، ما قلت هذا، أنا أقول: ضال مبتدع بس، أما الزندقة فلا أقولها، ما قلتها في من هو أكبر منه ضلالًا مرَّات وكرَّات ما قلتها.

سيد قطب ما قلت فيه زنديق، سيد قطب ضال مبتدع، الذي يقول: إن سيد قطب من أهل السنة لم يعرف السنة ولا أهلها ولا ما هي، بارك الله فيكم.

فسيد قطب عنده كفريات وما نكفِّره؛ لأن عندنا منهجنا أننا لا نكفِّر أحدًا وقع في الكفر إلا بعد إقامة الحجة عليه، ليس خوفًا من الناس، إنما هذا منهج، فهو عنده قول بالحلول، وقول بوحدة الوجود، وسبَّ أصحاب محمد ﷺ.

أنا أتعجب من أناس يعيشون في بلاد السنة ثم إلىٰ الآن ما فقهوا هذه الأشياء! هذه كارثة والله، واللهِ كارثة نزلت بالأمة يقدِّسون الأشخاص ويقدِّمونهم علىٰ دين الله؛ يعني سيد قطب أغلىٰ في نظرهم من كتاب الله ومن سنة الرسول ومنهج السلف الصالح، ما هذا الغلوّ؟!

هذا تقديسٌ للأشخاص وقد انتشر الآن في صفوف شباب ينتمون - مع الأسف! - إلىٰ المنهج السلفي، لا يستنكرون هذه الضلالات والفواقر، والشخصيات الضالة تُرفَع فوق الرؤوس، لا يتحملون نقدها!

اقرؤوا كتبنا، الذي عنده شبهة يقول: أنت قلت الكلمة الفلانية عن سيد

قطب هي خطأ، أما أن يقول: ليس ضالًّا، ليس مبتدعًا؛ هذا الكلام فارغ، السلف كفَّروا ببدع سيد قطب.

هو يقول بخلق القرآن، وينكر رؤية الله؛ كل واحد من هذه بمفردها كفّر بها السلف(١)، كيف إذا تجمعت وأضاف إليها أشياء ما حدثت إلا في القرون المتأخرة من اشتراكية وحرية أديان وبلايا كلها كفر كفر كفر، ومع هذا ما كفَّرناه وما سَلِمنا.

أقتلُ امرئ في غابة جريمـة لا تُغتَفَـر   وقتل شعب كامل قـضية فيهـا نظـر

هذه القضية ليس فيها نظر أبدًا، كيف يكون فيها نظر؟! احفظوها، أيُّ ظلم للإسلام مثل هذا يضـرب الإسلام من أجل شخص؟! إسلام بكامله يُضرَب من أجل شخص ويحاربونه حربًا، إنسان عنده ضلالات كل واحدة من هذه

(١) روىٰ الآجري في التصديق بالنظر برقم (٧): «عن الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرىٰ في الآخرة فغضب غضبًا شديدًا، ثم قال: من قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرىٰ من الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس، أليس الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] هذا دليل علىٰ أن المؤمنين يرون الله» وانظر: الأثر برقم (١٠)، والإبانة لابن بطة في الإبانة (٣: ٥٣، برقم ٤٧).

انظر في مسألة خلق القرآن: خلق أفعال العباد للبخاري ص (٢٩ – ٣٧)، والسنة لعبد الله بن أحمد ص (١٠٢ – ١٣١)، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/٢٤٨ – ٣٤٥) وغيرها من كتب السنة.

الخصال تجعل المسلم يخجل من تولِّي هذا الشخص، لو عنده إباء وعنده شرف الإسلام وعزة الإسلام والله يأنف أن ينتمي إلىٰ هذا الشخص وأن يدافع عنه.

لكن نسأل الله العافية من هذا الضياع، طيب هو سبَّ الصحابة نحن ما سببناه، سبَّ الأنبياء ما سببناه، الشافعي ناقش مالكًا، وأحمد ناقش الشافعي، والدارقطني ناقش البخاري ومسلمًا أئمة الإسلام جبال أهل سنة، هذا نناقشه في ضلالات بعلم وأدلة ونُحارَب! ومن يحاربنا؟ ناس يقولون: نحن سلفيون!

هل مرَّ بكم في التاريخ هذه النوعيات من المفسدين للمنهج السلفي؟ لا يوجد مثل هذا أبدًا.

أشرطته[1] لا تسمعوها؛ الرجل جاهل لا يميز بين الغث والسمين، لا صحيح ولا ضعيف، كيف تأخذون عنه العلم، بارك الله فيكم رجل عاميٌّ دراساته لا أدري في إيش، نحن أدركنا ناسًا في البوادي واللهِ يعرفون التاريخ والغزوات وبدرًا وحنينًا وما حصل فيهما، العاميُّ يفهم التاريخ.

ما نحتاج طارق السويدان يعلِّمنا ضلالاته، ثم هو يتسبب في الطعن في الصحابة يا إخوة، بارك الله فيكم، جرَّأ الروافض علىٰ الطعن في أصحاب الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ يعني فكره وأشرطته هذه لا تخدم إلا الرفض، ما تخدم السنة، ولا تبرز مكانة الصحابة، ولا تحفظ أعراضهم، بل تعرِّضهم إلىٰ

(١) طارق السويدان.

النقد والتطاول، بينما اتفق السلف علىٰ أنه لا يجوز أن تذكر مثالب الصحابة، ما يجوز. الذي يذكر هذا رافضي، يعني أهان أهل السنة هذا الرجل، أنا سمعت شريطًا واحدًا فقط واللهِ أهان فيه السنة وأهلها، وأكرم الروافض فيه.

يعني قال: الأخطاء موجودة عندنا وعند إخواننا، ولو جئنا نبحث في أخطائنا تحصَّل عندنا مثل ما عندهم. أو كلام مثل هذا. يعني أهل السنة في الضلال مثل الروافض يسبون الصحابة ويفعلون ما يفعلون الشرك وتأليه أهل البيت، ومثل هذا.

❁ ❁ ❁

السؤال التاسع: هذا سؤال فقهي يقول: هل يأخذ الذهب الأبيض أو ما يسمى بالذهب الأبيض نفس حكم الذهب المعروف عند الناس بالزكاة وغيره من الأحكام؟

❁ **الجواب**: الذهب الأبيض المعدن غير الذهب؟ أنا ما أعرفه هذا اللؤلؤ يسمونه الذهب الأبيض؟ البلاتين حديد ليس بحديد؟ ليس ذهبًا ولو كان أغلىٰ من الذهب، يعني صاحبه الذي يبيعه عنده عروض تجارة، ما عنده زكاة ذهب، عنده زكاة عروض، إذا جاء رأس الحول يقوّم بضاعته بما فيه هذا الذهب الأبيض الذي يسمىٰ البلاتين.

الذهب في كل عشرين مثقال نصف دينار.

الذهب الأبيض هو ليس ذهبًا، هو أغلىٰ من الذهب فعلًا؛ لكن ليس بذهب، ونحن عندنا نصوص في الذّهب والفضة.

لا يجوز للرجال التختم بالذهب وحرم التختم بالحديد فهذا منه، وعليكم

بالفضة؛ والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان قد تختم بخاتم من ذهب ثم رماه فرمىٰ أصحابه، ثم بعد ذلك لبس خاتمًا من فضة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتابعه الصحابة وأقرَّهم الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ ذلك(١)، وعليه علماء الإسلام، أما الحديد فقد حرَّمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقال: «**هَذَا حِلْيَةُ أَهْلِ النَّارِ**»(٢).

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يكتب الأجر لشيخنا وللجميع أيضًا، ونسأل الله - أن ينفعنا بما قال، وأن يرزقنا جميعًا العلم النافع والعمل الصالح، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرج البخاري: في كتاب اللباس، باب خَاتَمِ الْفِضَّةِ، برقم (٥٨٦٦)، ومسلم: في كتاب اللباس والزينة، باب لُبْسِ النَّبِيِّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ، برقم (٢٠٦١): عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. فَاتَّخَذَ النَّاسُ مِثْلَهُ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَدِ اتَّخَذُوهَا رَمَىٰ بِهِ، وَقَالَ: «لاَ أَلْبَسُهُ أَبَدًا». ثُمَّ اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ الْفِضَّةِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَلَبِسَ الْخَاتَمَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ، حَتَّىٰ وَقَعَ مِنْ عُثْمَانَ فِي بِئْرِ أَرِيسَ.

(٢) أورد الإمام أحمد في مسنده حديثًا برقم (٦٥١٨) أن النبي ﷺ رأىٰ علىٰ بعض أصحابه خاتمًا من ذهب فأعرض عنه فألقاه، واتخذ خاتمًا من حديد، فقال: «**هذا شر، هذا حلية أهل النار**»، فألقاه، فاتخذ خاتمًا من ورق فسكت عنه. قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وسطية الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه

أما بعد: فإننا معشر السلفيين ندين الله بالتوسط والاعتدال في الأمور كلِّها في العقائد والعبادات والأخلاق والمناهج وقد حاربنا الغلو ولا نزال نحاربه بكل أشكاله في العقائد والعبادات والأشخاص، فمن الظلم والإفك أن نرمىٰ به من أناس لا ناقة لهم ولا جمل في حربه.

ونحارب الجفاء والتمييع بكل أشكاله في العقائد والعبادات والأخلاق والأشخاص والجماعات ولا نزال نحاربه. فمن الظلم والإفك أن نرمىٰ به أيضًا.

نقوم بكل ذلك - أي التوسط والاعتدال ومحاربة ما يناقضه - انطلاقا من كتاب الله تعالىٰ ومن سنَّة رسول الله ﷺ ومن منهج السَّلف الصالح إلىٰ ذلك ندعو دائمًا وعلىٰ ذلك نربِّي.

ومن نسب إلينا غير هذا المنهج فقد كذب وافترىٰ علينا إفكًا عظيمًا.

والميزانُ للتوسط أو الغلو والجفاء والتمييع: كتابُ الله تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، لا أهل الأهواء ولا مناهجهم الفاسدة المرتبطة بالمصالح الدنيوية.

وإننا ابتلينا في هذه الأيام بمن يرمي السلفيين الصادقين بالغلو والتشدد في الجرح والتعديل وغيرهما ويحاربهم أشد الحرب ويسالم أهل البدع والأهواء ويكيل لهم المدح والثناء. وهو يجمع بين التمييع تجاه أهل البدع وبين الغلو المُهلك في حرب أهل السنَّة والحقِّ.

ونقول لهؤلاء: «حنانيكم» فأنتم ممن لا يعرف منهج السلف ولم تقر به عينه، ويحرص علىٰ حطام الدنيا وإرضاء أهلها ولا يبالي برضا الله وسخطه (!) ولا يبالي بمخالفة السلف وفهمهم (!).

وإنَّما رضاه وسخطه لما يهواه ولمن يهواه من أهل المال والدنيا (!)

وهذا شيء معروف ملموس مهما تستروا ومهما غالطوا ولمَّعوا أنفسهم بالعبارات الطنَّانة المُجَنِّحَة.

هذا وأوصي السلفيين الصادقين بالثبات علىٰ الحقِّ والصبر علىٰ أذىٰ أهل الأهواء. وأوصيهم بالدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتفصيل مواطن الغلو والتوسط في هذا الكتيب الذي مهدتُ له بهذه المقدمة المُوجزة.

أسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين

وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

حررت هذه المقدمة بمكة المكرمة

في ٢٣ محرَّم لعام ١٤٣٠

من هجرة المصطفى ﷺ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أمّا بعد: فمرحبًا بكم أيّها الإخوة والأبناء الكرام المنتمون إلىٰ المنهج السلفيّ والذي أرجو أن نكون جميعًا صادقين فيه ومخلصين لله فيه، والعنوان هو: (وسطيّة الإسلام)

من ميزات الإسلام

من ميزات الإسلام التي لا تُعَدُّ ولا تحصىٰ التوسط والاعتدال في كل شأن من الشؤون ومن مزاياه الرحمة والحكمة والصبر وسائر الأخلاق الكريمة التي بُعث محمد ﷺ لإكمالها وهي موجودة في الرسالات جميعًا، قال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»(١).

الإسلام فيه اعتدال وفيه توسط، في عقائده ومناهجه وشرائعه وأحكامه وما رسمه من أخلاق، وقد وعاه صحابة محمد ﷺ الذين حظوا بتلك التزكية وتلك التربية العظيمة التي امتنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها علىٰ هذه الأمّة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

يدخل في هذه التزكية وفي حفظ الكتاب وفي هذه الحكمة التوسط والاعتدال ويتضمن ذلك نبذ الغلوّ ونبذ الجفاء، فالتوسط هو بين طرفين، طرف الغلو والإفراط وطرف التفريط والجفاء، وما من قضية يتأمّلها المسلم في عقائد الإسلام أو من قضايا العقائد والعبادات والأحكام إلاّ ويرىٰ العدل فيها والتوسط فيها، بعيدة عن الإفراط والتفريط، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول في الإشادة

(١) البيهقي في السنن (١٠/ ١٩١) ومسند الشهاب (٢/ ١٩٢).

بهذه الأمة ومنزلتها عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] هكذا زكّىٰ الله هذه الأمة واختارها وشهد لها بأنّها الوسط، والوسط الخيار والوسط الاعتدال وجعلها شاهدة علىٰ الأمم كلها، مقبولة الشهادة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا والآخرة وهذه لمن التزم بتعاليم الإسلام والتزم بهذه الوسطية، وتجد في المنحرفين عن هذه الوسطية من الغلو والجفاء في نفس الوقت ما يخالف هذه الميزة التي امتازت بها هذه الشريعة المحمدية وامتازت بها الأمة التي التزمت هذه الشريعة.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الآية [الحج: ٧٨].

فالله اجتبىٰ هذه الأمة واختارها ونفىٰ عن دينها الحرج وهو الضيق والشدة التي تنشأ عن الغلو، فنفىٰ هذه الصفة الدنيئة، نفىٰ الحرج والضيق والشدة وربط هذه الأمة بأبيها إبراهيم إمام الحنفاء ﷺ وأبي الأنبياء - منّة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - ومقتضىٰ هذا الاختيار وهذا الاجتباء أن نقوم بشرائع الله عَزَّوَجَلَّ ذات الاعتدال والسعة والسماحة والرحمة.

من مقتضيات هذه الشريعة التي أثنىٰ الله عليها ونفىٰ الحرج فيها أن نقوم

بها ومن أهمها الصلاة والزكاة والاعتصام بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والرضىٰ به ربًا نتوكل عليه ونستنصر به فينصرنا ويحفظنا ويرعانا ولا يضيعنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا نحن التزمنا هذا المنهج العظيم وما حواه من عقائد وشرائع.

كان الرسول ﷺ يربِّي أمّته علىٰ هذا الاعتدال ويبعدهم عن الشدة والشطط في كل شأن من الشؤون وخاصة في العبادات بل في المعاملات وغيرها.

❊ ❊ ❊

نبذة عن التوسُّط

عن أَنَس بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبي ﷺ يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبي ﷺ فلما أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: «وَأَيْنَ نَحْنُ من النبي ﷺ قد غَفَرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ؟!» قال أَحَدُهُمْ: «أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا» وقال آخَرُ: «أنا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ» وقال آخَرُ: «أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا» فَجَاءَ رسول اللهِ ﷺ فقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا والله إني لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ له لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

فاعتبر ﷺ الشدة خلاف سنته واعتبر عدم الاعتدال والتشدد رغبة عن سنته وتبرأ ممن يرغب عن سنته، فلينتبه الغلاة إلىٰ مثل هذه البراءة.

أما صحابة رسول الله ﷺ الذين علّمهم وأعطاهم هذا الدرس العظيم فقد استفادوا، وأمّا أهل الأهواء وأهل البدع فقد لا تنفعهم مثل هذه الدروس نسأل الله العافية.

وبلغ رسول الله ﷺ أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لأقومنّ الليل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) والنسائي (٣٢١٧) وأحمد (١٤٤١).

ولأصومنّ النّهار، قال: «أنت تقول هذا؟» قال نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فقال ﷺ: «صم من كل شهر ثلاثة أيام، قال إنّي أطيق أكثر من ذلك قال: صم يومًا وأفطر يومين، قال إنّي أطيق أكثر من ذلك قال: صم يومًا وأفطر يومًا وهذا أعدل الصيام»(١).

قال: أعدل وهذا في رواية يعني وسط وأفضل وهو صيام داود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأنّه ليس فيه شدّة وكما علّمه رسول الله ﷺ وعلّم غيره فقال: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»(٢)، فالذين يتشدّدون في الأمور لا يُوَفُّون هذه المطالب حقّها، يضيّعون كثيرًا من الحقوق علىٰ أبنائهم وأُسَرِهم وعلىٰ أمّتهم بل قد يضيّعون كثيرا من حقوق الله عَزَّوَجَلَّ، فربّىٰ النبيّ ﷺ أمّته علىٰ الاعتدال والتوسط في كلّ شأن ومن أهمّها العبادات.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٦) ومسلم (١١٥٩) والنسائي (٢٣٩٠) وأبو داود (١٣٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٣) وأبو داود (١٣٦٩) وأحمد (٥٧٧٦).

الغلو في الأشخاص
وهو قديم وجديد في الأمم

هذه نبذة عن التوسط، ونلفت النظر إلىٰ أنّ الغلوّ قديم في الأمم وقد يمتدّ إلىٰ يوم القيامة فأوّل غلوّ حصل في قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غلوا في قوم صالحين فقادهم الشيطان بهذه النزعة، نزعة الغلوّ إلىٰ أن ينصبوا لهم أنصابا أوثانًا فنصبوا لهم أنصابا، ولمّا هلك ذلك الجيل جاء جيل بعدهم أو أجيال فعبدوا هذه الأصنام، فجاء نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعوهم إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإلىٰ عبادته وحده، ويجتهد في صرفهم عن هذا الغلوّ وهذه العبادة الوثنية التي جرّهم إليها الغلوّ، دعاهم ألف سنة إلّا خمسين عامًا فأبوا واستكبروا وعاندوا، ويدخل ضمن غلوّهم، الغلوّ فيما كان عليه آباؤهم قالوا: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤] وهم يقدّسون آباءهم وما ورثوه عن آبائهم، الغلوّ في التراث من أمجاد يزعمونها خلّفها لهم آباؤهم، ولو كانت في حضيض الأخلاق والعقائد يعتبرونها أمجادًا ويعتزّون بها ويكذّبون الرّسل ويقذفونهم بالتّهم، ما الّذي حملهم علىٰ هذا العناد الذي امتدّ إلىٰ قرابة ألف سنة ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] ما ذلك إلا لغلوّهم في تلك الأوثان والغلوّ فيما وجدوا عليه آباءهم من وثنيّة ومن ضلالات أخرىٰ.

وهكذا قوم هود وقوم صالح وسائر الأمم التي ضلّت وانحرفت بعث الله إليها الرسل لتحارب انحرافاتها وغلوّها في أوثانها وشخصياتها وغلوّها في تقاليد وعادات آبائها ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

غلوّ واعتزاز أهوج بما وجدوه من تراث عفن من تراث آبائهم من وثنية مهلكة وأخلاق مُرْدِيَة يواجهون بها الرسل ويتشبثون بها ويقولون وجدنا آباءنا علىٰ كذا وكذا وإنّا علىٰ آثارهم مقتدون وإنّا علىٰ آثارهم مهتدون ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

فالتشبث بالعقائد الفاسدة والأخلاق الرّذيلة عادات قديمة تداولتها الأمم الهالكة وواجهت بها الرّسل - عليهم الصلاة والسلام - فأهلكهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهذا الغلوّ وهذا الانحراف الناشئ عن الغلوّ في الأشخاص وفي العادات وفي العقائد وفيما وجدوا عليه آباءهم، أهلكهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجعلهم عبرة للمعتبرين ولكن الغلاة لا يعتبرون في كلّ زمان ومكان مهما رأوا وسمعوا، مهما شاهدوا بأعينهم العقوبات التي تحيق بأولئك الغلاة، مثل الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح ومثل الرّيح التي دمّرت قوم هود ومثل الصّيحة التي أهلكت قوم صالح، وسائر أنواع المَثُلاَت التي حاقت بالأمم.

فترىٰ الغلاة الغارقين في هذا الغلوّ لا يستيقظون ولا ينتبهون ولا يعتبرون

- والعياذ بالله - والذي يستعرض القرآن يجد ما لقي الرّسل فيه من أقوامهم الغلاة في الباطل والمتشبثين بالموروثات الفاسدة، وهكذا يجد في النّصارىٰ، في اليهود، في المجوس في الهندوك، وفي غيرهم غلوّا شنيعًا في أقذر الأشياء وأوسخها وأحطّها فتأريخ الوثنيات قذر وسخ، حتّىٰ تجد في حياة الهنود وعقائدهم عبادة القرود والخنازير والحيّات والفروج! وثنيّة منحطّة إلىٰ أبعد الحدود، يتعصّبون لها ويحاربون من أجلها الإسلام، فيسفكون الدماء وينتهكون الأعراض ويدمّرون الأُسَر والبيوت والأموال من أجل هذه الوثنيّة المنحطّة، ما الذي دفعهم إليها؟ دفعهم إليها الغلوّ الأهوج - والعياذ بالله - وقل مثل ذلك في اليهـود والنّصارىٰ.

❀ ❀ ❀

صور من الغلو

علىٰ كل حالٍ هذه لمحة عن الغلّو في الماضي وفي الأمم التي تحيط بهذه الأمّة، اليهود غلوا في عزير وقالوا إنّه ابن الله وأصيبوا بداء الجفاء فقتلوا الأنبياء وقتلوا الذين يأمرون النَّاس بالقسط وهذا من الجفاء وكذّبوا عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكذّبوا محمدًا ﷺ وما جاء به، وهم يعرفون أنّه رسول الله حقّا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك دعاهم الجفاء والغلوّ في آن واحد إلىٰ تكذيب الرسول ومحاربته وجحود الحقّ الذي يعلمونه قال تعالىٰ عنهم: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

والنصارىٰ كذلك غلوا في عيسىٰ وعبدوه وقالوا إنّه ابن الله وثالث ثلاثة وقالوا فيه هو الله، وبيّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنّ عيسىٰ عبد من عباد الله وأنّه رسول وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام، بيّنه الإسلام غاية البيان، والعقول تدرك هذا وتدرك ما وقع فيه النصارىٰ من السّخف والضلال، ولهذا سمّاهم الله تبارك تعالىٰ الضّالين، وعلّمنا الاستعاذة من هذه الصفة، صفة الضلال في كلّ صلاة نصليها ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] المغضوب عليهم هم اليهود لأنّهم يعلمون الحقّ ويجحدونه ويعاندون فيه و(الضّالين) النّصارىٰ.

والدّافع لهذا الضلال هو الغلوّ الموجب لغضب الله تعالىٰ ولعناته هو الغلوّ والجفاء فالغلوّ والجفاء من الصفات الذميمة، والاعتدال هو الصفة المحمودة عند الله عَزَّوَجَلَّ وهو من صفات هذه الشّريعة التي جاء بها محمد ﷺ.

❋ ❋ ❋

وقوع الغلو في هذه الأمَّة

ولقد حصل هذا الغلوّ في هذه الأمّة رغم أنّ القرآن حذّر من ذلك والسنّة حذّر فيها رسول الله ﷺ من الغلوّ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وهذا نداء لأهل الكتاب وهو يتناول المسلمين، فإذا كان ينهىٰ أهل الكتاب عن الغلوّ فهذه الأمّة من باب أولىٰ ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ لأنّ الغلوّ ضدّ الحقّ والمؤمن المعتدل يقول الحقّ فلا يغلو ولا يجفو.

❁ ❁ ❁

تحذير رسول الله ﷺ من الغلو

وقال ﷺ: «... وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(١) فحذّر الرّسول ﷺ من الغلو أشدّ التّحذير، حتّىٰ إنّه في حَجَّة الوداع في رجوعه من عرفات إلىٰ مزدلفة طلب من الفضل أن يناوله حصيات ليرمي بها الجمرة، قال: فالْتَقَطْتُ له الحصيات فرفع واحدة منها وقال: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ» حتّىٰ الحصاة هذه لابدّ أن تعتدل فيها وتتبع فيها محمدًا ﷺ فلا تتقدّم بين يديه في شيء فتزيد أو تنقص، النقص جفاء والزيادة غلوّ.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه النسائي (٣٠٥٧) وابن ماجه (٣٠٢٩) وأحمد (١٨٥٤).

الاعتدال ودين الله الحق

القرآن يربّي علىٰ الاعتدال، والسنةُ كذلك وسيرة الرسول ﷺ تربّي علىٰ ذلك وكذا سيرة السلف الصالح، ولكنّه دبّ إلىٰ الفِرَق الضّالة داء الأمم الهالكة ووقع في مراتع الغلوّ، أناس مفرّطون وأناس مُفْرِطون.

والمنهج السّلفي من بين المناهج الموجودة هو المنهج الوسط المعتدل لمن فقهه حقّ الفقه، لا للأدعياء فمن فقه هذا المنهج من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ومن سيرته ومن سيرة السّلف الصالح يعرف أنّ المنهج السلفي هو دين الله الحقّ القائم علىٰ الاعتدال والقائم علىٰ الصراط المستقيم والقائد إلىٰ الحقّ في عقيدته ومنهجه وتربيته ودعوته، بينما تجد في المناهج الأخرىٰ التّأرجح بين الإفراط والتّفريط، المنهج السّلفي وسط في هذه الفِرَق كوسطية الإسلام بين الأديان والملل السّابقة.

فأهل السنّة والجماعة في عقيدتهم وسط في عدد من المناهج، فهم وسط بين الجهميّة المعطلة والمشبهة المنحرفة، المعطلة غلوا في التّنزيه فأدّاهم هذا الغلوّ إلىٰ تعطيل صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والمشبّهة غلوا في الإثبات فأدّاهم هذا الغلو إلىٰ أن يشبهوا الله تعالىٰ بخلقه في أسمائه وصفاته فتعالىٰ الله عمّا يقول الظّالمون علوًّا كبيرًا.

توسُّط أهل السنَّة في الصفات

وتَوَسَّطَ أهلُ السنة والجماعة في هذا الباب بين المعطلة والمشبهة فأثبتوا صفات الله تعالىٰ صفات جلاله ونعوت كماله، أثبتوها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل توسّطوا بين الطّائفتين المنحرفتين، إثبات بلا تعطيل، ننـزه الله تعالىٰ عن المشابهة وننزهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن التّعطيل فلا نشابه المعطلة فنغلو في التنزيه حتّىٰ يُخرِج هذا الغلوّ من وقع فيه إلىٰ التّعطيل، ولا نشارك المشبهة في الغلوّ في الإثبات حتّىٰ لا يخرجنا ذلك إلىٰ التّشبيه.

وهم وسط في باب الأفعال بين الجبرية والقدريّة، الجبريّة ترىٰ أنّ العباد مسلوبو الإرادة والقدرة وحركاتهم اضطراريّة كحركة أوراق الشجر تحركها الرّياح، وكحركة الجمادات المسخّرة لا اختيار لهم ولا قدرة ولا إرادة – والعياذ بالله –.

والقدريّة يرون أنّ العبد مستقلّ بمشيئته وإرادته يفعل ما يشاء ولا ارتباط بين إرادته وفعله ومشيئته وبين مشيئة الله وإرادته وتقديره للأشياء، وهدىٰ الله أهل السنّة فتوسّطوا بين هاتين الطّائفتين، أثبتوا للعبد أفعالا وقدرة وإرادة واختيارا لكنّها تابعة لمشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالعبد عنده عقل وكلّفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

لوجود هذا العقل ومنحه القدرة والاختيار، وأعطاه التّمييز بين الحقّ والضلال والحقّ والباطل وأعطاه قدرة واختيارًا وإرادة وكلّ ذلك مربوط بمشيئة الله تعالىٰ، والعبد فعّال، هو المصلّي، هو المزكّي، هو الصّائم، وهو الزّاني، وهو السّارق، وهو... الخ.

هذه أفعاله فعلها باختياره وإرادته وقدرته ومع ذلك هي مربوطة بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ فالله خالق للعبد وأفعاله والعبد فاعل فعلًا حقيقيًّا يُنسَب إليه، أتاه بقدرته وإرادته واختياره وليس مجبورا علىٰ ذلك كما تقول الجبريّة.

وهم وسط في باب الوعد والوعيد بين المرجئة وبين الخوارج والمعتزلة، فالخوارج والمعتزلة يتعلقون بنصوص الوعيد، والمرجئة يتعلّقون بنصوص الوعد، وأهل السنّة وسط بين الطّائفتين، يؤمنون بنصوص الوعيد وأنّها تلحق بمشيئة الله العصاة، فالزّاني والسّارق والقاتل معرّض للوعيد إلَّا أن يرحمه، وعند المرجئة تعلّقٌ بنصوص الوعد وإهمال لنصوص الوعيد فأهل الذنوب عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، لا تُنقِص المعاصي من إيمانهم شيئًا وغلاتهم يرون أنّه لا يضرّ مع الإيمان ذنب، فإذا لقي الله موحِّدًا غير مشرك فلا عقوبة عليه ولا تنطبق عليه نصوص الوعيد وهو مؤمن كامل الإيمان ولو كان من أفجر النّاس وأفسقهم إيمانه مثل إيمان جبريل ومحمد - عليهما الصلاة والسلام -، اشتطّوا وغلوا في التّعلق بنصوص الوعد واشتطّ الخوارج في التعلق بنصوص الوعيد، فكفّروا العصاة وحكموا عليهم بالخلود في النّار، وغلاة المرجئة قالوا بنجاة

الموحدّين ولا عقاب عليه ولا عذاب وهم مؤمنون كاملو الإيمان.

وأهل السنَّة توسّطوا فقالوا: إنّ الذنوب لا تخرج بأصحابها من الإيمان إلىٰ الكفر كما يقول الخوارج وكما يقول المعتزلة يخرج من دائرة الإيمان إلىٰ منزلة بين المنزلتين ثمّ يلتقي الخوارج والمعتزلة في الحكم علىٰ المصرّون علىٰ الكبائر، الذين ماتوا مصرّين علىٰ الكبائر أنّهم خالدون مخلَّدون في النّار.

وقال أهل السنّة: إنّ هؤلاء الذين ماتوا وهم مصرين علىٰ المعاصي هم فسّاق وناقصو الإيمان، نقول مؤمن ناقص الإيمان ونقول مؤمن فاسق، ولا نقول كافر ونقول إنّه معرّض للعقوبة إن لم تتداركه رحمة الله عَزَّوَجَلَّ لأنّ من مات وهو غير مشرك فهو تحت مشيئة الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦].

إلىٰ نصوص أخرىٰ وأحاديث تبيّن أنّ العصاة يخرجون من النّار، يعذَّبون، يعذِّب الله من شاء منهم ثمّ يخرجهم الله بشفاعة الشفعاء، شفاعة محمد ﷺ وشفاعة غيره من الأنبياء والمرسلين وشفاعة الملائكة وشفاعة المؤمنين، ثمّ يبقىٰ منهم من يخرجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بفضل رحمته عَزَّوَجَلَّ.

❊ ❊ ❊

غلو الخوارج

من الغلوّ الذي ابْتُلِيَ به المسلمون غلوّ الخوارج، الذي بدأ من عهد رسول الله ﷺ بدأبه ذو الخويصرة الذي انطلق - والله أعلم - من فكرة المساواة التي يدندن بها الديمقراطيّون، الرسول ﷺ في غزوة حنين قسّم الغنائم وفضّل بعض الزعماء لمصلحة عظيمة، فضّلهم في العطاء، أعطىٰ لهذا مائة من الإبل وأعطىٰ لهذا مائة من الإبل و... و.... ولم يعط الآخرين مثلهم لمصلحة الإسلام، لأنّه لمّا يعطي هذا الزعيم يطمئن إلىٰ الإسلام فيؤمن ويستقر علىٰ الإسلام فتتبعه عشيرته وقبيلته، الرّسول بعيد النّظر، وهو أعدل النّاس عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

قسّم هذه القسمة وفضّل فيها فقال ذو الخويصرة: والله هذه قسمة ما أريد بها وجه الله أو ما عُدل فيها، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «**وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَم أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**» واستأذنه عمر في قتله، فقال: عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ**»[(1)].

غلوّهم في الدّين وغلوّهم في طلب المساواة أوقعهم في هذا الهلاك الذي

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠) وأحمد (١١١٤٣).

أهلكوا به أنفسهم وأهلكوا به الأمّة وخرج من ضئضئه قوم كما وصفهم رسول الله ﷺ أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، وقاتلوا عليّا والصحابة، لا حكم إلاّ لله، غلوا في الحاكمية وجهلوا معنىٰ الحاكمية وخرجوا علىٰ عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأرسل عبد الله بن عباس يناظرهم فناظرهم، فرجع منهم الكثير والباقون ثبتوا علىٰ غلوّهم في الدّين وفي الحاكمية التي جهلوها فسفكوا الدّماء فاضطرّ عليّ إلىٰ قتالهم فاستأصل شأفتهم وبقي منهم من بقي وتوارثوا هذا الغلو إلىٰ يومنا هذا، غلوٌّ في السياسة، غلوٌّ في الحاكمية وإهمالٌ للعقيدة وإهمال للمنهج وإهمال لجوانب عظيمة، فانتبهوا لهذا.

❊ ❊ ❊

من آثار الغلاة

ومن آثار وبقايا هؤلاء الغلاة ما يعيشه المسلمون الآن من خراب ودمار في مشارق الأرض ومغاربها، ومنابع هذا الغلوّ في التّكفير والتدمير والتّفجير، من أهمّ منابعه التي يغالط أتباعه فيها هذه الأمّة ويبحثون عن أسباب بعيدة كلّ البعد عن منابع الفساد الحقيقية وهي التراث القطبي الذي ورّثه سيِّد قطب في كتابه «الظلال» المشحون بالتّكفير تكفير الأمّة، والمشحون بضلالات خطيرة جدًّا كالحلول ووحدة الوجود وتعطيل الصفات وما شاكل ذلك، وفي كتابه «المعالم» المشحون بالتّكفير وشحن الشباب، هذا الغلوّ أهلك الأمّة في الجزائر وفي أفغانستان وفي البلاد العربيّة والإسلاميّة وتعاني الأمّة الآن منهم من الهلاك ما لا يعلمه إلاّ الله عَزَّوَجَلَّ، فعلىٰ الأمّة أن تعرف هذه المنابع لهذا الدّاء العضال، ألا وهي كتب سيّد قطب والكتب التي تفرّعت عنها مثل كتب صلاح الصّاوي وكتب أبي بصير وحركات أبي حمزة وأسامة بن لادن وأمثالهم، هؤلاء المخربون الخوارج إنّما تربّوا علىٰ كتب سيّد قطب ولا تنسوا أيمن الظواهري وجماعة الجهاد والتكفير، هؤلاء أوقعهم في هذا البلاء كتب سيّد قطب المشحونة بالغلوّ في التّكفير، فهو يكفِّر حتىٰ بالجزئية، لو أطاع إنسان غيره في جزئية فقد ارتّد عن الإسلام، وهذا والله أشدّ من تكفير الخوارج الأوّلين، ويتربون علىٰ هذه الكتب

وصاحبها إمام مقدّس ولو طعن في الأنبياء ولو طعن في الصحابة الكرام ولو دمّر أصول الإسلام وعقائده، حلول ووحدة وجود، تعطيل الصفات، هذه لا تضر ولا تنال من قداسة هذا الرجل شيئًا ولا تحطّ من كرامة هذه الكتب مع الأسف الشديد، ما الذي جعل كثيرًا من النّاس ينزلون سيّد قطب هذه المنزلة وهو في حضيض الضلال وينزلون كتبه هذه المنزلة وهي من كتب الضلال والدمار، ما الذي جعل كثيرًا من شباب الأمّة يقعون في هذه المهالك ويوقعون فيها الأمّة؟ ما منشأ ذلك إلاّ الغلوّ المناهض لمنهج محمد ﷺ وشريعته، المناهض لعقائد القرآن وأحكامه وعقائد السنّة وأحكامها وعقائد الصحابة والسلف الصالح، ومع الأسف الشديد هذا الصنف من النّاس يرىٰ نفسه أنّه هو المسلم ولهذا ترىٰ في مواقعهم أنا المسلم وتسمع من كلماتهم: إلىٰ الجحيم خالدًا فيها مخلدًا يابن عثيمين، وترىٰ فيها التّكفير وترىٰ فيها الطعن للمعتدلين الثابتين علىٰ منهج الإسلام، منهج الرّسول ﷺ ومنهج القرآن الكريم، فعلىٰ شباب الأمّة في مشارق الأرض ومغاربها أن يتّجه إلىٰ كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ اللّذين تربّىٰ عليهما خير أمّة أخرجت للنّاس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وأسعدَ الله بهم أمما فأنقذ الله بهم وبما جاءوا به أمما من الضلال والكفر والشّرك وأنقذ الله بهذه الرّسالة أممًا وشعوبًا من النّار، وقد كانوا علىٰ شفا حفرة من النّار فأنقذهم منها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما جاء به محمد ﷺ وبما نشره صحابته الكرام من تعاليم وعقائد وأخلاق منبثقة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فتبوءوا

القمم العالية من العزّة والكرامة، لأنّهم أمّة وسط ولأنّهم خير أمّة أخرجت للنّاس، وترىٰ ما يلحق النّاس من الغلوّ إلاّ الهلاك والدّمار فهذه النّوعيات الغالية لا يزيدون الأمّة إلّا هلاكا ودمارًا وخزيًا وعارًا.

❋ ❋ ❋

الإخوان المسلمون إلى أين؟

منذ نشأ الإخوان المسلمون وهم يقولون جهاد، جهاد، الدولة الإسلامية، الخلافة الإسلامية، والمسلمون في انحطاط علىٰ أيديهم وفي تقهقر إلىٰ الوراء والوراء علىٰ أيديهم، مع الأسف الشّديد وهم يزعمون أنّهم دعاة الإسلام والمجاهدون باسم الإسلام ومع الأسف الشّديد لا يزيدون الأمّة إلاّ هلاكًا، ويقدِّمون شباب الأمّة هدايا علىٰ أطباق من الذهب - كما يقال - للأمريكان وللرّوس يذبحونهم كما يذبحون الفراريج والدّجاج، يقدّمونهم هكذا لا عدّة من عقيدة ولا عدّة من مادّة وسلاح.

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شرع الجهاد في هذه الأمّة إذا كانت أمّة حقًّا مؤهلة للجهاد بعقيدتها وبرجالها وبأخلاقها وبعدّتها المادية والعسكرية فهؤلاء لا عقيدة صحيحة ولا منهج صحيح ولا عدّة مادية! ويقولون: «الجهاد، الجهاد» أهلكوا الأمّة وهم والله يتمتّعون ويتلذذون بالمناصب وبالأموال والمآكل والمشارب ويذهب ضحيّة هذه الشعارات الفاسدة وهذا الصراخ المفتعل، يذهب ضحايا كثيرة من أبناء المسلمين بهذه الشعارات والنّداءات الفارغة، فعلىٰ الأمّة أن ترجع إلىٰ كتاب ربّها وسنّة نبيّها لتكون أمّة وسطًا كما أخبر الله وكما وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولتكون خير أمّة أخرجت للنّاس وبهذه العودة وباستعادة هذه المكانة

عند الله عَزَّوَجَلَّ تعود العزّة والكرامة للأمّة ووالله لن تنفع هذه الشعارات هذه الأمّة أبدا بل ما تزيدها إلاّ انحطاطًا ودمارًا وذلًا وهوانًا.

ألا فليدرك المسلمون مصدر عزّهم ومصدر هلاكهم فيجتنبوا مصادر الهلاك ومنها هذا الغلوّ وكثير من هذا الغلوّ مفتعل والله أعلم ومصطنع، وتعرف مصدر عزّها فتهرع إليه وتعظّ عليه بالنّواجذ وتربّي أنفسها وأجيالها عليه ليحقق الله لهم ما حقّقه لأسلافهم الكرام.

أسأل الله أن يهيئ لهذه الأمّة دعاة صادقين مخلصين يعودون بهم إلىٰ مصدر عزّتهم وكرامتهم وسعادتهم، كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ الذي فيه كلّ الكمال ومنه التّوسط والاعتدال. أسأل الله أن يحقق ذلك.

و صلّىٰ الله علىٰ نبيّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❊ ❊ ❊

واقع المسلمين وسبيل النهوض


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فإنّ أحوال المسلمين تقلق النّفس وتقطّع النفوس حسرات؛ ذلك أنّ الأمراض قد فتكت بهم؛ العقديّة والمنهجية والسياسية، وقل ما شئت من الأمراض، والعلاج بين أيديهم، لكنهم لا يريدون هذا العلاج إلّا من شاء الله، ويذهبون يبحثون عن العلاجات من هنا وهناك. والعلاج الصحيح الذي قدّمه

لهم ربّ العالمين قلّ من يلتفت إليه مع الأسف الشديد، فاللهُ وصف هذا القرآن بأنّ فيه شفاءً؛ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] هو شفاء لهذه الأمراض - إي والله -.

واللهِ لا علاج لهم ولا مخرج لهم ممّا هم فيه من ذلٍّ وهوانٍ وغثائية إلّا أن يرجعوا إلىٰ هذا الكتاب فيحكِّموه في عقائدهم وفي عباداتهم وفي مناهجهم وفي سياساتهم وفي كلّ شأن من شؤونهم، لا علاج لهم إلّا هذا، ومع الأسف الأطباءُ الذين يقدّمون العلاج مساكين يحيدون عن هذا العلاج، ويذهبون إلىٰ العلاجات المسمومة الفتّاكة التي لا تزيدهم إلّا بلاءً وذلًّا وهوانًا.

الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تحدّث عن هذه الأوضاع المترديّة المنحطّة التي ستنزل بالأمّة، وفي نفس الوقت قدّم لهم العلاج عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقعوا في الأمراض والأدواء والغثائية - وقلّ من يريد العلاج - وإذا صاح بهم من يريد لهم الخروج ممّا هم فيه من ذلٍّ وهوانٍ وأمراض لا يسمعون له ولا يلتفتون إليه، بل يحاربونه مع الأسف الشديد.

الذي يقول كلمة الحقّ ويدعو إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنّة رسول الله وإلىٰ تخليص النّاس من هذه المشاكل والضلالات والبدع التي أوقعتهم في الذلّ والهوان والغثائية يُحَارب أشدّ الحرب، يُحَارب ممن يلبسون لباس الإصلاح وهم يقودون الأمّة إلىٰ الهلاك والدمار، وما نسمع استجابة لهذه الأصناف.

يا أمّة الإسلام أين التّوحيد الصحيح؟ أين العقائد الصحيحة؟ أين المنهج الصحيح؟ الأمور التي تجمع المسلمين، المسلمون جميعًا يجب أن يكونوا علىٰ عقيدة واحدة وعلىٰ منهج واحد، ولا يتوفر ذلك إلّا في كتاب الله وفي سنّة رسول الله ﷺ وفيما كان عليه سلفنا الصالح؛ الذين آمنوا بالله عَزَّوَجَلَّ وبكتابه ورسله وبكلّ قضايا الإيمان والإسلام وطبّقوها في حياتهم؛ عقائد وعبادات وأعمال وسلوك وجهاد وإلىٰ آخر شؤون الحياة «لا يَصلُح آخر هذه الأمّة إلّا بما صلح به أولها»[1] مهما نشدت الإصلاح الإصلاح من هنا وهناك؛ الإصلاح الآن ديمقراطية، الآن العلاج عندهم الديمقراطية؛ الإصلاح والإصلاحيّون، والإصلاح والإصلاحيّون، ويجتمع الرّوافض والباطنيّة والعلمانيّون والكتابيون وإلىٰ آخره علىٰ هذا الإصلاح، يجتمعون علىٰ هذا!

ومتفقون عليه وما يريدون غيره أبدًا، لا يريدون غير هذا الذي يدعون إليه، هذا هو الإصلاح الذي يأتي من أوربا ومن أمريكا يأتي من بوش ومن شارون، هذا هو الإصلاح وهذا هو العلاج!! والصحف والمجلات والمواقع وإلىٰ آخره لا تجد إلّا النـزر القليل الذي يصدع بكلمة الحقّ ويدعو إلىٰ العلاج الشافي، يقول رسول الله ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعىٰ عليكم كما تداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم**

(١) تروىٰ هذه المقولة عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قوله؛ انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ٨٧ - ٨٨) واقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٧٦٣ - العقل).

غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[1]؛ نُزِعت المهابة من صدور الأعداء، وقُذِف الوهن في قلوب المسلمين إلىٰ أن وصلوا إلىٰ حضيض الغثائية، وما يريدون أن يخرجوا من هذا، ومع الأسف كثيرٌ من علمائهم وأطبائهم يريدون الإصلاح، الإصلاح، حوار الأديان، أخوّة الأديان، تقديس الأديان، قداسة الأديان وإلىٰ آخره، يُهانُ الرسولُ ﷺ ونحن نقول: هاتوا لنا العلاج! هاتوا لنا الحماية! يا هيئة الأمم احمينا! خلّي ديننا ورسولنا مع الأديان الفاسدة، خلّوه في ذيل هذه الأديان!! مع الأسف الشديد، المسلمون الآن يُذَبَّحون في العراق ولا صوت يرتفع، أهل السنّة يُذَبَّحون في العراق وما تسمع كلامًا أبدًا - بارك الله فيكم - وحُرِّقت المساجد وهُدِّمت علىٰ أيدي الباطنية والروافض - بارك الله فيكم - ودِيست المصاحف - بارك الله فيكم - ولا كلام، كيف؟ لأنّه غثاء، غثاءٌ واللهِ.

لابد أن نعتصم بحبل الله، لابدّ أن نتّبع كتاب الله، لابدّ أن نطيع أوامر الله، ولابدّ أن نستجيب لدعوة الله، لابدّ أن نكون مسلمين ظاهرًا وباطنًا، نطبِّق هذا الدّين الحقّ من ألفه إلىٰ يائه، أصحاب الرسول ﷺ كانوا في ذلّةٍ وقلّة، لكن بإخلاصهم وصدقهم وتمسكهم بكتاب ربِّهم وسنّة نبيِّهم نصرهم الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٨(٢٢٧٦٠) وأبو داود برقم (٤٢٩٧)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٦٤٧ - ٦٤٨) برقم (٩٥٨).

علىٰ أقوىٰ الدول وأعتاها في ذلك الوقت، كانوا أقلّ الناس عددًا وأقلّهم عدّة وإلىٰ آخره.. جمعهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أنا كنت في المدينة في المسجد النّبوي وأذكر قول النبي ﷺ: «**إنّ المدينة قرية تأكل القرىٰ**»[1]، تأكل القرىٰ، كيف؟ المدينة قرية فتحت الدنيا كلّها، وكان أهلها في مسجد لا يساوي جزءًا من خمسين جزء من هذا المسجد الموجود الآن، انظر المسجد النبوي الآن مليء من الساحات، ومليء من الأمم وهم غثاء، وفي ذلك الوقت مسجد الرسول وقرية الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ مسجد الرسول صغير لا يأتي ولا جزءًا من خمسين جزءًا من مسجد اليوم، فتح الله بهم الدنيا بصدق الإيمان والإخلاص والتّوكل علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ما فتحوا الدنيا بقوتهم وإنّما بنصر من الله وتأييد منه ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

يا أمّة الإسلام عليكم بالتّوحيد الذي حواه القرآن والذي جاء به جميع الأنبياء، بلدان المسلمين تنتشر فيها القبور والخرافات والضلالات والبدع وإلىٰ آخره؛ كيف يأتيهم النّصر؟ وكيف تأتيهم العزّة وهم ما تركوا بابًا من أبواب الذلّ إلّا وطرقوه - والعياذ بالله - ولا بابًا من أبواب العزّة والسعادة والسيادة والكرامة

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مالك في الموطأ برقم (٥٥٣) وأحمد: ٢/ ٢٣٧ (٧٢٣١) و٢/ ٢٤٧(٧٣٦٤) و٢/ ٣٨٤ (٨٩٧٢) والبخاري برقم (١٨٧١) ومسلم برقم (١٣٨٢)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلّا وتحايده الكثير، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] كلّكم اعتصموا بحبل الله، ما هو حبل الله؟ كتاب الله وسنّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هذا أمرٌ لجميع الأمّة، هل الأمّة استجابت الآن لهذا الأمر؟

هل الأمّة الآن معتصمة بحبل الله في عقائدها وعباداتها ومناهجها ونشاطاتها؟

كلَّا واللهِ، قليل؛ قليل جدًّا الذين يدعون إلىٰ هذا المنهج وإلىٰ الاعتصام بحبل الله عَزَّوَجَلَّ مع الأسف، والباقون واللهِ يحاربون هذا المنهج وهذه الدعوة.

أنا أعرف يا أولادي؛ وأنتم ما تعرفون؛ نحن كنّا في هذا البلد طلّاب علم يرحل طالب العلم من جنوب المملكة إلىٰ شمالها ومن شرقها إلىٰ غربها ما نجد طلّاب العلم والعلماء إلّا إخوةً علىٰ منهج واحدٍ، وكنت طالب علم في الجامعة الإسلامية ومدرِّسًا وإلىٰ آخره ونزلت مكّة لأكمِّل دراستي يلتقي السلفيّون أهل الحديث والسلفيون من هنا كلّهم علىٰ قلب رجلٍ واحدٍ لا خلاف بينهم في المناهج ولا في أيّ شيء من الأشياء، طبعًا قد تكون أشياء جزئية خفيفة هذا ما يخلو منها حتىٰ زمن الصحابة، لكن المنهج والعقيدة وأمور الحياة كلّها حتّىٰ السياسة تجدهم علىٰ منهج واحد لا خلاف بينهم، ثم جاء الشيطان ينزغ بينهم وجاء أهل الفتن ونفثوا السموم والفرقة والتّمزيق فمزّقوهم شرّ ممزق في مشارق الأرض ومغاربها، كانوا جماعة واحدة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، تجدهم الآن متفرقين؛ تجد الشباب في هذه البلاد متفرقين متناكرين مع الأسف الشديد، ما فيه محبّة، ما فيه مودّة، ما فيه تآلف، ما فيه تآخٍ،

ما فيه تحكيم لله؛ كلّ واحد يحكِّم عاطفته، ويشحنونه بأفكار ما يريدُ أن يغيّرها ولا أن يعرف أنّه علىٰ خطأ أو علىٰ حقّ، لا يا أخي.

أنا أقرأ في البخاري[١] كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل علىٰ ابن أخيه الحرّ بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القُراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شُبّانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يابن أخي لك وجهٌ عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ لعيينةَ فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هِيهِ! يابنَ الخطاب! فواللهِ ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكمُ بيننا بالعدل، فغضب عمر حتىٰ هَمّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وإن هذا من الجاهلين، واللهِ ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله»،[٢] هدأ غضبه، ذهبت عنه سَوْرَة الغضب وعفا عن هذا الإنسان كما أمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الشاهد من هذا أنّ ابن عباس يشهد لعمر أنّه كان وقّافًا عند كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

عمر كان محدَّثًا، كان فقيهًا إمامًا، لكن قد يجتهد فيخطئ، وإذا نبّهه أحدٌ رجع، وقّاف عند كتاب الله.

---

(١) في صحيحه: كتاب التفسير باب قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ برقم (٤٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام برقم (٧٢٨٦).

وله قصّة أخرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال أبو وائل: «جلست إلىٰ شيبة»، يعني الحَجَبي[١]؛ كانت مفاتيح الكعبة عنده، ولا تزال عند بني شيبة في الجاهلية والإسلام، الرسول ﷺ أعطاهم مفاتيح الكعبة. قال أبو وائل: جلست إلىٰ شيبة في هذا المسجد، قال: جلس إليّ عمر في مجلسك هذا فقال: هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين، قلت: ما أنت بفاعلٍ قال: لم؟! قلت: لَمْ يفعله صاحباك. قال: «هما المرآن يُقتدىٰ بهما»[٢]، وقف. الأمثلة كثيرة في حياة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وقوفه عند كتاب الله وعند سنّة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لكن الآن، هل نحن وقّافون عند كتاب الله؟ يا أخي: لا بدّ للواحد أن يحاسب نفسه ويقول: هل أنا علىٰ حقّ أو علىٰ خطأ في القضية الفلانية والقضية الفلانية؟ هل أنا علىٰ حقّ أو علىٰ خطأ؟

لا يصل إلىٰ الحقّ إلّا إذا استسلم لله وانقاد لله عَزَّوَجَلَّ وحكّم كتاب الله في نفسه وحكّم سنّة رسول الله ﷺ في نفسه فحينئذ يمكن أن يكون وقّافا، يمكن أن يكون رجّاعًا للحقّ، لكن إذا أرسل لنفسه العنان فلا يقف في وجهه شيء لا كتاب ولا سنّة رسول الله ﷺ؛ فإن الباطل سيستولي عليه.

---

(١) بفتح المهملة والجيم ثم موحدة نسبة علىٰ حجب الكعبة. قاله ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (٣/ ٥٥٤). – ط التقوىٰ – مصر.

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام برقم (٧٢٧٥).

فأنا أنصح نفسي وأنصح أبنائي وأنصح إخواني وأنصح زملائي وأنصح من يخالفني أن نتقي الله في أنفسنا وفي هذه الأمّة وفي هذا الشباب، فنحكّم كتاب الله ونجمعهم علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله، ونربّي أبناءنا في مساجدنا ومدارسنا وبيوتنا علىٰ هذه الأمور وعلىٰ هذا المنهج، وأن نتقي الله في الأهواء والأغراض، فإنّها والله شتتت الأمّة وشتّتت الشباب.

كان الصحابة كلّهم وقّافين عند كتاب الله، وكان السلف الصّالح كلهم وقافين عند كتاب الله، والذي يخطئ يرجع، والذي يذنب يتوب، كان الرجل يزني في عهد الرسول ﷺ والمرأة تزني؛ فلا يقرّ لأحدهم قرار ولا يستريح أبدًا إلّا أن يذهب إلىٰ رسول الله ويعترف ويقول: أقم عليّ الحد، ويقول رسول الله ﷺ: لعلك كذا، لعلك كذا، فيقول: لا[1]؛ أبدًا، يعترف؛ لأنّه لا يرتاح أبدًا ويكره

---

(١) كما ورد في قصة توبة ماعز بن مالك والغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الأَسْلَمِيَّ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: «أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا؟ تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟» فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ، مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَىٰ، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لاَ بَأْسَ بِهِ، وَلاَ بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ، حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.
قَالَ: فَجَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَىٰ، قَالَ: «إِمَّا لاَ، فَاذْهَبِي حَتَّىٰ تَلِدِي»، فَلَمَّا وَلَدَتْ، أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: =

الحياة، لماذا؟ لأنهم أناس استسلموا لله، وليسوا بمعصومين، نحن لسنا بمعصومين كلّنا نقع في الأخطاء، لكن يجب علىٰ الإنسان أن يتوب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

وقعتَ في الخطأ؛ في العقيدة، في المنهج، في السلوك، في العبادة في شيء.

ارتكبتَ خطأً فباب التّوبة مفتوح وليس من العار، بل الأنبياء يخطئون ويرجعون(١)، الأنبياء يخطئون ويرجعون؛ حكىٰ الله عن آدم أنّه تاب من خطيئته،

=

«اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّىٰ تَفْطِمِيهِ»، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ، أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَىٰ صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَىٰ رَأْسَهَا، فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَىٰ وَجْهِ خَالِدٍ، فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: «مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ»، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ.

أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٧ (٢٣٣٣٠) و٥/ ٣٤٨ (٢٣٣٣٧) ومسلم برقم (١٦٩٥).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الإِقْرَارِ عَلَىٰ الذُّنُوبِ كِبَارِهَا وَصِغَارِهَا وَهُمْ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْهُمْ مِنْ التَّوْبَةِ يَرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ وَيُعَظِّمُ حَسَنَاتِهِمْ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ نَقْصًا؛ بَلْ هِيَ مِنْ أَفْضَلِ الكمالات وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ﴾ فَغَايَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ هِيَ التَّوْبَةُ ثُمَّ التَّوْبَةُ تَتَنَوَّعُ كَمَا يُقَالُ: حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ. وَاللهُ تَعَالَىٰ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ عَامَّةِ الأَنْبِيَاءِ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ: عَنْ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ =

=

وَمُوسَىٰ وَغَيْرِهِمْ. فَقَالَ آدَمَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وَقَالَ نُوحٌ: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وَقَالَ الْخَلِيلُ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ وَقَالَ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تَوْبَةَ داود وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَاللهُ تَعَالَىٰ ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وَفِي أَوَاخِرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْت بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ» وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَاءِ الِاسْتِفْتَاحِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُك ظَلَمْت نَفْسِي وَاعْتَرَفْت بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ» وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ عَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ» وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْت وَمَا أَخَّرْت وَمَا أَسْرَرْت وَمَا أَعْلَنْت وَمَا أَسْرَفْت وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ». وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ فَتَوْبَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِغْفَارُهُمْ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ حَسَنَاتِهِمْ وَأَكْبَرِ طَاعَاتِهِمْ وَأَجَلِّ عِبَادَاتِهِمْ الَّتِي يَنَالُونَ بِهَا أَجَلَّ =

=

الثَّوَابِ وَيَنْدَفِعُ بِهَا عَنْهُمْ مَا يَدْفَعُهُ مِنَ الْعِقَابِ. فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: أَيُّ حَاجَةٍ بِالأَنْبِيَاءِ إِلَىٰ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ؟ كَانَ جَاهِلا؛ لأَنَّهُمْ إِنَّمَا نَالُوا مَا نَالُوهُ بِعِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ فَكَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُمْ لا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا فَهِيَ أَفْضَلُ عِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ. وَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: فَالتَّوْبَةُ لا تَكُونُ إلا عَنْ ذَنْبٍ وَالاسْتِغْفَارُ كَذَلِكَ قِيلَ لَهُ: الذَّنْبُ الَّذِي يَضُرُّ صَاحِبَهُ هُوَ مَا لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ فَأَمَّا مَا حَصَلَ مِنْهُ تَوْبَةٌ فَقَدْ يَكُونُ صَاحِبُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَفْضَلَ مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كَانَ داود بَعْدَ التَّوْبَةِ أَحْسَنَ مِنْهُ حَالا قَبْلَ الْخَطِيئَةِ، وَلَوْ كَانَتْ التَّوْبَةُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَبَائِرِ؛ فَإِنَّ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ هُمْ خِيَارُ الْخَلِيقَةِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّمَا صَارُوا كَذَلِكَ بِتَوْبَتِهِمْ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالذُّنُوبِ وَلَمْ يَكُنْ مَا تَقَدَّمَ قَبْلَ التَّوْبَةِ نَقْصًا وَلا عَيْبًا؛ بَلْ لَمَّا تَابُوا مِنْ ذَلِكَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا أَعْظَمَ إِيمَانًا وَأَقْوَىٰ عِبَادَةً وَطَاعَةً مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ». مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٥١ - ٥٤).

وقال في موضع آخر: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُنْحَرِفِينَ فِي مَسْأَلَةِ الْعِصْمَةِ عَلَىٰ طَرَفَيْ نَقِيضٍ كِلاهُمَا مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللهِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ: قَوْمٌ أَفْرَطُوا فِي دَعْوَىٰ امْتِنَاعِ الذُّنُوبِ حَتَّىٰ حَرَّفُوا نُصُوصَ الْقُرْآنِ الْمُخْبِرَةَ بِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَمَغْفِرَةِ اللهِ لَهُمْ وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ بِذَلِكَ. وَقَوْمٌ أَفْرَطُوا فِي أَنْ ذَكَرُوا عَنْهُمْ مَا دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَىٰ بَرَاءَتِهِمْ مِنْهُ وَأَضَافُوا إِلَيْهِمْ ذُنُوبًا وَعُيُوبًا نَزَّهَهُمْ اللهُ عَنْهَا. وَهَؤُلاءِ مُخَالِفُونَ لِلْقُرْآنِ وَهَؤُلاءِ مُخَالِفُونَ لِلْقُرْآنِ وَمَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ كَانَ مِنَ الأُمَّةِ الْوَسَطِ مُهْتَدِيًا إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ». مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ١٥٠).

وقال في موضع آخر - جوابا علىٰ سؤال: «وَاتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَنَّهُ لا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْمُنَازِعِينَ فِي عِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِينَ قَالُوا: إِنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الصَّغَائِرُ وَالْخَطَأُ وَلا يُقَرُّونَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَمْ يُكَفَّرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الإِقْرَارِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَوْ كَفَرَ هَؤُلاءِ لَزِمَ تَكْفِيرُ كَثِيرٍ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّةِ، وَالْحَنَفِيَّةِ، =

وحكىٰ الله عن داود، وحكىٰ الله عن موسىٰ.. يتوب ويتوب ويتوب ويستحي من هذا الذنب.

وحتىٰ يأتي يوم القيامة هؤلاء الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وتطلب منهم الشفاعة، وهو لا يزال ضميره يؤنبه حتىٰ آخر لحظة، تاب، تاب، تاب لكن هذا الإحساس لا يمحىٰ من ضميره؛ يطلبون من آدم الشفاعة فيقول: أنا أذنبت

=

وَالْحَنْبَلِيَّةِ، وَالأَشْعَرِيَّةِ، وَأَهْلِ الْحَدِيثِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالصُّوفِيَّةِ: الَّذِينَ لَيْسُوا كُفَّارًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ أَئِمَّةُ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ بِذَلِك. فَالَّذِي حَكَاهُ - في السؤال - عَنْ الشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ قَدْ قَالَ مِثْلَهُ أَئِمَّةُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ أَصْحَابُ الْوُجُوهِ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ مِنْ أَبِي حَامِدٍ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ الإسفراييني، الَّذِي هُوَ إمَامُ الْمَذْهَبِ بَعْدَ الشَّافِعِيِّ، وَابْنُ سُرَيْجٍ فِي تَعْلِيقِهِ: وَذَلِك أَنَّ عِنْدَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ كَمَا يَجُوزُ عَلَيْنَا وَلَكِنَّ الْفَرَقَ بَيْنَنَا أَنَّا نَقِرُّ عَلَىٰ الْخَطَأِ وَالنَّبِيُّ ﷺ لا يَقِرُّ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَسْهُو لِيَسُنَّ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا أَسْهُو لِأَسُنَّ لَكُمْ». وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ قَدْ ذَكَرَهَا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ، وَأَبُو الطَّيِّبِ الطبري، وَالشَّيْخُ أَبُو إسْحَاقَ الشِّيرَازِيّ. وَكَذَلِكَ ذَكَرَهَا بَقِيَّةُ طَوَائِفِ أَهْلِ الْعِلْمِ: مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَد، وَأَبِي حَنِيفَةَ. وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَىٰ إجْمَاعَ السَّلَفِ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ، كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الخطابي وَنَحْوِهِ؛ وَمَعَ هَذَا فَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّهُ لا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلاءِ الأَئِمَّةِ، وَمَنْ كَفَّرَهُمْ بِذَلِكَ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ الْغَلِيظَةَ الَّتِي تَزْجُرُهُ وَأَمْثَالَهُ عَنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي مِثَالِ ذَلِكَ: قَوْلُهُمْ صَوَابٌ أَوْ خَطَأٌ. فَمَنْ وَافَقَهُمْ قَالَ: إنَّ قَوْلَهُمْ الصَّوَابُ. وَمَنْ نَازَعَهُمْ قَالَ: إنَّ قَوْلَهُمْ خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ قَوْلُ مُخَالِفِهِمْ» مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٠٠ - ١٠٢).

وأخطأت، نفسي نفسي، يستحي من ربّه، يقول: إنّي أستحي من ربّي، ثم يأتون إلىٰ نوح فيقول: أنا أذنبت وأخطأت، نوح ماذا أخطأ؟ دعا علىٰ قومه، اعتبرها خطيئة وهي حقّ، فيستحي أن يشفع.

إبراهيم أخطأ في ذات الله عَزَّوَجَلَّ ويقول: أذنبت وموسىٰ كذلك يقول أذنبت(١) - بارك الله فيكم - أين نحن من هذا الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ.

يا أخي تعيش عمرك علىٰ باطل، حياتك كلها ولا تعالج نفسك، ولا ترجع إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويمكن وراءك ألوف بل ملايين يتبعونك علىٰ هذا الخطأ، فتحمل وزر نفسك وأوزار الآخرين؛ كما قال النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(٢).

يا أخي ارحم نفسك، ارحم نفسك، سُنَّ للناس سنّة حسنة، أنت لست تشرّع الآن، لكن أَحْيِ سنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تكون كأنّك سننت للنّاس سنّة حسنة - بارك الله فيكم -؛ أشياء قصّر فيها الناس أو ماتت هذه السنّة فأحييتها،

---

(١) كما ثبت في حديث الشفاعة من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد: في المسند ٥/ ٤٣٢ (٩٦٢١).
والبخاري: برقم (٤٧١٢) ومسلم: برقم (٨٩٤).

(٢) رواه أحمد: (٤/ ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩) ومسلم: برقم (١٠١٧). من حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الناس إذا أقبلوا عليها وعملوا بها فأنت تكسب أجرها؛ أجرك وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة.

وكذا إذا تعلّقت ببدعة وتبعك النّاس عليها، فتحمل وزرك ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة.

الشاهد أننا يجب أن نرجع جميعًا إلىٰ الله، وأن نعتصم بكتاب الله، وأن نتبع كتاب الله؛ آيات كثيرة يأمر الله فيها بالاستقامة، آيات كثيرة يأمر فيها الله بالاتّباع، آيات كثيرة يأمر فيها الله رسوله بالاتّباع ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠] أوامر كثيرة ونواهٍ كثيرة عن المعصية وعن المخالفات وعن وعن... لماذا؟ كتاب الله بين أيدينا وندرسه ونحفّظه أولادنا، وتحفيظ القرآن، لكن أين الآداب؟ نحفظ الألوف والألوف والحفظ مطلوب، لكن أين العمل أين العمل؟ القرآن ألا يدعونا إلىٰ الاجتماع؟! ألا يدعونا إلىٰ الاعتصام بالكتاب والسنّة؟ ألا يدعونا إلىٰ ترك الباطل؟ ألا يدعونا إلىٰ ترك البدع؟ ألا يدعونا إلىٰ محاربة الشرك والضلال؟

نتفقه في دين الله ويحاول كل واحد يعمل في نفسه ويحاول أن يعلّم أسرته ويحاول أن يربّي الناس في مدرسته علىٰ هذا المنهج وعلىٰ هذه العقيدة التي جاء بها جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، ويحذّرهم من الشرك دعاء غير الله،

والذبح لغير الله، والاستغاثة بغير الله إلىٰ آخره، تجد دعاة يملؤون الدنيا، لكن هذه ليست من المنكرات عندهم، ماذا استفاد الناس منك وأنت تقرّهم علىٰ الباطل؟

ما تزيدهم إلّا ضلالًا ولا تزيدهم إلّا غثائية، ولهذا كثرت الدعوات في العالم الإسلامي من هنا وهناك وكَثُرَت الأحزاب، واللهِ لا يزداد الناس إلّا بلاءً، لماذا؟ لأنّهم ما سلكوا طريق الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في الإصلاح؛ إصلاح الأنبياء يبدأ بماذا؟ بالإصلاح العقائدي؛ يأتي النبي قومه وعندهم شرك، عندهم ضلالات، فساد طويل عريض في الحياة كلّها يبدؤون بماذا؟ يبدؤون بإصلاح العقيدة؛ يأتي إلىٰ قوم يدعون غير الله، يذبحون لغير الله يتعلقون بالأصنام، يعبدون الملائكة، يعبدون الأشجار، يعبدون الأنبياء إلىٰ آخره، فيبدأ بتصحيح العقيدة، يصحح العقيدة.

انظر إلىٰ العالم الإسلامي الآن، اذهب إلىٰ مصر، اذهب إلىٰ السودان، اذهب إلىٰ باكستان ترىٰ العجائب، في هذه البلاد مُحِيت القبور - ولله الحمد - ولكن دعوات الآن هيّأت الناس لهذه الأوضاع المردية، وربما يستنكرون التركيز علىٰ الدعوة إلىٰ التوحيد.

يا أخي الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان بين الفينة والفينة يبايع أصحابه علىٰ ألّا يشركوا بالله شيئًا، يبايع أبا بكر وعمر وابن مسعود وعبادة بن الصامت وغيرهم، يبايعهم علىٰ ألّا يشركوا بالله شيئًا وأن يقيموا الصلاة وإلىٰ آخره[1]،

---

(١) منها ما رواه مسلم في صحيحه برقم (١٠٤٣) من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا =

كيف يبايع أبا بكر وعمر؟! لأنّ العقيدة دائمًا تحتاج إلىٰ إذكاء، إلىٰ تجديد، إلىٰ تنبيه.

العقيدة هذه لابد أن نغرسها في أنفسنا وفي أوساطنا ونذكّر بها.

كيف يبايع الرسول ﷺ أصحابه علىٰ ألّا يشركوا بالله شيئا؟

الآن لو قلت لواحد: تعالىٰ أبايعك علىٰ ألّا تشرك بالله شيئًا كيف يفعلون؟!!

لو وجد الآن داعية يحذّرهم من الشرك، يقولون: وهل نحن مشركون؟! كيف أبو بكر وعمر يبايعون علىٰ ألّا يشركوا بالله شيئًا وأنتم لا تُحَذّرون من الشرك؟!

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] إبراهيم أبو الأنبياء وخليل الرحمن يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهو يعلم أنّ أبناءه سيأتي فيهم الأنبياء الكثير ومع هذا يخاف، كيف نأمن

=

عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَةً، أَوْ ثَمَانِيَةً، أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟ وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا، وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً: وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ».

علىٰ أنفسنا؟

«يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا علىٰ دينك»(١) رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول هذا، ويعلّم أصحابه أن يقولوا هذا، نحن الآن كأن عندنا ضمانًا أننا لا نقع في الشرك ولا في النفاق.

كان الصحابة يخافون علىٰ أنفسهم النِّفاق يقول ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف علىٰ نفسه النّفاق»(٢)، الإنسان لابد أن يخاف من النّفاق، يخاف من الوقوع في الشرك، يخاف أن يزيغ قلبه؛ كما في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ندعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظ قلوبنا، ونبذل الأسباب التي ترسّخ الإيمان في نفوسنا، نبذل الأسباب؛ من طاعة الله، من الاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ، من الاستغفار لله عَزَّوَجَلَّ في الليل والنّهار وبالأسحار، ونضرع إليه دائمًا أن يثبتنا علىٰ الإسلام، وأن يهدي الله

---

(١) قال أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ». فقال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: أتخاف علينا - يا رسول الله؟ قال: «نَعَم، كَيْفَ لاَ وَالْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ؟!» أخرجه أحمد ٣/ ١١٢ (١٢١٣١) و٣/ ٢٥٧ (١٣٧٣١) والترمذي؛ برقم (٢١٤٠) وقال: «وهذا حديثٌ حسن»، وابن ماجه؛ برقم (٣٨٣٤)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (١/ ٨٤) برقم (٢٢٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه معلّقا مجزومًا به: كتاب الإيمان؛ باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر. ووصله في تاريخه الكبير (٥/ ١٣٧) برقم (٤١٢) ورواه الخلال في السنة برقم (٣/ ٦٠٧).

علىٰ أيدينا من يريد هدايته سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولابد يا إخوة من إحياء المحبّة والمودّة والأخوّة في أوساط المسلمين علىٰ أساس الكتاب والسنّة وليس علىٰ أساس النّفاق والمجاملات، علىٰ أساس الحقّ، أحيِ الحقّ في نفسك وآخِ عليه الناس وادع إليه، ولابد من هذا التلاحم وهذا التآخي بين المسلمين ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وما الذي يفرّقنا؟ الأهواء؛ الذي يفرق: الأهواء، أنت لك رأي وأنا لي رأي، وأنت تتبع فلانًا وأنا أتبع فلانًا، ثمّ لا نحكّم كتاب الله؛ جاءت حينئذٍ الفرقة وجاءت العداوة وجاءت البغضاء وجاء سفك الدماء وجاء التفرق والضياع إلىٰ الحالة التي وصل إليها المسلمون.

فأسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجمع المسلمين علىٰ الحقّ، علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله، وأن يجمع شباب هذا البلد خاصّة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنّة رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعليهم أن يتذكّروا حال الجزيرة قبل أن تأتي الدعوة السلفية علىٰ يد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن يتذكروا التفرق والتمزق والضياع - بارك الله فيكم - حتىٰ إن بعضهم وصل به الجهل أنّه ينكر البعث، دعْ عنك ترك الصلاة وترك الزكاة واللعب إلىٰ آخره، فجمعهم الله علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ وعلىٰ هذه العقيدة الصحيحة.

فيجب يا إخوة أن نتذكّر هذا الواقع المظلم الأول والواقع المضيء الثاني، ونرجع إليه إذا حصل منا مجافاة أو نفرة عن هذا أو تنفير عنه، أن نرجع إليه وأن

نتآخىٰ وأن ندرك أنّ أعداء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها من الكفار واليهود والعلمانيين كلهم ما يتكالبون إلّا علىٰ هذه الدعوة، الدعوة السلفية التي جددها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنّهم يعرفون أنّها هي الإسلام الحقّ، لا تصدّقوا أن بين الروافض وبين اليهود والنصارىٰ عداوة أبدًا، كل هذا كذب وضحك علىٰ الناس، لا تصدّقوا هذا التّهريج الكاذب، كلّ هذا من ذرّ الرماد في العيون.

لا يُعادي اليهودُ والنصارىٰ إلّا هذا المنهج، لأن فيهم فلاسفةً ومفكّرين ومستشرقين يدرسون الإسلام ويعرفون من هي الفرقة التي يمكن أن تكون ذنبًا لنا وعونًا لنا علىٰ الإسلام والمسلمين جميعًا، ويعرفون من هي الجماعة التي علىٰ الحق ولا يمكن أن تنقاد لهم، ولا يجدون هذا إلّا عند أتباع المنهج السلفي.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾

نسأل الله أن يجمع قلوبنا جميعًا علىٰ كتابه وعلىٰ سنّة نبيه، وأن يرينا عِيانًا ما نتمناه من عزّة الإسلام وعزّة المسلمين واجتماعهم في صعيد واحد علىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ، أسأل الله أن يحقق ذلك. وادعوا الله جميعًا في خلواتكم وفي مساجدكم أن يحقق ذلك.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

أسبــاب الانحــراف

وتوجيهات منهجية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمّا بعدُ:

أيها الأبناء والإخوة والأحبّة، إنها لفرصة سعيدة أن نلتقي في هذا الموقع، لا

لشيء من أغراض الدنيا وإنما نجتمع لله وفي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وأرجو أن يكون قصدنا اللقاء في الله، والتذاكر في الله، وبنعمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا، وأعظم هذه النِّعم: الإسلام، ويتلوها الثبات علىٰ السنة، معرفة السنة ثم الثبات عليها، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُعرّفنا سنة نبينا ومنهجه ثم الثبات علىٰ ذلك، وأن تكون علاقتنا بالناس قربوا أو بعدوا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وفي محبّته، وبحثا عن مرضاته.

وأعتذر عما يقوله الأخ في شأني، فلست والله حول البخاري ولا قريبا منه، المسافة هائلة جدا بيننا وبين البخاري، وما أنا إلا طالب علم، وأسأل الله أن يرزقنا الإخلاص فيما نقول ونفعل وفيما نقدّمه في نفع الناس علىٰ ضعفه وضآلته، نسأل الله أن يكتبه في صفحة حسناتنا.

وإنّ أهم ما أوصي به نفسي وإخواني: الثبات علىٰ الحق، والإخلاص فيه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، ومراقبة الله فيه، وسألمّ بهذه النقاط حولها نتكلم إن شاء الله وبإيجاز.

فيا إخوة: الثبات الثبات في هذا الوقت وفي هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن، كثرت فيه الفتن بمناسبة أو في مواجهة إقبال الناس علىٰ الإسلام الحق، إذ مرّ علىٰ الناس أحوال وظروف عاشوا فيها خرافات وضلالات، وربما عاش كثير منهم في بعد عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، إما شيوعي وإما علماني وإما بعثي وإما اشتراكي وإما وإما..، وقامت لهذه المبادئ الهدّامة دعوات ودول وشعارات، وكلها تبخّرت في واقعها وتلاشت قيمتها في أذهان الناس، فأصبحوا لا يرون القيمة والسعادة في الدنيا والآخرة إلا في الإسلام الحق، فاتّجه كثير من شباب

الأمة في مشارق الأرض ومغاربها يبحث عن الحق، يريد فهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، قد سئم الخرافات والشعارات المضللة وأقبل علىٰ الحق، وحسب تصوري وإدراكي أن أعداء الإسلام وأعداء السنة من أهل الضلال، من الروافض والصوفية والأحزاب السياسية الخبيثة، أدركوا خطر هذا التوجّه إلىٰ الإسلام الحق، وأن شعاراتهم كلها ستسقط وستتهاوىٰ، فأعدّوا العدّة لصرف هذا الشباب بشتىٰ الطرق والأساليب الماكرة لصدّهم عن منهج الله الحق وعن دين الله الحق إلىٰ طرق وجهات تبعد أو تقرب من كتاب الله ومن سنة رسول الله ومن الصراط المستقيم، فكثرت الجهود لصرف الناس عن الحق، بعد أن توجّه كثير وكثير من الشباب إلىٰ المنهج السلفي بالذات، فقامت نشاطات خطيرة علىٰ خطط رهيبة فصرفوا كثيرا من الناس فعلا عن هذا المنهج واحتوته مذاهب تعادي هذا المنهج ولا تحب أن تقوم قائمة لهذا المنهج، لأنه الإسلام الحق الذي لا يبقىٰ العبادة فيه إلا لله، ولا يبقىٰ الاتباع فيه إلا لمحمد رسول الله ﷺ، وتتساقط الزعامات الحزبية والطائفية والسياسية وما شاكل ذلك، تتساقط فلا يبقىٰ لهم مواقع، فشمّروا عن ساعد الجد ليتمحور الشباب حول رؤوس الطوائف والأحزاب وأصحاب الشعارات، وخدعتهم هذه الشعارات المزيفة مع شيء من الدنيا أيضا وشيء من السياسة، خُدِعوا بهذا، فصرف كثير وكثير، بل أقول: نكص علىٰ عقبيه كثير من الشباب الذي بدأ يسير في طريق الإسلام الحق، نكص كثير منهم علىٰ عقبيه لأسباب كثيرة، منها ما

ذكرناه ومنها ما لم نذكره، واأسفاه حصل هذا، وقد عرفنا الكثير والكثير ممن جاءوا إلىٰ هذا البلد وكانوا علىٰ شيء من الاستقامة وعلىٰ شيء من المنهج السلفي، فإذا بهم مع الأسف بسبب مصائب هؤلاء ومكايدهم صاروا من أهل البدع ومن أهل التحزب ومن أهل الأهواء والضلال المناهضين لدعوة الله الحق المتمثلة في المنهج السلفي، حصل الذي ذكرته لكم من كثير وكثير من الناس، سواء من وفد إلىٰ هذا البلد وسواء ممن كان في بلده في الشرق أو في الغرب، في بلدان كثيرة بل بعض البلدان أقبل شبابها رجالا ونساءً علىٰ المنهج السلفي، فبُذلت جهود وجهود خطيرة وكبيرة حتىٰ صدّت هذا الشباب عن دين الله الحق، وأنا أكاد أجزم أنّ قوّىٰ كافرة من وراء أصحاب هذه الشعارات، يمدُّونهم بالمال والخطط ليساعدوهم علىٰ تحقيق هذه الغاية الخبيثة، وهي صرف الشباب المُتّجه إلىٰ الإسلام الحق عن هذه الغاية النبيلة العظيمة، التي لو تحقّقت لارتفعت راية الإسلام وارتفعت راية الجهاد، وربما يتوقع الأعداء أنّ الإسلام سيغزوهم في عقر دارهم فأعدّوا العدّة الكبيرة للقضاء علىٰ هذا الاتجاه، وإن كان باسم الإسلام تمّ القضاء علىٰ هذا الاتجاه أو علىٰ معظم الشباب المتجه إلىٰ هذه الغاية النبيلة تحقق ما يريده هؤلاء الأعداء تحقق باسم الإسلام المُدَّعىٰ المزعوم الخاوي من الحق والممتلئ بالضلال، وهذا يتطلب منّا الثبات علىٰ الحق ومعرفة ما يحيكه أعداء هذا المنهج، من ملاحدة وكفار ومن أذنابٍ لهم من أهل البدع والضلال، سواء كانوا أحزابا سياسية أو طوائف رافضية أو

صوفية، كل هؤلاء يتعاونون للقضاء علىٰ هذا المنهج.

وأصرِّح فأقول: إنهم قضوا علىٰ هذا المنهج بكثير من الخطط ومن بينها القضاء عليه بالسلاح، كما حصل في (كُنر) في القضاء علىٰ الشيخ جميل الرحمن وعلىٰ إمارته الإسلامية التي طبقت الإسلام تطبيقًا صحيحًا، في العقيدة والعبادة والمنهج والسياسة وإزالة المنكرات، طبقوا خططهم ونفذوها بالسلاح لمّا أعيتهم كل الخطط والمكايد، ونفَّذوا هذه الخطط في الجزائر، أرسلوا أولا كثيرا من رؤوس أهل البدع من المشرق إلىٰ المغرب، فاجتاحوا من اجتاحوا من الشباب ثم بعد ذلك سُلّ السيف علىٰ الإسلام باسم الإسلام حتىٰ قضوا علىٰ معظم هذا الاتجاه في الجزائر، وفعلوا الأفاعيل في سائر البلدان التي لا يستطيعون أن يسلّوا فيها السلاح سلّوا سيف الكيد والمكر علىٰ شباب الأمة، في الجامعات والمساجد والمدارس، وصرفوا كثيرًا من الناس إلىٰ البدع والأهواء والضلالات، وجنَّدوا كثيرًا منهم لمحاربة الحق وأهله، فأصبح أهل الحق يُرمون بالكفر ويُرمون بالزندقة وبالضلال وبالعمالة والجاسوسية، والله إنّ هذه الأسلحة يعرفون أنها أشد وأفتك من السيوف والرشّاشات والمدافع، يقتلون بها الإسلام في أشخاص من يحملون راية الإسلام الحق، فيشوِّهون سمعتهم، ويفترون عليهم الأكاذيب التي هم أحق بها وأهلها، فما يرمون به أهل السنة وأهل الدعوة الحقّة كل ما يرمونهم به إنما هي أوصافهم التي يعيشونها، فكل ما قذفوا به أهل السنة والجماعة هذه أدواؤهم وبعض أدوائهم المعلنة والخفية،

فيجب أن يكون الشباب السلفي واعيًا بما يحاك لهذه الدعوة المباركة من مكر وكيد وخطط، ويجب أن يثبت علىٰ الحق كما أمرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ؛ أن نستقيم علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ، وأن نثبت عليه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] فهذا جزاء الثابتين علىٰ دين الله الحق، ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فكافأهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهذا الجزاء، طمأنينة عندما يوشك علىٰ الارتحال من هذه الدار الدنيا، وطمأنينة لما سيلقاه من جزاء عظيم علىٰ هذا الثبات علىٰ دين الله الحق، وأما الدنيا فوالله لا تزن عند الله جناح بعوضة، وإن انخدع بها من انخدع، وإن انحرف بها من انحرف.

وسأتلو بعض الآيات مما يحضرني من القرآن الكريم التي تُبيِّن هؤلاء المنحرفين، قد يكون الانحراف إلىٰ الكفر والنفاق، وقد يكون الانحراف إلىٰ البدع والضلال التي هي شعبة من الكفر وآيلة إليه كما يقول السلف، فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، يعبد الله علىٰ حرف يرجو خيرًا ومصلحة فإن وجد خيرًا اطمأنَّ به، وإن وجد فتنة ومشاكل انقلب علىٰ وجهه، ما يثبت، هذا ينافي الثبات المطلوب من المؤمن، فلا ينقلب عن هذا الثبات لا من أجل الدنيا ولا من أجل الفتنة ولا من أجل هذا أو ذاك، يثبت وإن تزلزلت الجبال وإن عصفت العواصف، فيثبت علىٰ الحق، الذي

يريد الله به خيرًا يثبت علىٰ الحق ولو توالت زُمَر الأعداء وتوالت الفتن وهبّت الأعاصير والزلازل لا يتزحزح، حتىٰ إن الرسول حكىٰ: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ**»(١) ولا يغريه المال ولا تخيفه السيوف ولا تخيفه التهديدات ولا تغريه المطامع والأطماع ولا شيء، يضع الدنيا تحت قدميه ويضع الفتن كلها تحت قدميه:

هـــل أنــت إلا أصبـــع دميــت ... وفي سبيـــل الله مـــا لـــقيت

كل ما يلقاه من أذىٰ يعتقد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحبه، «**إذا أحبَّ الله قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضىٰ ومن سخط فله السخط**»(٢)، فهو لا يتعرض لسخط الله، ويحرص علىٰ مرضاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وأما الذي يعبد الله علىٰ حرف ولا يريد إلا السلامة والنعمة والراحة والهدوء، وتقبيل الأيدي والرؤوس فإذا انصرفت عنه الوجوه وانصرفت عنه الدنيا ركض وراءها وانحرف بسببها، وقد ينحرف الإنسان كما قلت إلىٰ الكفر والنفاق والزندقة وقد ينحرف إلىٰ البدع والضلالات، لا نرمي كل الناس بالكفر ولكن هذا حال المنحرفين، فرأينا كثيرًا من الشباب السلفي انحرف بسبب الشبه فيجعل من نفسه جهاز استقبال

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٩٤٣)، من حديث خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه برقم (٤٠٣١)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

للشبهات تُصَبّ عليه وهو يتزلزل ويضطرب ثم يعطيه أهل الضلال شيئًا من المال فينحرف - والعياذ بالله - لأنه كان يعبد الله علىٰ حرف وينتظر الدنيا تأتيه وينتظر الأموال، فإذا بالأموال عند الآخرين ما هي موجودة عند السلفيين فيذهب المسكين ليرمي نفسه في أحضان أهل الأهواء، فهو أخذ نصيبه من هذا الآية، سواء انحرف إلىٰ نفاق أو كفر أو انحرف إلىٰ بدعة وضلال، المهم أنه أصبح عدوًّا وخصمًا للمنهج السلفي وأهله، هذا شيء وجدناه بكثرة، فنحن نوصي إخواننا أن يعرفوا قيمة المنهج السلفي وأنه تُبذل من أجله الأموال والأنفس والمُهج، تبذل من أجله رخيصة لا قيمة لها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وهذا الصبر أعلىٰ درجات الجهاد، وهذا الثبات أعلىٰ درجات الصابرين الثابتين علىٰ الحق.

فأوصي نفسي وإخواني أن ندرك أولا: مكايد الأعداء، وأن ندرك ما يحيكون من مكايد وما يقذفون به من الشبه، ويجب أن نتعلم العلم ونعرف ماذا عندهم من الضلال، فننطلق نحن في ضربهم بأسلحة الحق وبالحجج والبراهين من منطلق المهاجم، لا نجعل من أنفسنا - كما قلت غير مرة - أجهزة استقبال لتلقي الشبهات فقط ثم بعد ذلك نترنّح ثم يصرع منا من يصرع، ومن يكبُّ علىٰ وجهه ثم يقوم وهكذا، يجب أن نعرف مخازيهم ومقاتلهم، ونحن الذين ننتقدهم ونبيِّن ما عندهم وعند زعمائهم وقاداتهم، صوفيين أو حزبيين ماذا عندهم من الضلالات، الذين يعيشون منهم والذين قد غادروا هذه الحياة،

يجب أن نعرف هذا.

وأوصي الشباب ألاّ يسمعوا لشبهتين خبيثتين:

الشبهة الأولى: نقرأ في الكتب ونجالس أهل البدع ونأخذ الحق وندع الباطل!، هذه لعبت - كما يقال - دورًا كبيرا في رمي كثير من الشباب في إخراجهم من المنهج السلفي ورميهم في أحضان أهل الباطل والبدع، فهو مسكين يقرأ في كتب البدع ولا يميز بين الحق والباطل، فيرىٰ الحق باطلًا والباطل حقًّا فيضل.

الشبهة الثانية: لا تقرؤوا في كتب الردود!، معناه أننا نقرأ كتب البدع وكتب الهجوم والطعون في المنهج السلفي وأهله، ونسمع الأشرطة ونسمع الإذاعات والإعلام والإشاعات ونجعل أنفسنا أجهزة استقبال لكل هذه الأشياء، لكن لا تمتد أبصارنا إلىٰ كتب الردود، لماذا؟ لأنها تفضحهم وتبين مخازيهم وتبصّر الشباب بالحق، يدعونك إلىٰ قراءة كتب البدع بشبهة أنك تأخذ الحق وتترك الباطل، فتذهب ضحيةً للباطل؛ لأنك لا تميز بين الحق والباطل، فترىٰ الحق باطلا والباطل حقا، وهذا أمر اجتاحوا به ما لا يحصي عدده إلا الله ممن كان ينتمي إلىٰ المنهج السلفي.

فهذه من مكايدهم التي تصرفكم عن الثبات علىٰ الحق وعن الدعوة إلىٰ الحق وعن التصدي للباطل، فكتب الردود مكتظة بالعلم، ولا تجدون العلم الحيَّ النابض الذي يميّز بين الحق والباطل إلا في كتب الردود، والقرآن والله يرد علىٰ أهل الكفر والضلال وعلىٰ المنافقين وعلىٰ اليهود وعلىٰ النصارىٰ وما

ترك ضلالة إلا وانتقدها وفنّدها وبيّن ضلال أهلها، والسنة كذلك ومنهج السلف مليء، كتب العقائد وكتب الجرح والتعديل مليئة بالنقد والردود علىٰ أهل الباطل؛ لأن الحق والباطل لا يتمايزان إلا بهذا النقد وبهذه الردود، فاقرؤوا كتب ابن تيمية وكتب ابن القيم وكتب السلفيين المعاصرين الذين يجاهدون إن شاء الله في سبيل الله ويناضلون عن دعوة الله ويصدّون عن شباب الأمة الفتن ويبيّنون لها طريق الإسلام الصحيح من الطرق الضالّة ويكشفون عوار أئمة البدع والضلال، فاعرفوا ماذا يقصدون من محاربة كتب الردود، اطلبوا العلم وبالغوا في طلب العلم وشمِّروا عن ساعد الجدّ في طلب العلم، ومما يساعدكم علىٰ إدراك العلم الصحيح كتب الردود؛ فإنها جزء مهم جدًّا من طلب العلم، والذي لا يعرف كتب الردود ولو حفظ من العلم ما حفظ فإنه - بارك الله فيك - في موقف المتزلزل، وقد رأينا كثيرًا ممن يعلم ثم يقع في الضلال، ولا تنسوا قصة عبد الرزاق، ولا تنسوا قصة البيهقي، ولا تنسوا قصة أبي ذر الهروي، وهم من كبار العلماء، فشبهة واحدة تهوي به في أحضان أهل البدع - والعياذ بالله -.

عبد الرزاق جالس رجلًا دونه في العلم، ما زال به حتىٰ ألقاه في التشيع، وأبو ذر من كلمة سمعها، والبيهقي اغتر بأحد الأئمة الأشاعرة؛ فوقع في الضلال، وغيرهم وغيرهم...، وأما في هذا العصر فلا يُعدّ ولا يحصىٰ ممن كان علىٰ السنة إما عالم وإما طالب علم ثم انحرف بسبب الشبه والشبهات والأساليب والمكايد التي يبذلها الأعداء حتىٰ صدّوهم عن منهج الله الحق، بل جعلوا منهم جنودًا

لمحاربة المنهج السلفي وأهله.

وأوصيكم بالثبات، وقد أشرت لكم إلىٰ أسباب الانحراف - وأحصيت لكم بعض أسباب الانحراف -، فافهموها يا إخوة، وأشجعكم علىٰ الثبات وعلىٰ طلب العلم وعلىٰ الإخلاص فيه لله رب العالمين، ولا يخفىٰ علىٰ العاقل ماورد من الآيات ومن الأحاديث في الحث علىٰ الإخلاص وفي الترهيب من الرياء وحب السمعة وما شاكل ذلك.

أسئلة الدرس وأجوبتها

سؤال [١]: سؤال لشيخنا الشيخ ربيع حفظه الله، يقول السائل: شيخنا أحببناك في الله قبل أن نراك وزدنا حبا لك بعد لقياك وقبل ذلك أحببنا السلفية وأهلها، ولكن يا شيخ نرى ضعفا من إخواننا في التواصي ونشر السلفية بين أفراد طلاب العالم الإسلامي في جامعتنا الإسلامية، وكذا في أوساط من يعايشونهم، فضعفت غيرتهم، فما النصيحة لهم؟

❁ **الجواب**: أشكر السائل وأقول له: أحبك الله الذي أحببتنا من أجله، وأشكرك ثانيا علىٰ هذه الملاحظة القيّمة علىٰ طلاب وحملة المنهج السلفي وما يعانونه من ضعف في الجامعة الإسلامية، أو في الجامعات الأخرىٰ أو في بلدانهم.

ونصيحتي لهؤلاء: أن يتقوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وأن يشعروا بأنهم مسؤولون أمام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن تقصيرهم في تبليغ دعوة محمد ﷺ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فهذا الأمر للنبي ﷺ؛ فهو أسوتنا، وهو أمر موجّه إلىٰ حملة العلم ووُرّاث هذا النبي الكريم: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] فالدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هي وظيفة الأنبياء

ووظيفة من أكرمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أتباعهم بأن وفقه للشعور بالمسؤولية العظمىٰ التي ألقاها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ كاهله، وشعوره بهذه الميزة التي شهد بها رسول الله ﷺ للعلماء بأنهم ورثة الأنبياء، الأنبياء ورَّثوا العلم ولم يورِّثوا دينارا ولا درهما، فهذه مكرمة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تستوجب الشكر علىٰ من منحه الله إيَّاها، ومِن شُكرها أن يدعو إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويُخاف علىٰ هذا الذي لا يدعو إلىٰ الله وهو يرىٰ البدع والمنكرات تفتك بالأمة، فلا يتحرَّك ضميره غيرةً لله ولا لدين الله، فأخشىٰ عليه أن ينطبق عليه قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] وأخشىٰ عليه أن ينطبق عليه قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

فهذه اللعنات استحقَّها بنو إسرائيل لأنهم يرون المنكرات قد تفشَّت في أوساط أمتهم؛ فلم تتحرك ضمائرهم بالغيرة لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، تحمل العلم مسؤولية عظيمة ليست للارتزاق في الدنيا وكسب المعاش والحصول علىٰ الوظائف، إنما أنت قد تحمَّلتَ وراثة الأنبياء، فوجب عليك أن تخلف الأنبياء في هذه الوظيفة، فتنهض بها صادعًا بها، ناصحًا لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم «**ومن غشَّنا فليس منا**» فالذي

لا يدعو إلىٰ الله ويكتم العلم ويرىٰ موجبات الصدع بالحق ماثلة أمامه ثم ينكص علىٰ عقبيه فلا يدعو إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا شك أنه مُعرَّضٌ للنار، مُعرَّضٌ لوعيد خطير، وسخط ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأنصح إخواني أن يتعلموا العلم النافع، وأن يُدرِكوا عظم المسؤولية وثِقلها فيقوموا بها علىٰ وجهها، ولا يخشوا في الله لومة لائم، ولِيُنقِذوا أنفسهم من الخسران، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣] إيمان قائم علىٰ العلم، عمل صالح مع هذا العلم، الصدع بالحق الذي علمه وعمل به؛ يدعو إليه ويوصي به الناس، ويهدم ما يقابله من الباطل بالحججِ والبراهين ويصبر علىٰ الأذىٰ، هذه الأمور شروط للخلاص من الخسران الذي ينتظر كل فرد من أفراد البشر، إلا من قام بهذه الأمور وتوفرت فيه الشروط.

فيجب أن نراقب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإن مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ واستحضار مثل هذه المعاني تقضي إن شاء الله علىٰ هذا الضعف الذي يعانيه كثير من الناس، وتشجعه علىٰ القيام بواجبه.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم من العلماء العاملين والدعاة المخلصين إلىٰ منهج رب العالمين.

۞ ۞ ۞

سؤال [٢]: شكر الله لكم، الحقيقة الأسئلة كثيرة: أقول الأسئلة ترددت كثيرا حول ما يشاع وتشديد بعضهم حول الشيخ الألباني عليه رحمة الله أنه من المرجئة أو شابه المرجئة، فما هو القول في هذه المسألة حفظكم الله؟

❁ الجواب: هذه كتبه ناطقة بأنه من أئمة السنة وداعٍ إليها وعدوٌّ لدود للبدع وأهلها ومنها الإرجاء، وأكتفي بهذه الإجابة.

❁ ❁ ❁

سؤال [٣]: سائل يقول: بعض الدعاة لا تُعرف لهم سلفية وقد حُذِّر منهم، ومازال هناك من يجالس أولئك الدعاة بحجة أنه لم يُجَرَّح بجرح مفصَّل وقد زُكّوا من قِبَل الشيخ العباد وغيره، فانقسم الإخوة إلى مجرِّح ومعدِّل بسبب أولئك الدعاة، فما قولكم لهم؟

❁ الجواب: قولي: يجب علىٰ هذا الشخص الذي يختلف حوله الناس ولا يزكي نفسه بإبراز المنهج السلفي وإنما يعتمد علىٰ تزكية فلان وفلان، وفلان وفلان ليسوا بمعصومين في تزكياتهم، فقد يزكُّون بناء علىٰ ظاهر حال الشخص الذي قد يَتَمَلَّقُهُم ويتظاهر لهم بأنه علىٰ سلفية وعلىٰ منهج صحيح، وهو يبطن خلاف ما يظهر، ولو كان يُبطِن مثل ما يظهر لظهر علىٰ فلتات لسانه وفي جلساته وفي دروسه ومجالسه، فإن الإناء ينضح بما فيه، وكل إناء بما فيه ينضح، فإذا كان سلفيا فلو درَّسَ أي مادة ولو جغرافيا أو حساب لرأيت المنهج السلفي ينضح في دروسه وفي جلساته وغيرها، فأنا أنصح هذا الإنسان الذي لا يُظهر سلفيته

ويكتفي بالتزكيات أن يزكّي نفسه بالصدع بهذا المنهج في دروسه، في أي مكان من الأمكنة، فإن الأمة بأمسِّ الحاجة إلىٰ الدعوة إلىٰ هذا المنهج السلفي، فإذا كان هذا الشخص من هذا النوع الذي قلت؛ أنه يعتمد علىٰ التزكيات ولا يزكي نفسه، فإن هذا يضرُّ نفسه بكتمان العلم وكتمان العقيدة وكتمان هذا المنهج، وأخشىٰ أن تصدق عليه هذه الآيات التي تلوناها عليكم في كتمان العلم وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم المنكرات وأقبحها وشرها عند الله البدع التي تتفشىٰ في أوساط الأمة، ثم كثير من الناس يعتمد علىٰ التزكيات ولا يواجه هذا الواقع المظلم بما عنده مما يزعم أنه علىٰ المنهج السلفي، وأنا مرة قلت للشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان تصدُرُ منه بعض الكلمات تشبه تزكية لجماعة التبليغ، وإن كان إلىٰ جانبها شيء من لفتات الأذكياء إلىٰ ما عندهم من ضلال وجهل، فيستغل هؤلاء الكلمات التي فيها شيء من الثناء عليهم ويخفون ما فيها من طعن خفي في عقيدتهم ومنهجهم، فيُبرِزون الثناء ويخفون الجرح، جلست معه جلسة قلت: يا شيخنا أنت الآن بمنزلة أحمد بن حنبل وابن تيمية رحم الله الجميع، لك منزلة عند الناس، يعني إذا قلت كلمة تلقَّفوها علىٰ أنها حق، والآن أنت تصدر منك كلمات يعتبرها الناس تزكية لجماعة التبليغ وإن كنت تتحفظ خلال كلامك، لكن هم عندهم دهاء وعندهم مكر يستغلون التزكية والثناء وينكرون ما تشير إليه وتلمِّح إليه من جهل وضلال، ودار الكلام بيني وبينه إلىٰ أن قلت له: يا شيخ، قال: نعم، قلت: هل

جاءك أحد من أهل الحديث من الهند وباكستان أو من أنصار السنة من مصر والسودان - ذاك الوقت، أنصار السنة في مصر والسودان علىٰ غاية الثبات علىٰ المنهج السلفي، ثم هبت عاصفة الفتن والسياسة وما شاكل هذا، فدبت في الصفوف وأوقعت شيئًا من الخلخلة - قلت: هل جاءك أحد من أهل الحديث من الهند وباكستان أو من أنصار السنة في مصر والسودان يطلب منك تزكية علىٰ أنهم علىٰ حق وعلىٰ سنة؟

قال: لا.

قلت له: لماذا؟

قال: لماذا أنت؟

قلت: لأن هؤلاء تشهد لهم أعمالهم وتزكيهم بأنهم علىٰ الحق، وأما جماعة التبليغ وأمثالهم فإن أعمالهم لا تزكيهم بل تدينهم بأنهم علىٰ ضلال وبدع، فضحك الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذا حال من لا تزكيه أعماله ولا مواقفه ولا تشهد له بأنه سلفي، فيلجأ إلىٰ هذه الوسائل الدنيئة من الاحتيال علىٰ بعض الناس والتملُّق لهم حتىٰ يحظىٰ بتزكية، ويكتفون بهذا ويذهبون ليتهم يكفون بأسهم وشرهم عن أهل الحق والسنة، فيذهبون يتصيدون أهل السنة بهذه التزكيات، فتكون مصيدة فيضيِّعون بها شبابًا كثيرًا ويحرفونهم عن المنهج السلفي، وأنا أعرف من هذا النوع كثيرًا وكثيرًا ممن يسلك هذا المسلك السيئ.

فنسأل الله العافية وأن يوفقهم بأن يزكوا أنفسهم بأعمالهم، وأن يجعل من أعمالهم شاهدا لهم بالخير والصلاح وبالمنهج السلفي.

❁ ❁ ❁

سؤال [٤]: جزاكم الله خيرا، يقول السائل: شيخنا ما رأيكم فيمن يفرق بين منهج السلف وبين فهم السلف ويقول: أنا أسير على منهج السلف ولا أتقيد بفهم السلف؟

❁ الجواب: أرىٰ أن صاحب هذا الكلام إن كان متقيِّدًا حقًّا بمنهج السلف ومشهود له بذلك وقال مثل هذه العبارة ويقصد أني لا أقلد في كل شيء وإنما قد أفهم شيئًا، لكن أنا أثبت أنه أخطأ ويخالف بعض السلف لكن لا يخرج عن إطار عقائد السلف وفقه السلف، يوجد مسائل اختلف فيها السلف، فإن مفاهيم السلف تختلف في شيء من القضايا الفرعية في فهم النصوص في الأمور الفرعية قد تختلف بين مالك والشافعي، بين الشافعي وأحمد، فيدرس في ضوء الأدلة الشرعية وفي ضوء النصوص القرآنية والنبوية فيترجح له مذهب علىٰ مذهب فله ذلك، أما إذا كان يقصد الانفلات وما أظن سلفيًا يقصد هذا، فمن باب حسن الظن أحمل كلامه علىٰ أنه يريد هذا الأمر الذي ذكرته أنا، فأما إذا كان هذا الإنسان يريد الانفلات من فهم السلف ويقارعهم بفهمه الذي ابتدعه ولم يسبقه إليه أحد فلا ولا كرامة.

وبهذه المناسبة أنا أنصح السلفيين في كل مكان أن يتقيَّدوا بمنهج السلف

وفهمهم، وله أن يرجح في إطار هذا المنهج وإطار هذا الفهم، يرجح ما يتبين له أنه الحق، لكن لا يخرج علىٰ السلفيين بآراء جديدة يقتبسها من خارج منهج السلف، من طوائف البدع والضلال ومن الأحزاب وغيرها ثم يريد أن يفرضها علىٰ السلفيين، فتؤدي إلىٰ الفرقة والخلاف، فأنا أدعو هذا الصنف من الناس أن يتوبوا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وأن يبتعدوا عن أسباب الفتن، وعن الأمور التي تورث الفرقة والشتات بين السلفيين، وهذا أمر يجري الآن في كثير من المناطق، يتبنىٰ الإنسان فكرة ينسبها للمنهج السلفي ويرىٰ أنها حق ثم يدعو إليها ويوالي ويعادي من أجلها، فيؤدي ذلك إلىٰ تشتيت السلفيين وتفريقهم وتمزيقهم، فنحن ننصح هؤلاء أن يتوبوا إلىٰ الله وأن يتركوا هذه الأمور التي تؤدي إلىٰ الفرقة ولو كانوا يرون أنفسهم أنهم علىٰ الحق.

۞ ۞ ۞

سؤال [٥]: جزاكم الله خيرا، يقول السائل: نحن نحب أن نكون من دعاة المنهج السلفي وأن ننشره، ولكن عندما نواجه مضايقة في وظائفنا أو في دراساتنا فنضطر للسكوت والصبر على مضض، فما توجيهكم لذلك حفظكم الله؟

۞ الجواب: قول: علىٰ هؤلاء أن يصبروا وأن يثبتوا وأن يصدعوا بالحق بالحكمة وبالحجة والبرهان ولا يخشوا في الله لومة لائم ولا يخافوا علىٰ الوظائف، فإن هذا من أراجيف الشيطان ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] علىٰ كل حال، الذي يكتم الحق خوفًا علىٰ وظيفته

أرىٰ أن هذا قد آثر الدنيا علىٰ الآخرة، ولو أن كل إنسان يصنع هذا وخاصة في مثل هذا البلد الذي المجال فيه فسيح جدًّا ولا يستطيع أحد أن يحرمك من وظيفتك، أبدًا! فهذا من تخويف الشيطان، فعلىٰ هذا أن يخاف الله ولا يخاف الشيطان.

۞ ۞ ۞

سؤال [٦]: شكر الله لكم: يقول السائل: شيخنا حفظكم الله ما الفرق بين العقيدة والمنهج؟

۞ الجواب: هذا سؤال يتردد كثيرًا وقد سبقت الإجابات من المشايخ ومني أيضا والحمد لله، لكن أقول: إن هذه من الخدع السياسية، من خدع الأحزاب السياسية التي يتصيَّدون بها الشباب السلفي ويغالطون بها هذا الشباب، ويغالط كثير ممن انخدع من السلفيين ويغالط بها نفسه، فيقول مثل هذا الهراء وهذا الضياع: أنا علىٰ العقيدة السلفية لكن منهجي إخواني أو منهجي تبليغي، هذا كلام ينبىء عن شر في نفس من اخترع هذه الفكرة الشيطانية وفي نفس من يتبناها، كيف نفرق ونجزئ الدين إلىٰ قسمين عقيدة ومنهج وأعطي نفسي حرية الاختيار؟! فآخذ ما أريد وأترك ما لا أريد! ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] كيف تأخذ العقيدة كما تزعم وتأخذ بمنهج يخالف منهج أهل السنة والجماعة، منهج قائم علىٰ محاربة العقيدة التي تنتمي إليها إن كنت صادقا؟! هذا المنهج المخالف لمنهج السلف لابد فيه من محاربة المنهج السلفي، وأنت سوف تكون جنديًا لهذا المنهج،

تحارب المنهج السلفي، وهذا أقوله عن تجربة وعلم وخبرة، فقد رأيت هذا الصنف الذي يدَّعي أن عقيدته سلفية وهو مع الإخوان أو غيرهم من أهل الفتن؛ رأيتهم من أشد الناس إيذاءً وحربًا وتسلطًا علىٰ أهل العقيدة والمنهج السلفي، هذه من الخدع التي خدعوا بها كثيرًا ويخادعون بها كثيرا، وأثيرت هذه المسألة في الفرق بين المنهج والعقيدة، فلما أطالوا هذه الفتنة ووجدت إجابات تختلف وإن كان اختلف في تفسير العقيدة والمنهج لكن كل أهل السنة متفقون علىٰ أنه لا يجوز هذا التفريق بين العقيدة والمنهج، حتىٰ ولو قلنا: إن هناك فرقًا بين العقيدة والمنهج فإنهما متلازمان تلازم الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فالعقيدة والمنهج متلازمان، لا يجوز فصلهما، ولا يفصل بينهما إلا ضال، وأهل السنة إن شاء الله متفقون علىٰ هذا.

۞ ۞ ۞

سؤال [٧]: شكر الله لكم، يقول السائل: ما هي نصيحتكم حفظكم الله لمن وقع في بحر الهوى والشبهات؟

۞ **الجواب**: نصيحتي له أن يتوب إلىٰ الله وأن يستحضر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فلو سبحت في بحر الكفر لك أن تخرج بالتوبة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، فعليه أن يتوب إلىٰ الله يرجع إلىٰ الله، فباب التوبة مفتوح للعباد جميعا.

سؤال [٨]: يقول السائل: هل صحيح أنه لا غيبة لمبتدع مطلقا؟

۞ الجواب: هذا شيء بالإجماع، إذا كان قصدك النصيحة لوجه الله وتحذير المسلمين من الوقوع في شر هذا المبتدع فإن هذا لا يسمىٰ غيبة وإنما هو جهاد ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا أمر مما يتقرب به إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وليس بغيبة، شريطة أن تكون ناصحًا لله محذِّرًا للمسلمين من الوقوع في شر هذا المبتدع، فيخرج هذا من إطار البدعة إلىٰ إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلىٰ إطار الجهاد في سبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، بل من أفضل أنواع الجهاد، وهناك كلام لأحمد ولابن تيمية ولأئمة السلف وللفقهاء من مختلف المذاهب أن المبتدع لا غيبة له وأنه يجب التحذير منه، وحكىٰ أيضا شيخ الاسلام ابن تيمية الإجماع، ابن تيمية وابن رجب والنووي حكوا الإجماع علىٰ هذا، واعرفوا أن الأئمة استثنوا من الغيبة ستة أسباب أو ستة أمور تعرفونها:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلِّم ومعرِّف ومحذِّر
ومجاهر فسقًا ومستفتٍ ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر

هذه ستة أبواب اتفق العلماء علىٰ أن الكلام في الشخص بما يكره وبما يعيبه ليس من الغيبة وإنما هو من النصيحة إلىٰ آخر ما ذكره العلماء.

وأئمة التصوف وأئمة الضلال كانوا من قديم الزمان يعترضون علىٰ أئمة الجرح والتعديل فيقولون هذا غيبة فيجيبهم أهل السنة بأن هذا ليس بغيبة وإنما هو من باب النصيحة، ولهم شواهد وأدلة من القرآن والسنة.

سؤال [٩]: يقول السائل: ما هو التوجيه في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨] فبعض الناس يقولون أن المراد من هذه الآية، نسمع قول كل شخص فنأخذ أحسنه؟

۞ الجواب: تسمع إلىٰ اليهود والنصارىٰ والشيوعيين وأنت جاهل وإلىٰ الخرافيين والمبتدعين وأنت جاهل لا تميز بين الحق والباطل؛ ولا بين الهدىٰ والضلال، السلف أفقه منا بهذا المنهج وفي تفسير هذه الآية ومنها مما أقوله لكم: إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

تلا هذه الآية ثم قال: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**» فأخذ السلف من هذا - كبار أئمة السلف - أن أهل البدع أهل خبث ومقاصد سيئة فلا تسمع له، حتىٰ أن مثل ابن سيرين وهو من أئمة الإسلام لا يسمع القرآن من المبتدع، لماذا؟ لأنه يسوق المتشابه ليضلك، يعني يتقصد الفتنة ويقصد صرفك عن الحق.

فعُرف من واقع أهل البدع ومكايدهم ومما أُستفيده من القرآن ومن التوجيه النبوي: أنك لا تسمع لأهل الباطل ولا تقرأ لأهل الباطل، وهذا فهم السلف أطبقوا علىٰ ذلك وأجمعوا علىٰ التحذير من أهل البدع وهجرانهم ومقاطعتهم،

واتفقوا علىٰ التحذير من قراءة كتبهم، وهذا يرجع إلىٰ نفس المكيدة التي حكيتها لكم سابقا، يقول اقرأ وخذ الحق ودع الباطل، وأنت لا تميز بين الحق والباطل فتقع فيه وفي الضلال، فإذا كنت أنت مميِّزًا عالمًا ثابتًا علىٰ المنهج السلفي تدرك من نفسك أنك تستطيع أن تقرع الحجة بالحجة وترد الشبه؛ تقرأ لأهل البدع لا لتستفيد إنما تقرأ لتعرف باطلهم فتحذِّر الناس منه، فلك ذلك وإذا عرفت من نفسك ضعفًا ولو كنت عالمًا فعليك أن تبتعد عن مجالسة أهل البدع وعن قراءة كتبهم والنظر فيها، وقد سُقت لكم أمثلة لبعض الشخصيات الكبيرة وقعت في الضلال والبدعة بسبب ركونهم في شيء ولو قليل لأهل البدع.

فليس مراد الآية أنك تسمع الحق والباطل من أهل الباطل وتأخذ الحق، ليس المراد أنك تسمع من كل شخص ولو كان يهوديًا، أو نصرانيًّا، أو رافضيًّا، أو مبتدعًا يدعو إلىٰ ضلالته، فالباطل ابتعد عنه خاصة إذا كنت ضعيفًا.

❁ ❁ ❁

سؤال [١٠]: يقول السائل: ما قولكم فيمن يقول: لا تخرج عن المذاهب الأربعة، فيقول: إلى أين تخرج، وإذا كنا من قبل مع الأوزاعي وغيرهم يقول مذهبهم اندرجت تحت المذاهب الأربعة؟

❁ الجواب: هذا كلام لا يقوله عالم، لا نعرف عالمًا يقول هذا إلا أهل الضلال، أما علماء الإسلام وعلىٰ رأسهم الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الأربعة وغيرهم، متفقون مُجمعون علىٰ أنه إذا استبانت السنة لم يكن لأحد أن

يتركها لقول أحد، وقد جاء كثير من الأئمة خالفوا وخرجوا عن المذاهب الأربعة كلها، وما خرجوا عن دائرة الإسلام ولا عن دائرة الكتاب والسنة، لأن الإسلام أوسع من المذاهب الأربعة، والأئمة الأربعة ما أنشأوا مذاهب ليلزموا بها الناس وحاشاهم، ولو ألزموا الناس بذلك لما وجبت طاعتهم، لأن الله ما ألزمنا إلا باتباع محمد ﷺ واتباع الوحي، ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣].

نحن مأمورون باتباع هذا الوحي والاعتصام به، ولسنا ملزمين بمذهب أحد من البشر، وكلهم رادٌّ ومردودٌ عليه، فهذا الذي يقول هذا الكلام إما جاهل أو محارب لدعوة الله والاعتصام بكتابه وبسنة نبيه ﷺ، ومحارب لما عليه الصحابة والتابعون ولما عليه أئمة المذاهب الأربعة والفحول من أتباعهم الذين اتبعوا كتاب الله واتبعوا الصحابة واتبعوا السلف الصالح واتبعوا الأئمة الأربعة في الدعوة إلىٰ الاعتصام بكتاب الله وسنة الرسول ونبذ ما خالف ذلك، والدوران مع الحق أينما دار.

۞ ۞ ۞

سؤال [١١]: جزاكم الله خيرا، يقول السائل: شيخنا ما رأيكم فيمن يقول: انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال؟

۞ الجواب: هذا قد يكون له وجه، هذا يشبه قول القائل: اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال، فكأنه يريد هذا المعنىٰ، عندما تعرف الحق تعرف أهله،

تميَّز لمعرفة الحق بين أهل الحق وبين أهل الباطل، أما إذا كنت تقيس الحق بالرجال فإن هذا طريق الضلال، فما قاله فلان فهو الحق وما لم يقله أو خالفه هو الباطل، فهذا هو الضلال، فقد يقصد القائل هذا الكلام، إذا كان يقصد هذا فلا مانع.

أما إن كان يقصد ما يقوله بعض أهل الأهواء: أنك إذا وقعت علىٰ بدعة فتكلم عليها ولا يحق لك أن تتكلم في صاحبها، فهذا قول باطل مخالف لمنهج السلف الصالح وواقعهم؛ فإنهم ينصون علىٰ أهل البدع بأسمائهم وأعيانهم، ويحذرون منهم بأعيانهم.

السائل: ومقولة أخرى: استفد ولا تعتمد؟

۞ الجواب: استفد من الإنسان ولا تعتمد عليه في كل شيء، خذ منه الخير والحق، إذا كان أهلا لذلك ولا تقلده، كأنه يقصد هذا والله أعلم؛ لأن بعض الكلام يأتيك مطاطًا هكذا، لكن نحن نحمله علىٰ أحسن وجوهه.

۞ ۞ ۞

سؤال [١٢]: يقول السائل: فضيلة الشيخ يقول بعض الناس: أنتم تنظرون إلى كلام السلف في أهل البدع من المعتزلة والقدرية وغيرهم وتطبقونه علينا، ومن نحن ومن هم، فما التوجيه لذلك؟

۞ الجواب: من هو هذا الذي قال تطبقونه علينا، لا أدري أنا عندي تحسس، أخشىٰ يكون صوفيًا أو حزبيًا واقعًا في هذه المشاكل!، فإذا كان موجودا يأتي يتفضل ما هي هذه الأمور التي ترىٰ أن السلفيين يبدعونك فيها، ويلحقونك بأهل البدع

من المعتزلة والقدرية، إن كان عندك من هذه الضلالات، أو تدافع عن أهل الضلالات، وتتولاهم، وتحارب أهل السنة والحق من أجلهم، فهم علىٰ حق وأنت علىٰ الباطل.

فقد يكون أنت عندك أفكار اعتزالية وقد يكون عندك أفكار روافض وأفكار مرجئة أو الخوارج أو غيرهم، قد يكون عندك شيء من هذا، فإذا جاء السلفيون يطبِّقون المنهج السلفي علىٰ أهل البدع أحسست أنهم يطبقون عليك، ومَن يستثنيك إذا كنت واقعًا في شيء من هذه البدع، فكثير من الناس يريدون أن يعيشوا علىٰ أفكار أهل البدع ثم لا يريدون أن يقال: إنهم مبتدعة. يتولون أهل البدع ويدافعون عنهم وعن أباطيلهم وعن أفكارهم حتىٰ لو وصلوا إلىٰ القول بوحدة الوجود وإلىٰ سب الأنبياء والصحابة، يدافعون عن أهل هذه البدع، ما رأيكم فيمن يدافع عن واحد يسب رسول الله وكليمه موسىٰ ويسخر منه، ويسب الصحابة ويقول بالحلول ووحدة الوجود ويريد أن يقال له سلفي! لا تطبَّق عليه البدع!، نسأل الله العافية، فأنا أخاف علىٰ هذا المعترض أن يكون من شر أهل البدع.

❁ ❁ ❁

سؤال [١٣]: سائل يقول: الإخوان المسلمون منهم من يعلم عن التنظيم السياسي ومنهم من لا يعلم، فكيف ندعو من لا يعلم؟

❁ الجواب: ادعه بالعلم، ادعُ العالم منهم بالتنظيم تقول هذا التنظيم القائم علىٰ الولاء والبراء لهذا الحزب مهما بلغ أهله من الضلال والمخالفة للإسلام،

تحزب وباطل يحاربه الإسلام، وادعُ هذا المخدوع إلىٰ المنهج السلفي الحق، إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا فرق بين الإخوان المسلمين ولا غيرهم، حتىٰ النصارىٰ واليهود المنَظَّمين وغير المنظمين بيِّن لهم ضلالهم وادعهم إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وبين لهم الحق؛ لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النَّعم.

❋ ❋ ❋

الطريق الصحيحة
في الدعوة إلى الله تعالى


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شرور أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيئاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعدُ:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

فإنها لفرصة طيبة مباركة أن نلتقي بإخواننا وأبنائنا في بيت من بيوت الله نتذاكر أمرًا مهمًّا من أمور ديننا؛ ألا وهو الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وطرقها الصحيحة التي قد يجهلها كثيرٌ ممن يخوضون في ميادين الدَّعوات ويحيدون

عن هذه الطرق الصحيحة.

سادة الدُّعاة وأئمَّتُهم وقادتهم هم الأنبياء عليهم السلام، فالذي يريد أن يعرف الطُرق الصحيحة للدعوة إلىٰ الله فليتأمل قصص هؤلاء الرُّسل الكرام سادة الدُّعاة – عليهم السلام –، وليدرس سيرة هذا النَّبيِّ الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من القرآن نفسه ومن السنة النبوية المُطهَّرة التي حفظها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبقيت منارًا مع القرآن لهذه الأمَّة تهتدي بها في كلِّ شؤون حياتها وعلىٰ رأس ذلك الدَّعوة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما أوحاه إلىٰ هذا النَّبيِّ الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: سبيل التوحيد؛ وهي سبيل الأنبياء عليهم السلام الذين ما بعث الله نَبيًّا رسولًا منهم إلَّا دعا إلىٰ توحيد الله وإخلاص الدِّين لله تعالىٰ؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، لخَّص تأريخ الرِّسالات كلِّها في هذه العبارات الموجزة، المعجزة عظيمةٌ جدًّا من أوَّل رسولٍ إلىٰ آخرهم، هذا منهجهم وهذه دعوتهم عليهم الصلاة والسلام، يدعون الناس إلىٰ توحيد الله ونبذ الشِّرك والطواغيت.

هذه الدَّعوات الموجود في الساحة الآن كثير منها لا نقول كلها لا يرفعون رؤوسهم بهذا المنهج العظيم الذي شرعه الله لجميع الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم، ولم يَحِد أحدٌ منهم أبدًا عن هذا الطريق، ولن يحيدوا وحاشاهم

ونَزَّهَهم الله عَزَّوَجَلَّ أن يميلوا يَمنةً أو يسرةً عن هذا المنهج العظيم الذي تأباه وتهرب منه كثيرٌ من الدَّعوات التي ما زادت الأُمَّة إلا خبالًا وما زادتهم إلا وبالًا وما زادتهم إلا ذلًّا وهوانًا؛ لأنَّهم لم يسلكوا الطريق الذي شرعه الله لأنبيائه ولهذه الأمَّة إلىٰ قيام الساعة.

ولقد نُبِّه كثيرٌ من رؤوس هذه الدَّعوات إلىٰ أنَّهم قد حادوا وابتعدوا عن هذا المنهج العظيم، ومع الأسف الشديد تمضي الأيام والليالي والشهور والسنون ولا تنفع فيهم هذه القوارع من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن سنة رسول الله ﷺ ومن تنبيهات الدُّعاة الدَّاعين إلىٰ منهج الرسل الكرام - عليهم السلام -، فيا أيها الدعاة! أفيقوا واتقوا الله في أنفسكم، واتقوا الله في هذه الأمَّة الضائعة إلَّا من حفظ الله منها.

سبيل الله واضح.

﴿ٱدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾: لا إلىٰ منصب، ولا إلىٰ جاه، ولا منهج سياسي، ولا منهج صوفي، ولا خرافي، منهج الأنبياء عليهم السلام، ودعوة قائمة علىٰ العلم، ليست علىٰ التخرُّصات ولا علىٰ الجهل والهوىٰ وإنَّما هي قائمةٌ علىٰ البصيرة والعلم، ووُرَّاث الأنبياء عليهم السلام هم العلماء الذين فَقِهوا دينَ الله، فَقِهوا رسالة الرُّسل الكرام عليهم السلام، فَقِهوا كتابَ الله وسُنَّةَ رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، واتَّبعوا في دعوتهم سنن الله الشرعية والكونية؛ فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وليس كلُّ عالم وارث، بل من اقتفىٰ أثرهم وسلك سبيلهم في عقيدته ومنهجه ودعوته

وولائه وبرائه؛ هؤلاء هم وُرَّاث الأنبياء وأتباع الرسل وخاصة محمد ﷺ؛ لأنَّهم عليهم السلام أقاموا حياتهم علىٰ هذه الدَّعوة وعلىٰ هذه العقيدة عليهم السلام، أوقفوا حياتَهم لهذه الدعوة العظيمة القائمة علىٰ الوحي، والوحي هو العلم.

أهل العلم وورثة هذا النَّبيِّ الكريم ﷺ وُرَّاث الأنبياء عليهم السلام ورثوا عنهم العقيدة الصحيحة، ورثوا منهم طرق الدعوة إلىٰ الله، ورثوا منهم الحكمة، ورثوا منهم الصبر علىٰ الأذىٰ، ورثوا منهم كلَّ مُتَطلَّبَات الدعوة، فهؤلاء هم أهل البصيرة، دعوة إلىٰ توحيد الله، دعوة إلىٰ منهج الله وبراءة من الشرك.

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيهٌ لله تعالىٰ من كلِّ النقائص، ومن كلِّ الشُركاء، ومنَ الأنداد، وبراءة ممَّن يتخذ مع الله أندادًا أو يحيد عن هذا المنهج.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: أنا لم أفتر علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولم أتَّخذ معه أندادًا وإنَّما أنا أدعو إلىٰ توحيد الله وعبادته وإخلاص الدِّين له معتمدًا في ذلك علىٰ العلم والبصيرة التي أوحاها الله إليَّ وأخذها عنِّي أتباعي.

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾: معطوف علىٰ الضمير المستتر في ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾

﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾: سلك منهاجي ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: علىٰ علم، فلا يجوز لأحدٍ أبدًا أن يدعو إلىٰ الله بغير علم، ولا يجوز لأحدٍ أن يخالف هذا السبيل ولو كان عنده علم، بل هي سبيل معيَّنة، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: القائمة علىٰ العلم، سبيل: هي سبيل الرسل - عليهم السلام -؛ دعوة إلىٰ

توحيد الله، ودعوة قائمة علىٰ العلم، ودعوة تتبرأ من الشرك بالله، وتُنزِّه الله عن الشركاء والأنداد؛ الشركاء في الربوبية أو الشركاء في الألوهية ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

فهذه دعوة الأنبياء عليهم السلام، وهذه طريقتهم وطريقة خاتمهم ﷺ دعوة إلىٰ توحيد الله قائمة علىٰ العلم، تحذِّر من الشرك وتنزِّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنه، وتُنَوِّه بوُرَّاث الأنبياء عليهم السلام العلماء المتَّبعين لهذا السَّبيل والدَّاعين إليه علىٰ علم وهي البصيرة.

فيا أيها الدعاة إلىٰ الله! علينا أن نفقه كتاب الله، وأن نفقه منهج الله، وأن نفهم منهج الرسل الذي شرعه الله لهؤلاء الرسل الكرام عليهم السلام وتنوِّه به هذه الآية العظيمة، وصارت هذه الآيات نبراسًا ومنارًا للدعاة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فلنستعرض الآن الدعوات الموجودة في الساحة هل هي تدعو الآن في هذا السبيل أو أنها تحيد عنه؟ وهل هي قائمةٌ علىٰ المنهاج النبوي وعلىٰ العلم الذي جاء به محمد ﷺ؟ رسول الله ﷺ كم دعا؟ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كم دعا؟ إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وصالح وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام إلىٰ ماذا دعوا؟ وكم لاَقَوْا من الأذىٰ؟ وكم لاَقَوْا من المحن؟ لأجل أي شيء؟ لأجل مناصب؟ لأجل التصوُّف؟ لأجل أي منهج من المناهج الفاسدة الموجودة الآن التي تلصق بالإسلام والإسلام بريء منها؟ وشعارات رنانة تأخذ بمجامع القلوب ولكنها والله جوفاء، نحن ما نقول هذا الكلام سَبًّا، لكن نحن نريد أن ينتبه

هؤلاء أنَّهم ضيَّعوا أنفسهم وضيَّعوا الأمَّة بهذه الطرق التي تخالف سبيل الله وسبيل الأنبياء عليهم السلام وعلىٰ رأسهم محمد ﷺ، هذه لفتة حول هذه الآية، وأنَّ هناك سبيلًا معيَّنًا يجب أن يسلكه الدعاة إلىٰ الله، وأنَّ هناك علمًا مُشترطًا في الداعي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، أن يكون عالمًا، لا ينزل الساحة أي جاهل يؤخذ من الشارع ويُلَقَّن كلمات فارغة ثم يُقذَف به إلىٰ المنابر ويُقذَف به للتصدر للأمَّة وقيادتها وتوجيهها! فتضيع الأمَّة بمثل هذه الدعوات، «**وإنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ يَنْتَزِعُهُ انْتِزَاعًا مِنْ صُدُورِ النَّاس بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوه وَلَكِنَّهُ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»، أهل الجهل لا ينفعون الأمَّة يضرونها، يُضِلُّون أنفسهم ويُضِلُّون الناس، وماذا يترتب علىٰ هذا الضلال والإضلال من الضياع في هذه الحياة الدنيا؟ والله أعلم ما هي العواقب في الآخرة لآثار هذا الجهل وهذا الضلال، إنها والله وخيمة، وإنها والله خطيرة، فيا معشر الشباب أَعِدُّوا أنفسكم لأن تكونوا وُرَّاث الأنبياء عليهم السلام والأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر، والعلم هذا من أعظم غاياته الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإصلاح عقائد الناس، وإصلاح حياتهم تبعًا لإصلاح العقيدة. وما من نبيٍّ جاء إلَّا وفي الأمم من الفساد العريض ما لا نهاية له، ومنها الفساد العقائدي، فبماذا يبدأ هؤلاء الأنبياء عليهم السلام؟ لا يبدؤون بالإصلاح الاقتصادي، ولا بالإصلاح السياسي، ولا بالإصلاحات الاجتماعية كما

يُسمُّونها، يبدأ بالعقيدة وإصلاح العقيدة، وإذا صلحت هذه العقيدة انقاد الناس لإصلاح كلِّ جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية...، وإذا ما صلحت العقائد فلن تصلح الأمَّة أو الناس جميعًا في أيِّ ميدان من الميادين؛ لأنَّه ما عندها أصل، إذا فقدت الأصول ضاعت الفروع، الأصل هو العقيدة وهذه الأعمال كلها وهذه النواحي كلها مرتبطة بالعقيدة وتابعة لها، فإذا كان الأصل مفقودًا أو فاسدًا كيف نستطيع أن نُصلح الجوانب الأخرىٰ؟! هذه حقيقة يجب أن يعيَها العقلاء من الذين يريدون لهذه الأمَّة الخير، ويريدون لها السعادة، ويريدون لها الصلاح، هذا المنهج الصحيح في إصلاح هذه الأمَّة وغيرها، الأمَّة لا شك أنها طرأت عليها عوامل كثيرة فسدت بها تصوُّراتُها وعقائدُها ومناهجُها، وتحتاج إلىٰ حشودٍ من العلماء من طراز ابن تيمية لا من طراز فلان وفلان لإصلاح هذه الأمَّة والعودة بهم إلىٰ ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ وصحابتُه الكرام رضوان الله عليهم من عقائد ومناهج وأخلاق، وكلُّ ذلك تابعٌ للإصلاح العقائدي والمنهجي.

من الآيات التي يمكن أن نذكرها في هذا الموضوع قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥]

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: لا أحد أحسن ممن دعا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هذا تنبيه إلىٰ ما تستلزمه الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن تكون إلىٰ الله لا

لأغراضٍ شخصية، ولا لمصالح، ولا لمناصب، ولا لأمرٍ من الأمور إلَّا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والذي يدعو إلىٰ الله لا بد أن يلتزم العقيدة التي شرعها الله لجميع الأنبياء عليهم السلام، ولا بدَّ أن يلتزم المنهج الذي شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لتبليغ هذه الدعوة.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: يدعو ويعمل؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ حاكيا عن نبيه شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، مثل هذه الآيات يجب أن يستفيد منها الدعاة وأن يكونوا من أشدِّ الناس التزامًا بدعوتهم، وأشدّ الناس حرصًا علىٰ تطبيقها باطنًا وظاهرًا، خالصة هذه الأعمال لله عَزَّوَجَلَّ، لا يُراد بها إلَّا وجه الله ثم حماية هذه الدعوة من أن يتطرَّق إليها الفساد وأن يُساء الظن بهذا الدَّاعي من أنه يدعو إلىٰ شيء هو لا يعمل به، ولهذا «**يدخل رجل في النار فتندلق أقتابه** - أمعاؤه تندلق وتسقط في الجحيم -؛ **فيحيط به الناس يا فلان أما كنت تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر؟ فيقول: بلىٰ كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»[1]، فهذا مصير من يدعو إلىٰ الله ويأمر بالمعروف

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٠٧(٢٢١٤٣) و٥/ ٢٠٩(٢٢١٦٣) والبخاري؛ رقم (٣٢٦٧)، ومسلم؛ رقم (٢٩٨٩)، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وينهىٰ عن المنكر ولكنه لا يعمل بما علم، فيه مخالفات، فيه انحرافات، فيه خروج عن المنهج الذي شرعه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الله شرع العلم والعمل، فرض العمل، كيف تدعو وما تعمل؟! كيف تدعو الناس ثم تتملَّص وتتهرَّب من العمل؟! فيكون جزاء ومصير من يدعو إلىٰ الله وهذا حاله يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهىٰ عن المنكر ويأتيه هذا مصيره؛ أن يكون مثار دهشة لأهل النار - والعياذ بالله - فنعوذ بالله أن نقول ما لا نفعل، وحذار حذار أن يراك النَّاس داعيًا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وأنت لا تلتزم بما تدعو إليه، وهذا يوجد، فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يُوفِّق الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ للدعوة إلىٰ الله بعلم وبصيرة علىٰ منهج الأنبياء عليهم السلام والالتزام بدعوتهم والالتزام بهذا المبدأ؛ مبدأ العمل الذي يترتب علىٰ إهماله البلاء العظيم؛ أولًا انحراف الناس، الناس إذا رأوك تدعو ولا تعمل فهم أشدُّ الناس انحرافًا عنك، وأشدُّ الناس ابتعادًا عن تطبيق ما تدعو إليه، إذا كان تدعو ولا تُطبِّق ولا تعمل كيف يعمل أتباعك؟! ولهذا ترىٰ كثيرا من الدعاة فاسدين وأتباعهم أفسد منهم، هذا من آثار دعوتهم الفاسدة دعوتهم المنحرفة فينحرف الناس وراءهم، هذا الانحراف حصل في اليهود، حصل في النصارىٰ، حصل في الروافض، حصل في الصوفية، حصل في الأحزاب السياسية... لماذا؟ لأنَّ هذا الذي يقودهم يقودهم إلىٰ قول بلا عمل، فهم يركضون وراءه والناس أتباع كلِّ ناعق، ويغلب عليهم التقليد الأعمىٰ إلَّا من حفظ الله؛ كما قال النَّبي ﷺ: «**النَّاسُ كَإِبِلٍ مائة لاَ تَجِدُ فِيهَا**

رَاحِلَةً[1]» إلَّا من يحفظه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويُوفِّقُه ويجد من يسدِّده ويأخذ بيده غير هذا الفاسد غير هذا المنحرف الذي يدعو ولا يعمل.

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: يعني أنا من هذه الجماعة التي أسلمت لله واستسلمت لله تعالىٰ وانقادت لله تعالىٰ فلا يغاير هذه الجماعة ولا يفارقها ولا يخالفها ولا يَشذُّ عنها، أنا من المسلمين قلبًا وقالبًا ودعوةً ومنهجًا، من الذين أسلموا لله وانقادوا لله تعالىٰ، ليس من الذين أسلموا بالاسم المسلمين بالاسم لا المسلمين حقيقة، الذين أسلموا لله تعالىٰ وانقادوا له، واتبعوا رسله في عقائدهم وفي مناهجهم وفي أخلاقهم، من هذا الصنف الراقي المسلم لله، لا يسلم لأحد غير الله، لا ينقاد إلا لله أو لرسول الله ﷺ ولما جاء به.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾: هذه تربية، شتَّان بين الحسنة والسيئة، يعني إذا أساء إليك أحد فمن باب العدل لك أن تأخذ حقَّك، لكن باب الفضل ولأجل هذه الدَّعوة ينبغي أن تتحلَّىٰ بالحلم، وتتحلَّىٰ بالصبر، وتعفو وتصفح، ولا تنتقم، ولا تقابل السيئة بالسيئة بل كافئ السيئة بالتي هي أحسن، أحسن إليه يكن لذلك آثار طيِّبة جدًّا في نفسية هذا الذي أساء إليك، وكم سيلاقي الداعي إلىٰ الله من الإساءات، فإذا تدَّرع بالصبر والحلم والعفو والأخلاق العالية فإن ذلك هو الأمر الذي تستلزمه الدعوة، وتنجح به الدعوات.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٧(٤٥١٦) و٢/ ٧٠(٥٣٨٧) والبخاري؛ رقم (٦٤٩٨) ومسلم؛ رقم (٢٥٤٧)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾: فجأة يتحوَّل من آثار هذا الإحسان؛ يحكىٰ لي عن داعية كان يُشبَّه بابن تيمية في الذكاء والعلم والحفظ، ودخل الألوف بسببه من الكفار في الإسلام، كان لا ينتقم من أحد أبدًا، ويكافئ السيئة بالحسنة، حتىٰ قيل: إنه جاءه فاجر وضربه بمِعوَل في رأسه حتىٰ كأنَّه مات، هي ضربة موت فأغمي عليه، وجاء رجال الأمن اقتادوا هذا الجاني وأودعوه السجن وهذا مغمىٰ عليه، حتىٰ أفاق، فأول ما سأل عن هذا الذي ضربه أين ذهبوا به؟! قالوا: إلىٰ السجن، قال: أبدًا لا أرضىٰ عن سجنه، فُكُّوه من السجن، أبت الدولة إلا سجنه، فكان ينفق علىٰ أسرة هذا المجرم حتىٰ خرج من السِّجن، وجاء رأسًا إلىٰ هذا الرجل ودخل في دعوته، وصار من خيار أتباعه! فهذه الأمور ينبغي أن يتحلّىٰ بها الدعاة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ لا يُوفَّق لهذه الخصال النبيلة؛ الدعوة إلىٰ الله، الصبر، العفو، الحِلم، البعد عن الانتقام، بل مكافأة السيئة بالحسنة بالتي هي أحسن، ليست بالحسنة فقط، بل بالتي هي أحسن، فتكون لها هذه الآثار الطيبة ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾

ثم بيَّن الله منزلة هؤلاء الذين يَحظَون بهذه الأخلاق أنَّهم أهل صبر، وأنَّهم أولو حظٍّ عظيم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فهذه من طرق الدعوة.

ومن الأساليب والطرق الناجحة في الدعوة التي استخدمها الدعاة إلىٰ الله: العلم، والصبر، والانتماء إلىٰ الإسلام، والحرص علىٰ جمع كلمة المسلمين،

الناس يتّهمون الدعوة السلفية بأنّها تُفرِّق، - واللهِ - لا أعلم دعوة من هذه الدعوات الموجودة التي تخاصم المنهج السَّلفي لا أجد دعوة أحرص من الدعوة السلفية علىٰ أن تكون الأُمَّة كلها أمَّة واحدة، وأن يكونوا كلهم مسلمين منقادين لله تعالىٰ، ولهذا يدعون إلىٰ الاعتصام بحبل الله، وإلىٰ الرجوع إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ، بخلاف غيرهم ما عندهم هذا؛ فهم ضِمْنًا إن لم يصرِّحوا بذلك فهم يُقرُّون هذه الاختلافات وهذه الصراعات وهذه التفرقات وهذه التمزقات بين الأمَّة، بينما الدعوة السلفية لا تُقِرُّ شيئًا من هذا أبدًا، لا تُقِرُّ هذا التفرُّق، وتنادي كل المسلمين أن يعتصموا بحبل الله، وأن يعودوا إلىٰ دين الله الحق، الذي نزل بهم بسبب مفارقتهم لكثير من أصوله وفروعه ونصوصه نزل بهم من الذلّ والهوان ما هو مشاهد ومعلوم لكل ذي عقل وبصيرة، والذي يدرك حملة المنهج السلفي أنه لا يرفع الله عن هذه الأمَّة هذا الذلّ والهوان الذي تعيشه لا يرفع عنها إلا إذا عادت إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَاتَّبَعْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ وَتَرَكْتُمْ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لاَ يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ»(١)؛ آمنَّا بالله وصدَّقنا رسول الله ﷺ، وندعو المسلمين جميعًا أن يؤمنوا

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٨(٤٨٢٥) و٢/ ٤٢(٥٠٠٧) و٢/ ٨٤(٥٥٦٢) وأبو داود؛ رقم (٣٤٦٢)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٤٢ح رقم (١١): وهو حديث صحيح لمجموع طرقه.

بكلِّ النصوص القرآنية والنَّبوية، وأن يضعوا لهذا النص النبوي اعتبارًا عظيمًا، ويحسبوا له ألف حساب، وَلْيُوقنوا في قرارة أنفسهم أنَّ كلَّ الشعارات وكلَّ الأساليب والحلول لا يمكن أن تَحُلَّ مشاكل المسلمين، وأن تدفع هذا الذل عن صدورهم.

هذه الكوابيس علىٰ صدور المسلمين لا يرفعها إلا أمرٌ واحد وهو يسير علىٰ من يَسَّره الله عليه؛ هو أن يعودوا إلىٰ ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم إلىٰ القرآن والسنة.

عرفنا؟! «سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لاَ يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ»

مستحيل أن ينزع عن هذه الأمَّة، لو اجتمعت قوىٰ الدنيا كلها لنزع هذا الذل عن المسلمين لا يمكن، كيف وقوىٰ الدنيا كلها تجتمع لإنزال الذل والهوان بهذه الأمَّة؟! شيء واحد الذي يرفع هذا الذل عن المسلمين هو أن يعودوا إلىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، إلىٰ العقائد الصحيحة التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، إلىٰ المناهج الصحيحة التي جاء بها هذا الرسول الكريم ﷺ الذي هيمن كتابُه علىٰ كلِّ الكتب وعلىٰ كلِّ الرسالات، ونحن غافلون ذاهلون عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ، ونأنف من حيث لا ندري من الرجوع إلىٰ هذا الكتاب وإلىٰ هذه السنة، وإلىٰ تطبيق السَّلف الصالح، واللهِ كثيرٌ من الناس يَحُولون بين هذه الأمَّة وبين العودة، ويضعون العقبات والعراقيل الكثيرة في طريق العودة إلىٰ الله، السلفيون يقولون: تعالَوْا إلىٰ الكتاب والسنة، يقولون لا إلىٰ

طائفتنا إلىٰ حزبنا إلىٰ طريقتنا... الحق عندنا! الروافض يقولون: الحق عندهم، الصوفية بمختلف طرقها مئات الطرق كل طريق تقول: الحق عندنا، الأحزاب كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، كلُّهم مشتركون يجمعهم شيءٌ واحد، أنهم عقبات في طريق عودة المسلمين إلىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واستئناف حياة إسلامية صحيحة؛ تعيد لهم العِزَّة والكرامة، الرِّبا الآن متفشٍّ في الناس.

«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ»: هذا إشارة إلىٰ الرِّبا، وإلىٰ كلِّ أنواع الرِّبا الموجودة في الساحة، المعاصي، الإقبال علىٰ الدنيا والشهوات... هذا حديثٌ عظيم جدًّا؛ يجب أن نفقهه ونتدبره، كيف اتبعتم أذناب البقر؟ نَسُوا العلم، وكثير من أتباع أذناب البقر يتركون الصلاة، ولا يعرفون العقائد، ولا يعرفون كثيرًا من الحلال والحرام... فنحتاج إلىٰ حياة علم؛ العلم في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، ثم عمل بهذا العلم، بالعلم والعمل الصالح رجعنا إلىٰ دين الله الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُم»، ليس إلىٰ العقائد الصوفية، والعقائد الأشعرية، والعقائد الجهمية، والعقائد الاعتزالية، والخرافات والبدع... هذه كلها الإسلام بريءٌ منها، العقائد يتضمَّنها القرآن والسنة، والأعمال والأوامر والنواهي يتضمَّنها القرآن والسنة، إذا عدنا إلىٰ هذا - الحمد لله - استعدنا ما فقدناه، ورُفِعَ عنا هذا الذل والهوان، كيف الآن تُرفع رايات للجهاد لا تعرف معنىٰ لا إله إلا الله، وتدعو إلىٰ وطنيات؟!

«وَتَرَكْتُمْ الجِهَادَ في سَبِيلِ اللهِ» كثير من الجهاد الموجود ليس في سبيل الله،

في سبيل الوطنية، والقومية، وشعارات الجهاد يشترك فيها الشيوعي، والرافضي، والباطني، والعلماني، هذه رايات إسلامية؟!! هذا هو الجهاد في سبيل الله؟!! إذن لا بد من تربية الأمَّة علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لتقاتل لإعلاء كلمة الله «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**» هذا رجل يسأل رسول الله ﷺ إذا فعلتُ وفعلتُ أنا في سبيل الله؟ قال ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١)، هؤلاء كلُّ حزبٍ يُقاتل لتكون كلمته هي العليا، كلُّ طائفة تقاتل لتكون لها السِّيادة، هذه ما هي كلمة الله، هذا يقاتل مع الرسول ﷺ وله غاية غير غاية الرسول ﷺ فصار إلىٰ النار، قاتل هزم الجيوش الكافرة... قال هو في النار، لماذا؟ لأنَّه لا يقاتل لإعلاء كلمة الله.

هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه زحف التتار علىٰ الشام فاستقبلهم أهل الشام يجاهدون.

ياخـــائفين مـــن التتـــر ... لـــوذوا بقبـــر أبـــي عمـــر

لـــوذوا بقبـــر أبـــي عمـــر ... ينجـــيكم مـــن الـــضرر

قال لهم: سوف تُهزمون، وهؤلاء الذين تدعونهم لو خرجوا معكم يقاتلون لهُزموا، قال وكثيرٌ من العلماء ما شاركوا في هذا الجهاد؛ لأنَّه غير شرعي؛ لأنَّه إذا كان قادة الجيوش يقولون:

---

(١) أحمد ٤/ ٣٩٢ و٤٠١ و٤٠٥ و٤١٧ والبخاري؛ رقم (١٢٣) و(٢٨١٠) ومسلم؛ رقم (١٤٩). عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يا خـــائفين مــــن التتـــــر لــــوذوا بقبـــر أبـــي عمـــر

هذا ليس جهادًا في سبيل الله، والآن هذا شيوعي، هذا علماني، هذا رافضي، هذا باطني... ما شاء الله يجاهدون يحرِّرون الأوطان! يحرِّرون الأوطان لأي شيء؟ لقوميات، أحزاب وضلالات، ليس في سبيل الله.

ربُّوا الأمَّة هذه علىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة الرسول ﷺ، وارفعوا شعار لا إله إلا الله، وقاتلوا من أجل لا إله إلا الله، قاتلوا من أجل التوحيد، ليس من أجل الشعارات الحزبية الضالة، والشعارات الطائفية الضالة، جهاد جهاد جهاد.. ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٢]، هذا وعدٌ مُؤكَّد أو لا؟ هذا الوعد لمن؟ للشيوعيين والروافض والباطنية والعلمانيين أو لأصحاب محمد ﷺ ومن سار علىٰ نهجهم؟ أمَّا أصحاب محمَّد ﷺ فإذا قاتلوا الأعداء فرُّوا أمامهم ينهزمون شر الهزائم؛ في بدر، في حنين، في أحد، في كل المواقع الظفر ملازم لهم ولو حصلت جولة في حنين للكفار لكن العاقبة للمتقين الموعودين بهذا النصر ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [التوبة: ٥٧]، الآن المسلمون هم من يولُّون الأدبار، وتُداس كرامتهم في أوطانهم، والسيادة والغلبة والقهر والعزة والكرامة لأعداء الله، هذه ثمار الجهاد من خمسين ستين، سبعين سنة؟!! هذه ثمار الجهاد! الغنائم من جيوب المسلمين؛ من أين يُغنم هؤلاء المجاهدون؟ من جيوب المسلمين! ليس من جيوب الكفار! كان الجهاد تسعد به الأمم،

الفاتحون والمفتوحون يسعدون بهذا الجهاد، الآن بهذا الجهاد الذي يقوده الجهال والسُّفهاء يزيدون الأمة ذلاًّ وإهانة! وإذا تكلّم العلماء شَنُّوا عليهم الغارة، وتحرَّك الإعلام الخسيس لإسقاط العلماء، تحرَّك إعلام رهيب؛ يُجيدون الإعلام لكن لا علم عندهم، يقول لهم العلماء: الطريقة كذا والطريقة كذا، فيسيؤون بهم الظن ويوجِّهُون لهم الاتهمات! لأنَّهم جهال عميان، وأصحاب أهواء، ونظرتهم كما قال ذاك:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد

- والله - بهذه الطريقة العوجاء - والله - ما نَهزِم الأعداء، ولا تتحقق الوعود الرَّبانية أبدًا

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: الآن ولو قاتلتم الذين كفروا لولَّيتم الأدبار ثم لا تجدون وليًا ولا نصيرًا أبدًا، تذهبون للأمم المتحدة، تذهبون لأمريكا... كل هذه ما تنفعكم، اتجهوا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأخلصوا لله.

النبي ﷺ يوم بدر يرفع يديه هكذا حتىٰ سقط رداؤه يدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما يستنجد بأحد أبدًا، لا يستنجد إلا بالله، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] استنجدَ بالله واستغاثَ به، وما اتَّجه إلىٰ الناس يستغيث بهم ويستنجد بهم، فنصره الله وهم قلَّة؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، الله

آواهم وهم قلَّة ومستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس، لكنهم في كنف الله وفي رعايته، فأنزل عليهم النصر وأمَدَّهم بالملائكة، ونحن لو سلكنا هذا المسلك، واتجهنا إلىٰ الله وحده، ويئسنا من البشر، وأخلصنا ديننا لله، وأخلصنا مطالبنا إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والتجأنا إلىٰ الله وحده في الشدة والرخاء - والله - لن يُضَيِّعنا ولن يخلف وعده؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، حياة المسلمين مؤلمة جدًّا، ومن أخطر الناس علىٰ حياة المسلمين دعاة الشر والسوء والبدع والضلالات والأهواء، هم أشدُّ الناس بلاءً علىٰ هذه الأمَّة، وأشدُّ الناس خطرًا علىٰ هذه الأمَّة، فعليهم أن يتّقوا الله، وأن يفهموا كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن ينصحوا لله، وأن ينصحوا للمسلمين، هذا الذي يجب، الغش لا يجوز لا في دين المسلمين ولا في دنياهم، الغش موجود، المغالطات موجودة، التلاعب موجود، التلاعب بالعواطف موجود، دغدغة العواطف العمياء موجود، يجب أن نواجه الناس بحقائق الإسلام، وبأنوار الإسلام، وبهداية الإسلام، وبهداية القرآن، والدعوة إلىٰ امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق أخباره، والإيمان الصادق بما فيه من عقائد في أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفاته، إخلاص العبادة لله تعالىٰ، توحيد علىٰ طريقة الرسل الكرام عليهم السلام، هذه هي الدعوة الصحيحة التي سار عليها الأنبياء عليهم السلام، ويجب أن يسير عليها المسلمون، ومن حاد عنها فوالله ما أمامه إلا الدَّمار في الدنيا والآخرة؛ عقوبة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لمن يتنكر هدايته وطريقته وهديه.

ذكرنا يا إخوة أنَّ العلم أساس في هذه الدعوة دعوة الأنبياء عليهم السلام، وحثَّ الله علىٰ العلم، وبيَّن فضل العلم، وبيَّن فضل العلماء، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وجاءت الأحاديث النبوية الكثيرة تبيِّن فضل العلم، وتبين فضل طلَّاب العلم، وتبيِّن أنَّ ورثة الأنبياء عليهم السلام هم العلماء؛ العلماء العاملون المخلصون الصادقون، بعد هذا العلم وبعد هذا العمل نحتاج إلىٰ إخلاص لله رب العالمين في الأقوال، والأعمال، والحركات، في ميدان تحصيل العلم، في ميدان تبليغه، في ميدان الدعوة إلىٰ الله، لا بدَّ من الإخلاص لله رب العالمين، فإذا أخلص لله طالب العلم فإن «**الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضىٰ بما يصنع**»[1]، وإذا طلبه من أجل الدنيا لم يرح رائحة الجنة، «**مَنْ طَلَبَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ الله لِغَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا لَمْ يجد عَرْف الجَنَّةِ**»[2] لا يشمُّ ريح الجنة، هذا وعيدٌ شديد لمن لا يخلص في طلب

(١) ثبت عن النبي ﷺ عند الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٣٩، ٢٤٠) و(٥/ ١٩٦) وأبي داود؛ حديث رقم (٣٦٤١). والنسائي؛ حديث رقم (١٥٨) والترمذي؛ حديث رقم (٢٦٨٢) وحديث رقم (٣٥٣٥، ٣٥٣٦) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» وابن ماجه؛ حديث رقم (٢٢٣) و(٢٢٦) وابن خزيمة (١/ ٩٧) برقم (١٩٣)، وابن حبان (١/ ٢٨٥، ٢٨٩) برقم (٨٥، ٨٨) والحاكم (١/ ٢٠٠) وقال: إسناده صحيح. وانظر: فتح الباري (١/ ١٦٠) لابن حجر.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وابن حبان (٧٨)، والحاكم (١/ ٨٥) وصححه، وصححه النووي في رياض الصالحين برقم (١٣٩١)، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٨/ ١٤٣): «أخرجه أبو داود وابن ماجه بإسناد جيد».

العلم الشرعي، فيجب أن يستحضر المسلم هذا الوعيد في كلِّ لحظة من لحظاته، قال أحد العلماء من علماء الحديث ومن كبار بني العباس سليمان بن داود الهاشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وكان من أقران أحمد وكان أحمد يُجلُّه ويقول إنَّه يَصلُح للخلافة - قال: «ربما أحدث بحديث واحد، ولي نية، فإذا أتيت علىٰ بعضه تغيرت نيتي، فإذا الحديث الواحد يحتاج إلىٰ نيات»[1].

وكان السلف يعانون من هذا الأمر، يعانون معاناة شديدة، لماذا؟ لأنَّهم أحياء، قلوبهم حية يقظة عندهم إحساس، فيعاني؛ لأنَّ الشيطان يدخل من كل ثغرة وهو يجاهد ليَسُدَّ هذه الثغرة، لا يغفل عن الشيطان فيحوِّل عمله هذا إلىٰ رياء، والرياء خطيرٌ جدًّا وهو من صفات المنافقين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، فالحذر الحذر من الرياء، وهناك حديث[2] «أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ ثَلاثَة: رَجُلٌ استشهد فَيُؤْتَىٰ بِهِ فَيُعَرِّفُهُ الله نِعَمَهُ فَيَعْرِفُهَا، فَيَقُولُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ فَيَقُولُ: جَاهَدْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتَشْهَدْتُ، فَيُقَالُ: كَذَبْتَ؛ إِنَّمَا قَاتَلْتَ لِيُقَالَ: جَرِيءٌ؟، وَقَدْ قِيل، فَيُؤْمَرُ بِه فَيُسْحَبُ عَلَىٰ وَجْهِه، فَيُلْقَىٰ في النَّار، وَرَجُلٌ تَعَلَّم العِلْمَ وَالقُرآن

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩ / ٣١) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٦٢٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٢١(٨٢٦٠) ومسلم؛ رقم (١٩٠٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَعَلَّمَهُ فَيُؤتَىٰ بِه فَيُعَدِّد اللهُ عَلَيْهِ نِعمَه، فَيَقُولُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِيها؟ فَيَقُولُ: تَعَلَّمْتُ فِيكَ العِلْمَ وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآن وَأَقْرَأْتُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ؛ إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِم، وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئ، فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُسْحَبُ عَلَىٰ وَجْهِهِ إِلَىٰ النَّار» كيف؟ هذا يجاهد حتىٰ يُقتَل، وهذا ما شاء الله حياتُه كلُّها جهاد في العلم، ثم تعليم، ثم قرآن، ثم تكون هذه نهايته!! ما هو السبب؟ السبب أنَّه ما أخلص لله، ما أراد وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا بعلمه، ولا بعمله، ولا بدعوته، ولا بتربيته له غَرَضٌ دنيء أن يُقال عالم، وأن يُقال قارئ، وأن يُقال مقرئ، فاحذروا أيها القرَّاء وأيُّها العلماء وطُلَّاب العلم! قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، والمراؤون من حزبه، ويكون هذا مصيرهم، فحذار حذار! ونعوذ بالله، ونسأل الله أن يعافينا وإيَّاكم.

«والثَالِثُ أَعْطَاهُ الله مِنْ أَصْنَافِ المَال، فَعَدَّدَ اللهُ عَلَيْه نِعَمَه فَعَرَفَهَا، فَيَقُولُ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقتُ فِيهَا لَك، قال: كَذَبْتَ إِنَّمَا فَعَلْتَ ذلك لِيُقَال هُوَ جَوَاد وَقَدْ قِيل» يعني أنت تحب السُّمعة، تحب المدح والإطراء، قال الناس، مدحوا فلان، فلان جواد، وفلان شجاع، وفلان قارئ، وفلان عالم... قيلت هذه الأشياء كلها، ما هي النتيجة؟ النتيجة أن يُسحَبَ علىٰ وجهه فيُقذَف في النار، فأمرٌ يَتساهل فيه الناس غافلون عنه فتكون له هذه النتائج الوخيمة، فانتبه أيُّها المسلم! وكن يقظًا في صلاتك لا تريد بها إلا وجه الله، في طلبك للعلم لا ترد به إلا وجه الله عَزَّوَجَلَّ، في أمرك

بالمعروف ونهيك عن المنكر، في دعوتك إلىٰ الله، فيما تقول، فيما تكتب؛ اتق الله في نفسك، وأخلص لله تعالىٰ، واعلم بأن هذه عبادات أنت مأمورٌ فيها بالإخلاص، فإن أنت خالفت أوامرَ الإخلاص هلكت؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، هذه متطلَّبات العلم والدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينبغي أن نهتم بها كلَّ الاهتمام وأن نراعيها.

مما أرشدنا الله إليه في سبيل الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] إذا كنت عالمًا فادع؛ ادع إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا إلىٰ مصالح وأغراض شخصية، وبالحكمة؛ الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، تخاطب جاهلا تعطيه قدر ما يفهم حتىٰ لا تكون فتنة، كما في الأثر: «خاطبوا الناس بما يعقلون أتريدون أن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُه»[1]، خاطب النَّاس بما يعقلون، ثم انظر إنسان يعني يريد الحق قدِّم له الموعظة، العلم، الأمر والنهي يكفيه، هذا يريد الخير ما يحتاج منك مخاصمة ومجادلة، لا شيء هذا أعطه هذا المقدار ويكفيه، لا تدخل معه في جدال وتفتح معه باب الجدال، ولا تدخله في أمور أخرىٰ، فإذا كان إنسانًا غافلًا مُعرضًا عظه، هذا حاله يتطلب منك بعد الأمر والنهي تبليغ دعوة الله، إذا وجدت فيه شيئًا من الركود

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب من خصّ قوما بالعلم دون قوم كراهية ألاّ يفهموا، برقم (١٢٧)، عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

حرِّكه بالموعظة الحسنة، لا بد أن تكون حسنة، بيِّن له، خوِّفه عقاب الله تعالىٰ؛ قال الله تعالىٰ، قال رسول الله ﷺ، هناك جنة، هناك نار، هناك درجات في الجنة، هناك دركات في النار، مصير الكافرين كذا، مصير العصاة كذا... يحتاج إلىٰ شيء يشدُّ انتباهه ويوقظه من هذه الغفلة والإعراض، شخص مستكبر معاند تقدِّم له النصوص، تبيِّن، تشرح، إذا لم ينفعه هذا الأسلوب تجادله، يحتاج جدالا، جادله بالتي هي أحسن، سُقِ القوارع، بيِّن له بالحكمة والموعظة الحسنة من النصوص الشرعية؛ من كتاب الله تعالىٰ، ومن سنة الرسول ﷺ، إذا استجاب فالحمد لله، وإن أبىٰ فكما يقول ابنُ القيم ؒ: بعدها المجالدة، يعني: إذا كان كافرا ندعو هذا الكافر إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإن دخل في الإسلام الحمد لله هذا المطلوب، فإن أبىٰ فالجزية، فإن أبىٰ فَسُلَّ السيوف علىٰ هؤلاء الكافرين، هذا مايعنيه ابن القيم ؒ بقوله: فالجلاد، فبعض الكفار مسكين غافل تقول له كلمة يسلم، بعضهم معرض يحتاج تخويفا... يتحرَّك يدخل في الإسلام، وآخر معاند جادله بالتي هي أحسن، فإن استلزم الأمر بعده الجهاد يُعلَن الجهاد، وهذا من الحكمة التي تتطلَّبها الدعوة أيضًا.

مما تتطلبه الدعوة الترتيب في أمور الدعوة والتدرج فيها، والبداية بالأهم فالأهم، ليس فقط تدعو تدعو ثم تمسك آخر شيء من الإسلام، والإسلام ليس فيه آخر، لكن فيه مراتب، فيه درجات؟ من أين بدأ الأنبياء عليهم السلام؟ من أين بدأ المصلحون؟ بدؤوا من تصحيح العقائد، ولهذا لما أرسل رسولُ الله ﷺ

مُعاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَاب**»، واللهِ عندهم التوراة فيها توحيد، وفيها لا إله إلا الله، ولكن علماء السوء أفسدوا عقائدَهم، فنصحِّح عقائد هؤلاء الكتابيين، كيف نبدأ بهم؟ يبدأ من النقطة الأولىٰ من منطلقات الأنبياء عليهم السلام وهو الدعوة إلىٰ التوحيد، قال ﷺ «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْه شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ الله، فَإِنْ أَجَابُوا إِلىٰ ذَلِكَ...**»[(١)] فانتقل بهم إلىٰ أصل آخر من أصول الإسلام العظيمة ألا وهي الصلاة، وهي عماد الإسلام، فابدأ بعد التوحيد بدعوتهم إلىٰ هذا الرُّكن العظيم، وهو الصلاة التي هي عماد الإسلام، ثم إذا استجابوا انتقل بهم إلىٰ الزكاة، ثم تصبح النفوس مُهَيَّأة بعد ذلك للصيام، وللحج، ولغيره من الأعمال، هذه هي الطريقة النبوية التي أرشدنا إليها رسول الله ﷺ، وكان يبعث البعوث ويُلَقِّنهم مثل هذه الدعوة ﷺ، فيجب أن نفقه هذا الحديث؛ فإنَّه منهجٌ عظيم في الدعوة إلىٰ الله،، أنت الآن في بلاد إسلامية فيها خرافات، فيها أضرحة، فيها بدع، فيها فقهاء لا يعرفون معنىٰ لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، هي عندهم لا خالق لا رازق إلا الله.. فأنت تحتاج إلىٰ إصلاح وتصحيح فهم معنىٰ لا إله إلا الله لهؤلاء، يقول: لا إله إلا الله ويدعو غير الله! ويذبح لغير الله! ويستغيث بغير الله! يطوف بالقبور! يسجد لها! يعتقد في هؤلاء أنَّهم يعلمون الغيب ويتصرَّفون في الكون! لا شك أنَّهم في

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٣٣(٢٠٧١) والبخاري، رقم (١٣٩٥) و(٧٣٧٢) ومسلم، رقم (١٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَالله عَنْهُما.

وضع رهيب وخطير جدًّا، ويحتاجون إلىٰ تصحيح عقائدهم، ما تبدؤهم بالسياسة، ما تبدؤهم بالتصوف والخرافات، ما تبدؤهم بشيء من هذه التوافِه، لا أقول: توافِه، واللهِ التوافِه هي أعمالهم، يعني السياسة التي يدعون إليها خالية من كثير من السياسة الإسلامية، والتصوف الذي يدعون إليه خال من العقيدة، خال من المناهج الصحيحة، مَشُوب بالشرك والبدع والخرافات، ففاقد الشيء لا يعطيه، الذي لا يعرف معنىٰ لا إله إلا الله ولا يهتم بلا إله إلا الله هذا فاسد، ولا يمكن أن يُصلح غيرَه، وفاقد الشيء لا يعطيه، الشاهد أنَّ المجتمعات الإسلامية في كثير من البلدان تحتاج إلىٰ أن تفهم التوحيد، وتفهم معنىٰ لا إله إلا الله؛ لأنَّ معنىٰ لا إله إلا الله عندهم لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت إلا الله، فإذا قلت له: يا أخي! لا تَدعُ غير الله، قال: هذا ليس شركا! لا تذبح لغير الله، قال: هذا ليس شركًا! إذن ما هو الشرك؟ يقول: أنا لا أعتقد أن فلانًا خالق، وأنه يرزق؛ هذا هو الشرك، أمَّا أن أعتقد أنَّ هذا وسيلة إلىٰ الله، أدعوه بأن يُقرِّبني إلىٰ الله، يعني مثل قول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، أنا غير مرة أبيِّن لإخواننا أنَّ المشركين كانوا يدركون الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، بينما كثيرٌ من هؤلاء الجهال لا يُفرِّقون بين توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية، بل لا يعرفون توحيد الألوهية، توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية عندهم، مساكين، أقول: الكفار إذا سألتهم عن توحيد الربوبية يقول لك: الله هو الخالق الرازق؛ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] ما يقولون: اللَّات، ولا العُزَّىٰ، ولا عيسىٰ، ولا عُزَيْر.. يقولون: الله، يعرفون توحيد الربوبية تمامًا، ويعرفون توحيد الألوهية، ولكن يكابرون، لا يدخلون فيه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، لماذا في توحيد الربوبية لا يستكبرون؟ يمشي معك، يمشي قبلك، ما يجادلك أبدًا؛ ولا نبيٌّ من الأنبياء عليهم السلام خوصم في توحيد الربوبية أبدًا، الخصومة بين الأنبياء عليهم السلام كلِّهم وبين أممهم في توحيد الألوهية فقط، حتىٰ في توحيد الأسماء والصفات ليس فيه خصومة، ولهذا ترىٰ العرب قوم الرسول الكريم ﷺ وعلىٰ رأسهم قريش إذا سُئلوا ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يقولون: الله، لا يتردَّدون، ويعترفون أنَّ العُزَّىٰ التي يعبدونها لا تملك شيئًا أبدًا، وسيلة إلىٰ الله في زعمهم فقط، لكن إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله، ماذا يحصل منهم؟ يستكبرون! كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] فترىٰ الكفار يفرِّقون تمامًا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، هم مسالمون معنا في توحيد الربوبية؛ لا جدال، ولا خصومة، ولا نزاع، ولا استكبار، ولا عناد، ولكن يأتي العناد والاستكبار وسلُّ السيوف والأذىٰ والإرهاب كله من

أجل توحيد الألوهية المتمثل في هذه الجملة العظيمة التي مدار القرآن كله عليها، والجنة والنار خُلِقَت من أجلها، أهل التوحيد يخرجون من النار بسببها، هذه الكلمة العظيمة.

«لا إله إلا الله» لها أهمية عظيمة، أُرسل بها الرسل، وأُنزِل من أجلها الكتب، خُلِقت من أجلها الجنة، مالها قيمة الآن عند كثير من المسلمين مع الأسف الشديد! حتىٰ معناها ما يُكلِّفون أنفسهم ليعرفوه! فإلىٰ الله المشتكىٰ من علماء السوء وعلماء الكلام الذين جَنَوْا علىٰ الإسلام وعلىٰ هذه الأمَّة؛ ففسّروا «لا إله إلا الله» بتوحيد الربوبية؛ لا خالق ولا رازق ولا محيي إلا الله، الله موجود، ويؤلفون المؤلفات الطويلة في إثبات وجود الله، و«لا إله إلا الله» لا يعرفون معناها فضيَّعوا أنفسهم وضيَّعوا الأمَّة، وترىٰ هذه البلايا قامت عليها مدارس ولا تزال قائمة، وتناهض الدعوة إلىٰ «لا إله إلا الله» بتُرَّهَاتِها وخرافاتها وأساطيرها وبلائها، وحتىٰ توحيد الربوبية وقع فيه الشرك.

فتجد كثيرًا منهم يعتقدون في فلان أنَّه يعلم الغيب وأنَّه يتصرَّف في الكون هذا أشرك في الربوبية، فقاد الزنادقة المدسوسون علىٰ الإسلام كثيرًا من عوام المسلمين إلىٰ الشرك في الربوبية، بعد أن قادوهم إلىٰ الشرك في الألوهية، فالدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

يجب أن تنطلق من التوحيد، وإذا عرفنا التوحيد لا نشبع منه إلا أن نموت، فلا نَكَلُّ ولا نَمَلُّ من دراسة هذا التوحيد وتفاصيله وأدلته، وأحكام ما يضادُّه من

الشرك، والرياء، والشرك الأصغر، والشرك الأكبر، نحن بحاجة إلىٰ دراسة هذه الأشياء؛ ولهذا مكث نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف سنة إلا خمسين عامًا في الدعوة إلىٰ «لا إله إلا الله»، الأنبياء عليهم السلام كلُّهم جاؤوا للدَّعوة إلىٰ «لا إله إلا الله» إلىٰ أن ماتوا وهم يدعون إلىٰ لا إله إلا الله، رسول الله ﷺ من أول دعوته إلىٰ أن مات وهو حول التوحيد، ثلاث عشر سنة في مكة يدعو إلىٰ التوحيد، لم يُشرَع له من أساسيات الإسلام بعد التوحيد إلا الصلاة ركعتين ركعتين في مكة، ولما انتقل إلىٰ المدينة وقامت دولة الإسلام شُرِعت الزكاة والصوم والحج، وزيد في الصلاة ركعتان في الحضر، ثم تحريم الربا، الآن البداية في الرِّبا، جهال لا يعرفون «لا إله إلا الله»، يقولون لهم: الرِّبا حرام.. الرِّبا حرام! علِّموهم التوحيد، ثم قولوا لهم: الرِّبا حرام، متىٰ أنزل الله آيات تحريم الرِّبا؟ في آخر حياة الرسول ﷺ، الآن نحن نبدأ بالرِّبا؛ حرب لا نهاية لها، نبدأ بماذا؟ لاحكم إلا لله، لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله، القبور تُعبد، لماذا لا يستنكر هذا الشرك وتُطبَّق حاكمية الله تعالىٰ علىٰ هذا الشرك؟ وتنادي الناس للخلوص من هذا الشرك والدخول في حاكمية الله في التوحيد؟ الحاكمية التي ينادون بها حاكمية سياسية! يعني توجّهوا لزاوية من زوايا الإسلام فقط، وأداروا ظهورهم لأمور عظيمة جدًّا في الإسلام لا تدخل في حساب هذه الدعوة مع الأسف! وتجد بعض هؤلاء الدعاة إلىٰ الحاكمية قبوريِّين خرافيِّين، تجده يقول بالحلول، ووحدة الوجود، ضلالات لا أول لها ولا آخر، ويُكفِّر الذي خالف الحاكمية السياسية، أما الحاكمية الإسلامية الشاملة فلا مكان لها عندهم، فنصلح عقائد

الناس، ونُصحِّح لهم فهم معنىٰ «لا إله إلا الله»، ونُفَصِّل لهم «لا إله إلا الله»، ونظلّ طول حياتنا علىٰ «لا إله إلا الله». آخر لحظة من لحظات حياة الرسول ﷺ وهو يقول: «**لَعْنَةُ الله عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد - يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُه غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**»[1] هذا من كلام عائشة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والشاهد أنَّ الرسول ﷺ اعتنىٰ بالتوحيد من أول دعوته إلىٰ أن مات، قبل أن يموت بخمس كان يقول ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَد اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِد فَلاَ تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِد فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[2].

لماذا؟ لأنَّ الغلو في القبور واتخاذها مساجد والبناء عليها يقود الناس من حيث يريدون أو لا يريدون إلىٰ الشرك بالله تعالىٰ، وهو ﷺ يحسم أبواب الشرك، ويَسُدُّ أبواب الشرك، وهو - والله - يلفِظُ أنفاسَه الأخيرة؛ كما روىٰ ذلك عائشة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذه عناية الأنبياء عليهم السلام، وعناية الرسول الكريم ﷺ بالتوحيد، وماذا يلقىٰ هذا التوحيد الآن عند أصحاب الدعوات؟! ماذا يلقىٰ أهل التوحيد من أصحاب هذه الدعوات مع الأسف الشديد؟! وينظرون إلىٰ هذه الدعوة أنها تُفَرِّق الناس وهي دعوة الأنبياء عليهم

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢١٨(١٨٨٤) و٦/ ٣٤ (٢٤٥٦١) والبخاري؛ رقم (٤٣٥ و٤٣٦) ومسلم؛ رقم (٥٣١)، من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه مسلم؛ برقم (٥٣٢)، من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السلام، فإذا ذَمُّوها فإنَّهم يَذُمُّون دعوة الأنبياء عليهم السلام، وهي دعوة القرآن، وهي دعوة محمد ﷺ، واللهِ إنَّ من يَذُمُّ الدعوة السلفية يَذُمُّ كتابَ الله تعالىٰ وسنة الرسول ﷺ، ويَذُمُّ دعوات الأنبياء عليهم السلام من حيث لايدرون، مساكين فنعذرهم لجهلهم؛ وإلَّا حرب الدعوة السلفية كفر؛ لأنَّه حرب للتوحيد، لكن نحن نقول: جُهَّال ضُلَّال، نقيم عليهم الحُجَّة، وإلا واللهِ أعمالهم هذه كفرية، فنسأل الله أن ينقذ الأمَّة من دعاة السوء، ومن هذه الحواجز التي أقاموها في وجه الأمَّة لأن تأخذ بالتوحيد وتعود إلىٰ ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم من علم وعمل بكل عمل شرعه الإسلام، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا وإيَّاكم ومن تَبلُغه هذه الكلمة؛ أن ينفعنا جميعًا، وأن يأخذ بنواصينا وقلوبنا إلىٰ الحق والهدىٰ، وإلىٰ ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

من أصول اعتقاد
أهل السنة والجماعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أمّا بعدُ:

فمن الأصول المهمة في الإسلام:

إخلاص الدين لله

فعلىٰ ذكر الذكاء وأنه لم ينفع كثيرا من الناس أذكر أني قرأت في (سير أعلام

النبلاء) ترجمة ابن الراوندي؛ وكان يُضرب به المثل في الذكاء، فذكر فيه الإمام الذهبي أقوال الناس في ذكائه ثم قال: لعنة الله علىٰ ذكاء لا ينفع صاحبه، وبارك الله في بلادة تنجي صاحبها من الضلال، فنسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وهذا الموضوع: إخلاص الدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أمرٌ مهم وأصل أصيل في الإسلام، فالمنافقون لم يخلصوا في الإسلام ولم يَصدقوا في قولهم: نشهد إنك لرسول الله، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] فالنفاق ينافي الإخلاص وينافي الصدق في الإسلام - والعياذ بالله - وهذا من أخطر ما ينافي هذا الأصل العظيم؛ أصل الإخلاص؛ إخلاص الدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ١ - ٣].

فيجب علىٰ المسلم الذي دان بالإسلام أن يخلص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في عقيدته وفي عبادته وفي كل شؤون حياته، في عقيدته في توحيد الربوبية يكون توحيدا خالصا لا يشوبه شيءٌ من الشرك في هذا التوحيد، وفي توحيد الألوهية توحيد خالص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يشوبه شائبة من الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وفي توحيد الأسماء والصفات لا يجعل شريكا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في شيء من صفات كماله وأسماء جلاله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولأهمية هذا الإخلاص، إخلاص الدين لله وإخلاص

التوحيد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال بعض الأئمة: إن القرآن كله يدور علىٰ التوحيد، ثم فصّل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

ومن السور التي أخلصت لنوعي التوحيد سورة الإخلاص في الأسماء والصفات، وهي: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ * وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

هذا في توحيد الأسماء والصفات، سميت سورة الإخلاص لأنها اختصت بتوحيد الأسماء والصفات وأخلصت لهذا النوع من التوحيد.

والسورة الثانية في توحيد العبادة: سورة الإخلاص الثانية، وهي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ * لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ * وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ * وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ * لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦]، فهذه السورة أخلصت وسُمِّيت بسورة الإخلاص لإخلاص الدين والعبادة فيها لله عَزَّوَجَلَّ، والبراءة الكاملة مما يضاد هذا التوحيد ومن أهله، أهل الشرك الذين يضادّون الموحدين والشرك الذي يضاد هذا التوحيد الذي بعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به جميع الرسل، فهذه سورة موجزة عن هذا الأصل الأصيل في العقيدة، توحيد العبادة.

أما توحيد الربوبية فامتلأ القرآن من الاستدلال به والآيات فيه لإثبات توحيد العبادة وإلزام المشركين الذين يعترفون بتوحيد الربوبية، ولكنهم ينحرفون في توحيد العبادة فيتخذون مع الله أندادا ويشركون بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهم يعلمون أنه خالق هذا الكون وخالقهم وخالق كل شيء، ومع ذلك يتخذون

مع الله أندادًا في الدعاء وفي المحبة وفي الذبح وفي النذر وفي الرجاء وفي غيرها من ألوان العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيصرفونها لأندادهم.

ولضيق المقام نعرض عن التوسع في هذا، وأنتقل إلىٰ نوع من الشرك، ألا وهو الرياء الذي حاربه الإسلام في القرآن والسنة، المنافي لإخلاص العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكذلك ينافي إخلاص العقيدة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

قال بعض الأئمة: إن العمل لأجل الدنيا أكبر وأخطر من الرياء، لأن الرياء قد يعرض للمسلم أحيانا، أما أن يجعل الإنسان ديدنه الحياة الدنيا وزينتها فإن هذا هلاك خطير والعياذ بالله، فهذا من أنواع الشرك في العمل الصالح الذي ينافي الإخلاص، فسّرها ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بأنه يصلي ويصوم ويقوم الليل ويريد بذلك الدنيا، يريد الجاه ويريد المنصب ويريد المال، وهذه كلها أغراض وأعراض دنيوية إذا قصدها الإنسان بعبادته لله فقد وقع في هوّة الهلاك - والعياذ بالله - كما توعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بإحباط أعمالهم وبالعذاب الشديد لمن يتقرب إلىٰ الله ظاهرا بالأعمال الصالحة وهو يريد بذلك الدنيا، فالحذر الحذر من الأعمال التي شرع الله التقرب بها إلىٰ الله ظاهرا والقصد الأساسي من وراء هذه الأعمال إنما هي هذه الأغراض التافهة، لأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة - والعياذ بالله - فكيف يجعل الدين مطيّةً للوصول إلىٰ هذه المآرب

والأغراض الدنيئة.

كذلك يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في آيات أخر، كما في سورة الشورىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورىٰ: ٢٠]، فهذه الآية تشمل الكفار ويدخلون فيها دخولا أوليا، وتشمل أيضا المنافقين والمرائين، الذين لا يريدون من وراء أعمالهم ومن وراء إسلامهم إلا الحياة الدنيا وزينتها والعياذ بالله، والآيات في هذا كثيرة، التي فيها بيان ما ينافي إخلاص الدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، في العقيدة وفي العبادة.

ننتقل إلىٰ شيء من أحاديث رسول الله ﷺ، يروي أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ: من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**» هذا دليل علىٰ سوء مغبة الرياء وسوء عاقبته، وأن الله لا يعبأ بعمل يشرك فيه غيره، فعلىٰ المسلم الصادق أن يخلص في أقواله وفي أعماله الظاهرة والباطنة لا يريد بذلك إلا وجه الله، وهو أمر خطير، وقد بكىٰ منه السلف، وقد عانوا منه، يعني كانوا يجاهدون أنفسهم، النفس يدفعها الشيطان إلىٰ الرياء وإلىٰ عدم الإخلاص لله، لأنه لا يترك هذا العابد وهذا المسلم يحاول أن يفسد عمله، فالذي يريد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به خيرا ويريد الله به أن تكون أعماله صالحة وفي ميزان حسناته وأن تصير الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف مضاعفة، إذا أراد الله به خيرا أعانه علىٰ نفسه وتيقظ لعدوه وجاهد نفسه حتىٰ يكون عمله خالصا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا يشوبه نفاق ولا رياء ولا حب سمعة، وما أخطر هذا الباب، فينبغي أن نحذر كل

الحذر وأن نستيقظ بمشاعرنا وعقولنا لهذا العدو الذي يريد أن يفسد علينا ديننا ويفسد علينا أعمالنا، ويخرجنا من دائرة المخلصين المحسنين الذين يحبهم الله إلىٰ دائرة المنافقين والمرائين - والعياذ بالله -.

والرياء يقول عنه ابن رجب: لا يكون رياء محضا لا يُراد به وجه الله إلا من المنافقين، فالمسلم يستبعد منه هذا، أن يكون حينما يقوم للعبادة لا يريد بذلك وجه الله.

ومن أسباب غفلة الناس - والعياذ بالله - عن هذا الأمر العظيم إخلاص الدين لله - في نظري - جهل الناس، جهل كثير حتىٰ من العقلاء والأذكياء بالإسلام الحق وبفهم القرآن فهما صحيحا، فمهما بلغ من الذكاء إذا اشتغل بالفلسفة واغتر بالمنطق واغتر بالبدع، فإن هذه قد تجعل بينه وبين فهم القرآن والسنة حواجز، ثم التقليد الأعمىٰ لأئمة الضلال الذين تصدَّروا لقيادة الأمة، وقادوها بعلوم غير الإسلام، بعلم الكلام والفلسفة والمنطق وما شاكل ذلك والتصوف وغيره من أنواع الضلالات، فهذه في نظري كانت حُجُبًا وسدودًا بين الناس وبين أن يفهموا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

❊ ❊ ❊

مكانة العلماء
وخطورة استقلال الشباب عنهم

فإن الإسلام ما قام إلا علىٰ العلم، ولن يستمر إلا علىٰ العلم، ولا يهدم العلم إلا الانصراف عنه ثم الجهل.

وقد جاء في الأحاديث النبوية: **«من أشراط الساعة أن يرفع العلم وينزل الجهل»** يعني بعد رفع العلم نزول الجهل، يأتي الضلال والدمار، ثم قيام الساعة علىٰ شرار الخلق.

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: **«إن الله لا ينتزع العلم من الناس بعد أن أعطاهموه، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتىٰ إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضَلّوا وأَضَلّوا»** من هذين الحديثين نعرف قيمة العلم ومكانة العلم، ولهذا قرن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ شهادة العلماء بشهادته وشهادة الملائكة علىٰ أن الله هو الإله الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، فهذا فيه تشريف للعلماء وتنويه بمنزلتهم ومكانتهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذ قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته في أعظم قضية ألا وهو

التوحيد، فهذا مما ينبغي أن يتدبره المسلمون ويعرفوا لأهل العلم بالله وبكتابه وبسنة نبيه ﷺ يعرفوا لهم حقهم لأن الله عرف لهم حقهم وأعطاهم هذه المنزلة، ويقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] لا يستويان عند الله ولا عند أولي الألباب، ولهذا عرف سلف الأمة للعلماء مكانتهم، بدءًا من الصحابة، وهذا بعد الإشادة في القرآن والسنة بمكانة العلماء عرف الناس للعلماء قدرهم ومنزلتهم، فإذا جهل الناس قدر العلماء تعرضت الأمة للهلاك والضياع، يعني إذا استهانت الأمة بعلمائها معنىٰ ذلك أن الدين قد هان عليها، وإذا طعنت الأمة في علمائها فمعناه أنها لا تحترم هذا الدين، لأن الطعن في العلماء إنما يأتي حينما يزهد الناس في هذا الدين ولا يعرفون منزلته، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمر بشد الرحال لينهل من لا يعلم من حياض أهل العلم ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وكان كثير من أهل الجزيرة يرحلون إلىٰ رسول الله ﷺ ليأخذوا منه أمور دينهم، كما جاء عن وفد عبد القيس وكما جاء عن مالك بن الحويرث والجماعة الذين كانوا معه وكانوا شببة متقاربين في السن، وأخذ بهذه السنة الأمة الإسلامية، فكانوا يرحلون من مشارق الأرض ومغاربها لأخذ العلم، لماذا؟ لأنهم عرفوا مكانة العلم ومكانة العلماء.

وأذكر من آداب يحي بن يحي النيسابوري أنه رحل من بلاده نيسابور إلىٰ مالك وأخذ منه الموطأ، وبعد أن فرغ منه بقي سنة، بعد أن أنهىٰ الموطأ كان

المفروض أنه يرجع إلىٰ بلده، بقي سنة في المدينة ملازمًا للإمام مالك، قال له الإمام مالك: لماذا بقيت وأنت قد أخذت طلبتك؟ قال: أريد أن أتعلم منك الأخلاق، وهناك بعض القصص في احترام الخلفاء وأبنائهم لأهل العلم والفضل، فمرت بي في ترجمة الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال أبو معاوية: جلست مع الرشيد ثم أكلنا ثم بعد الأكل صب علي شخص لا أعرفه، فقال: أتدري من يصب عليك؟ قال: لا. قال الرشيد: أنا. إجلالا للعلم، والمأمون طلب من الفراء أن يعلم ولدين له، فكانا يتسابقان علىٰ أن يلبساه نعليه، فيأخذ هذا فردة من نعليه والثاني يأخذ الأخرىٰ ويلبسان هذا الأستاذ العالم إجلالا لعلمه، وأراد منه أن يؤصل النحو، فأخلىٰ له بيتا وأمر له بجوارٍ وخدم وحراس إلىٰ آخره ليقوم بعلم النحو فقط فضلا عن الشريعة، فكان للعلماء منزلة حتىٰ عند المأمون الذي ذُكر أنه انحرف عن العقيدة، ولكن مكانة العلماء بقيت عنده والأخلاق بقيت عنده، تجرد المسلم وتجرد كثير من شباب الأمة من مثل هذا الخلق الكريم الذي يدل علىٰ احترام الإسلام قبل كل شيء وعلىٰ احترام العلم وإجلاله، إذا فقدت الأمة مثل هذه الصفات؛ إكرام العلماء واحترامهم تعرض الدين للضياع، فعلىٰ طلاب العلم وعلىٰ الأمة جميعا بما فيها حكامها أن يعرفوا للعلماء منزلتهم وقدرهم، كما فعل الرشيد الذي كان يقول للسحابة اذهبي حيث شئت فسيأتيني خراجك، وإن كان خلافته قد أخذت بعض أطرافها، لكن عبارته لها مكانتها، كان يتأدب ويجل العلماء ويعرف قدرهم، ومنه أخذ أبناؤه وأحفاده هذا الخلق، وهو تلقاه عمن قبله، فنحن نرىٰ كما أشار بعض الإخوة أن الشباب وهم في سن الطفولة

العلمية يفتحون مدارس لأنفسهم ويتلقون العلم من غير العلماء فيضلون ويُضلون، لأن الشباب اتخذوا رؤوسا جهالا، بل حتىٰ كثير من الناس من كبار السن ولكن لم يتعلموا العلم الشرعي الذي أشاد الله به وأشاد بأهله وبمنزلتهم، لم يتعلموا العلم الشرعي فهم جهال، فمهما بلغوا في الفلسفة وفي الأدب وفي الثقافة الغربية أو الشرقية فإنهم ليسوا بالعلماء الذين أنزلهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تلك المنزلة، والذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وليسوا بالعلماء الذين أخبر رسول الله ﷺ عنهم في الحديث الذي ضمنه ذلك المثل العظيم: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١).

هذا الحديث شبَّه الوحي الذي آتاه الله محمدًا ﷺ بالغيث، يأتي والناس في حالة شديدة من الجدب والقحط والهلاك فيستفيدون منه، فينبت العشب والكلأ وإلىٰ غيره، وجعل الناس فيه أقسامًا ثلاثة تجاه العلم وتجاه الوحي كأقسام الأرض الثلاث، من الناس من يقبل هذا الوحي وهذا العلم ويفهمه،

---

(١) متفق عليه عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢).

ويستنبط منه الأحكام، ويعلم ويعمل، فهذا مثل الأرض الطيبة التي تقبل الماء فتنبت الكلأ والعشب الكثير، ومن الناس من يجتهد في تحصيل العلم ويحفظ ولكن فقهه قليل وعمله ضئيل ولكنه يؤدي هذا العلم للناس فيستفيدون منه كما تستفيد الأرض الجدباء تحبس الماء فيستفيد الناس منها، فيسقون ويزرعون منها ويشربون وتشرب منها أنعامهم، ومثل من لم يرفع رأسًا بما جاء به محمد ﷺ لا يتعلم ولا يحفظ ولا يعلّم كمثل الأرض القيعان أو الأرض السبخة، لا تقبل ماء ولا تنبت كلأً، فلا هي تستفيد من الماء وتقبله ولا هي تفيد الناس بحبس الماء أو بإنبات الكلأ وما شاكل ذلك.

وعلىٰ كل حال العلماء ورثة الأنبياء كما جاء في حديث أبي الدرداء في ذلك: «**إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًىٰ بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتىٰ الحيتان في الماء، وإن فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر**».

فالعلماء الربانيون الذين تعلموا كتاب الله وسنة رسول الله وفقهوا فيها وعلموها وعملوا بها هم ورثة الأنبياء، وليس كل من حمل العلم حتىٰ العلم الشرعي بورثة الأنبياء، حتىٰ يفهم الفهم الصحيح ويعتقد العقائد الصحيحة ويعمل به، ويدعو الناس إليه، فهؤلاء هم العلماء الذين يستحقون هذه المكانة التي ذكرت في الآيات وفي الأحاديث الشريفة.

علىٰ كل حال علىٰ طالب العلم الذي يريد بعلمه وجه الله ويريد أن يعرف العلم الشرعي فهناك سمات وعلامات بارزة للعلماء الربانيين أهل الحق الذين عرفوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فعلىٰ طالب العلم أن يبحث عن أعلم الناس وأتقاهم لله وأخشاهم له حتىٰ يأخذ منهم العلم مع العمل الذي يسير عليه هذا العالم، انطلاقا من العلم الشرعي الذي أخذه من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، ويعرف من خلال ممارسة هذا العالم أن عقيدته صحيحة وأن منهجه صحيح وأن هذا هو الذي ينشده المسلم الذي يريد لنفسه النجاة ويريد لنفسه أن يكون علىٰ منهج صحيح وعلىٰ عبادة صحيحة وعلىٰ عمل صالح.

مرّ ذكر الصوفية وأحب أن أكمل بشيء من عندي، من الصوفية من يدعي لنفسه الألوهية ويرىٰ أنه رب هذا الكون، فيقول:

وكنت عين وجود القدس في أزل ... يسبح الكون تسبيحا لإجلالي

فالعرش والفرش والأكوان أجمعها ... الكل في سعتي مستهلك بالي

وكل فضل سما للكون مرتفعا ... فإنما هو من منّي وإفضالي

أنا أحفظ منها هذه الأبيات، ومنهم من يقول هو من أطفأ نار إبراهيم بتفلته، ومنهم من يقول هو الذي أنجىٰ موسىٰ في السفينة، يدّعون الألوهية، وشاعر يمني مشهور اسمه عبد الرحيم له ديوان شعر، هذا يمكن أن يفضلوه علىٰ المصحف ويقدّسونه تقديسًا عظيمًا، وفيه من الشرك والضلال ما لا يعلمه إلا الله، وأنا لا أحفظ القصائد التي تضمنها هذا الديوان، ولكن أورد لكم منه

بيتين أو ثلاثة، يقول في مدح بعض الأولياء الذين يسمونهم أولياء:

لكمـا يحمـل عـرش ربـك همـة ويد من الأيدي التي بنت السما

ويحـيط سـر كمـا الوجـود فلـيس شيء يخفـىٰ عنكمـا

وترهات وضلالات كتاب كرامات الأولياء للشرجي فيه أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون والولي يعمل كذا، يعني تهاويل لا تجدها عند الهنادك ولا عند اليونان ولا عند الرومان ولا عند غيرهم من الأساطير، و«جامع كرامات الأولياء» للنبهاني المعاصر رئيس محكمة الحقوق في بيروت أيام الاستعمار الفرنسي، جمع ما سماه بكرامات الأولياء في مجلدين يندىٰ له الجبين من كثير من الحكايات التي فيها الفحش والسخف عياذا بالله، وأنا أخجل أن أحكي بعض الحكايات فيه، وكذلك النبهاني، والله الفواحش يجعلونها من الكرامات، هؤلاء زنادقة اندسوا في المسلمين لصرف الناس عن الإسلام نهائيا لا عن القرآن، وتجد في الكرامات لمن في الظاهر أنه يعصر خمرًا وهو في الباطن إنما يعصر دواء للعصاة فيشربون هذا الخمر في الظاهر فيتوبون لأنه ماء التوبة إلىٰ آخر الأساطير مما يدل علىٰ الإباحية والخبث والكيد للإسلام، وهذا انتشر في الصوفية وانتشر في الرافضة وانتشر في غيرهما ممن هم أبعد الأمة عن القرآن وعن السنة.

هناك استقلالية يحبها الإسلام تقابل التميع والذوبان في المشايخ كمشايخ الصوفية وغيرهم، وهناك استقلالية مذمومة، والتكبر والاستعلاء، فلا يرىٰ العلماء أهلا لأن يتلقىٰ منهم، وهذا مع الأسف موجود عند كثير من الناس،

يعيش في بلد إسلامي يزخر بالعلماء فلا يمكن أن يأخذ عن أحد منهم، لماذا؟ لأنه لا يضيع وقته في الجلوس بين يدي العلماء والأخذ عنهم، فهذه لا تسمىٰ استقلالية وإنما هي استكبار واستعلاء - والعياذ بالله - فهذه الظاهرة يجب أن تحارب وأن يحارب أهلها وأن يحفظ المسلمون أبناءهم من شر هؤلاء، وكذلك المسؤولون يجب أن يشاركوا في حماية أبناء الأمة من أفعال هؤلاء، الذين لا يأتي من وراء هذا الاستعلاء والاستكبار الذي يشبه الاستقلالية لا يأتي وراءه إلا البلاء والدمار، الإسلام يطلب من الناس أن يفهموا كتاب الله وسنة نبيه وأن يتدبروا ويتبعوا الحق، ولا يقولوا كما قال المشركون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] كذلك الاستعلاء والاستكبار يقابله خنوع وذل وسقوط كما يفعل أتباع الصوفية والذين يغلون في التعصب الأعمىٰ لكتب الفقه، يعني يريدون أن يحولوا بين الكتاب والسنة، حتىٰ إن كثيرًا منهم يرىٰ أن دراسة الكتاب والسنة والتمسك بهما يؤدي إلىٰ الخروج، أنا تتبعت والله كثيرا من كتب الفقه ما رأيت فيها أحاديث طاعة الولاة وأحاديث البيعة وما شاكل ذلك، ما وجدت هذه إلا في كتب الحديث وكتب العقيدة التي صنفها أئمة الحديث، تجد فيها يجعلون طاعة ولاة الأمور أصلا من أصول الإسلام ويسوقون الأحاديث وكلام السلف في تركيزه علىٰ هذا الأصل ومباينة الخوارج والروافض الذين لا يعترفون بهذه الأصول، وسعوا في هدم الإسلام وهدم الأمة، لا تجد كتبا استوفت أصول الإسلام وتربّي الناس علىٰ طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتعظيمه وإجلاله والخوف منه والرغبة فيما عنده لا تجد هذا إلا في

كتب السنة، في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، لا تجدها في سائر العلوم، الأصول الإسلامية كلها مستوفاة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

الشاهد: أن الإسلام وسط لا استعلاء ولا استكبار ولا ذل ولا خنوع، إنما هو فقه وفهم واتباع، ويطلب من كل إنسان أن يفهم دين الله ويفهم كتاب الله مباشرة إلا إذا عجز الإنسان كأن يكون هناك أمور تمنعه من الفهم لابد أن يوجد في الأمة من يفهمون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويربون الناس علىٰ تلقي العقائد والعبادات والأخلاق من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ مباشرة، سيرًا علىٰ نهج صحابة رسول الله وخيار التابعين وأتباع التابعين القرون المفضلة الذين شهد لهم رسول الله بالخيرية؛ لأن مصدرهم كان في العقائد والفقه والعمل والأخلاق إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، علَّموا العرب والعجم علىٰ مختلف شعوبها ولغاتها من بربر ومن رومان ومن أتراك ومن هنود ومن فرس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كانوا إذا فتحوا بلدا ربوهم علىٰ قال الله وقال رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ما قالوا والله لغتهم أعجمية وما يمكنهم أن يفهموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أئمة الهدىٰ حاربوا التقليد الأعمىٰ، قال أحمد حينما قيل له: إن ناسًا يأخذون برأي سفيان. قال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يأخذون بقول سفيان ويتركون كتاب الله أو يتركون الإسناد وصحته ويأخذون برأي سفيان والله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

سفيان من أين يأخذ؟ من فلسفة اليونان؟ من أين يأخذ؟ من علم الكلام؟ حاشاه، يأخذ من كلام الله، يعني يقول لك أحمد خذ من حيث أخذوا، لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا، يفهم فلان ويفهم فلان من كتاب الله، يستفيد من هذا الفهم، ولكن أيضا حاول أن تدلي بدلوك وتأخذ من حيث أخذوا، هكذا أحمد يربي الأمة وأتباعه علىٰ هذا، وما يستنبطه مالك ويستنبطه الشافعي ويستنبطه الأوزاعي من كتاب الله ويدونونه من كلامه، إن شئت اقرأ هذا لكن حاول أن تأخذ من حيث أخذوا، من أين أخذوا هذا؟ أخذوا هذا من الآية الفلانية ومن الحديث الفلاني، إذن أنا ينبغي أن أفهم هذا النص الذي أخذ منه هؤلاء الأئمة، فإذا عجزت فقلد علىٰ ما يقال، ولكن التقليد إنما يكون في مسائل الاجتهاد، فإذا فهم الإنسان نصا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ فعليه أن يأخذ به ولا يأخذ بقول فلان ولا رأي فلان، هذا أمر أجمعت عليه الأمة كما قال الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي حارب التقليد الأعمىٰ كما حاربه أحمد ومالك والأوزاعي والثوري وغيرهم رضوان الله عليهم.

قال الشافعي: «أجمعت الأمة علىٰ أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يتركها لقول أحد».

فعلينا أن نربي شباب الأمة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ، ونستعين بالله ثم بفهم الأئمة علىٰ فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، علىٰ هذا يجب أن نربي الشباب وأن نبعدهم عن الجمود الأعمىٰ وعن التطرف الذي يقع

فيه الخوارج، فالخوارج لم يؤتوا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، وإنما أُتوا من جهلهم وأهوائهم كما أشار إلىٰ ذلك رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**» أُتُوا من سوء فهمهم، لماذا؟ ابتعدوا عن العلماء، استكبروا، وتعالَوا، وأنِفوا أن يأخذوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليٌّ بين أظهرهم وابن عباس وأبو موسىٰ وغيرهم من فقهاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان الخوارج يأنفون أن يأخذوا منهم، فكيف يتسنىٰ لهم أن يفهموا كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكذلك قد يجمد الإنسان في الفقه ويكون خارجيا، يكون من الفقهاء الجامدين ويخرج علىٰ الأمة، هذا موجود كثير، الخوارج الآن ما عندهم كتاب الله وسنة الرسول وعندهم فقه لكن لا يزالون يحملون فكر الخوارج، وكثير من الثوار الموجودين والله ما أخذوا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، فهذه أمور يجب أن يتنبه لها، فلا استقلالية مطلقة ولا خنوع ولا ذل، وإنما نربي رجالا مسلمين يعبدون الله ويقدسونه ويجلونه ويعرفون قدر كتاب الله وسنة رسول الله، فيحفظونهما ويتفقهون فيهما كما ندبنا الله إلىٰ ذلك وندبنا إليه رسوله ﷺ.

س: ما حكم تعدد البيعات للحكام؟

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، أظن والله أعلم أن هذا السؤال قد طرح مرارا، وقد أجبت عليه في مناسبات، ولكن لا مانع من الجواب عليه الآن فنقول:

الأصل في الأمة أن تكون أمة واحدة، وأن يكون لها إمام واحد، هذا هو الأصل، ومنه ما جاء في قول النبي ﷺ: «**إذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما**» هذا إذا كانت الأمة مجتمعة ومتفقة وكلمتها واحدة ولها إمام واحد بويع ثم جاء آخر ينازعه ويعقد البيعة لنفسه؛ فإن هذا لا شك أنه يجب قتله، أما والأمة قد تفرقت وتمزقت من قرون، بل لم تكن تجتمع علىٰ إمام واحد منذ سقطت الدولة الأموية، لم تجتمع الأمة إلىٰ يومنا هذا علىٰ إمام واحد، إذ بسقوط الدولة الأموية قامت دولتان في العالم الإسلامي: دولة في المشرق هي دولة العباسيين، ودولة في المغرب: الأندلس عام (١٣٢هـ) قائدها عبدالرحمن الداخل أحد الأمويين، ثم بعد أيام قلائل وبعد موت السفاح أول خليفة عباسي خلفه المنصور فانضاف إلىٰ هذه الدولة دولة جديدة في الجزائر، دولة الخوارج الإباضية، وبعد أربع سنوات قامت إلىٰ جانبها دولة أخرىٰ يسمونها الدولة المدرارية في جنوب المغرب، وبعد سنوات قامت دولة الأدارسة في أفريقيا، وبعد سنوات قامت دولة الأغالبة، دولتان قامتا في أيام الرشيد ودولتان في أيام المنصور، وكان الخليفة المنصور أقوىٰ خلفاء بني العباس، أرسل جيشًا لاستعادة الأندلس فلم يأته إلا رؤوس جيشه، دار القتال بين جيش عبد الرحمن الداخل وبين جيش المنصور، أستأصل فيها شأفة الجيش العباسي، فأرسل بالرؤوس في أيام الحج إلىٰ مكة والمدينة، فَيَئِس المسلمون من إعادة الأندلس إلىٰ حضيرة الخلافة كما يئسوا من إعادة غيرها.

علماء الإسلام في المشرق مالك والأوزاعي ومن عاصرهم من العلماء كسفيان بن عيينة وغيرهم، لو كان في استطاعة الأمة أن يستعيدوا هذه الدول إلىٰ حضيرة الخلافة حتىٰ تكون الأمة كلها أمة واحدة تحت راية واحدة والله ما كانوا يقصرون، كانوا يروون أحاديث ويفسرونها للناس ولكن في نفس الوقت لا تسمع عالما يقول يجب علىٰ الخلافة العباسية أن تستعيد هذه الممالك إلىٰ حضيرتها وتخضعهم لسياستها، ما قال هذا أحد، لماذا؟ لأن هذا أمر فوق طاقة الأمة ويترتب عليه من المذابح والمفاسد ما لا يعلمه إلا الله، بل نرىٰ في تاريخ المنصور وفي تاريخ الرشيد وفي تاريخ كثير من الخلفاء كانوا يغزون الروم ويغزون الصين ولكن لا يستطيعون أن يردوا إقليما إسلاميا، والله كانوا يفتحون فتوحات في بلدان الكفار ويسهل عليهم هذا الفتح ويصعب عليهم أشد الصعوبة استعادة هذه البلدان التي انفصلت عن الخلافة، ثم بعد سنوات طويلة إلىٰ عام مائتين وستة وتسعين قامت الدولة الباطنية في المغرب علىٰ أنقاض الثلاث الدول التي ذكرناها سابقا، بل أربع دول، دولة الأدارسة ودولتي الخوارج والدولة الرابعة دولة الأغالبة، استولت هذه الدولة الباطنية علىٰ هذه الممالك كلها، ولم تستطع الخلافة العباسية أن تتدخل وتقف في وجه هذه الدولة الباطنية، ثم بعد سنوات توسعت وأخذت مصر والشام، وبقيت مصر والشام بأيدي الباطنيين حوالي مائتين وخمسين سنة، والخلافة العباسية بعلمائها لا يستطيعون أن يحركوا ساكنا، ولا تجد مطالبا من العلماء بإعادة هذه الدول، ولا يطعنون في

بيعة هذا الإمام في هذا الإقليم الباقي بل بيعته عندهم صحيحة، ويرونه إمامًا، وبيعة الأمويين في الأندلس وهم علىٰ السنة، كان العلماء والفقهاء ومنهم منذر بن سعيد البلوطي الذي كان من أقوىٰ الشخصيات والعلماء كان يبايع، ويرىٰ بيعة هذا الإمام لازمة، والعلماء كلهم من ورائه يرون أن بيعة هذا الإمام لازمة يترتب عليها الطاعة وله أن يجاهد، ويستحل بذلك الفيء ويستحل به السبي ويقيم الحدود وينهض بالشريعة، لا يرون شيئًا من أحكامه غير نافذة، ويرون وجوب طاعته.

وكذلك يفعل علماء الإسلام في المشرق إذا بايعوا الدولة العباسية التي لم يبق بيدها إلا الثلث تقريبا من أراضي الأمة الإسلامية كانوا يرون أن بيعة الخليفة في هذه الأقاليم بيعة صحيحة وهو خليفة، وعبد الرحمن الثالث من الخلفاء الأمويين سمىٰ نفسه خليفة، والأئمة قبله كانوا يسمون أنفسهم أبناء الخلائف، وكانوا يبايعون علىٰ السمع والطاعة ويعقد العلماء هذه البيعات والعلماء هم أهل الحل والعقد، كانوا يرون هذه البيعات بيعات صحيحة، واستمرت الأمة إلىٰ يومنا هذا في العالم كله أقاليم متعددة وكثيرة وكل إقليم يبايعون إمامهم وتبارك هذه البيعات ويرون أنه يجب الطاعة لهذا الإمام، كل إقليم يرون البيعة لهذا الإمام الذي بايعوه في هذا الإقليم المعين بيعة صحيحة تلزمهم به الطاعة ولا يجوز لأحد أن يخرج في هذا الإقليم، ومن خرج في هذا الإقليم بالذات يطبق عليه الحديث «**إذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما**» ومن

الفقهاء وأفقه الفقهاء الذين أقروا تعدد البيعات شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وشيخ الإسلام الشوكاني والصنعاني وصديق حسن خان والإمام الشنقيطي صاحب الأضواء والقرطبي وغيرهم من علماء الإسلام أجازوا تعدد البيعات، لماذا؟ لأنه ضرورة، والله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ما كلف الأمة فوق طاقتها، وإذا استعرضنا أصول الإسلام وقواعد الإسلام نجد أنه عند المشقة وعند مظنة المشقة يتسامح فتسقط بعض الواجبات، ألا يسقط عن المسافر الصيام في حال السفر ولا يجب عليه؟ وألا تسقط ركعتان علىٰ المسافر من الظهر والعصر والعشاء وكل منهما أربع ركعات نصليهما ركعتين ركعتين، ونجمع الثانية مع الأولىٰ أو العكس، كل هذا رفقا بهذه الأمة، الحج لا يجب إلا علىٰ المستطيع، لو أن تسعة وتسعين في المائة من الأمة عجزوا عن الحج وعن القيام بهذا الركن لا يجب عليهم أن يحجوا ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فالعلماء والفقهاء نظروا إلىٰ هذه الأشياء وهذه السماحة في الإسلام ورفع الحرج ورفع المشقة التي لا يترتب عليها سفك دماء، فكيف يكلفهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالقيام بواجب تذهب فيه الأرواح وتستباح فيه الدماء والأعراض ثم لا يمكن أن تتحقق الغاية، والآن في هذا الوقت من يستطيع أن يجمع شمل المسلمين، وهم كل بلد يحصِّن بلده وثغوره ضد الدولة الإسلامية الثانية أكثر من التحصينات التي تكون بين المسلمين والدول الكافرة، الآن بعض الأقاليم تقتطع أطرافها من المشركين ومن الباطنية فيعجزون عن

استعادتها، كيف يكلف الأمة أن تقيم خلافة في هذا العصر وهي أصبحت من المستحيلات، من الصعوبة بمكان، الأمة متفرقة في عقائدها وفي فقهها وفي سياستها أضعاف أضعاف أضعاف ما كانت في العصور السابقة التي لم ينادِ العلماء بتوحيد الأمة تحت راية واحدة وتحت خلافة واحدة، كيف الآن نقول: إن بيعة فلان لا تصح، نحن نقول هذا البلد يبايع علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله والبيعة فيه صحيحة والطاعة فيه واجبة بمقتضىٰ هذه البيعة، البيعة تمت علىٰ أيدي أهل الحل والعقد، ويجب علىٰ المسلمين عموما التابعين لأهل الحل والعقد أن يقوموا بواجب هذه البيعة ومقتضاها، ألا وهو الطاعة والذب عن حياض هذه البلاد، بلاد التوحيد وبلاد السنة التي يعاديها أعداء الإسلام جميعا، والله يقول بعض الناس الذين يذهبون إلىٰ أروبا وأمريكا: إن المكتبات مليئة بالطعن والتشويه لهذه البلاد وحكامها، لا روافض ولا قذافي ولا صدام ولا أسد ولا أحد، لو تجمع الكتب التي تطعن فيهم لا تساوي واحدًا في المائة، لماذا كل هذا؟ لأن هذه بلاد التوحيد وبلاد السنة وصخرة الإسلام الصلبة فيه صامدة لم يستطع الأعداء أن ينالوا منها، ولم يستطيعوا تفكيكها كما فككوا صخرة الإسلام في سائر بلاد المسلمين، ولهذا يعاديها أهل البدع والأحزاب الضالة التكفيريون وغيرهم، ومن آثار هذا العداء ما نراه الآن من تفجيرات ومن مشاكل، فهؤلاء الخوارج أشد الناس علىٰ الإسلام والمسلمين، كما قال ذلك رسول الله ﷺ: **«يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»** فيجب علىٰ كل

مسلم في هذا البلد أو في غيره أن يحافظ علىٰ مكانة هذه البلاد وأن يحترمها لأنها قائمة علىٰ التوحيد، مدارسها ومحاكمها وكل شؤون حياتها قائمة علىٰ الكتاب والسنة، إلا ما ندَّ وشذ، نسأل الله أن يوفق هذه الدولة لتلافي هذه الأخطاء، حتىٰ تلقم هؤلاء الذين يفرحون بهذه الأخطاء، - واللهِ - هذه الأحزاب تعادي هذه الدولة أكثر من اليهود والنصارىٰ، ونراهم ينادون بأخوة النصارىٰ واليهود وينادون بوحدة الأديان وينادون وينادون ولا يبغضون أهل الأديان كما يبغضون أهل التوحيد، ولهذا لما قامت الحرب بين إيران والعراق كان العراق عندهم كافرًا ملحدًا زنديقًا، وكانت إيران هي الدولة الإسلامية، لما كان العراق يحارب الرفض كان كافرا زنديقا فلما توجه هذا الكافر الزنديق - في حكمهم - بجيشه إلىٰ بلاد التوحيد أصبح عند هذه الأحزاب التي تعادي التوحيد، أصبح هذا الكافر الزنديق إمامًا مسلمًا، صلاح الدين، هؤلاء هم الذين يتسببون في هذه التفجيرات ويتسببون في هذه الفتن ويربون الشباب علىٰ البغض والحقد لهذه البلاد ومنهجها وعلمائها وحكامها لا لأجل المنكرات التي توجد وإنما والله لأجل عقيدة التوحيد، والأدلة كما قلت لكم كيف لما كان صدام يحارب الروافض المغرقين في الوثنية أكثر من اليهود والنصارىٰ كان كافرًا، فلما توجه إلىٰ بلاد التوحيد أصبح صلاح الدين وأصبح إماما وجهاده جهاد إسلامي، ألا تفهمون وتدركون المقاصد الخبيثة لهؤلاء؟!

ولقد حرَّكوا العالم الإسلامي كله وغيره ضد هذه البلاد، حربا لعقيدة

التوحيد، لأن الموحدين السلفيين يفضحونهم ويبينون انحراف عقائدهم ويبينون انحرافهم في السياسة ويبينون انحرافهم في العبادة ويبينون انحرافهم في كل المجالات، ما يشغلهم إلا السلفيون، أما الروافض فإخوانهم، أما الصوفية الباطنية فإخوانهم، أما النصارىٰ واليهود فإخوانهم، فلهذا ما يقض مضاجعهم إلا المنهج السلفي ودولته وعلماؤه؛ يريدون إسقاطها علىٰ يد أي عدو للتوحيد، فعلىٰ من كان عنده إسلام ناقص أن ينميه وأن يعرف قيمة التوحيد، إذا كان يحترم التوحيد ويعرف قيمة التوحيد فليعرف لهذه البلاد فضلها، هذه البلاد وهذه الحكومة تشيد الجامعات والقلاع الحصينة للتوحيد، والبدع والخرافات تحت الأقدام وتحت النعال، والسنة مرفوعة، والبدع والإلحاد تحت الأقدام، فالذي يؤمن بالله واليوم الآخر ويحترم القرآن ويحترم السنة ويحترم التوحيد فليحترم هذه البلاد بمدارسها وعلمائها وحكامها، وليذهب للمسؤولين وينصحهم بحكمة وأدب، فباب النصيحة مفتوح لمن أراد أن ينصح بالحكمة والموعظة الحسنة، وفق الله المسلمين جميعًا للتمسك بالكتاب والسنة.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الثبات على السنة

الاعتصام بالكتاب والسنة أمر ضروري لهذه الأمة

وإن تطيعوه تهتدوا

مكانة الصحابة في الإسلام

العودة إلى فهم سلف الأمة

التمسك بالمنهج السلفي

ضرورة العناية بفقه السلف

إن الله يرضى لكم ثلاثا

سبيل النجاة

وسطية الإسلام

واقع المسلمين وسبيل النهوض

أسباب الانحراف وتوجيهات منهجية

فهرس الأسئلة:

من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

مكانة العلماء

وخطورة استقلال الشباب عنهم